أبو سعد العاملي

وقفات تربوية

في سبيل نهضة جهادية

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس المحتويات

مقدمة ٣
آمن ثم استقم. ٥
انتفاش الباطل؛ سحابة صيف ١٣
أدخلوا عليهم الباب.. ١٩
وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ٢٦
من يعلق الجرس ؟.. ٣٣
حق القوة أم قوة الحق ؟ ٣٩
أخرجوهم من حيث أخرجوكم.. ٤٥
الوهن؛ أعراضه ودواءه ٥٢
وهن العزيمة ٥٩
إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم.. ٦٦
إنهم يألمون كما تألمون.. ٧٤
وإن تعودوا ... نعد.. ٨١
ودوا لو تدهن فيدهنون ٩٠
لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُم فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ.. ٩٨
ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ١٠٧
الردة والمفهوم المغلوط ١١٦
واتقوا فتنة.. ١٢٤
معرفة الواقع ضرورة حتمية لتغييره ١ .... ١٣١
معرفة الواقع ضرورة حتمية لتغييره ٢ .... ١٣٩
فلا تخافوهم وخافون ١٤٧
الدعوة و التنظيم؛ بين السرية و الجهرية.................................. ١٥٦
الحركة الإسلامية؛ بين الثبات على المبادئ وضغوط الواقع القائم ١٦٣
شروط النصر وتبعاته.. ١٦٨
مرحلة ما بعد النصر ١٧٥
وقفات تربوية مع بيعة العقبة الثالثة ١٨٤
١- السمع والطاعة في المنشط والمكره.................................... ١٨٥
٢- أنواع النفقة.. ١٩٢
٣- الحسبة.. ١٩٩
٤- قول الحق والنصرة.. ٢٠٧
٥- التبعات ٢١٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أزمةُ قِيادة أم أزمةُ إرادة؟ ٢٢٤
وقفات تربوية مع سورة الكهف ٢٣٢
١ ـ تمهيد ٢٣٣
٢ ـ فتية الكهف ٢٤٠
٣ ـ فتية الكهف و فتية الصف ٢٤٨
٤ ـ قصة أصحاب الجنتين ٢٥٥
٥ ـ وقفات تربوية مع قصة موسى والخضر ٢٦٣
هذه هي أمريكا، أمريكتهم ٢٧٦
الديموقراطية ؛ وسيلة لاحتواء التيار الإسلامي ٢٨٦
العمليات الاستشهادية؛ ذروة سنام الاستشهاد ٢٩٤
وجوب نصرة الجماعات الجهادية ومشايخ الجهاد ٣٠٤
حتى لا ننسى أسرانا ٣٣٥
معركتنا مع الشيطان ٣٤٣
وقفات تربوية مع غزوة نيويورك وواشنطن ٣٥٧
وقفات تربوية مع الحرب الصليبية الجديدة ٣٧٧
الحرب الصليبية على العراق ٣٩٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وأصلي وأسلم على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

في إطار ترسيخ المفاهيم الإسلامية الصحيحة القائمة على الفهم السليم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم السلف الصالح ، أتقدم بهذه الباقة من المقالات التي كتبتها في سنوات متفرقة ، عرفت أحداثاً متنوعة مرت بها الأمة بعامة، وطلائع البعث الإسلامي بخاصة ، تلك الطلائع التي حملت راية الجهاد والاستشهاد تواجه بها هجمات الأعداء وترد بها كيدهم ومكرهم.

وقد استطاعت هذه الطلائع المجاهدة أن تحرز تقدماً كبيراً وتسطر معالم في الطريق للأجيال التي ستليها ، حاملة الراية ، لا يضرها من خالفها ولا من عاداها، سائرة نحو تحقيق المزيد من النصر والتمكين لدين الله تعالى، في النفوس أولاً وعلى أرض الواقع ثانياً ، تعيش لدينها وبدينها ، لا تعرف معنى الوهن والهزيمة، بل تمضي مستعلية بدينها ، طامعة في إرضاء ربها.

لهذه الأجيال القادمة، ولجموع الأنصار، أقدم هذه المقالات، التي سميتها: "**وقفات تربوية في سبيل نهضة جهادية**" ، وإني لأرجو أن تفي بالمراد، فتكون اسما على مسمى، وقفات أو محطات تربوية اعتبارية، من أجل تحقيق تلك النهضة الإسلامية وذلك التغيير الرباني عن طريق الجهاد المبارك، الذي يعتبر حامي حمى هذا الدين، ورأس الرمح الذي يخشاه الأعداء في كل حين.

وإني على يقين بأن في الأمة رجال وأنصار يترقبون ساعة الصفر لينضموا إلى قافلة التغيير، وإن لديهم إمكانيات وملكات عديدة وكبيرة، إمكانيات مادية ومعنوية تخولهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأن يكونوا جنوداً أكفاءً، سيسطرون مع من سبقهم على الدرب، ملاحم بطولية متتالية، حتى يكون الدين كله لله.

هذا يقيني في هؤلاء وأولئك، وهذا رجائي في الله عز وجل أن يحوط هؤلاء الجنود بعنايته ورحمته وتوفيقه، وأن يقذف في قلوب أعدائهم الرعب والوهن.

هذا وأسأل الله جل وعلا أن يتقبل منا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وأن يحفظنا من الزلل في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه: أبو سعد العاملي – محرم الحرام ١٤٢٧

www.manaraa.com

آمن ثم استقم. . .

الحمد لله القائل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ (فصلت: ٣٠)، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد :

فإن مفهوم الإيمان في ديننا أشمل وأوسع مما هو شائع لدى عامة المسلمين بل حتى لدى بعض خاصتهم، حيث أنه يشتمل على جانب نظري اعتقادي وجانب عملي تطبيقي، فهو مفهوم السلف الصالح: قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص، فزيادته ونقصانه مرتبطان بالعمل مباشرة (يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي)، فلا معنى لإيمان بلا عمل كما أنه لا معنى ولا قيمة لعمل بلا إخلاص ومتابعة.

ولقد جاء في القرآن الكريم ذم للفئة التي تحصر الإيمان في مجرد القول دون العمل، وذلك في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾(الصف: ٣)، ولا شك أن الله تعالى يطلب من المؤمن أن يبرهن على صحة إيمانه في هذه الدنيا التي تعتبر مرحلة امتحان واختبار لهذا الانتماء، وتصديق لهذا الادعاء أو تكذيبه:﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾(الملك: ٢)، ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾(الكهف: ٧)، فلا يكفي أن يدَّعي المرء الإيمان بمجرد القول أو الاعتقاد، لأن هذه عقيدة فاسدة جرَّت على الأمة الكثير من المصائب، وتسببت في تمكن الأعداء من رقاب العباد وخيراتهم، وذلك حينما اكتفوا بإيمان أعزل تواكلي لا يعطي للجانب العملي أي قيمة تذكر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنها عقيدة الإرجاء في مسمى الإيمان، وتلك هي بعض نتائجها الوخيمة على الأمة، حتى صار الناس لا يستطيعون التمييز بين الكافر الأصلي وبين المرتد، بل لقد حكموا بإسلام هذا الأخير لمجرد أنه ادعى أنه مسلم بلسانه حتى وإن ناقض هذا الإسلام بعمله، بل لقد بايعوا هؤلاء الحكام المرتدين ومكنوهم من الحكم وتحولوا إلى أنصار لهم يدافعون عنهم ويصبغون عليهم الشرعية، فهدموا بذلك عقيدة السلف في مسمى الحكم، وذهبوا إلى أبعد من هذا، حينما نادوا إلى ما أسموه "حوار الأديان"، واعتبار الكفار الأصليين مؤمنين، كونهم أهل كتاب، فأسقطوا بهذا عقيدة الولاء والبراء، وشوهوا مفهوم الجهاد حينما حصروه في مجرد جهاد الدفع، وسموا جهاد الطلب بالإرهاب وتبرءوا منه ومن كل المجاهدين.

أما الإيمان المقبول عندهم فهو الانصياع لأولي الأمر، والسعي إلى المشاركة في العمل السياسي لإصلاح النفوس ودعوتها إلى مكارم الأخلاق والكف عن التدخل في شؤون الناس – كل الناس – سواء كانوا ظالمين أو مظلومين، عصاة أو طائعين، مصلحين أو مفسدين، فشعارهم هو الحديث الشريف – الذي فهموه بالمقلوب-: "**من حسن إسلام المرء** (وفي رواية: من حسن إيمان المرء) **تركه ما لا يعنيه**".

إن الإيمان الذي ندعو الناس إليه هو الانصياع لله عز وجل وللحق الذي أنزله، دون محاباة أو خشية أحد، وهو الإيمان الذي يدعو صاحبه إلى ترك ما يتناقض مع مبادئه وهجر كل المعوقات التي تقف في طريق انتمائه للدين الجديد، والزهد في كل شيء مهما ثقل وزنه وعلا شأنه في دنيا الناس.

إيمان يدعو صاحبه إلى التضحية والصبر والمصابرة، وإلى مواجهة المخالفين ومجابهتهم والانتصار عليهم وعلى إغراءاتهم وإرهابهم.

إيمان يدفع صاحبه ويجعله قادراً على الجهر بالحق الذي يؤمن به، حتى وإن كان أكثر الناس لا يقبلون ما يدعوهم إليه، ويجعله معتزاً وفخوراً بما يحمله من مبادئ وقيم تخالف ما يعتقده القوم من حوله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الإيمان في زمن غربة الإسلام الثانية عملية معقدة وصعبة للغاية، فهي تشبه عملية القبض على الجمر، لابد من الصبر على أذى حرارتها لتبقى مشتعلة أو على الأقل متوقدة وإلا انطفأت.

نحن نريد إيماناً أشبه بإيمان العجائز في ظاهره، بحيث لا يتزعزع المرء عن ثباته، ويزداد مع الابتلاء والمحن تجذراً وترسيخاً في القلب، ولكنه يتميز عن إيمان العجائز في جوهره، بحيث يكون سليماً وموافقاً لإيمان السلف الصالح، بعيداً عن البدع والانحرافات التي نجدها لدى عجائزنا بسبب الجهل الموروث.

ولقد نجح الأعداء لفترات طويلة وفي مناطق شاسعة ومتعددة من بلداننا أن ينشروا بدعاً كثيرة ومغريات متعددة لصرف المسلمين عن الممارسة الحقيقية لدينهم، في شتى مجالات الحياة اليومية للمسلم، وأصبح الالتزام عندنا صورياً وإسمياً لا غير، وحاولوا إغراقنا في الشهوات لكي لا نضحي في سبيل ديننا، فيصير لدينا أرخص من جناح بعوضة، نضحي به في سبيل تحصيل فتات الدنيا الزائل.

هذا في الوقت الذي يضحي فيه المسلمون بأغلى ما يملكون وعلى رأسها حياتهم، من أجل التكالب على هذه الدنيا والحرص عليها.

.. ثم استقم

ليس المهم أن تؤمن، بالرغم من أهمية هذه النقلة وصعوبتها في آن واحد، ولكن الأهم هو الاستمرار والثبات على هذا الإيمان، وهو ما يسمى بالاستقامة.

فالاستقامة شرط أساسي على صحة الإيمان، فعن أبي عمرة سفيان بن عبد الله ﵁ قال، قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: " **قل آمنت بالله ثم استقم**" [رواه مسلم].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هكذا الإسلام ، يجعل الاستقامة بعد الإيمان مباشرة ، بل لا معنى لهـذا الإيمـان بدون استقامة.

وفي الحديث المشهور حيث قال رسول الله ﷺ: " شيبتني هود وأخواتها، وشيبني في هود قوله تعالى ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾(هود:١٢١)، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

انظروا إلى ثقل مسؤولية اتباع أمر الله، ﴿ **كَمَا أُمِرْتَ** ﴾، أي كما أمر الله تعالى، وليس اتباع الهوى أو النفس أو الابتداع في الدين ما لم يترل به الله .

ولاشك أن للعبادات اليومية والموسمية دورا كبيرا في تربية المسلم على الاستقامة، كالصلاة مثلاً، حيث يضطر المؤمن إلى تكرار هذه العبادة عدة مرات في اليوم والليلة لكي يبقى على اتصال مستمر مع ربه من أجل الدعاء وطلب المغفرة والمـدد، فهـي أشـبه بمحطات استراحة وتزود، لمواصلة المسير.

وعملية الصوم هي الأخرى تربي المسلم على الصبر وامتلاك زمام نفسه وكـبح جماحها عن الشهوات والإسراف في الحلال، وهاهو رمضان على الأبواب، وهو فرصـة جديدة لكل مؤمن بأن يجعل هذا الشهر مدرسة لتحصيل الصبر وتعويد الـنفس علـى الاستقامة على طاعة الله عز وجل، في السر والعلن، في السراء والـضراء وفي المنـشط والمكره.

فالاستقامة درجة أعلى من درجة الإيمان، لأنها تطالب صاحبها أن يكون دائـم الطاعة والاتباع، لما في ذلك من مخالفة للهوى والأعراف والقوانين، وما يتبع ذلك مـن حرمان وأذى وفوات لمصالح مادية عديدة، وهو أمر قاس على النفس، يحتاج صاحبها إلى امتلاك إرادة قوية، وتوفيق من الله وتسديد.

فالمؤمن بحاجة إلى استقامة في تعامله مع الحلال والحرام، حيث أن الشيطان يزين الحرام ويسهله على النفس، ويجد على ذلك أعواناً، في الوقت الذي يُظهر فيه الحلال صعباً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشاقاً على صاحبه، ولا يجد المؤمن على ذلك أعواناً، بل يجد نفسه وحيداً وسط حقول من الشهوات، والعديد من جند إبليس التي تؤزه إلى المعصية أزاً.

كما أنها شرط لنزول رحمة الله ورزقه على عباده ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ﴾(الجن: ١٦). والرزق هو المتاع الدنيوي الذي يبحث عنه الإنسان ويكدح من أجله ، وهاهو يأتيه صاغراً مضموناً من عند الله عز وجل ﴿ **لأسقيناهم** ﴾، تأكيد وضمان لا شك فيه ، بشرط تحقيق الاستقامة على طريقة الرسل والأنبياء.

كما أن المؤمن بحاجة إلى استقامة في السر والعلن، فيكون مظهره وباطنه سيان في كلتا الحالتين، فيستحضر أمر الله عز وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾(آل عمران: ١٠٢) حيث أن المراد هو الحرص على استقبال الموت في حالة إيمانية، بعيداً عن المعاصي التي تودي بصاحبها إلى الكفر.

وهو بحاجة إلى الاستقامة في اليسر والعسر، حيث أن كثيراً من الناس يستطيعون تحقيق الاستقامة على أمر الله في حالات الرخاء والسعة، بينما تراهم يتزعزعون ويرتبكون ويضعفون في حالات الشدة والضيق، وهي الأكثر حضوراً في هذا الزمان، حيث أن الإسلام وأهله يعيشون تحت حصار شامل ومتواصل من قبل أعداء الله، بغية ردهم عن دينهم وفتنتهم عن عقيدتهم، وهذا يحتاج منا معشر المسلمين والمؤمنين أن نتسلح بسلاح الاستقامة والثبات على ديننا مهما اشتد هذا الضيق واتسع هذا الحصار.

والمؤمن بحاجة إلى الاستقامة في دعوته، سواء في مرحلة تتبع المدعو من أجل الاستئناس ثم بناء جسر الثقة بينه وبين المدعو، أو في مرحلة التربية والتكوين، أو في مرحلة التوظيف، وهي مراحل قد يصاب فيها الداعية بنوع من الملل واليأس قد يدفعانه إلى إيقاف عملية الدعوة قبل أن تكتمل، وهو أشبه بعملية إجهاض، لا سبيل إلى تفاديها إلا بالاستقامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو ربما يضطر الداعية – حرصاً على كسب الناس – إلى الانحراف عن دينه والتنازل عن بعض مبادئه، لإرضاء هؤلاء المدعوين. وكثيراً ما يحصل هذا لدى بعض الجماعات التي تكون مسيرتها الدعوية – في بادئ الأمر– سليمة وواضحة، ولكن سرعان ما تبدأ في الانحراف والبعد عن الصراط المستقيم ابتغاء مرضاة البشر من حولها بدلاً من مرضاة الله، وابتغاء تحقيق بعض المكاسب السياسية الموهومة مقابل هدم الكثير من معالم الشريعة. وها نحن نرى هذه الجماعات - أو ما يسمى بحركات الإسلام السياسي– تسقط في أحضان الطغاة والظالمين، أو نراها تشكل أحلافاً سياسية مع بعض الأحزاب العلمانية لكسب بعض المقاعد في برلمانات كفرية أو بعض الحقائب الوزارية في حكومات مرتدة. [1]

كما أن المؤمن بحاجة إلى استقامة في عملية الإعداد، لما يتطلب ذلك من صبر وأناة ، ولما في ذلك تعدد الجبهات والثغور، لا يمكن الاستمرار والثبات على الطريق إلا بتحقيق الاستقامة، وهي بدورها لا يمكن تحقيقها إلا حينما يستحضر المؤمن ما ينتظره من جزاء أخروي وربما نصر دنيوي ﴿ **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(الصف: ١٣)، والمؤمن – كما الجماعات الجهادية – بحاجة إلى الاستقامة في جهادها لأعداء الله، سواء الجهاد باللسان أو بالسنان، وهو أعلى مراتب الجهاد، ولا شك أن الشيطان يرصد للمجاهدين أكثر مما يرصد لغيرهم، حيث يحاول أن يذكرهم ويزين لهم ما تركوه وراءهم من الدنيا والأهل والولد، ويحاول أن يقنعهم بتأجيل الجهاد ﴿ **لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيب** ﴾، أو يخوفهم من مصير أهله وولده ومتاعه من بعده، وهذا بحاجة إلى استقامة لتجاوزه والانتصار على هذا الوساوس الشيطانية.

[1] انظر مقالنا " معرفة الواقع ضرورة حتمية لتغييره ٢/٢ " في الصفحة (١٣٩) من هذا الكتاب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن الأعداء – حينما يرون ثبات المجاهدين وإصرارهم على مواصلة القتال، وتحقيقهم للانتصارات المتتالية عليهم – يحاولون إقناعهم بوضع السلاح، و الجلوس إلى طاولة المفاوضات والمساومات السلمية لتقاسم السلطة أو مجرد الحصول على بعض الوعود الكاذبة في ذلك.

فالمجاهد لا ينبغي أن ينكسر بسبب بعض الانتكاسات والجروح التي تمسه في مسيرة جهاده، وعليه أن يعلم أن هذا جزء من الثمن الواجب أداؤه للحصول على وعد الله في الدنيا والآخرة، ولن يتمكن من مواصلة جهاده بغير الاستقامة، كما لا يمكن الحصول على النصر والتأييد الرباني بغيرها كذلك.

فالاستقامة شرط لنزول نصر الله ومدده لعباده ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونْ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيم** ﴾[فصلت ٣٠].

ولاشك أن الاستقامة تحتاج إلى عزيمة كبرى وصبر واسع وتضحية كبيرة، لأنها ستسبب لصاحبها اضطهاداً ومخاسر ومصاعب، والنفس البشرية متعودة – بطبعها - على اليسير من الأمور، كما أنها تتضايق من طول الأمد، وتودُّ لو تبلغ المراد في لحظات، فنجدها تلجأ إلى سلك الطرق الملتوية، والابتعاد عن الصراط المستقيم شيئاً فشيئاً حتى تسقط في المحظور.

فالمطلوب منا معشر المسلمين، مجاهدين ومهاجرين وأنصارا، أن نتعظ بأعدائنا في تمسكهم الشديد بمبادئهم الباطلة والاستقامة على طريقتهم الخاطئة، ولنكن أفضل منهم في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتمائنا وإيماننا، وأفضل منهم في صبرنا واستقامتنا على ديننا وطريقتنا، وحينئذ يحق لنا أن ننتظر نصر الله ومدده ، وتحقيق وعده لنا في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرا.

[مجلة الانصار العدد ٢٠ / رمضان ١٤٢٣]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتفاش الباطل؛ سحابة صيف

بسم الله وبه أستعين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

حينما يكون الإنسان عاجزاً عن تحقيق أو إنجاز عمل ما، فإنه يتحين الفرص ويبحث عن أدنى الأسباب ليبرر تقاعسه وعجزه حتى لا يوصم بالعجز أو الجبن، ويُفضّل مواصلة العيش في ظل هذا النقص ولو كان ذلك على حساب مبادئه وعرضه وكرامته.

وانتفاش الباطل وغلبته يعتبر من أكبر العوائق التي تثبط عزائم الناس عن القيام والنهوض لنصرة الحق، فالطغاة يتمادون في البطش والتكبر والإفساد في الأرض بلا حدود، من أجل تكريس هذا الإحساس في نفوس الناس وفي الواقع الفعلي. ومع مرور الزمن يظن هؤلاء الطغاة - في قرارات أنفسهم - أنهم على الحق، وأن جرائمهم هذه إنما هي تطهير الأرض من الفساد وتحقيق الأمن للمواطن الصالح - حسب زعمهم - فيتحول المؤمنون المجاهدون الصادقون فتنة للذين كفروا، وفتنة في أعين الجماهير الغافلة.

هذا هو واقع أمتنا بصفة عامة مع قوى الاحتلال الخارجي، تظن أن هذا الواقع قدر مقدور لا يمكن تغييره، وبأن هذه المعادلات القائمة سنة مقررة لا يمكن استبدالها، وهو نفس الواقع الذي تعيشه الجماهير في الداخل مع الحكومات الطاغوتية المرتدة التي تحكم بالحديد والنار.

ويظل المجاهدون الذين يمثلون الطائفة المنصورة - الضمير الحي لهذه الأمة - وسط الطوق وتحت حصار شديد ومستمر، ويظن الناس أن هؤلاء المجاهدين لا يستطيعون معه التنفس أو النيل من هذه الحكومات، ولكن الحقيقة شيء آخر فكل ما نراه في واقع حياتنا من انتفاش للباطل وانزواء للحق، إنما هو سنة إلهية على مدار التاريخ البشري، والناظر إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سير الأنبياء والمرسلين من قبلنا، يدرك هذه الحقيقة جلية واضحة، فكل هؤلاء مروا بمراحل الضيق والابتلاء والتمحيص، ثم تصفية الصفوف، ثم بعد أن تخلص هذه النفوس لله وتكون في مستوى تحمل أعباء النصر والتمكين يأتي الفرج والفتح المبين، ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ ولا يغلب عسر يسرين كما قال رسول الله ﷺ، والله عز وجل يؤكد هذه الحقيقة في قوله ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] ، يقول المعلم الشهيد سيد رحمه الله " في هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب ويأخذ فيها الضيق بمخانق الرسل ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة، في هذه اللحظة يجيء النصر كاملاً حاسماً فاصلاً، تلك سنة الله في الدعوات، لابد من الشدائد، ولابد من الكروب حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس، يجيء النصر من عند الله فينجو الذين يستحقون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون، ويحل بأس الله بالمجرمين مدمراً ماحقاً لا يقفون له ولا يصده عنهم ولي ولا نصير".

" ذلك كي لا يكون النصر رخيصاً فتكون الدعوات هزلاً، فلو كان النصر رخيصاً لقام في كل يوم دعي بدعوة لا تكلفه شيئاً أو تكلفه القليل، ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثاً ولا لعباً، فإنما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج ينبغي حراستها وصيانتها من الأدعياء، والأدعياء لا يتحملون تكاليف الدعوة، لذلك يشفقون أن يدّعوها، فإذا ادعوها عجزوا عن حملها وطرحوها وتبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي يصمد لها إلا الواثقون الصامدون، الذين لا يتخلون عن دعوة الله ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة " انتهى.

أما عن هؤلاء الظالمين وبطشهم وجيروقم فإن الله تعالى يبشر عباده الصالحين المجاهدين، الواثقين في ربهم والساعين بصدق إلى إزالة هذه المنكرات والكفريات، يبشرهم بالفرج وبزوال هذه الحكومات الطاغوتية إذ يقول عز من قائل ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[آل عمران : ١٧٨] ، يقول سيد – رحمه الله – في تفسير هذه الآية، وهو يعطينا التصور الصحيح الذي يجب على طلائع البعث الإسلامي أن تتسلح به اليوم في معركتها الضارية مع هذا الباطل المنتفش: "هذه الآية تسلط الأضواء على العقدة التي تحيك في بعض القلوب والعتاب الذي تجيش به بعض الأرواح، وهي ترى أعداء الله وأعداء الحق متروكين لا يأخذهم العذاب ممتعين في ظاهر الأمر بالقوة والسلطان والمال والجاه مما يوقع الفتنة في قلوبهم وقلوب الناس من حولهم، وما يجعل ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يحسبون أن الله – حاشاه – يرضى عن الباطل والشر والجحود والطغيان، فيملي له ويرخي له العنان، أو يحسبون أن الله سبحانه وتعالى لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل، فيدع الباطل أن يحكم الحق ولا يتدخل لنصرته، أو يحسبون أن هذا الباطل حق وإلا فلم تركه الله ينمو ويكبر ويغلب؟ أو يحسبون أن من شأن الباطل أن يغلب على الحق في هذه الأرض وأن ليس من الحق أن ينتصر. ثم يدع المبطلين الظلمة الطغاة المفسدين يلجون في عتوهم ويسارعون في كفرهم ويلجون في طغيانهم ويظنون أن المر قد استقام لهم وان ليس هنالك من قوة تقوى على الوقوف في وجههم، وهذا كله وهم باطل وظن بالله غير الحق والأمر ليس كذلك، وهاهو ذا الله سبحانه وتعالى يحذر الذين كفروا أن يظنوا هذا الظن، أنه إذا كان الله لا يأخذهم بكفرهم الذي يسارعون فيه وإذا كان يعطيهم حظاً في الدنيا يستمتعون به ويلهون به، إذا كان الله يأخذهم بهذا الابتلاء فإنما هي فتنة، وإنما هو الكيد المتين، وإنما هو الاستدراج البعيد".انتهى.

كل هذا يوحي بالأمل ويبشر بمستقبل زاهر للحق وغد إسلامي مشرق، ولكن هذه ثمرة، والثمرة لا يمكن جنيها وقطفها إلا بعد زرعها وسقيها ثم الانتظار حتى تنضج وليس الاكتفاء بالجلوس والركون إلى الأرض في انتظار المعجزة، وهذا هو بيت القصيد في هذا المقال، فنحن لا نريد أن نخدر الناس ونجعلهم تواكليين يعيشون على الأماني ويغرقون في أحلام اليقظة دون أن ينهضوا لتحقيق هذه الأحلام والأماني بأيديهم في واقع الحياة، وهذا هو المطلوب وهو ما يدعو إليه القرآن الكريم أيضاً، فالله سبحانه وتعالى حينما يهوّن ويصغّر من شأن الظالمين والطغاة والمستبدين في الأرض ويبشرنا بضعف كيدهم وحتمية زوال عروشهم كما في قوله تعالى ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴾ [الأنفال : ٥٩] فإنه سبحانه يدعونا مباشرة إلى الاستعداد المادي بعد الاستعداد الإيماني ليعلم أهل الحق أن مرحلة انتفاش الباطل ما هي إلا ساعة، وأن من شروط زوالها استعداد وإعداد من أهل الحق، فيقول سبحانه مباشرة بعد ذلك ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، فهو استعداد في حدود الطاقة إلى أقصاها، بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها، وهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون والذين يتمثلون اليوم في أنظمة الكفر بكل ألوانها وعلى رأسهم أمريكا ثم يأتي أتباعها في الداخل وعلى رأسهم هذه الحكومات الظالمة المرتدة وكل من يقف وراءها أو معها ممن لا تعرفهم هذه العصبة المسلمة المجاهدة، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم، وهؤلاء تُرهِبهم قوةُ الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم، والمسلمون مطالبون ومكلفون بأن يكونوا أقوياء وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله. وهكذا سوف يحسب أعداؤنا كل صيحة عليهم، وسوف يحسبون للمسلمين ألف حساب.

وهناك ثمة حقيقة لابد أن نركز عليها حتى تصفو الرؤية لدى الناس وتتضح لديهم معالم الطريق – طريق التغيير الذي يحلمون به – وهي التعامل الواقعي مع هذا الدين، التعامل الصحيح والسليم حتى لا نتهم هذا الأخير بالنقص. يقول الشهيد سيد رحمه الله: " إن بعضنا ينتظر من هذا الدين – ما دام هو المنهج الإلهي للحياة البشرية – أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة، دون اعتبار لطبيعة البشر ولطاقتهم الفطرية ولواقعهم المادي في أية مرحلة من مراحل نموهم، وفي أية بيئة من بيئاتهم، وحين يرون أنه لا يعمل بهذه الطريقة، وإنما هو يعمل في حدود الطاقة البشرية وحدود الواقع المادي للبشر وان هذه الطاقة وهذا الواقع يتفاعلان معه فيتأثران به في فترات تأثراً واضحاً أو يؤثران في مدى استجابة الناس له، وقد يكون تأثيرهما مضاداً في فترات أخرى فتقعد بالناس ثقلة الطين وجاذبية المطامع والشهوات دون تلبية هتاف الدين أو الاتجاه معه في طريقه اتجاهاً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كاملاً، حين يرون هذه الظواهر فإنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها – ما دام هذا الدين من عند الله – أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته أو يصابون بالشك في الدين إطلاقاً.

يجب أن نعلم أن هذا الدين منهج للحياة البشرية يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد بشري في حدود الطاقة البشرية، ويبدأ في العمل من النقطة التي يكون البشر عندها بالفعل من واقعهم المادي ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود جهدهم البشري وطاقتهم البشرية ويبلغ بهم أقصى ما تمكنهم طاقتهم وجهدهم من بلوغه" اهـ.

والباطل لا يمكن أن يعلو إلا في غياب الحق، وغياب الحق لا يتحقق إلا بركون أهله إلى الدنيا، وغفلتهم عن أسباب القوة وتمسكهم بعقيدة التواكل وانتظار الفرج دون الأخذ بالأسباب، والاكتفاء بالتعاطف السلبي الجامد مع القضايا الكبرى التي تحتم علينا وقفة ثابتة واستقامة دائمة.

فما أكثر من يتمنون ظهور الدين وغلبة المسلمين، ولكن من تتجلى فيه صفات جيل التغيير قليل وقليل جداً، كما تجسدت في الجيل القرآني الفريد بقيادة رسول الله ﷺ.

ومن سنة الله في الدعوات أن تكون الفئة المنصورة، المحققة لوعد الله عز وجل، فئة قليلة، لا يكاد يأبه لها الكثير من الناس، ويستصغر شأنها القريب قبل البعيد، والصديق قبل العدو. ولكن الله تعالى يحقق على يديها وعده ويظهر دينه، خلافاً لكل التوقعات البشرية و ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩]، وقوله عز من قائل ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنفال : ٦٥]. والشرطان اللازمان هما الإيمان والصبر، إيمان بالنصر وبوعد الله عز وجل بتحقيق هذا النصر، ثم الصبر على تبعات الطريق وعلى كل التضحيات والجراحات التي يتطلبها هذا النصر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتى في حالات الضعف التي تصيب الصف المسلم، فإن الله عز وجل يحدد معادلة أقل من الأولى، حيث بإمكان قوة المؤمن أن تعادل ضعف قوة الكافر أو المرتد، وذلك في قوله تعالى ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٦٦].

وختاماً أقول وأؤكد على ضرورة التعامل الشرعي والسنني والواقعي مع هذا الدين، وذلك بأن نفقه بأن الله عز وجل خلق الإنسان لكي يعمل ويشقى ويتعب من أجل الوصول إلى أهدافه ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ** ﴾ [الانشقاق : ٦] ، وأسمى هذه الأهداف وأجلها هي عبادة الله وعمارة الأرض بالحق، ولن يتحقق هذا إلا بالانتماء إلى هذه القلة المؤمنة الصابرة أو على الأقل بأن نكون من أنصارها، فنسعى إلى تصفية الأجواء من الفساد وتطهير الأرض من كل شر ومن كل باطل، وحينما تكون لدينا هذه العزيمة الجبارة ونتعامل مع هذا الدين العظيم بهذه الطريقة، فعندئذ سيكون الباطل بالفعل مجرد سحابة صيف لا تلبث أن تزول لتحل محله شمس الحق التي لن تغيب.

أبو سعد العاملي – ١٤٢٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اُدخلوا عليهم الباب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، جعل في هذه الأمة طوائف قائمة على الحق ، تذود عن دين الله وتحمي بيضته حتى تقوم الساعة، والصلاة والسلام على رسول الله ، الذي بلّغ هذا الدين وتركنا على المحجة والطريق الواضح الذي يوصلنا إلى تحقيق عبودية الله في الأرض وإظهار دينه ولو كره الكافرون ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة : ٣٣] ، وبعد

فإنه مما لا شك فيه أن الحرب سجال ، يوم لنا ويوم علينا، وهي سنة الله تعالى في التدافع بين الناس، بصرف النظر عن قرب هذا الطرف من الحق أو بعده عنه، لأن لله تعالى حكم كثيرة في صرف النصر وتعطيله عن فئة من البشر حتى وإن وفّرت شروط النصر كاملة ، كما أنه سبحانه وتعالى قد يمنح النصر لأصحاب الباطل - لحين — ليبتلي أصحاب الحق وينظر ماذا يعملون ، وهذه الهزيمة في حد ذاتها منحة في صورة محنة، يمنحها الله لعباده ليراجعوا أنفسهم ويصححوا مسارهم فيستحقوا مدد الله وعونه، ويحافظوا على النصر الذي أحرزوه.

أما مفهومنا الأعمق والأبعد والأصح للنصر والتمكين فلا يختص بالتمكين المادي على الأرض فحسب، بل يبدأ أولاً في النفوس، بالاستعلاء الإيماني ﴿ **وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٩]، ويمر ثانياً عبر الثبات على المبادئ والاستقامة على النهج القويم الذي نؤمن به ونسعى إلى تجسيده على الأرض ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ** ﴾ [هود : ١١٢] ، ثم ثالثاً عبر جهاد متواصل وخالص لوجه الله تعالى، مهما كانت التضحيات والمحن التي سنلاقيها في الطريق ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [الحج : ٧٨]، وأخيراً وليس آخراً ، عبر التمكين لدين الله تعالى وإعلاء كلمته وإظهار شرعه على كل الشرائع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أجل الوصول إلى تحقيق ذلكم النصر ، لابد من تعبيد الطريق، طريق الدعوة والجهاد، بإزاحة الكثير من الحواجز – المادية والمعنوية على حد سواء – ، ومن أكبر هذه الحواجز وأعظمها، حاجز الخوف والهيبة من العدو، الذي يعتبر في حقيقة الأمر خوف من الموت وحرص على الحياة، وقد عالجنا هذا الداء في مقال مستقل .

لقد وعدنا الله تعالى و رسوله ﷺ بالنصر على الأعداء ، وبيّنوا لنا معالم الطريق الواجب اتباعها ، كما بيّنوا لنا حقيقة هذا العدو، ومدى ضعفه وقزميته وعجزه عن مقاومة الحق فضلاً عن القضاء عليه ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ١٤١] ، ويبقى علينا واجب الاتباع والانصياع لأوامرهما.

ومن واجبنا أيضاً ترتيب الأعداء حسب أهميتهم وخطورتهم على الدعوة ، حيث ينبغي أن نستفيد من التجارب السابقة لمن سبقنا من المؤمنين وهم يواجهون هؤلاء الأعداء ، لكي لا نهدر طاقات في معارك هامشية أو مع أعداء من الدرجة الثانية أو الثالثة، فنغض الطرف عن رأس الكفر ورأس الحربة الذي يمد هؤلاء بعناصر البقاء والقوة.

إن واجبنا اليوم – قبل الدخول في أي معركة مع العدو – هو تصنيف المراحل وترتيب الخصوم. وأرى أن التحالف الصليبي الصهيوني يمثل رأس هذه الحربة وتأتي بعده هذه الأنظمة المرتدة الجاثمة على رقاب المسلمين في بلداننا، وتليهم كل الأحزاب والطوائف الموالية لهما.

ونحن نرى كيف دخلوا علينا الأبواب من كل حدب وصوب، لكي يركّعوننا لإرادتهم ويفرضوا علينا دينهم ويمتصوا ثرواتنا ويفسدوا أبناءنا ونساءنا ، ولا يتورعون عن إعلان ذلك جهاراً نهاراً، تحت غطاء محاربة "الإرهاب الإسلامي"، الذي يعني عندنا الجهاد في سبيل الله، إما دفاعاً عن أعراضنا وديننا وأموالنا أي جهاد الدفع، أو طلباً لهؤلاء الأعداء في عقر ديارهم لنشر الدعوة وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده وهو جهاد الطلب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد رتبوا أولوياتهم في عملية الدخول هذه، واستهدفوا الطلائع المجاهدة في كل مكان، كما حاصروا العلماء العاملين و سجنوهم و قتلوهم ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وأنفقوا في سبيل ذلك ما لا يحصى من الإمكانيات المادية والبشرية، فكانت من أولى هذه الأولويات ما أسموه بتجفيف منابع الإرهاب خاصة على المستوى الاقتصادي حيث ضربوا كل المشاريع التي من شأنها أن تمول هذه الدعوة والجهاد المباركين. ولكن الله تعالى يبشرنا بأن كل ذلك سيذهب جفاء ولن يجنو من ورائه سوى السراب ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٣٦].

وثاني أولوياتهم هو تغيير مناهج التعليم والتربية في بلداننا، وهو بتجفيف منابع الوعي والتفقه في الدين، حيث ينبغي فرض مناهج تعليمية وتربوية كفرية، لإبعاد أبنائنا عن النبع الأصيل ، ونراهم يسخِّرون في سبيل ذلك جنوداً من العلماء المنافقين والجماعات البدعية، لينشروا دين الطاغوت ويصدوا عن دين الله.

ومن أجل التصدي لهذا المخطط كان لزاما علينا أن نكون يقظين ، ونسارع إلى الدخول عليهم في باب الدعوة، فقد والله كسدت بضاعتهم و لم يعد لها أي قيمة في الساحة، بعدما دخلت قوافل الدعاة الربانيين –رغم قلتهم – فأبطلت سحرهم وأحبطت خططهم بالحجة والبيان وبالصدع بالحق في كل مقام، جهاد بالبيان كما أمر ربنا جل وعلا ﴿ **لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَه** ﴾، ﴿ **مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونْ** ﴾، إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل.

لقد رأينا ثمار هذه الدعوة المباركة – رغم كيد الكائدين وحصار الطغاة الظالمين لهؤلاء الدعاة – ثمار تتجلى في هذا الوعي العميق والحماسة الصاعدة في نفوس المسلمين، وخاصة في أوساط الشباب ، وهانحن نراهم يلتفون ويلتحقون - أفراداً وجماعات – بهؤلاء العلماء العاملين، يستمدون منهم التوجيهات والفتاوى الراشدة لإحياء هذه الأمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جديد، والدخول في معترك الصراع في مواجهة أهل الباطل تاركين وراءهم كل ملذات الدنيا ومتحررين من معوقاتها وقيودها، منهم من هاجر إلى مواقع المواجهة بعيداً عن ديارهم، ومنهم من أسس بنياناً داخل بلاده وبدأ يعمل لتقويض الباطل وبناء صرح الحق.

إن أهم سمة تتميز بها هذه الجموع المباركة، التي تواجه أهل الباطل في كل مكان، هي الإقدام ونبذ الخوف من العدو، وميدان الدعوة لا يقل أهمية عن بقية ميادين الصراع الأخرى، بل إنه الميدان الأهم والمنطلق الأساسي لعملية الجهاد، إذ كيف يمكن البدء في عملية الجهاد بدون جنود وبدون إعداد وتربية، وهل ميدان الدعوة غير هذا وذاك ؟!

إننا مطالبون أكثر من أي وقت مضى، بالمضي قدماً في عملية الإقدام، واقتحام الصعاب وكسر كل القيود الوهمية والحقيقية، ولعلها بداية انقلاب صورة الصراع بيننا وبين أعدائنا ، حيث سرنا في مواقع الهجوم والاقتحام بدلاً من مواقع الدفاع والتهيب ، وصار العدو يحسب لنا ألف حساب ، ويترقب ضرباتنا في كل حين، ولقد بدأت بحمد الله ولن تقف حتى تحقق أهدافها كاملة.

ما أكثر أبواب العدو، وما أسهل ولوجها إن نحن أحسنا اختيار الوسائل واختيار الرجال واختيار ساعة التنفيذ، وما أوهن جموع العدو وأضعف وسائل دفاعه إن نحن أدركنا هفواته وتناقضاته.

لقد دأب العدو على السيطرة علينا باللعب على الحرب النفسية أولاً ، فيبدأ بزرع الوساوس والمثبطات في نفوسنا ، فننهزم قبل بدء المعركة أصلاً، بل نترك مجال المعركة ونفتح له الأبواب دون مقاومة.

لقد كان ذلك قبل انطلاق شرارة الجهاد الإسلامي خلال العقدين السابقين ، وبالتحديد منذ انطلاق الجهاد على أرض أفغانستان، حيث كانت بداية كسر هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحواجز النفسية، وكانت أول تجربة ناجحة لرد العدوان الكافر علــى أرض الإســلام، بالرغم من أنهم دخلوا علينا الباب لاحتلال الأرض والإنسان ، فكان هذا الدخول بمثابة قوة الدفع للطلائع المجاهدة في كل مكان، وخير تجربة عاينها المجاهدون على أرض الواقع أعطوا فيها الدليل القاطع بأن دخول العدو علينا لا يعني بأنه سينتصر ، بل قــد تكــون هزيمته في عقر دارنا أقسى مما كان سيلتقاها في أرض أخرى ، ذلك أننا في عقر ديارنا نجر العدو إلى المهالك ونعلم كيف نقود المعركة ونتحكم في مجرياتها .

ذلك ما كان سيحصل في معركة أحد، حيث أشار الأنصار على رسول الله ﷺ له أن يبقوا في المدينة ويتحصنوا بها ، ليستقبلوا جنود الكفار فيها ، ولكن الرأي الأرجح لأكثر المسلمين – خاصة المهاجرين – إلى الخروج وبعدما لبس الرسول وتجهز للحرب ، حال دون تحقيق ذلك النصر المادي في عقر ديار المسلمين ، وكانت هناك حِكماً أخــرى وفوائد كبرى أعظم وأهم من النصر المادي نفسه بالرغم من الهزيمة التي نالها المسلمون في هذه المعركة.

لقد تعلم المسلمون خلال تجربة أفغانستان ثم في البلقان وبلاد القوقاز ، أن دخول الكفار عليهم في عقر ديارهم فيه الخير الكثير ، حيث أظهر لهم حقيقة هذا العدو ومواطن ضعفه والمفاصل التي ينبغي التركيز عليها في المعارك القادمة. كما أن العدو ينقل لنا عتاده وسلاحه إلى أيدينا ويكفينا عناء البحث عنه والتنقل والنفقة في سبيل الحصول عليه . كما أن هذا الدخول يدفع المسلمين إلى التفكير في الدخول على العدو ، ورد الصاع صاعين أو أكثر.

وقد كانت هذه قمة الدرس والاستفادة من المعارك التي سبقت ، فسارعت قاعدة الجهاد إلى تنفيذ أمر رسول الله ﷺ " **الآن نغزوهم ولا يغزوننــا** " وأمــر الله تعــالى ﴿ **ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٣] ، فكانت تلك السرايا المباركة التي سبقت غزوتي واشنطن ونيويورك ، بمثابة السرايا التي سبقت معركة بدر الكبرى في عهد رسول الله ﷺ، فجاء الدخول الأكبر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الباب الأوسع على رأس الكفر المتمثل في الغزوة سالفة الذكر، فبُهت الذي كفر ، وتحقق وعد الله تعالى للمسلمين بالنصر والغلبة ﴿ **فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ** ﴾وهو توكيد وتأكيد من عند الله جل وعلا.

ومن بين ثمار هذا النصر العظيم هو سقوط هيبة العدو في نفوس المسلمين وغير المسلمين، وتبين للناس أجمعين أن هذا العدو لا يساوي شيئاً حتى في الموازين المادية بالرغم من كثرة عتاده وسلاحه ، وبأن الشعوب التي تمتلك الإرادة وتستعد للتضحية بإمكانها أن تقهر هذا العدو المتغطرس وتغلبه ، فما بالك إذا كان هذا الشعب مسلماً ومتوكلاً على الله ومحققاً لشروط النصر من إعداد وتنظيم وانضباط ؟!

إن ما يحصل اليوم على أرض العراق من مقاومة شعبية للعدوان الصليبي الذي تقوده أمريكا وبريطانيا، لهو ثمرة من ثمار غزوة نيويورك وواشنطن ، وبركة من بركات الجهاد الذي يقوده تنظيم قاعدة الجهاد وبقية الجماعات المجاهدة في كل مكان.

وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن أمريكا وحلفائها لم يستوعبوا بعد الدرس الذي لقنهم إياه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، ولا أظن أنهم سيفهمونه قبل السقوط التام والانهيار الكامل، فقد أعمى بصرهم وبصيرتهم، وهاهم أولاء يقودون جنودهم إلى غرق محتوم وأكيد، ليس على أرض العراق فحسب بل في كل المواقع التي دخلوا فيها . إنهم يقودون أنفسهم وجنودهم وأولياءهم إلى المصير الذي قاد فيه فرعون جنده، والتاريخ يعيد نفسه، وإني أرى أن ساعة الحسم قد اقتربت، ووعد الله لعباده ووعيده لأعدائه على الأبواب، فلا نتريث في اقتحام الأبواب على هذا العدو المتهور المغرور.

ولنضع نصب أعيننا أن نصر الله آت لا محالة، وبأن الغلبة لعباده المؤمنين، مهما بدا لنا العدو قوياً وجباراً، فلا يلبث أن يظهر على حقيقته في ساحات المعارك ، وحقيقته أنه ضعيف وجبان ، يستمد قوته من ضعفنا وتهيبنا وهيبتنا له، ولكن حينما يجد أمامه من لا يخاف إلا الله ويسارع إلى الشهادة ، فإنه يتحول إلى أرنب ويبدأ في عملية التراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للخروج من المأزق الذي سقط فيه ، وغالباً ما يكون هذا بفتح معارك وجبهات جديدة ليستترف نفسه أكثر ، ويخرب بيته بيده وبأيدي المؤمنين.

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا أداة لتنفيذ وعده ، ويرزقنا قوة الدفع وحسن التوكل عليه لنقتحم على عدونا أبوابه ، فننصر دينه ونعلي رايته ، ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً** ﴾، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه: أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد :

فإن الله تعالى خلق الخلق لحكمة بالغة وهي تحقيق العبودية ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** ﴾[الذاريات : ٥٦]، وتتجلى هذه العبودية في الخضوع الشامل لإرادته والطاعة التامة لأوامره ونواهيه، وهذا هو المفهوم الصحيح للعبادة، كما عرفه رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم الطائي في تفسير قوله تعالى ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** ﴾ [التوبة : ٣١].[راجع كتب السيرة في إسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه].

ولأجل هذه الغاية العظمى بعث الله الرسل واستخلف أمماً وسخَّر لها ما في السماوات وما في الأرض، وهو دليل على أن لا شيء أعظم قيمة عند الله من هذه الغاية، فحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فهو لا يرضى لعباده الكفر، وهو أغنى الشركاء عن الشرك، ومن هنا تأتي عملية الاستبدال – التي تعني في الصميم – غضب الله وانتقامه من الفرد أو الجماعة أو الأمة التي أشركت مع الله، ليحل محلهم فرد أو جماعة أو أمة أخرى لتحقيق حق الله عليهم.

فسنة الله لا تحابي أحداً في هذا المجال ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ** ﴾ [النساء : ١٢٣] ، فالكثير من الأفراد والأقوام والأمم استبدلها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله تعالى حينما حادت عن نهجه وكذبت رسله، بالرغم من قرابتها من هؤلاء الأنبياء والرسل.[1]

هناك مراحل أو محطات عديدة يمر بها الفرد أو الجماعة قبل الوصول إلى المحطة النهائية وهي عملية الاستبدال، أهمها :

الإمهال قبل غضب الله

من رحمة الله تعالى على عباده، ورغبة منه سبحانه في دخول العبد في طاعته والفوز برضاه وثوابه، يمنح وقتاً وفرصاً إضافية لعل هؤلاء العبيد يراجعون فيها أنفسهم ويعودون لمزاولة واجباتهم، فيغدق الله تعالى عليهم نعمه ظاهرة وباطنة تارة، أو يفتنهم بنقص في هذه النعم تارة أخرى ﴿ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَة** ﴾، لعلهم يرجعون، فمن العباد من يتعظ ويحسن استغلال هذه الفرص، فيعود إلى طاعة الله تعالى والقيام بما أمره به، ومنهم من يتمادى في غيه وفساده، ويحسب أن هذا الإمهال الرباني هو دليل على أنه في منأى من عذاب الله وغضبه ﴿ **قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً** ﴾ [الكهف ٣٥- ٣٦].

فالإمهال وسيلة ذات حدين، يمكن أن تكون نعمة على البعض ونقمة على البعض الآخر، ومن ينظر إلى واقع أمتنا اليوم يجد أن الكثير من المسلمين داخلون في هذه الحالة، فبعد أن نكثوا عهدهم مع الله وابتعدوا عن النهج القويم، ساروا يهتمون بمتاع الحياة الدنيا، غير مبالين بواجباتهم الدينية، من نصرة لدين الله ولإخوانهم المستضعفين والمجاهدين في كل مكان، بل منهم من تحول إلى أنصار للباطل بسبب خوفهم من ذهاب

[1] مثال نوح عليه السلام مع ابنه وزوجته، ومثال قوم هود وصالح، ومثال أمة بني إسرائيل مع موسى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما هم فيه من متاع دنيوي عابر، وبهذا يكونون قد سقطوا في امتحان الإمهال الرباني و لم ينفعهم في شيء، وتحول بالتالي إلى نقمة سرعان ما يسبقها عذاب الله وغضبه.

غضب الله قبل التيه

ويأتي بعد أن تنتهي فترة الإمهال – كما سبق القول –، وغضب الله لا يتجلى دوماً في إلحاق الأذى المادي – كما أصاب الأمم التي سبقتنا – بل إنه أحياناً يأخذ صوراً مختلفة، كأن يُفتن المرء عن دينه وينغمس في الشهوات فلا يستطيع الخروج من هذا المستنقع الآسن إلا وهو محمول إلى قبره ليلقى مصيره المحتوم، ذلك هو شأن الكثير من الناس في هذا الزمان.

أو قد يكون عبارة عن تسليط العدو علينا وتمكينه من أرضنا وخيراتنا بل وحتى أعراضنا، وهي الصورة الأكثر ظهوراً وشيوعاً، إما عن طريق العدو الخارجي الذي يتمثل في التحالف الصليبي اليهودي الهندوسي، أو عن طريق أذنابهم من الحكام المرتدين وجيوشهم الجرارة وأجهزتهم القمعية في بلداننا، وذلك نكالاً من الله بسبب نكثنا للعهد وتركنا للواجبات، وعلى رأسها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

وقد يكون عن طريق تسليط بعضنا على بعض، تكالباً على الدنيا، أو دفاعاً عن الباطل، وهذا هو واقع المسلمين اليوم في كل مكان، أصبحنا أشداء على بعضنا رحماء مع أعدائنا، عادينا بعضنا البعض في سبيل الدنيا ووالينا أعداء الله لينصرونا على الحق وننصرهم على الباطل، أليس هذا ما تفعله أنظمتنا المرتدة منذ عدة عقود، فواليناها على بعضنا البعض، كما والوا هم أعداء الله على أبناء جلدتنا من الآمرين بالقسط والمجاهدين في سبيل الله، فعمَّنا عذاب الله وشملنا وعيد الله تعالى ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[الأنفال : ٢٥].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والصورة الأخرى لعذاب الله وغضبه علينا هو هذا النقص في الأموال والثمرات، بالرغم من وجود خَزَّانات هائلة من الوقود والمعادن وخيرات الأرض والبحار في بلداننا، إلا أنها تذهب كلها إلى أعدائنا في أطباق من ذهب، وما تبقى منها ينهبها هؤلاء الإقطاعيون واللصوص من الحكام وأعوانهم، فيتسلط علينا الفقر والحاجة ليزيدا حالنا تأزماً وضعفاً، وكل هذا بما كسبت أيدينا، حينما تركنا هؤلاء الظالمين يعيثون في الأرض فساداً و لم نأخذ على أيديهم، وتركنا أموال الأمة في أيدي السفهاء والفاسدين ينفقونها على شهواتهم، بل ينفقونها في محاربة دين الله وتمويل مشاريع الشيطان لنشر الفساد والرذيلة في مجتمعات المسلمين، ونحن نتفرج على هذه الجرائم ولا نستطيع إيقافها، بل منا من يشاركهم فيها باليد، حيث ترى جل المسلمين عبارة عن خدم لدى هؤلاء الطغاة المفسدين، بحجة البحث عن لقمة العيش، حتى ولو كانت ملوثة وعبارة عن حرام مسموم.

هذه هي بعض الصور التي يتجلى فيها غضب الله وعذابه للخلق، خاصة أولئك الذي عرفوا الحق فأنكروه، أو تكبروا عليه خوفاً من ذهاب بعض الدنيا، فحرمهم الله تعالى منها وألبسهم لباس الجوع والخوف والذل، فلا دنيا أصابوها ولا آخرة نالوها.

التيه قبل الاستبدال

ومن أهم المحطات التي تمر بها الأمم قبل عملية الاستبدال، هي محطة التيه، وهي من أخطر المراحل وأقساها على النفوس، ومن أهم المراحل وأنفعها للدعوة ولأصحاب الحق. ذلك أنها تعتبر مرحلة تصفية للصفوف وتمحيص للنفوس، وفي هذا منافع عديدة ونفيسة للتجمعات الإيمانية. ولا يمكن أن ننسى في هذا المقام نموذج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، حينما أمرهم الله تعالى بدخول الأرض المقدسة فرفضوا فحكم عليهم بالتيه في صحراء سيناء لمدة أربعين سنة ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٦]. فكانت هذه الفترة فرصة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذهاب تلك الفئة المتقاعسة الملتوية ليحل محلها جيل قوي خشن، متمرن على القتال ومتعود على شظف العيش، فتح الله على أيديهم بيت المقدس بعد أربعين سنة.

لقد شاء الله عز وجل لهذه الأمة أن تكون خاتمة الأمم وشاهدة عليها ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾[البقرة : ١٤٣]، فعملية استبدالها غير واردة البتة، بخلاف عملية التيه. فبعد أن امتنعت نسبة كبيرة من الأمة عن أداء واجباتها، وتركت الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليها ذلاً لا يمكن أن يُرفع عنها إلا بامتلاك أسباب القوة والمنعة وخوض غمار الجهاد مع الأعداء، فبالإضافة إلى هذا، أصبحت هذه الفئات تائهة في هذه الحياة، لا تجد فرجاً ولا مخرجاً.

فعلى مستوى الأفراد، نجد الكثير منهم – بسبب بعدهم عن دينهم القويم – غارقين في متاهات الحياة اليومية، لا يساهمون بشيء من شأنه أن يرفع هذا الضيم عن الأمة، بل لقد تحولوا إلى وسائل للتثبيط وذلك باستهلاكهم لبضائع الفساد، وبعدهم عن مواطن التأثير، وعدم استجابتهم لأصحاب الحق. جيل مخدوع تائه لا يهتم إلا بشهواته.

أما على مستوى الجماعات، فنجد أن أكثرها قد حاد عن النهج القويم، وسار يبتغي طرقاً ملتوية لبلوغ الغاية، فكان أن حكم الله عليها بالتيه والضياع، حتى وإن كانت تظن أنها على حق، فتحقق فيها قول الله تبارك وتعالى ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً** ﴾ [الكهف : ١٠٣- ١٠٤].

فالحركة الإسلامية – في عمومها – قد عرفت تيهاً منذ عقود من الزمن، ولا زالت أغلب شرائحها غارقة في هذا التيه، بالرغم من كثرة أفرادها، وبالرغم من انتشار مناهجها البدعية على نطاق واسع، بل وبالرغم من وصول بعضها إلى مجالس التشريع أو حتى إلى المجالس الحكومية، فكل هذا يعتبر علامة على هذا الانحراف وعلى هذا التيه العظيم، حيث أن السبيل لتحقيق حق الله علينا هو سبيل السلف الصالح، والوسيلة هي الجهاد في سبيل الله، وكل من ابتغى سبيلاً غيره فسوف يحل عليه غضب الله وعذابه ثم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتيه في الأرض كما تاهت بنو إسرائيل في عهد موسى ويستبدلهم الله تعالى بقوم آخرين ﴿ **إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير** ﴾ [التوبة : ٣٩]، فترك الجهاد والحرص على الحياة من الموجبات الأساسية لعملية الاستبدال كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[المائدة : ٥٤].

والردة عن الدين تتجسد أساساً في ترك الجهاد في سبيل الله، لأن الجهاد هو ذروة سنام هذا الدين، والوسيلة التي تحمي بيضته، وقد اتضح هذا في قول رسول الله ﷺ «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم**» وفي رواية "**حتى ترجعوا إلى دينكم**" وكأن الرجوع إلى الدين يكون بالرجوع إلى الجهاد في سبيل الله.

فلا مفر من عملية الاستبدال حينما تتوفر موجباتها، وأهم هذه الموجبات هو إلغاء الجهاد من قاموس وسائل العمل الإسلامي، واستبداله بوسائل مشبوهة وبدعية كالتي نراها اليوم في الساحة.

الجيل البديل

لقد انتهى عهد التيه لهذه الأمة، وظهر جيل الأمل والبديل، متمثلاً في هذه الطلائع المنتشرة هنا وهناك وعلى رأسها جيل الجهاد الذي يقوده الشيخ أسامة بن لادن — حفظه الله — وكل أنصاره في مشارق الأرض ومغاربها، ويتمثل أيضاً في إمارة طالبان بقيادة الملا عمر حفظه الله تعالى، ولا ننسى التجمعات الجهادية الأخرى في بلاد القوقاز وجنوب شرق آسيا وشمال إفريقية وفي بلاد الشام، كلها نهضت لتحل محل الأجيال

www.manaraa.com

التائهة، ولتعيد إلى الأمة قوتها وإلى الحق نصاعته، وبدأ العذاب والغضب الإلهي ينزل على أعداء الأمة من صليبيين ويهود وهندوس ومرتدين ومنافقين، سواء بتسليط وسائل العذاب التي طالت الأمم العابرة كالطوفان والزلازل والحرائق، أو بتسليط هذه الأجيال البديلة عليها، لتسومها سوء العذاب ولتكون غصة في حلقها، لا تعرف معها الراحة والأمن والسلام، وهذا هو الواقع المعيش.

إننا نعيش انقلاب الصورة، حيث أصبح أعداؤنا تحت رحمة ضربات المجاهدين في كل مكان، وصاروا هدفاً سهلاً وميسوراً، بعد أن قذف الله في قلوبهم الرعب ﴿ **لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ** ﴾ [الحشر : ١٣]، ونزع الخوف من قلوب الجيل البديل ﴿ **وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِم** ﴾ [المائدة : ٥٤].

لقد انتهى عهد التيه، وحلَّ محله عهد الهدى والرشاد، وصارت عصابات من المسلمين – رغم قلتهم – من أبصر الناس وأهداها على ظهر البسيطة ، فأخذت راية الجهاد عالية خفاقة ، تبدد الظلام وتكسر الحدود والقيود ، وتهدم السدود، وتحرر النفوس، وتهدي الملايين من حيارى المسلمين ، بفضل هذه الاستماتة في خدمة الغاية الكبرى ، عبادة الله عز وجل حق عبادته ، وطلب الشهادة ، ففتح الله على أيديها قلوباً غلفاً وعيوناً عمياء وآذانا صماء، وصارت تقود هذه الجموع إلى بر الأمان ، وصرنا نسمع " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون" بدلاً من قول جيل التيه والتقاعس ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[المائدة : ٢٤].

كانت تلك أهم المحطات التي تسبق عملية الاستبدال على مستوى الأفراد والجماعات والأمم، وكانت هذه أهم صفات الجيل البديل، الذي أعاد للأمة قوتها ومكانتها بين الأمم رائدة وقائدة وهادية وشاهدة، كما أراد الله لها أن تكون ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[آل عمران ١١٠].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من يعلّق الجرس ؟

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين، وبعد

فإن من نعم الله عز وجل على عباده أن يثبتهم على هذا الدين، فرأس مال المؤمن عقيدته، وكل شيء يهون ويرخص في سبيلها، ومهما لاقى المؤمن من محنة وفتنة في هذه الحياة الدنيا فلا يمكن مقارنته أو قياسه مع ما ينتظره من جزاء وثواب عند الله في العالم الأخروي.

هناك ثمة أمور أساسية معلومة من الدين بالضرورة نود التركيز عليها والتذكير بها بادئ ذي بدء.

أولا: أن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] وبأن الإنسان جعله الله تعالى خليفة في الأرض لتحقيق هذه العبودية.

ثانياً: أن موضوع أو محتوى هذه الخلافة هو تحكيم شرع الله في الأرض ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله** ﴾ [المائدة : ٤٩]، ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه** ﴾ [يوسف : ٤٠]، وبأن هذا الحكم فيه السعادة والصلاح في الدارين لمن اتبعه ومشى على نهجه ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى** ﴾ [طه : ١٢٣]، أما من رفض هذا النهج فإن الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى يتوعده بقوله ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ [طه : ١٢٤].

ثالثاً: أن كل من لا يحكم بما أنزل الله أو يرفض الاحتكام إلى شرعه فهو كافر ظالم فاسق ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون** ﴾ [المائدة : ٤٤]، ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون** ﴾ [المائدة : ٤٥]، ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون** ﴾ [المائدة : ٤٦]، وكل من لا يرضى بهذا الحكم من المحكومين فحكمه كحكم الفئة الأولى، بمعنى أنه تُترع عنهم صفة الإيمان والإسلام، فالله تعالى يقول في شأنهم ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾ [النساء : ٦٠] ثم يقول سبحانه ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [النساء : ٦٥].

رابعاً: أن المؤمن الصادق في إيمانه لا يمكن أن يعيش بغير الإيمان ولا يرضى أن يخضع لحكم الطاغوت، ومن ثم فهو يندفع بإيمانه لكي يزيل هذا الفساد العريض وهذه الفتنة الكبرى.

فحياة المؤمن لا طعم لها ولا قيمة خارج دائرة الإسلام، والعيش تحت مظلة دين أو شرع مخالف لدينه ولشرع ربه يعتبر فتنة وفساد كبير، بل هي الفتنة الحقيقية والفساد الأكبر الذي يسعى المؤمن إلى إزالته والتخلص منه، ويقدّم في سبيل ذلك نفسه وماله وأهله وكل ما يملك.

ومن هنا جاء النداء العلوي الرباني مخاطباً عباده المؤمنين لتحقيق العبادة في الأرض ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** ﴾، وتحقيق عبادة الله عز وجل يستلزم إزالة الفتنة العارمة ولا يكون ذلك إلا بقيام جماعة من المؤمنين ترفع راية الجهاد في سبيل الله،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبالجهاد وحده يمكن إزالة الفتنة وتحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩].

حينما نعود إلى واقعنا اليوم فإننا لا نرى لهذه الحقائق والأساسيات أي وجود فعلي في حياة الناس، فالمجتمع جاهلي ومليء بالظلم والقهر والإرهاب، وبالفتنة والفساد، والناس يعيشون في حضيض الذل والرذيلة، لا يدري أحدهم ما دوره في الحياة ولا يميز بين الحق والباطل ولا بين الصالح والطالح، بل لقد انقلبت الموازين في نظره، حتى أصبح يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، أما الحكام فهم وحدهم المستفيدون من غفلة الشعوب ويقفون وراء كل فساد ووراء كل باطل.

وفي خضم هذا الواقع المتأزم يبعث الله تعالى لهذه الأمة من يعيدها إلى فطرتها ويذكرها بواجباتها، وينطلق الركب ويبدأ معركته التقليدية مع رؤوس الكفر والضلال، فمن الناس من يفيق من غفوته ويدرك مسؤوليته فينضم إلى قافلة الرفض والتغيير، ومنهم من ينضم إلى الفريق الآخر، مستحباً الضلال والعيش الملوث الموبوء بالذل والاستعباد، أما فريق ثالث فهو ذلك الذي يريد التغيير دون أداء الثمن، أو بتعبير آخر، يريدون أكل الثمرة دون زرع البذرة ولا سقيها، وهذا مستحيل التحقيق، ومثلهم كمثل الذي يحرث البحر أو يزرع في الهواء، ففي كلا الحالتين سيحصدون الخيبة والسراب، والأدهى والأمر أننا نجد هؤلاء القاعدين المتقاعسين يسمحون لأنفسهم أن تتجاوز حدودها، فيبدؤون بتقنين وتصنيف أعمال المجاهدين، فيحكمون على هذا بالشرعية ويبطلون عمل ذاك، وينفقون أوقاتهم في تتبع خطوات العاملين والبحث عن أخطائهم وتضخيم زلاتهم، فيسلطون عليها الأضواء ليبرروا تقاعسهم وقعودهم مع القاعدين، ويظلون في بروجهم العاجية، يطلون على الجاهلية مكتفين بوصفها ولعن ظلامها، وبإعطاء الحلول النظرية الجافة والبعيدة عن الواقعية والموضوعية، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء النزول إلى هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجاهلية ولو مرة واحدة، ليدركوا الفرق بين التنظير والتطبيق وكم هم بعيدون عن المطلوب.

هذه الفلسفة سهلة، لا تكلف أصحابها أي خسارة، وهي أشبه بفلسفة الفأر الذكي الذي اقترح على إخوانه – من أجل التخلص من شر القط الذي يتهددهم – أن يعلقوا الجرس في عنقه حتى يعلموا بوجوده في أية لحظة، وإن كان القياس هنا مع الفارق، حيث أن المطلوب اليوم – تجاه هذا الواقع – ليس تعليق الأجراس في أعناق هؤلاء الطغاة، بل المطلوب هو ضرب هذه الأعناق لكي يتخلص منها العباد والبلاد.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو من سيعلق هذا الجرس؟ أو بتعبير أدق وأنسب، من سيضرب هذه الأعناق؟ ما دام أن الجميع قد اقتنع بذلك، وهاهي جماهير الأمة تخرج إلى الشارع وتعبر عن هذا الاتجاه، وتتفاعل مع أهم قضايا الأمة وضرورة الانضمام إلى قافلة الصمود والتضحية والفداء.

من هنا كانت الضرورة لإيجاد أساليب جديدة لاستنهاض هذه الهمم أكثر وتوجيهها لتتعلم لغة الضرب وعدم الاكتفاء بلغة التنظير السلبية، وتضييع العمر والأجر في تسطير المشاريع النظرية على أوراق الوهم والسراب.

نحن اليوم بحاجة إلى لغة العمل والفعل، وإشاعة روح التضحية والإقدام ﴿ **ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ، وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين** ﴾ [المائدة : ٢٣]، ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله** ﴾ [الأنفال : ٣٩]، ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين** ﴾ [التوبة : ١٤]، نعم، نحن بحاجة إلى عصابات خالصة باعت نفسها لله عز وجل، ووضعت أرواحها على أكفها وهي تتقدم الصفوف تبحث عن العزة والكرامة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسط حقول الألغام والمخاطر، تطلب الموت الشريف فتوهب لها الحياة الكريمة، إما في الدنيا وإما في الآخرة ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا** ﴾ [التوبة : ٥٢].

نحن بحاجة إلى هذه الروح الاستشهادية التي تهزم الجيوش الجرارة، وتقذف في قلوب الأعداء الرعب، وهذا هو مكمن القوة ورأس الحربة التي يخشى منها العدو، ويحاول منذ أربعة عشر قرناً محوها وتغييبها من عقول أبناء الأمة، يجب علينا أن نحافظ على هذه البذرة الطيبة ونسقيها بدمائنا وعرقنا، حتى تصبح الحبة مائة حبة، والمائة تصبح ألفاً، والألف إثنا عشر ألفاً.

لقد بدأت جماعات الجهاد هنا وهناك تتحرك في هذا الاتجاه، واستطاعت بحمد الله وتوفيقه أن تخطو خطوات كبيرة نحو تأصيل هذه الحقائق على أرض الواقع، فهاهي فئات المجاهدين في أفغانستان تسطر ملاحم فريدة من نوعها وقدمت نماذج جهادية لم يعرفها التاريخ من قبل، واستطاعت أن تتحدى العالم بقضه وقضيضه وترفع راية التغيير والصمود خفاقة على أرض أفغانستان، فالتحق بها المئات إن لم يكن الآلاف من شباب الأمة يبتغون الشهادة ويتسابقون إلى الموت وإلى ضرب رقاب الأعداء، بعدما عرفوا وفقهوا الواجب الملقى على عواتقهم، ولا زالت رحى القتال دائرة، ولا زالت الجموع المقاتلة تتدفق وتتشوق إلى لقاء العدو، و لم تكتف بلغة التنظير والتفاعل السلبي مع ما يحدث على أرض الجهاد والاستشهاد.

ثم هاهي أجيال التضحية والفداء على ثرى فلسطين، تقدم دماءها الزكية رخيصة في سبيل ضرب رقاب يهود، بالرغم من عدم تكافؤ العدة المادية بين الطرفين، والمعركة لا زالت في بدايتها رغم كثرة الجراحات والتضحيات، ورغم خذلان الأقربين قبل الأبعدين، ورغم النصرة والدعم اللا محدود الذي يتلقاه اليهود من قبل العالم أجمع، في مقابل النقص والضعف الماديين الذي يشكو منه المجاهدون في فلسطين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالحرب دائرة لا تزال، وفي جعبة المجاهدين الكثير من العطاءات والتضحيات، والكثير من المفاجآت لحصد المزيد من رقاب يهود، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وهاهي أخيراً – وليس آخراً – خلايا الجهاد والقتال قد انبعثت في كل بلد وفي كل موطن توجد فيه فتنة، وتوجد فيه حكومة ردة، نهضت لتترجم لغة التنظير والكلام إلى لغة العمل والتنفيذ، ولِتُحَوِّل أحلام وأماني الأمس إلى واقع فعلي وإلى حقيقة ناصعة، وبالرغم من قلة النصير وبُعْدِ الشُّقَّة وكثرة الأعداء، فإن القطار قد تحرك ، ولن يوقفه – بإذن الله – كيد الكائدين ولا فلسفة القاعدين ولا تثبيط الشياطين، إنه ماض إلى وجهته النهائية، لن ينحرف ولن يحدو عن الطريق، وعلينا أن ننضم إليه ونكثّر سواده، ولا خير فيمن تخلف عن الركب بل لا خير فيمن لا يحض الناس على الركوب.

إن المرض الذي تعاني منه الأمة هو التقاعس واللامبالاة، وهو مرض خطير ينخر جسد الأمة ويجعلها عرضة للسقوط في مخالب الأعداء ولقمة سائغة في أفواههم، وهو حينما ينضاف إلى مرض الوهن الذي حذّرنا منه رسول الله ﷺ، وما لم تتنبه الأمة لهذا المرض العضال وتسارع إلى كشفه وتداويه، فإنه سيؤدي بالأمة إلى الدمار والموت المحقق وبالأجيال القادمة إلى التيه والضياع.

فهدف المرحلة الراهنة هو محاولة زرع تلك الروح الجديدة – القديمة في نفوس المسلمين، وتعليمهم لغة الضرب وعدم الركون إلى لغة التنظير والركون الجامد اللا مسؤول من وراء جدران الراحة والترف والبذخ الفكري والجسدي، ولكن هذا يتوقف أولاً وأخيراً على مدى تجسيدنا – نحن – لهذه الموازين والقيم في ساحة العمل والحركة بهذا الدين، ومدى حبنا وشوقنا للشهادة في سبيل الله، ومدى تسابقنا إلى إرضاء الله عز وجل وحده، ومدى تطلعنا إلى وجهه الكريم في أعلى عليين.

وكتبه أبو سعد العاملي – ١٤١٨هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حق القوة أم قوة الحق ؟

بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد

لاشك أن الطرف القوي في هذا العالم هو الذي له السيادة على كل مناحي الحياة، ويسيطر على الثروات والخيرات في هذه الأرض، وبالتالي فإن كلمته هي المسموعة دائماً وأوامره هي المطاعة والمنفذة، بكلمة: إنه السيد المطاع في كل شيء وفي كل آن، وهذا بغض النظر عن طبيعة مبادئه ولون سياساته التي ينتهجها، وبعبارة أخرى، لا يهم إن كان على الحق أم على الباطل، فما دام يمتلك القوة المادية المطلوبة فإنه يفرض مبادئه وأفكاره على المحيط الذي يعيش فيه، أحب من أحب وكره من كره، فمنطق القوة وقانون الغاب هو السائد في هذه المجتمعات ولا يملك الضعفاء إلا الخضوع والطاعة والانقياد وراء الطرف القوي كما القطيع ينجر وراء القائد لا يدري إلى أين المسير، أإلى المجزرة أم إلى الحظيرة أم إلى المرعى؟ هذه هي حال شعوب العالم اليوم مع القوى الإستكبارية وبخاصة شعوبنا المسلمة وهي الحالة نفسها التي تعيشها في ظل الأنظمة المرتدة الحاكمة في بلداننا.

فعلى ضوء ما سبق، هناك تساؤل يطرح نفسه بإلحاح وهو: هل المطلوب امتلاك القوة أم امتلاك الحق أو كلاهما معاً؟ بعبارة أخرى: هل يجب أن نؤمن بحق القوة أم بقوة الحق أم بكلا المنطقين؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا شك أن القوة التي لا توجهها المبادئ العادلة والرؤية الشاملة الرحيمة، لاشك أنها سوف تبطر وتبطش بلا حدود وسيكون هدفها هو تركيع الضعيف واستغلاله ومن ثم السعي في الأرض للإفساد واستغلال ثرواتها في الشر والباطل.

كما أن الحق الذي لا يملك القوة والإمكانيات اللازمة لكي يطبق في واقع الحياة، هذا الحق لا معنى له ولا قيمة، وسيظل حبيساً مقهوراً يعلوه الباطل ويتغنى به معتنقوه في المجال النظري دون أن يتمكنوا من تجسيده في المجال التطبيقي الفعلي.

هذا كلام عام يمكننا تطبيقه على الجميع ولا يختلف فيه اثنان، ولكن دعونا ننظر، نحن المسلمين، كطرف مستضعف في هذه الحياة وفي هذه المرحلة التاريخية تحديداً، دعونا ننظر ما هي رؤية الإسلام وفلسفته تجاه هذين الاتجاهين سالفي الذكر، منطق حق القوة ومنطق قوة الحق.

الإسلام دين رباني أنزله الله تعالى على عباده ليضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة، ينشر العدل والمساواة ويحفظ للناس حقوقهم وأمنهم وحياتهم، ويمكنهم من بسط هذا الحق ونشره في المحيط الذي يعيشون فيه، بل إن الله عز وجل يطلب من عباده وهم أصحاب الحق، أن يمتلكوا القوة ويكونوا على استعداد دائم لمجابهة أهل الباطل وإرهابهم حتى لا يتجرأوا على مهاجمتهم والاستعلاء في الأرض بغير الحق، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، فامتلاك القوة إلى جانب امتلاك الحق أمر ضروري للحفاظ على هذا الحق والأمن من كل الشرور التي تأتي من الأطراف المعادية.

والقرآن الكريم يذهب إلى أبعد من هذا بكثير بحيث يأمرنا أن نقاتل ونجاهد أهل الباطل ابتداءً؛ حتى لا يبقى هناك ثمة موضع قدم للظلم والفساد والفتنة في هذه الأرض ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٩٣] وقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً** ﴾ [التوبة : ١٢٣] ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه العملية لكي تتم، فإنها تحتاج إلى قوة مادية، أي إلى العمل بمنطق حق القوة. ونقرأ في القرآن الكريم قصة نموذجية في هذا المجال، تمثل جانبي الحق والباطل، والصراع الدائر بينهما ثم يختم السياق القرآني القصة وهو يبين لنا زوال الجانب الضعيف منهما، بالرغم من أنه كان يمتلك الحق، والسبب في ذلك يكمن في غياب عنصر القوة أو منطق حق القوة إلى جانب منطق قوة الحق المتوفر أصلاً في الطرف الضعيف، ولكنه لم يغن عنه شيئاً. ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ** ﴾ [المائدة : ٢٧-٢٨] وحينما بقي هابيل (الطرف المحق والضعيف) مكتوف الأيدي أمام تهديدات أخيه قابيل (الطرف الظالم والقوي)، وجد هذا الطرف الفرصة سانحة والطريق مفتوحاً لتنفيذ جريمته والقضاء على أخيه، و لم يكن هذا ليتحقق لو أن هابيل أخذ بحق القوة وحاول الدفاع عن نفسه وحماية قوة الحق التي معه.

فقابيل وهابيل يمثلان هنا منطقي حق القوة وقوة الحق في أجل صوره، ونستنتج من هذه القصة — النموذجية - أن مصير الهابليين في هذه الحياة هو الذبح والموت على أيدي القابليين حينما يتخذون موقفاً كموقف هابيل، والمطلوب في هذه الحالة هو التسلح بمنطق حق القوة إلى جانب منطق قوة الحق، وبأن القابليين يتحينون فرص غياب القوة لدى الطرف المحق ليسددوا ضربتهم القاتلة التي تمكنهم من الإفساد في الأرض والعلو فيها بغير الحق.

لا شك في أن جزاء هابيل الأخروي هو الجنة ورضا الله عز وجل، ولكن الأرض تخسر الكثير بغيابه ويكون الحق قد فقد من ينصره ويجسده في هذه الحياة، فالدعاة وأهل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحق يجب أن يعيشوا لكي يسودوا ويبلغوا رسالتهم ولا يكفي أن يجسدوها في أنفسهم فحسب.

ورسولنا الكريم الذي هو قدوتنا وأسوتنا في الحياة بعامة وفي مسيرة الدعوة بخاصة، من خلال دراستنا المتأنية والواعية لسيرته المطهرة، يتبين لنا أنه -ﷺ- لم يتمكن من تحقيق أهداف رسالته إلا بعد امتلاك القوة المادية أي حق القوة إلى جانب قوة الحق، ومن خلال النظر في شقي سيرته الأساسين (المكي والمدني) يتضح لنا الآتي:

في المرحلة المكية كان الرسول ﷺ يملك قوة الحق وتحدى به خصومه الكافرين وأعجزهم عن الإتيان بدين آخر مضاد فلم يستطيعوا ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٣] ، ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [النمل : ٦٤] ، ولكن رغم كل هذا، ظل هو وأصحابه في موقع الاستضعاف يلقون شتى أنواع التعذيب والتكذيب والاستهزاء، ويمكننا تسمية هذه المرحلة بمرحلة تأسيس القاعدة الصلبة أو النواة الرئيسية للبناء الإسلامي المرتقب.

لاشك في أن هذه السياسة كانت عن قصد لتحقيق وكان وراءها حكمة ربانية، أهمها تربية هذه القاعدة الصلبة بغرس بعض الصفات الأساسية التي لابد أن تتوفر في هذه القاعدة قبل أن تتسلم زمام القيادة في الدعوة والجهاد، حيث كان الأمر الرباني يومئذ هو ﴿ **كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾. وكان الرسول ﷺ يطلب من أصحابه أن يصبروا على البلاء والفتنة المادية، ويؤكد لهم بأنها مرحلة قصيرة سرعان ما تمر ليحل محلها النصر والتمكين، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري أن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق نصفين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون".

ولا ننسى أن عناصر القوة أو بعبارة أخرى، عوامل النصر التي تتطلبها المعركة ويحتاج إليها رسول الله ﷺ وكل الدعاة من بعده، كانت متوفرة في مكة وليس في المدينة، فالأرضية مثلاً كانت مناسبة في مكة أكثر منها في المدينة، لأن المسلمين كانوا أهل البلد ويعرفونها جيداً وهذا يساعد كثيراً في التحرك ويضمن بالتالي مسيرة ثابتة ويصبغ الدعوة بصبغة شرعية مقبولة ، بالإضافة إلى الحمية التي كانت عنصر قوة كبير في تلك البيئة، الشيء الذي لا يتوفر في المناطق الأخرى، حيث سيحتاج الداعية إلى بناء جسر الثقة بينه وبين المدعوين وإلى وقت أطول لكسب الأنصار الجدد.

ولكن نظراً لغياب منطق القوة لم يتمكن النبي ﷺ من تجسيد قوة الحق ولا حتى المحافظة أو الدفاع عن وجوده داخل مكة بالرغم من توفر كل تلك العوامل المساعدة سالفة الذكر، فلجأ الرسول عليه الصلاة والسلام إلى إرسال أصحابه إلى الحبشة في بداية الأمر ثم إلى المدينة المنورة في المرحلة الثانية والأخيرة .

وفي المدينة، بدأ المسلمون في بناء مؤسساتهم العسكرية، لامتلاك واستعمال منطق حق القوة، حيث تحتم عليهم، خاصة بعد نزول الأمر الرباني لذلك في قوله تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾ [الحج : ٣٩-٤٠] ، فاستطاعوا في أقل من ست سنوات - مليئة بالغزوات والسرايا العسكرية - أن يفرضوا على قريش معادلاتهم وشروطهم، وفي صلح الحديبية انتزعوا منهم الاعتراف الرسمي بالدولة المسلمة، وكانت بداية الهزيمة والاستسلام لدى قريش أمام زحف وتوسع المشروع الإسلامي المدعوم والمحمي حينئذ بمنطق حق القوة إلى سمته الأساسية قوة الحق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على ضوء ما سبق، نقول أنه على الحركة الإسلامية الجادة التي أخذت على عاتقها أمانة الدعوة إلى الله وإحياء هذه الأمة من جديد وتعبيدها لربها، يجب عليها أن تتسلح بالمنطقين سالفي الذكر في آن واحد، لكي تتمكن من بلوغ أهدافها وتحقيق غاياتها إن على المدى البعيد أو القريب، لأن الظروف الواقعية منها أو الشرعية تفرض عليها سلك مثل هذا السبيل ونهج هذه السياسة في العمل والتحرك، وليس من الحكمة ولا من المنطقي أن نظل نرفع شعار قوة الحق في مواجهة حق القوة الذي يرفعه أعداؤنا في هذه المعركة الأبدية بين الحق والباطل من أجل تركيعنا وإخراجنا من ديننا ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، ولنختزل منطق قوة الحق لكي نستعمله داخل المجتمع الإسلامي المنشود حيث سيخضع الجميع لهذا الحق مدفوعين بإيمانهم وتقواهم، أما اليوم فلا قيمة لمنطق الحق بدون منطق حق القوة ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾.

أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخرجوهم من حيث أخرجوكم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعد

لا أظن أنه قد حصل إجماع لأهل الباطل في التاريخ كله، لمحاربة أهل الحق ،كما حصل في هذا الزمان، وبالتحديد في السنوات الأخيرة التي تلت الهجمات المباركة التي حصلت في أمريكا أو ما اصطلح عليه بغزوتي ١١ سبتمبر .

وقد جاء ذلك بعد استتباب الأمن في أفغانستان وقيام دولة الإسلام فيها وإعلان حكومة طالبان تحديها للعالم كله بتطبيق تعاليم الإسلام والاستمرار قدماً في إيواء ونصرة الفارين بدينهم، وكل الغرباء في عالمنا الإسلامي، القابضين على دينهم كالقابضين على الجمر.

فمنذ أن تحولت أفغانستان إلى ملاذ آمن لهؤلاء المجاهدين، وفئة كل مسلم صادق يبتغي وجه الله ويسعى إلى العيش تحت ظل شرعه، سارعت دول الكفر بمساعدة من المرتدين والمنافقين وضعاف النفوس إلى شد الخناق على الإمارة الإسلامية، فجمعت الجموع وأعدت العدة والعتاد وأخرجت كل ما في جعبتها من أسلحة الدمار التي جربت والتي لم تُجرّب من قبل، لاستئصال شأفة هذه الدولة المباركة وطمعاً في إخماد نور الله في نفوس المسلمين وفتنتهم عن دينهم.

ولقد انتشر المجاهدون وأنصارهم وهاجروا في كل مكان، يبحثون عن مكان آمن لعبادة ربهم، ومواصلة الإعداد للجهاد في سبيل الله، فقيض الله تعالى لهم أماكن أخرى، تؤويهم واتخذوها منطلقاً لإعدادهم وجهادهم، ولن تنقطع رحمة الله عن عباده، فسبل الله كثيرة وأبواب رحمته متعددة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد فتح الله تعالى ساحات جديدة لهؤلاء الفتية، وهي بمثابة كهوف للإعداد والجهاد والفرار بدينهم، فكانت ساحة بلاد الرافدين من أعظم النعم وأفضل الأماكن لمزاولة ومتابعة جهادهم المبارك. ولقد ندم أعداء الله وكيف لا يندمون، وقد تحولت بلاد الرافدين إلى نار تحت أقدامهم، وقبلة جديدة لكل المجاهدين، طوروا فيها كفاءاتهم القتالية وأساليب التنظيم والعمل أكثر من أي وقت مضى. ولو كانوا يعلمون هذا لما دخلوا إلى أرض العراق أبداً، ولكن الله تعالى أراد غير ذلك ﴿ **يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الحشر : ٢] ، وهاهم قد جاءوا إلى حتفهم المحتوم بأنفسهم، وسوف تكون هذه الحرب بداية نهايتهم بإذن الله، وبداية التمكين للمؤمنين في الأرض، وعلامة من علامات انهيار الباطل بحول الله تعالى، وسوف يتحقق قوله تعالى وأمره الرباني لعباده ﴿ **وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٩١].

وفي أفغانستان الصامدة، ها هم المجاهدون – بقيادة طالبان – يعلنون عن رجوعهم إلى الساحة، وقد بدءوا يسيطرون على الكثير من المواقع، ويوقعون الكثير من الخسائر في صفوف الصليبيين والمرتدين على حد سواء، وهاهي جموع المسلمين تلتف حولهم من جديد، ليقودوا حرب تحرير جديدة للأرض والإنسان ، وسوف يخرجون أعداءهم كما أخرجوهم بالأمس .

ثم انظروا إلى ما يحدث في بلاد القوقاز من ملاحم جهادية يسطرها المجاهدون صباح مساء، ضد قوى الإلحاد ومن حالفهم من المرتدين الأنجاس، فشعلة الجهاد لا زالت متقدة وكيف لها أن تنطفئ وآلاف الشباب من حولها يحيطونها بالرعاية اللازمة، وسوف يخرجون أعداءهم كما أخرجوهم بالأمس.

ثم انظروا إن شئتم إلى ما يقع على أرض الجزائر المجاهدة، أخرجت حفنة من المرتدين مجاهدينا من ديارهم وشردهم عن أهليهم وذويهم، وفتنوهم عن دينهم، فلجأوا إلى الشعاب والجبال، فراراً بدينهم وإعداداً لجهاد هؤلاء المرتدين، وهاهي الحرب دائرة بين الفريقين ، كر وفر، إثخان في العدو ومواصلة للنزال حتى يأتي الله بالنصر من عنده.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فما أشبه اليوم بأمس الإسلام الأول، وما أسرع تداول الأيام بين الناس، وهاهي الأمة الوسط تعيش غربتها من جديد، وهاهي أحزاب الباطل تجمع كيدها ومكرها لمواجهة هذه الفئات المجاهدة، وهاهي الآيات القرآنية تقرع آذاننا وكأنها تتنزل علينا من جديد.

﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ، فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٠-١٩٣].

يقول ابن كثير : قال أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى:

﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾ قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة ، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة.

وقوله ﴿ **وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ارتكاب المناهي كما قاله الحسن البصري من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة كما قال ذلك ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقد جاء في صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان يقول " اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع " رواه الإمام أحمد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأين أعداءنا من كل هذه الحدود والأدبيات في القتال، لقد عملوا بعكس هذا تماماً، حيث روّعوا النساء والأطفال والشيوخ وقتلوهم بعد أن هتكوا أعراض النساء وهدّموا المساجد على المصلين وأحرقوا المزارع والأشجار، حينما عجزوا عن مواجهة الرجال المجاهدين، فلجأوا إلى أساليب الجبناء بالرغم من تفوقهم العسكري والمادي، وذلك بالقصف الجوي عن بعد، فيسقط العشرات بل المئات من الأبرياء غدراً وقسراً.

﴿ **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ** ﴾ أي لتكون همتكم منبعثة على قتالهم كما همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصاً، وقوله تعالى ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال، نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل ولهذا قال ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾، قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس: أي الشرك أشد من القتل.

﴿ **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾.

إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما في الحياة الإنسانية، ومن ثم فهي أشد من قتل النفس وإزهاق الروح وإعدام الحياة، ويستوي أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى الفعلي أو بإقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله، وتزين لهم الكفر به أو الإعراض عنه.. وأكرم ما في الإنسان حرية الاعتقاد، فالذي يسلبه هذه الحرية ويفتنه عن دينه، فتنة مباشرة أو بالواسطة يجني عليه ما لا يجني عليه قاتل حياته، ومن ثم يدفعه بالقتل ، لذلك لم يقل ﴿ وقاتلوهم ﴾ إنما قال ﴿ واقتلوهم ﴾..

﴿ **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** ﴾ أي حيث وجدتموهم، في أية حال كانوا عليها، وبأية وسيلة تملكوها – مع مراعاة أدب الإسلام في عدم المثلة أو الحرق بالنار –.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكفار في هذه الأيام يقاتلون المسلمين المجاهدين ويقتلونهم بشتى الوسائل والطرق التي لا تخطر على بال بشر، مخالفين بذلك كل الأعراف والقوانين الوضعية والمنزلة، لا يرقبون فيهم إلاًّ ولا ذمّة، ولا يراعون في ذلك حرمة ولا حدوداً ولا آداباً، ومن هنا كان لزاماً وواجباً على هؤلاء المسلمين المجاهدين أن يعملوا بهذه الآيات، ويترصدوا هؤلاء الكفار ويقاتلوهم ويقتلوهم حيث ثقفوهم، ولا تأخذهم بهم رأفة في دين الله.

ينبغي إخراجهم من حيث أخرجوكم، أخرجوكم من دياركم بقوة السلاح وشردوكم في شعاب الجبال والصحاري والقفار أنتم وأهليكم المستضعفين، ومن بقي منكم في هذه الديار قتلوهم ودمروا عليهم بيوتهم وأحرقوا مزارعهم وأمتعتهم وقتلوا بهائمهم.

وفتنوهم عن دينهم بعدما كانوا آمنين في ديارهم، فلا يستطيعون أن يعبدوا ربهم ولا أن يطبقوا شرائع دينهم، فهل بعد هذه الفتنة ما هو أشد وأدهى وأمر على المؤمن؟ وما قيمة هذه الحياة يا ترى إن لم يستطع المؤمن أن يعبد ربه ويطبق دينه؟ إن الموت حينئذ يصير أهون وأفضل عنده من هذا العيش الذليل تحت سيطرة الكفر وبقيادة المرتدين.

هذا ما فعلته أحزاب الكفر لإخواننا في أفغانستان والشيشان وكشمير وفلسطين وأخيراً في بلاد الرافدين، أما الحكام المرتدون – الذين يعتبرون الوجه الثاني للكفار الأصليين وطابورهم الخامس في الداخل – فقد شردوا إخواننا المجاهدين وحرموهم من أهليهم وذويهم ومن حق ممارسة شعائر دينهم فضلاً عن أداء واجب الدعوة إلى الله أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ والانتهاء الذي يستأهل غفران الله ورحمته هو الانتهاء عن الكفر، لا مجرد الانتهاء عن قتال المسلمين أو فتنتهم عن الدين، فالانتهاء عن قتال المسلمين وفتنتهم قصاراه أن يهادنهم المسلمون ولكنه لا يؤهل لمغفرة الله ورحمته،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتلويح بالمغفرة والرحمة هنا يقصد به إطماع الكفار في الإيمان لينالوا المغفرة والرحمة بعد الكفر والعدوان.

﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ يقول سيد رحمه الله في ظلاله: "وإذا كان النص - عند نزوله - يواجه قوة المشركين في شبه الجزيرة، وهي التي كانت تفتن الناس وتمنع أن يكون الدين لله، فإن النص عام الدلالة، مستمر التوجيه، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله والاستجابة لها عند الاقتناع والاحتفاظ بها في أمان، والجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة وتطلق الناس أحراراً من قهرها، يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله.

وهذا التكرار في الحديث عن منع الفتنة بعد تفظيعها واعتبارها أشد من القتل، هذا التكرار يوحي بأهمية الأمر في اعتبار الإسلام، وينشئ مبدءاً عظيماً يعني في حقيقته ميلاداً جديداً للإنسان على يد الإسلام، ميلاداً تتقرر فيه قيمة الإنسان بقيمة عقيدته، وتوضع حياته في كفة وعقيدته في كفة أخرى، فترجح كفة العقيدة، كذلك يتقرر في هذا المبدأ من هم أعداء الإنسان، إنهم أولئك الذين يفتنون مؤمناً عن دينه، ويؤذون مسلماً بسبب إسلامه، أولئك الذين يحرمون البشرية أكبر عنصر للخير ويحولون بينها وبين منهج الله، وهؤلاء يجب على الجماعة المسلمة أن تقاتلهم وأن تقتلهم حيث وجدتهم ﴿ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ وهذا المبدأ العظيم الذي سنه الإسلام في أوائل ما نزل من القرآن عن القتال ما يزال قائماً، وما تزال العقيدة تواجه من يعتدون عليها وعلى أهلها في شتى الصور.. وما يزال الأذى والفتنة تلم بالمؤمنين أفراداً وجماعات وشعوباً كاملة في بعض الأحيان.. وكل من يتعرض للفتنة في دينه والأذى في عقيدته في أية صورة من الصور وفي أي شكل من الأشكال، مفروض عليه أن يقاتل وأن يقتل وأن يحقق المبدأ العظيم الذي سنه الإسلام فكان ميلاداً جديداً للإنسان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا انتهى الظالمون عن ظلمهم وكفوا عن الحيلولة بين الناس وربهم، فلا عدوان عليهم، أي لا مناجزة لهم، لأن الجهاد إنما يوجه إلى الظلم والظالمين." انتهى.

فما أحوجنا إلى هذه التوجيهات الربانية، لكي نرفع عن أنفسنا هذا الظلم والقهر والاعتداء المستمر، وما أحوج أمتنا إلى هذه الفئات المجاهدة الصابرة المرابطة على هــذه الثغور الوعرة، وفي مواجهة هذه الأحزاب المتعددة المشارب والعقائد، ولكنها متحدة على استئصال شأفة هذا الدين وإبادة هذه العصابات المجاهدة عن آخرها، تلك أمنيتهم، وذلك هو هدفهم، ولكننا عندنا الخبر اليقين والصورة الكاملة وحقائق خفية لا يراها غيرنا، ولا يمكن أن يؤمن بها إلا من أشرب في قلبه حب الله ورسوله، والشوق إلى لقائهما، هناك في العالم الأخروي، في مقعد صدق عن مليك مقتدر.

أبو سعد العاملي – شعبان ١٤٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوهن؛ أعراضه ودواءه

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى وعلى آله وصحبه الذين اصطفى وعلى من اتبع هديهم واقتفى أثرهم واكتفى، وبعد

الناظر إلى واقع أمتنا لابد أن ينتابه إحساس غريب لما يرى من تناقض كبير بين ظاهر الأمة، بما تملكه من إمكانات هائلة، وبين حقيقة واقعها المتخلف الغارق في السلبيات والهزائم المتتالية – على كل الأصعدة –. فكل ما تحلم به الدول أو الأمم السائرة في طريق النمو – حسب تعبير العصر – من إمكانات وطاقات متوفر لديها، بل وأكثر من ذلك بكثير، فمن حيث الطاقة البشرية نملك ما يزيد على المليار وربع المليار من البشر أغلبهم من الشباب، وهي الطاقة الأساسية بل العمود الفقري لكل أمة، ونملك الطاقة الطبيعية حيث تعتبر أراضينا خزاناً لها بالدرجة الأولى، وما تكالبُ الدولِ الاستعمارية، قديماً وحديثاً، على تقسيم أراضينا إلا دليل قاطع على صحة هذا.

حتى الموقع الجغرافي لهذه الأمة يحسدنا عليه أعداؤنا، لأنه موقع حساس واستراتيجي، هذا بالإضافة إلى وفرة المياه وخصبة الأراضي، فضلاً عن وحدة الدين والمعتقد والوجهة.

أمتنا مرشحة ومؤهلة قدراً، ومطالبة شرعاً، لقيادة البشرية مصداقاً لقوله تعالى الإنشائي ﴿ كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وهذا ما ينبغي أن تدركه هذه الأمة البائسة من جديد، وذلك لتعرف حقيقتها وقيمتها وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ولتكون قائدة في الخير لا في الشر، قائدة في القدوة والقوة لا في الضعف والهوان والتبعية، "ومن هنا لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من الأمم الجاهلية، إنما ينبغي أن تعطي دوماً لهذه الأمم مما لديها وأن يكون لديها دائما ما تعطيه، ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح والتصور الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والمعرفة الصحيحة والعلم الصحيح، ولهذا المركز الطليعي تبعات وتكاليف لابد للأمة أن تحققها في ذاتها ابتداء، وأول هذه المقتضيات هو أن تتوفر على قوة تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنكر، وأن يكون لها كيان سياسي موحد تنطلق منه لأداء المهمة الملقاة على عاتقها ولكن شتان بين واقع الأمة اليوم وبين ما هو مطلوب منها."[1]

"لقد كان الإسلام ولا يزال أكبر نعمة إلهية لهذه الأمة، أخرجها من الظلمات إلى النور، وأخرجت بها البشرية من ظلمات الجاهلية في الأمس القريب، ثم ها هي اليوم مطالبة بإخراجها منها كرة أخرى وهذه وحدها هي الرسالة التي يمكن أن تقدمها إلى هذه البشرية الضالة الغارقة في وحل البهيمية، فإنها لا تقدم لها عبقريات في الآداب والفنون والعلوم ولا عبقريات في الإنتاج الصناعي المتفوق تنحني لــه الجباه وتغرق به أسواقها ولا فلسفة مذهبية اجتماعية ومناهج اقتصادية وتنظيمية من صنع أيديهم ومن وحي أفكارهم البشرية من ورائها إلا الغم والشقاء، ولكنها ابتعثها الله من جديد لتقدم للبشرية هذه الرسالة الكبيرة لا شيء إلا هذا المنهج الفريد الذي خصها الله بها ليكون فيها الخلاص والإنقاذ.

إن لكل أمة من الأمم الكبيرة رسالة وأكبر أمة هي التي تحمل أكبر رسالة وهي التي تقدم أكبر منهج وهي التي تتفرد في الأمة بأرفع مذهب للحياة"[2].

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم هو لماذا هذا التدني وهذا التخلف رغم كل هذه المعطيات؟ أو بتعبير آخر لماذا هذه الغثائية؟ والجواب بسيط ولا يتجاوز شطر كلمة، قال رسول الله ﷺ: "**كيف بكم إذا تداعت عليكم الأمم كتداعي الأكلة على قصعتها**، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: **بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يترع الله المهابة من قلوب أعدائكم منكم ويقذف في قلوبكم الوهن**، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**".

فالوهن إذن هو سبب الوبال، وهو المرض الحضاري الذي أسقط جسد هذه الأمة إلى الأرض بلا حراك، لا يملك إلا التفرج على الهزائم، قد أخلده إلى الأرض لا يلوي على شيء ولا يهتم بما حوله.

---

[1] عن دراسات إسلامية – لسيد قطب بتصرف.

[2] المصدر السابق بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والوهن قد قسمه رسول الله ﷺ إلى شطرين: حب الدنيا وكراهية الموت، أما ظواهر هذا المرض فهناك الغثائية وانتزاع الهيبة من قلوب الأعداء، وأما النتيجة الحتمية التي تنتج عنه فهي السقوط لقمة سائغة في فم الأعداء وذهاب الريح وسقوط راية الإسلام في وحل الهزيمة والتخلف وبالتالي تهميشه وتغييبه من واقع الحياة.

حب الدنيا :

أما حب الدنيا فينتج عنه خيانة الأمانة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيم** ﴾[الأنفال : ٢٧، ٢٨]. فحب الدنيا يتمثل في حب المال والأولاد، وهو الذي يكبل الإنسان عن القيام بمهام هذه الأمانة.

والقرآن الكريم يصور لنا هذه الحياة الدنيا على حقيقتها ويبين لنا مدى قزميتها حتى لا تكون عائقاً في طريق الإيمان والهجرة والجهاد، فيقول جل وعلا ﴿ **واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ [الكهف : ٤٥، ٤٦]. ويقول في موضع آخر ﴿ **إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارُ نَبَاتَهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً...** ﴾ [الحديد : ٢٠].

هذه هي النهاية وهذه هي الحقيقة التي ينبهر بها الناس فتملأ عيونهم وقلوبهم وبالأسلوب القرآني الموجز والمعجز يصور لنا رب العزة التكاثر والنعم الدنيوية وسرعة ذهابها وزوالها ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر** ﴾[التكاثر : ١، ٢]. فلا تكاد تبدأ بالتكاثر ويطمئن إليها الإنسان حتى تنتهي إلى القبــور، وفي الوقت ذاتــه – وفي حدود الشرع ومراعاة للفطرة البشرية – يأذن لنا الله عز وجل بالاستمتاع بهذه الدنيا وجعلها وسيلة وسبباً لكي نرتقي إلى الآخرة ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا خَالِصَةً**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] والسنة النبوية المطهرة هي أيضا لم تغفل عن هذا المرض ووصف لنا رسول الله ﷺ كيف نتعامل مع هذه الدنيا فيقول: "**الدنيا مزرعة الآخرة** " حتى لا يصطدم مع الفطرة البشرية التي جبلت على حب الدنيا كما جاء في كتاب الله على لسان إبليس لآدم عليه السلام وهو يغريه لكي يأكل من الشجرة /الابتلاء ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى** ﴾[طه : ١٢٠]، ويقول عليه الصلاة والسلام في الدعاء المأثور عنه: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا... اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا"، ويعلق الله عز وجل قلوب عباده بالحياة الحقيقية وبالنعيم الدائم المقيم هناك في الآخرة فيقول ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٤] ويقول ﴿ **وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى** ﴾ [الضحى : ٤]، ثم يستنهض همم القاعدين عن أداء الأمانة والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق فيقول ﴿ **أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ [التوبة : ٣٨]، ويخاطب هؤلاء المغترين بما لديهم من متاع الدنيا ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ** ﴾ [النحل : ٩٦]، ويقص علينا ما أصاب أصحاب الجنتين وقارون – كنماذج – حينما اغتروا بما رزقهم الله ليفتنهم فيه، فالقرآن الكريم مليء بالمعالجات لهذا المرض الخطير وكذلك السنة النبوية المطهرة.

لقد عمد الأعداء إلى تربيتنا على حب الدنيا والتمسك بها إلى حد العبودية، ليصعب علينا التضحية من أجلها – أو ببعضها – في سبيل المحافظة على قيمنا السامية أو استرجاع ما ضاع منها، وعلى رأسها عقيدتنا، فترى المسلم يفرّط في دينه مقابل دراهم معدودة أو مناصب موهومة، فيكون دينه أول ما يدفعه ثمناً لدفع البلاء ورفع الحصار. فتساوينا مع الأعداء في حب الدنيا والتكالب على ملذاتها الزائلة، وجرَّنا هذا إلى التساوي معهم في الذنوب والمعاصي، كنتيجة حتمية لهذا الحب، بل منا من تفوق عليهم في إحداث ذنوب ومعاصي لم تكن في الأمم التي من قبلنا.

فكان لزاماً علينا – أفراداً وجماعات – أن ننتبه إلى هذا المخطط الرهيب، ونسارع إلى إنقاذ ما تبقى من أبناء أمتنا، وذلك بالتربية الإيمانية القائمة على الزهد في هذه الدنيا، والتخفيف من ملذاتها، وتدريب النفوس على البذل والعطاء والتعلق بالآخرة الباقية بدلاً من الدنيا الفانية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد قامت هذه الأمة المختارة بدورها في قيادة البشرية نحو خيري الدنيا والآخرة، وعلمتها الأهداف الحقيقية لوجودها والوسائل الصحيحة لتحقيقها، فبقيت هذه النماذج ردحاً من الزمن تقوم بهذا الدور الريادي، ثم شاء الله أن يرفعها ويغيِّبها – لأسباب قدرية وشرعية –، لتذوق البشرية مرارة اليتم والتيه والضلال عن الحق، وتعود إلى سابق عهدها من الجاهلية، فانغمست في حب الدنيا وجعلتها غاية غاياتها، وسخَّرت كل شيء في سبيل امتلاكها، فملكتهم هي وأصبحوا لها عبيداً وخدماً، فتتناحروا من أجلها، وهُتكت الأعراض في سبيلها، وتحولّت إلى آلهة معبودة، لا يعرف الناس لها بديلاً.

كـــــــراهية الموت:

أما كراهية الموت فهو نتيجة حتمية لحب الدنيا، والإنسان بطبعه محب للدنيا وكاره للموت، والقرآن الكريم قد عالجه هو أيضا بأسلوب لطيف بحيث يرينا الموت على أنها قوة ضئيلة حتى لا نهابه، ويصوره لنا كأنه باب للمرور إلى عالم الجنان والخلد بعيداً عن صخب الدنيا وصداعه، فيخلص الإنسان أخيراً إلى الرضا بالموت حين يأتيه، ويسعى قبل ذلك للاستعداد لــه ولما وراءه، فيقول رب العزة ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون** ﴾[الجمعة : ٨]، ويقول أيضاً ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَة** ﴾ [النساء : ٧٨] ويقول عز من قائل ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَة** ﴾ [آل عمران : ١٨٥] وهو تأكيد على حقيقة واحدة وحتمية وهي أن الموت لابد آت ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاب** ﴾ [الرعد : ٣٨] و﴿ **لكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [يونس : ٤٩].

والحقيقة الثانية التي تشير إليها هذه الآيات هي حتمية الحساب ومن ثم ضرورة الاستعداد لما وراء الموت، ورسول الله ﷺ لا يفتأ يحذر المؤمنين من مغبة نسيان الموت والاستعداد له فيقول: "**كن في هذه الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**" ويقول: "**الدنيا مزرعة الآخرة** "، وكان يحث أصحابه على الإكثار من ذكر الموت ويقول: "**أكثروا من ذكر هادم اللذات**".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد شاء الله أن يرحم هذه البشرية بصفة عامة، وهذه الأمة بصفة خاصة، فبعث فيهم خَلَفاً، ساروا على هدي وخطى أسلافهم، فكسروا قيود الرق والعبودية، ونفضوا غبار الذل والتبعية، ورفعوا شعار "أطلبوا الموت توهب لكم الحياة"، فجاءتهم الدنيا صاغرة، فتحرروا منها وحرروا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق هذه الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة . ففقهوا معنى الشطر الثاني من الوهن، فاستعلوا على هذه الدنيا الفانية حينما أدركوا حقارتها، وعلموا أن الموت ماهو إلا باب ومعبر إلى الآخرة، وبأن الجهاد لا ينقص عمراً، بل إن للموت أجلا محدودا، لا يمكن تقديمه أو تأخيره، وعليه، فلا داعي للهروب منه، بل ينبغي القيام بجميع الواجبات الشرعية، وعلى رأسها الجهاد في سبيل الله – باليد واللسان –، وهذا هو الذي يحيي الأمة ويعيد إليها صدارتها ومركزيتها بين الأمم.

وهذا ما ينبغي إحياءه في النفوس، والتركيز عليه في عملية التربية الإيمانية للجنود في جماعات الحق، لتتمكن من استرجاع هيبتها المفقودة، والقيام بدورها الريادي، وكسر جميع الحواجز المادية والمعنوية، والاندفاع نحو طلب الشهادة وهم موقنون أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وبأن هذه الرغبة الجامحة في نيل الشهادة ومواجهة الأعداء وكل الصعاب التي تعترض طريق الدعوة والجهاد، لن يؤخر أجلهم أو يستقدمه إلا إذا وافق ذلك إرادة الله تعالى وقدره، واختياره لزمرة الشهداء، شوقاً إليهم كما يتشوقون هم للقائه.

ولقد تنبه أعداؤنا إلى هذا الأمر، وأدركوا خطورته على وجودهم ومناهجهم على حد سواء، وعلموا أن الإقدام على الموت وتقديم النفس في سبيل الحق من أفتك وأمضى الأسلحة التي لا يملكون حيلة للتصدي لها، فاستنفذوا جميع وسائلهم وأساليبهم لإرهاب المجاهدين، وبدأوا باستعمال أساليب الإغراء أو تحريض بعض المنهزمين من أبناء الأمة لصرف هؤلاء الأبطال عن طلب الموت في سبيل الله، واستبداله بطلب فتات الحياة والسقوط في أحضان الطغاة.

فعلى الدعاة والمربين في كل التجمعات الإيمانية أن يرسخوا في نفوس الأتباع عدم الخوف من الموت وابتغاء ما عند الله، وأن يتعلموا فلسفة طلب الموت لتوهب لهم الحياة، ويحرصوا على لقاء الله أضعاف ما يحرص أعداؤهم على هذه الحياة، ليقلبوا معادلة الصراع لصالحهم، كما بدأت بوادره تلوح في الأفق من الآن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد،

فذلك هو الوهن، وهذا هو دواؤه مقتبس من فهمنا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكما أن الأمة مطالبة باقتناء هذا الدواء حتى تُرجع إلى نفسها القوة والاعتبار وبالتالي الهيبة التي تجعلها في صدارة الركب الحضاري، فإن الحركات الإسلامية اليوم – التي تمثل ضمير هذه الأمة – مطالبة هي أيضا بالانتباه إلى هذا المرض الخطير فتصفي صفوفها من كل غبش ومن كل العناصر الواهنة التي تبطئ النصر وتعرقل مسيرة العمل نحو التقدم والتمكين لدين الله في الأرض، ولتعلم أن القوة الحقيقية تكمن في القلة الصابرة الصادقة والمتماسكة، التي باعت نفسها لله، تطلب الموت لتوهب لها الحياة الحقيقية والأبدية، أولئك هم الذين يُدخلهم الله في رحمته، وينصر الله بهم دينه.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ [النور : ٥٥].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهن العزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإنه من الأهمية بمكان أن نقف وقفات تربوية على بعض الظواهر السيئة، التي تعتبر مثبطة للفرد المجاهد، تؤثر كثيراً على مردود العمل الإسلامي داخل الجماعة المجاهدة، وتسبب في خلق متاعب كثيرة تصل إلى حد إيقاف العمل نفسه أو إحباطه، مما ينتج عنه انسحاب الجماعة وغيابها من الساحة وترك المجال خصباً ومناسباً للعدو لكي يعيث فيها الفساد دون أية مقاومة. فيتحقق هدف الشيطان من إبعاد الداعية عن مزاولة عمله ومواصلة دربه بالنشاط المعهود.

ويبرز وهن العزيمة كأحد أهم هذه الظواهر؛ المثبطات، التي سنحاول من خلال هذا المقال، إبراز مظاهرها الأساسية وبعض الأسباب التي تؤدي إلى انتشارها، ثم نختم حديثنا بإيراد بعض وسائل العلاج أو الوقاية من هذا الوباء الخطير.

من العيوب الفردية في الحياة الاجتماعية، "وهن العزيمة" وهو عيب فتاك للغاية، وحقيقته أن الإنسان يستمع لدعوة الحركة ويلبيها بصدق وتجرد، ويبدي لها في البداية القدر الكبير من الحماس والطاعة والانقياد، إلا أنه مع مرور الأيام يأخذ حماسه في نقص وتضعضع حتى يصل إلى درجة لا يبقى لـــه أي اهتمام بالهدف الذي جاء لخدمته وتحقيقه، ولا يبقى لـــه أي علاقة فعلية بالجماعة التي انضم إليها بدافع القلب والشعور أول مرة. وإن كان ذهنه ما زال متعلقاً بالجماعة وعلى جانب من الاطمئنان والقناعة بالدلائل التي بموجبها اقتنع بالانضمام إلى هذه الجماعة والتضحية في سبيل نصرة الحق. ولا يزال لسانه يلهج بالخير تجاه جماعته والنعمة التي جاءت له عن طريقها، بل ويعترف لها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالجميل ويدافع عنها في ظهر الغيب.. ولكنه مع كل هذا تجد جذوة الحماس قد انطفأت في قلبه أو كادت، وتراخت قواه العملية، علماً أنه لا مكان لسوء النية في هذا الأمر، فالنية لا زالت سليمة، وكذلك المبدأ والاقتناع بضرورة التحرك في هذا المسار، و لم يصل بعد إلى مستوى الانفصال عن الجماعة، فكل ما في الأمر هو "وهن العزيمة".

فأول بوادر هذا المرض هو التملص من النشاط، حيث يبدأ الفرد المصاب يتهرب من تحمل المسؤوليات، ويمتنع عن بذل الأوقات والجهود والأموال في سبيل الغاية، ويؤثر الدنيا على ذلك الأمر الذي كان قد اتخذه هدفاً وغاية أساسياً في حياته، فيصير ارتباطه وعلاقته بالجماعة مجرد علاقة تنظيمية إدارية أو انتماء صوري، لا يهمه ماذا ينفعها وماذا يضرها، ولا يهتم بشؤون جماعته، ولا ما يرتقي بها نحو الأفضل.

إن هذه الحالة يتدرج فيها المرء كما يتدرج الشاب إلى المشيب، وهو إن لم يتفطن لهذا أو ينبهه عليها غيره، لن يشعر بها، وسرعان ما يباغته الموت وهو على هذه الحالة من اللامبالاة والغفلة.

ومن خصائص الحياة الجماعية أنه إذا لم يحسب لهذا المرض الفتاك حسابه في أول الأمر، و لم تبذل العناية الواجبة في منع نموه فإن عدواه تأخذ طريقها إلى كل شخص بدأت تظهر فيه أسبابه.

<u>ومن أسباب تفشي هذا الوباء؛</u>

هو تواجد بعض الإخوة في الجماعة بدون عمل بحيث يصبحون مجرد مستهلكين للكلام، فإن هذا من شأنه أن يدفع الآخر إلى التوقف عن العمل، "اقتداء" بهؤلاء القاعدين.

ولكن هذا خطأ كبير، وخلل في الفهم والمنهج خطير، إذ كيف يقارن نفسه مع الضعفاء وينسى أن يضع نصب عينيه من فاته في العطاء والتضحية، فالفرد في الجماعة الإسلامية لا ينبغي أن يكون محركه الأول هو إرضاء الأشخاص، بل عليه أن يرضي الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحده، ويقدم ما يقدمه من عمل وجهد في سبيل نصرة الحق، سواء عمل الناس أم لم يعملوا، تقدموا أم أحجموا، بذلوا أم بخلوا، أعطوا أم منعوا، حسبه في ذلك أن يرضي ربه ويواصل الطريق ولو كان وحده.

ومن ثم لا ينبغي أن يؤثر فيك تراجع الآخرين أو قعودهم، وحسبك أن العمل هو الحق وأن القعود هو الباطل، والجماعة هي أولاً ارتباط بالحق قبل أن تكون ارتباطا بالأشخاص، وهذا يكفي ليدفعك إلى المزيد من العطاء ومواصلة الطريق وإن كان موحشاً بل حتى وإن كان خالياً من الأنصار.

ومن الأسباب التي تساعد على انتشار هذا الوباء؛

علو الباطل وأهله، وإحجام الحق وأهله، وهي صورة منتشرة وغالبة منذ زمن ليس بالقصير، اعتاد عليها المسلمون حتى أصبحت هي الحالة الطبيعية لديهم، ما أدى إلى انتشار نوع من العجز والرضا بهذا الواقع، والاعتماد على المعجزات وانتظار علامات الساعة لتغيير الأوضاع بدلاً من البحث عن أسباب الضعف وتحصيل الوسائل اللازمة للتغيير، بعد الاعتماد على الله تعالى، وفق السنن الإلهية الثابتة. كما أن كثرة جنود الباطل وانتشار أنصارهم وحلفائهم في كل مكان، وإجماعهم على إبادة أهل الحق، من شأنه أن يقذف الوهن في قلوب المؤمنين وأنصارهم، ولكن حينما نتذكر قول الله تعالى ﴿ **وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾، ونؤمن بوعد الله بالنصر لعباده، فإنه سرعان ما ينجلي هذا الوهن ويحل محله الاستعلاء والثقة بالله تعالى.

إن انتفاش الباطل وأهله لا يعدو أن يكون مرحلة من عمر هذه المعركة الأبدية بينه وبين الحق وأهله ، وهو من شأنه أن يشحذ هممنا ويقوي عزائمنا من أجل المزيد من العمل والمثابرة والصمود لتغيير معادلة الصراع القائم بيننا وبينه، ولمحاولة ترجيح كفة الحق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا ينبغي أن تكون غلبة الباطل - لحين أو لسبب ضعفنا - مدعاة وسبباً لانتشار الوهن في نفوسنا، لأن الباطل مهما علا وانتشر فإنه سرعان ما سيزول لأنه قائم على فراغ ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾.

وخير شاهد على هذا، هذه التجارب التي نعيشها اليوم، حيث نرى الباطل - بالرغم من استعلائه وغلبته في الظاهر – يتوارى ويندحر، ويحسب كل صيحة عليه، ولا يحس بالأمن والأمان، بل إن المؤمنين الصادقين - بالرغم من قلة عتادهم وعددهم – يتواجدون في مواقع متقدمة وليس لديهم ما يحرصون عليه من غثاء هذه الدنيا، حملهم خفيف وزادهم الإيماني ثقيل، يمكِّنهم من مواصلة الصراع والتصدي لكل هجمات العدو.

أما أهم مظاهر هذا الوباء؛

فهي أنك ترى المصاب به يحاول إخفاء ضعفه وتقاعسه والظهور بمظهر العامل المتحرك، وهو في الحقيقة يدور في حلقة مفرغة، لمجرد إسقاط الواجبات أو التذرع بأعذار واهية لتبرير هذا التقاعس، بينما يغض الطرف عن الأسباب والمعوقات الحقيقية. ولو أنه صرَّح بها لإخوانه لأعانوه على تجاوزها، ولوصفوا له الدواء المناسب للنجاة من هذا المرض وهو بعد في مهده حيث يكون العلاج أسهل.

ومن المظاهر الخطيرة على الجماعة لوهن العزيمة لدى بعض الأفراد؛

أن ترى هؤلاء المرضى يسعون إلى هدم ما تم بناؤه داخل الجماعة أو محاولة التصدي لكل عامل مخلص، لكي يتساووا معهم في هذا النقص، وحتى لا يتميزوا عنهم بالعمل والعطاء، فيتمنوا أن يكون الجميع مثلهم، متقاعسون وقاعدون، وهذه لعمري من أخطر المراحل التي يمكن أن يصل إليها واهن العزيمة.

بل إنك ترى المتقاعس يبذل جهداً في التقاط عيوب إخوانه وينقب عن بعض النقائص في جماعته، ليتخذ منها مبرراً ويقول بملء فيه: "هذا هو السبب الذي جعلني أتذمر من دعوتكم"، دون أن يترك لإخوانه فرصة لإزالة هذه الشبهات من رأسه، وقد يتحول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في بعض الأحيان إلى مصدر تشويه خارج الجماعة حينما يقرر المسؤولون عزله وتهميشه ثم استبداله بغيره من الإخوة النشطين، وحينما يصل الأمر إلى هذه الدرجة فإن عملية العلاج تتعقد للغاية. وقد يتحول هذا الفرد إلى مصدر إزعاج وربما ثغرة كبيرة يدخل منها العدو ليحدث أضراراً بالجماعة.

من هنا يجب على الفرد المجاهد أن يحاسب نفسه ويتنبه إلى هذه المعضلة — العقبة - التي ستوقفه عن العمل وتقذف به في مهاوي الجمود والقعود. ونطرح هنا بعض الدواء أو لنقل بعض طرق الوقاية من هذا الداء.

١) إيثار ما عند الله:

إن أهم ما يعوق المؤمن عن أداء واجباته تجاه ربه وتجاه دينه، هو التعلق بالدنيا وإيثارها على باقي الأهداف والغايات، بل إنها تصبح غاية الغايات، وفي سبيل نيلها يضحي بكل غال ونفيس، فينسى أن هذه الدنيا مجرد وسيلة لبلوغ الآخرة، وبأن عمله وتضحيته وتجرده لله تعالى هو الثمن الذي ينبغي أن يؤديه لنيل الدرجات العلا في الآخرة وتحقيق العبودية لله رب العالمين في الدنيا.

ومن هنا فإن المؤمن الذي ينتظر ما عند الله ويؤثره على ما في هذه الدنيا الفانية، لا يمكن أن تضعف عزيمته وتخفت همته، وإن أصابه بعض الضعف إلى حين، فإنه سرعان ما يستعيد عافيته ويواصل جهاده لتحقيق وعد الله تعالى في هذه الدنيا.

وعليه فإن منهج التربية الصحيحة ينبغي أن يركز كثيراً على هذه النقطة، بحيث يعمل دائما على محاربة الشح في النفوس وعلى نقل الفرد من الارتباط بالدنيا وملذاتها إلى ملاحظة ما أعده الله للمؤمنين في الآخرة، ويكون هذا عن طريق تعويده على النفقة والتخفف من متاع الدنيا الزائل.

٢) الوفاء بالعهد:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما من شك أن المؤمن في الجماعة لــه عهدان لا يمكن أن يخلفهما ما دام فيه عرق ينبض ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾، عهد مع الله تعالى بعبادته ونصرة عن دينه، وهو عهد في عنق كل مسلم لا يكتمل إيمان المرء دون الوفاء به، وعهد مع إخوانه بالتعاون على البر والتقوى ونصرة الدين في إطار جماعة منظمة، وفق منهج محدد موافق لشرع الله.

عهد على مواصلة طريق الدعوة على منهج الأنبياء والمرسلين من قبلنا، واقتداء بسلفنا الصالح وبكل إخواننا الذين سبقونا بالإيمان، لم يفتروا و لم يبدّلوا و لم ينحرفوا عن النهج القويم، و لم يدخلهم اليأس والقنوط ما داموا يعلمون أنهم على حق وأنهم مأجورون عند الله، وبأن عدوهم على باطل ولن يفلح في الدنيا ولا في الآخرة.

عهد على مواصلة طريق الجهاد بكل غال ونفيس، بالتضحية بالوقت والمال والأهل والنفس، التزاماً ببنود عقد البيع والشراء بيننا وبين الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. فالعهدان ثقيلان، وكذلك تبعاتهما، ولكنهما ملزمان ولازمان ولا يمكن أن نتملص لنتخلص منهما إلا إذا قررنا الخروج من دائرة هذا الدين، ووهن العزيمة يمكن أن يؤدي بنا إلى هذا المنحدر، فننقض العهدان، فنخسر الدنيا ونخسر الآخرة.

٣) الاستفادة من الأعداء:

يتميز الصراع بيننا وبين أعدائنا بحدة لا نظير لها، والشيء الذي ينبغي أن نأسف لــه كثيراً هو أن هؤلاء الأعداء يتميزون بشراسة كبيرة في معاركهم واستماتة أكبر في بلوغ أهدافهم، وقلّما يتراجعون بالرغم من أنهم على باطل ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾، وعليه فإن أصحاب الحق ينبغي أن يأخذوا العبرة من أعدائهم ولا يكونوا أقل عطاء وحماسة واستماتة في بلوغ أهدافهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انظروا إلى حلقات هذه الحرب الصليبية الجديدة، التي أعلنها الأعداء شاملة علينا، انظروا إلى أنصار الباطل كم تتكاثف جهودهم في حربنا، وفي ترقبنا وفي حصارنا، لا يهدأ لهم بال حتى يروننا مكسورين أو مسجونين أو مقتولين. يحاربوننا في السر والعلن، في الليل والنهار، لا يبخلون بجهد ولا يتركون وسيلة تقربهم من هذا الهدف إلا وسلكوها، فكيف نسمح لأنفسنا - ونحن أصحاب حق ونبتغي وجه الله تعالى ونصرة دينه – أن نكون أقل إخلاصاً منهم، فنبخل بجهودنا وأموالنا وأوقاتنا، بل نسمح لأنفسنا أن يدخلها الوهن فتقعد عن أداء واجباتها، ونكون بهذا قد فتحنا ثغرات واسعة يدخل منها العدو لإبادتنا وبناء صرح باطله على أنقاض أمتنا لا سمح الله.

إننا مطالبون – أكثر من أي وقت مضى – بشحذ هممنا وتقوية عزائمنا ومراجعة أخطائنا وتسوية صفوفنا للتصدي لهذه المؤامرات، ثم المرور إلى هجوم جديد على الأعداء، كما أمرنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام "**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**"، وتلك هي قمة صور التصدي، وقمة صور العبادة.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ورحمته: أبو سعد العاملي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين، وأصلي وأسلم على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه المجاهدين، وبعد :

من نعم الله تعالى على عباده المؤمنين أن بعث فيهم رسلاً مبشرين ومنذرين، ومجسدين للرسالات التي كانوا يدعون الناس إليها، فكانوا نعم القدوة والمثال في الضراء قبل السراء، حتى يعلّموا أتباعهم وأصحابهم كيف يثبتوا على المبادئ وكيف يحملوا هذه الدعوات في نفوسهم ابتداء ثم ينشروها بين الناس ويصبروا على تبعات مهمة الأنبياء والرسل التي ورثوها ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** . . . ﴾ [فصلت : ٣٣].

ومن نِعَم الله عز وجل أيضاً على هذه الأمة الخاتمة، أن ترك لها زخماً من الأمثلة والنماذج مسطراً ومسجلاً إلى يوم القيامة كشاهد عليها وكحافز لها حتى لا يصيبها اليأس والقنوط والإحباط عن أداء هذه المهمة التي ابتعثها الله من أجلها ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**. . . الآية ﴾ [آل عمران : ١١٠]، أو كما قال ربعي بن عامر لرستم الفرس في معركة القادسية: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة " [انظر كتب السيرة – معركة القادسية].

هذه النماذج الكبيرة والعظيمة، ستظل دوماً تذكرنا بواجباتنا الشرعية وتقذف في قلوبنا الأمل في تحقيق النصر والتمكين لدين الله والعزة والاستعلاء بالانتماء إلى هذه الأمة الوسط حتى وإن كنا نعيش أحلك الظروف وأصعب المراحل ﴿ **وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩، ١٤٠].

فالمؤمن لابد أن يفهم بأن الأيام دول، فيوم لنا ويوم علينا، وبأن رحى الإسلام دائرة رغم كل الأحوال، وينبغي على أهل الحق أن يدوروا مع الحق حيث دار، فهذا حسبهم، والإيمان بالنصر بداية النصر، كما ينبغي أن نفقه جيداً بأن وعود الله تعالى لعباده هي في الوقت ذاته أوامر لنا، حتى نسعى لتحقيقها في الواقع، وعدم الاكتفاء بانتظار المعجزات، فالله سبحانه يؤكد على هذه الحقيقة في قوله ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة : ١٤] ، لابد من الجهد البشري الذي هو الشطر الثاني لتحقيق النصر بعد معية الله عز وجل وتوفيقه الذي يمثل الشطر الأول والأهم ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران : ١٢٦]. وكما في قوله تعالى مخاطبا نبيه الكريم ﴿ **هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال : ٦٢] ، فالجهد البشري ضروري، وبه نحقق عبودية الله عز وجل وتتحقق وعوده سبحانه.

والأمة اليوم وخاصة رأس حربتها الذي يتمثل في الطائفة المنصورة، تعيش فترة مخاض ومحنة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، ورغم هذا كله، ما زال في الأمة من يدّعي العكس، أولئك الذين غرقوا في سكرة الجهل والبدعة، فركنوا إلى الذين ظلموا، فلا يرون إلا ما يريهم هؤلاء الفراعنة وسحرهم، فتحولوا إلى مادة للظلم والغواية والفتنة، ودرعاً واقياً لهؤلاء الطغاة يحتمون به وهم يواجهون هذه الطائفة المنصورة، القائمة على أمر الله، والماضية على طريق الدعوة والجهاد، مستنيرة بما خلّف لها سلفها الصالح من ملاحم وبطولات ومواقف، سيظل التاريخ البشري يعتز ويفتخر بها حتى قيام الساعة.

وأمام هذه الفتن والمحن، يقف الكثير من أبناء الأمة موقفاً سلبياً يزيد الجرح عمقاً والخرق اتساعاً، وهو أشبه بموقف بني إسرائيل مع نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسلام، حيث قالوا ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف : ١٢٩]، وهو نفس الموقف الذي وقفه المنافقون في معركة الأحزاب مع رسول الله ﷺ ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً** ﴾ [الأحزاب : ١٢].

وكأن التاريخ يعيد نفسه اليوم، فها هي أفول المنافقين والمرجفين وضعاف النفوس والقلوب يقولون أعظم من هذا بكثير، ويلقون باللوم على المجاهدين بسبب ما يصيبهم من بعض ذهاب الدنيا أو نزول بعض الأذى، وأغلبهم بعيد عن ساحة المعارك بآلاف الأميال، فكيف بمن يذوق مرارة البطش والأذى والظلم والقتل والتشريد وهو صابر محتسب، يشكو بثه وحزنه إلى الله، بينما نحن نزيدهم نكالاً إلى نكالهم بألسنتنا الحداد، وبقلوبنا الأشحة .

إن الذين تقاعسوا عن الجهاد وآثروا الحياة الدنيا وملذاتها على ما عند الله، والذين جبنوا على تحمل تبعات الجهاد وتبعات إيمانهم المزعوم، يريدون من المجاهدين أن يكونوا مثلهم حتى يتساووا معهم في الإثم والمعصية، فمثلهم ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الحشر : ١٦] ، ذلك لأن خروج المجاهدين إلى المعركة هو بمثابة عملية فضح وإزالة الستار عن هؤلاء المتقاعسين الجبناء، فتنكشف سوءاتهم وضعفهم وحقيقتهم المخزية أمام الناس .

أما حينما يقعد الجميع عن الجهاد فإنهم يكونون مستورين، وبإمكانهم أن يدّعوا الصدق والإخلاص وحتى الجهاد ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٦].

ومن هنا ندرك الأسباب التي تدفع بهؤلاء المتقاعسين القاعدين أن يشنوا تلك الحملات الشعواء على الجماعات الجهادية، إنه البغض والحسد من عند أنفسهم حينما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرون هؤلاء المجاهدين يؤدون واجباهم ويلبون نداءات رهم بينما هم مترون ينتظرون الزمن أن ينوب عنهم لتغيير الأوضاع، وهو النزول عند رغبة إبليس في إعطاء هذه النصائح الشيطانية المثبطة للطلائع المجاهدة ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾، إن الأنظمة الطاغوتية قد حشرت لكم جنودها وعملاءها فاخشوهم، وأبقوا على أنفسكم، إننا لكم ناصحون.

إنها في الحقيقة محاولات للتثبيط، ومحاولات لإطفاء جذوة الجهاد المتقدة في نفوس الطائفة المنصورة لصرفها عن أداء واجبات الجهاد، وهيهات هيهات.

ويبقى الصنف الأخير الذي يهمنا في هذا المقال، وهو الفئة التي تعيش لمبدئها وعقيدتها، فالعقيدة تمثل كل شيء في حياتها، فلا يستبقون شيئاً في أنفسهم لا يبذلونها لها، فبالرغم من الحصار وبالرغم من القصف والتعذيب، وبالرغم من النقص في الأموال والأمن والثمرات والراحة، فهم ماضون ثابتون على عقيدتهم، حريصون عليها أشد الحرص.

بالرغم مما يرون ويسمعون من جمع الناس لهم وتخويفهم من عتادهم وأسلحتهم، فهم ماضون ومستجيبون لله ولرسوله ولنداء الجهاد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]. وموقنون لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩].

لا يبالون بهذه التخويفات والنداءات الشيطانية ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾، إن الكفار قد ألبوا الأحزاب واستقدموا الجيوش وجمعوا أعتى السلاح وأفتكه، فاخشوهم، واستسلموا لهم، ودعوهم ينالوا ما أرادوا ليبقوا على حياتكم، وإذا واليتموهم فسوف يمنحونكم الجاه والسلطان فوق منحهم إياكم الأمن والأمان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيأتي الرد يقيناً لا تذبذباً ﴿ **فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾، والمؤمن الحقيقي يجسد هذا القول بأفعاله ومواقفه، فيلجأ إلى الله وحده، ويتوكل عليه، فيثبت أولاً على عقيدته ومبادئه، ثم يبحث عن الأسباب المادية فيحققها في الواقع ثانياً، ولا يهرع إلى الجزع أو التنازل عن عقيدته أو الاستعانة بأعداء الله ليحافظ على حياة الذلة والصغار.

وحينما يصدق المؤمن في موقفه هذا، فإن الله تعالى يسخّر سننه ويأمر جنوده بتحقيق وعده لعباده، وقد يأتي هذا بعد تمحيص وابتلاء وفتنة، حتى يكون النصر بعد ذلك ذو قيمة عند هؤلاء العبيد، فيحافظوا عليه ولا يفرطوا فيه .

﴿ **فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آل عمران : ١٧٤] ، نعم، فالله سبحانه قادر أن يجعل كيد الكفار في نحورهم، ويبطل جميع خططهم ﴿ **وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٥٤] وكما يقول عز من قائل ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً** ﴾ [الطارق : ١٥– ١٧].

فانظروا كيف عطّل الله سبحانه كل آليات الصليبيين وعتادهم، و لم يستطيعوا أن يضروا المجاهدين في أفغانستان إلا أذى، و لم يحققوا هدفاً واحداً مما جاءوا من أجله، وعلى رأسه القضاء على قيادات المجاهدين واستئصال جذور الجهاد وهو الإرهاب بتعبيرهم.

فالإسلام ما زاد إلا تجذراً في نفوس معتنقيه، وجذوة الجهاد ما زادت إلا اتقاداً واشتعالاً في نفوس المجاهدين، بل واتسعت هالتها في الأرض، لتنير الطريق للكثير من الحيارى والتائهين، وتحول المجاهدون في أفغانستان إلى قدوة ومثل أعلى للأمة، كما وأحيى الأمل في النفوس المتعطشة للغد الإسلامي المشرق، وبانت ملامح هذا الصبح المرتقب، فهذه هي نعمة الله العظيمة على عباده، منحة في صورة محنة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونقف في الأخير عند عنصر مهم وطرف فعال يساهم في تثبيط المؤمنين ويزرع الخوف في نفوسهم، ألا وهو الشيطان ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ** ﴾، فالشيطان يحاول أن يجعل أولياءه مصدر خوف ورعب، وأن يخلع عنهم سمة القوة والهيبة، ويوقع في القلوب أنهم ذو حول وطول، وأنهم يملكون النفع والضر، فهو يسعى إلى تحقيق أهدافه بأوليائه، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار ولا يفكر أحد في دفع الشر والباطل. فالشيطان صاحب مصلحة في انتفاش الباطل، ويضخم سلطة أوليائه ويصبغ عليها هالة من البطش والإرهاب لكي ينجح أولياؤه في تنفيذ مآربه،[1] فيقلبون المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ويخفتون صوت الحق والرشد، ويحاربون أولياء الله بعد أن يلصقوا لهم تهم الإفساد في الأرض ﴿ **إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى** ﴾ [طه:٦٣].

هذا هو الشيطان، لا يملك إلا أن يوسوس، وسلطته تكون على أوليائه وعلى كل من يغفل على حقيقته، هذا فضلاً عن تزيين الباطل للناس ووعدهم إياهم بالأماني الزائفة ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ [الإسراء : ٦٤].

ومن هنا يكشفه الله تعالى لعباده المؤمنين ويوقفه عارياً لا يستره ثوب من كيده ومكره، ليعرف المؤمنون حقيقة مكره ووسوسته ثم ضعفه وهوانه ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾، ومن باب أولى أن يكون مكر أوليائه وكيدهم أضعف، فلا يستحقون الخوف والخشية.

﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ** ﴾، وقد يكون دافع المثبطين هو الحرص على مصلحة الدعوة – زعموا – فيحاولون المحافظة على الأفراد

[1] إن أي سلطة جاهلية ما هي إلا امتداد لسلطة إبليس الذي صنع لنفسه عرشاً فوق الماء لتنتهي إليه كل السلطات الجاهلية القائمة على وجه الأرض، وإبليس هو المصدر الثابت لكل السلطات والنظم الجاهلية المختلفة .(عن كتاب" عندما ترعى الذئاب الغنم" ص٦٨ وص ٧٥ – رفاعي سرور).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكي يلعبوا دوراً في ميدان الدعوة والحركة بهذا الدين، بدلاً من أن يلقوا بأنفسهم إلى تهلكة حقيقية في مواجهة أعداء لا قِبل لهم بقواهم وعتادهم.

ومصلحة الدعوة أصبحت اليوم صنماً يُعبد من دون الله، ويُضحّى في سبيلها بالعقيدة ومبادئ الدعوة نفسها، كقولهم بأن بدء الجهاد والمواجهة مع الأعداء من شأنه أن يعطّل مسيرة الدعوة أو يؤخرها لسنوات أو سيهدم بناء سنوات من العمل أو غيرها من العبارات، وكلها تدل على جهل القوم بحقيقة هذا الدين وبحقيقة مفهوم الجهاد وأهدافه.

فالعدو له مشاعر وله مصالح يخاف عليها ويحرص على المحافظة عليها، ولا يمكن أن يقدم على مهاجمتك إلا عندما يتيقن بأنك منهار وخائف منه، وهذا ما لا ينبغي السقوط فيه، فهو يخاف ويخشى ويألم ويرجو ما لا نرجو ﴿ **وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ [النساء : ١٠٤].

بهذه النفوس القوية، وبهذا الإيمان الناصع ، سنتغلب على أعدائنا، وسنرد كيدهم في نحورهم، وسنهدم عليهم بيتهم العنكبوتي، وسندخل عليهم الباب وسنغزوهم قبل أن يغزوننا وبعد أن يغزوننا، فثغراهم كثيرة، وسلاحنا أقوى وأفتك من سلاحهم، هذا فضلاً عن معية الله عز وجل ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ١٧].

نسأل الله جل في علاه أن يملأ قلوبنا بخوفه وخشيته حتى لا يبقى فيه ثمة مكان لخشية أحد، ويرزقنا الثبات والإقدام والتشوق إلى وجهه الكريم، ويختم لنا بشهادة نكون فيها من السعداء ونُحشر مع الشهداء.

والحمد لله رب العالمين،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصلى الله وسلم على رسوله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أبو سعد العاملي- جمادى الآخرة ١٤٢٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنهم يألمون كما تألمون

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

حينما يدخل المرء في صراع ما، مع الجهات المعادية له، سواء للدفاع عن نفسه ووجوده أو لنشر مبادئه وقيمه، فإن أول العقبات التي تهدده وتثبطه عن بدء هذا الصراع هو التضحية التي سيقدمها كثمن في سبيل تحقيق النصر في هذه الحرب على عدوه.

والتضحية التي تتبادر إلى الذهن لأول وهلة هو الأذى الجسدي من آلام وجراح، والتي قد تنتهي بذهاب النفس كأقصى صورة من صور الأذى.

ورب العزة الذي خلق النفس البشرية ﴿ **أَلا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير** ﴾[الملك ١٤]، يُقدِّم لهذه النفس المؤمنة الصورة الحقيقية لهذا الأذى في ميزان الله، يستصغره لكي لا يكون عائقاً في طريق المؤمن ﴿ **لَن يَضُرُّوكُم إِلاَّ أَذى وَإِن يُقَاتِلُوكُم يُوَلُّوكُم الأَدبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُون** ﴾[آل عمران ١١١]، ﴿ **وَإِن تَصبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضِركُم كَيدُهُم شَيئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعمَلُونَ مُحِيط** ﴾[آل عمران ١٢٠]، فكل ما يستطيعه الأعداء هو إلحاق بعض الأذى المادي بالمؤمن دون المساس بعقيدته أو تغيير مبادئه، ومن هنا ندرك أن أهم عنصر في المعركة هو العقيدة، وبأن الأذى المرهوب لا يفتُّ من عضد المؤمن شيئاً مقارنة مع الوعد المرغوب.

ويقوى هذا الشعور أكثر ويزداد المؤمن إقبالاً على نصرة عقيدته والدفاع عن دينه حينما يسمع قول خالقه جل وعلا: ﴿ **إِن تَكُونُوا تَألَمُونَ فَإِنَّهُم يَألَمُونَ كَمَا تَألَمُون** ﴾ [النساء ١٠٤]. فالعدو يألم هو كذلك، ويخالجه نفس الشعور من الخوف وإصابته بالأذى وفقدانه لما يحرص عليه ويحبه في هذه الحياة. ولكن الفرق شاسع بين ما ينتظره هذا وما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبتغيه ذاك، فالمؤمن يبتغي نصر الله في الدنيا ليحقق عبودية الله عز وجل وتحرير العباد من كل العبوديات الباطلة، ﴿ **اَلَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُم فِي الأَرضِ أَقَامُوا اَلصَّلاَةَ وَآتَوا الزَّكَـاةَ، وَأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ وَنَهَوا عَنِ المُنكَرِ وَلِلَّه عَاقِبَةُ الأُمُور** ﴾[الحج : ٤١]، بينما عدوه يحرص على النصر والتمكين للإفساد في الأرض والعلو فيها بغير حق ﴿ **إِنَّ فِرعَونَ عَلا فِي الأَرضِ وجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعاً يَستَضعِفُ طَائِفَةً مِنهُم يُذَبِّحُ أَبنَاءَهُم وَيَستَحيِي نِسَاءَهُم، إِنَّهُ كَانَ مِنَ اَلْمُفسِدِين** ﴾[القصص ٤].

هذا في الدنيا، أما في الآخرة فلا مجال للمقارنة البتة، حيث أن الكافر لا يؤمن أصلاً بما سيأتي بعد الموت، وهمه الأكبر والوحيد هو تحقيق شهواته وتلبية أهوائه في هذه الدنيا، بينما المؤمن يحرص على جعل الدنيا مزرعة لآخرته، ولا يعير كبير اهتمام لما سيناله في هذه العاجلة من مغنم ونصر مادي، فهو يتطلع إلى جنات عدن ومغفرة من الله ورضوان ﴿ **يَغفِرُ لَكُم ذُنُوبَكُم وَيُدخِلكُم جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدن، ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيم** ﴾[الصف ١٢]، وهو ما تشير إليه بقية آية حديثنا ﴿ **إِن تَكُونُوا تَألَمُونَ فَإِنَّهُم يَألَمُونَ كَمَا تَألَمُون، وَتَرجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرجُون** ﴾.

يقول صاحب الظلال رحمه الله: "إنها كلمات معدودات. يضعن الخطوط الحاسمة، ويكشفن عن الشقة البعيدة، بين جبهتي الصراع.. إن المؤمنين يحتملون الألم والقرح في المعركة، ولكنهم ليسوا وحدهم الذين يحتملونه.. إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح واللأواء.. ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء.. إن المؤمنين يتوجهون إلى الله بجهادهم، ويرتقبون عنده جزاءهم.. فأما الكفار فهم ضائعون مضيعون، لا يتجهون لله، ولا يرتقبون عنده شيئاً في الحياة ولا بعد الحياة" اهـ (في ظلال القرآن- تفسير سورة النساء ص ٧٥٠).

ونقف الآن عند أنواع الآلام التي قد تصيب كلا الطرفين في هذه الحرب، خاصة ونحن نعيش أحلك وأحمى حلقة من حلقاتها، حيث اجتمع الذين كفروا والذين أشركوا (يهود، نصارى، هندوس، وثنيون،..) وكل من والاهم ودخل في حزبهم (منافقون،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرتدون، خونة،...)، اجتمعوا على أهل الحق وأصروا على إبادتهم وإطفاء نـــور الله في صدورهم وعلى أرضهم، في أفغانستان وفلسطين وبلاد القوقاز والبلقان وفي بلدان جنوبي شرقي آسيا، خاصة في كشمير وباكستان وأندونيسيا والفلبين، وفي باقي البلاد العربيـــة (بلاد الرافدين، وأرض الكنانة، وبلاد الشام، وأرض الحجاز وشمال إفريقية).

آلام جسدية

آلام جسدية من جراح وقتل من جراء الحرب الدائرة، وهي آلام مشتركة تطال المؤمنين والكفار على حد سواء وإن كانت درجاتها متفاوتة وكيفية اســتقبالها مختلفــة. فالمؤمن يستقبل هذه الجراحات والآلام بصدر رحب ويعتبرها ابتلاء ينال عليهـــا الأجــر والثواب، ويمحو الله له بها السيئات، ويستشعر قوله تعالى: ﴿ **إِن يَمسَسكُم قَرحُ فَقَــد مَسَّ القَومُ قَرحُ مِثلُه، وَتِلكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَينَ النَّاس، وَلِيَعلَمَ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَدَاء** ﴾[آل عمران ١٤٠]، كما يَعتبر هذه الضربات الموجعة تدريباً له علــى تحمل تبعات الطريق، وضريبة لابد منها قبل التمكين في الأرض وإحراز أي نصر مادي، فالضربة التي لا تقصم ظهرك لا تزيده إلا قوة.

وفي الجانب الآخر نجد الكفار ومن والاهم من المنافقين والمرتــدين والعمــلاء يسخطون وتنهار معنوياتهم حينما يمسهم قرح أو جرح بالرغم من الإغـــراءات الماديــة العظيمة والتغطيات المتواصلة التي يتلقونها خلال حربهم الدائرة، ذلك بأنهم لا ينتظـــرون سوى الأجر المادي في هذه الحياة الدنيا، ويعيشون لأنفسهم وذواتهم، همهـــم بطـــونهم وقبلتهم شهواتهم...

آلام روحية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آلام روحية ومعنوية تتمثل أساساً في انعدام الأمن والإحساس بالقلق والخوف الدائمين، فالمؤمنون المجاهدون يعيشون حالة من الخوف والقلق المصحوب بحالة من الترقب الدائم والحذر الشديد، وهي منحة في صورة محنة، ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** ﴾[البقرة ١٥٥]، حيث يضطرون إلى البحث عن أسباب النصر والتمكين، وإحباط خطط وكيد أعدائهم، وهو نفس الحالة التي عاشتها الجماعة الأولى بقيادة النبي ﷺ في مرحلة الضعف والدعوة قبل التمكين في الأرض ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[الأنفال ٢٦].

أما أعداؤهم (سواء من هم داخل المعركة أو من هم خارجها) فإنهم يعيشون القلق والخوف الدائمين ويفقدون الأمن والأمان، ولا بديل لهم يلجأون إليه لتعويض ما فقدوه، فتراهم يصابون بالإحباطات النفسية فمنهم من يقدم على الانتحار للتخلص من هذا الجحيم الدنيوي، ومنهم من يلجأ إلى المخدرات والمسكرات لكي لا يحس بهذا الرعب الدائم.

آلام اقتصادية

وهناك الألم الاقتصادي أو نقص الأموال والثمرات بالتعبير القرآني، حيث أن المؤمن يعتبر ذلك محنة وابتلاء وضرورة لابد من تحملها بالصبر، ما دام أن ذلك كله مجرد وسيلة يتعبد بها لله عز وجل وليست هدفاً في حد ذاتها، فالرزق مضمون بشرط تحقيق الإيمان والعبودية لله عز وجل ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾[الأعراف : ٩٦]، فالمؤمن لا يأسف أبداً على ذهاب الدنيا، ويتحرز كثيراً من مغبة السقوط في شراكها على حساب دينه وعقيدته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عدوه الكافر، فالدنيا عنده تمثل كل شيء، ورأينا كم تـأثر ولا زال يتـأثر اقتصاده وينهار من جراء ما يشنه المجاهدون من هجمات على مؤسساته الاقتصادية، وما ينفقه هذا العدو في حربه الطويلة الأمد في مواجهة المؤمنين، وما يتبع ذلك من كساد في عالم التجارة والسياحة، فيكون بذلك أعداؤنا هم أكبر الخاسرين والمتألمين في هذه الحرب الدائرة.

وضربُ العدو في اقتصاده هو سنة محمدية علمها لنا رسول الله ﷺ، من خلال سرايا الجهاد الإسلامي التي كان يبعثها من المدينة لتتعرض قوافل المشركين ودامت أكثر من سبعة عشر شهراً، أدت إلى شلّ تجارة المشركين وكسر شوكتهم الاقتصادية والمالية، وقد ساهم ذلك وأدى إلى كسر شوكتهم السياسية والعسكرية كنتيجة حتمية لاستتراف طويل الأمد، لم يملك العدو معه مقاومة ولا بديلاً.

آلام سياسية

الألم السياسي، ويتمثل في ذهاب تلك الهالة المزيفة التي يضفيها العدو على نفسه فيبدو للآخرين على أنه الأقوى والأجدر بالاتباع ﴿ **مَا أُرِيكُم إِلاَّ مَا أَرى، وَمَا أَهدِيكُم إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد** ﴾[غافر ٢٩]، فتساهم هزيمته العسكرية في كسر هذه الهالة، وفقدان هذه القوة السياسية بفقدان الأتباع والظهور بمظهر الضعيف الذي لا يستطيع أن يحمي نفسه فضلاً عن حماية غيره، وهذا ألم فظيع يُضاف إلى الآلام السابقة، ومبادئ العدو لا قيمة ولا وزن لها إلا إذا تحققت على أرض الواقع بالسيف والحديد تارة وبالإغراءات المادية تارة أخرى، وإذا ما غابت أحد هاتين الوسيلتين أفل نجمه وذهبت معه هذه الهالة.

أما المؤمنون فإن غياب مذهبهم عن الساحة يعتبر نقطة قوة في حد ذاتها، حيث يجرب الناس المذاهب الباطلة ويذوقون مرارتها ويتجرعونها، فتظهر لهم قيمة الحق ويحن الناس إليه، فيساهم ذلك في تحريضهم على مقاومة هذا الباطل والانضمام إلى أنصار الحق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المؤمنون فإن غياب الحق وكونه غير مُمَكَّــن في الأرض، لا يفــتّ مــن عــضدهم فيجلسون للبكاء على الأطلال في وحل اليأس الهزيمة، بل يدفعهم هذا إلى المزيد من العطاء والإعداد والجهاد، يألمون بسبب غيابه، ولكن يرجون من الله ما لا يرجــو أعــداؤهم، يرجون تحقيق وعد الله لهم بالنصر والتمكين، ويرجون ذهاب الباطل وإزهاقه، ولكن هذا الرجاء مقرون بالعمل والتضحية والعطاء.

دور الأنصار

ونصل الآن إلى النقطة الأخيرة في هذا المقال، وتتعلق بالأنصار، ومدى ارتباطهم وتأثيرهم بهذه الآية الكريمة.

إن أنصار المجاهدين يعتبرون طرفاً مهماً وحساساً في الحرب الــدائرة، و ينطبــق عليهم ما ينطبق على المجاهدين من ضرورة تحمل الألم كثمن لهذه النصرة، فهم يُعتــبرون الصف الثاني في هذه المعارك، وبهم يتمكن المجاهدون من مواصلة الصراع، حيث يجــدون فيهم السند والملجأ والملاذ – بعد الله تعالى –، فنصر الله يتحقق بأيدي المؤمنين، والمؤمنون يكونون أقوياء ومنصورون بأنصارهم، ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصرِهِ وَبِالْمُؤمِنِين** ﴾.

أما آلام الأنصار فتتمثل أساساً في محاولات الأعداء لكــشفهم ثم مطــاردتهم أو محاصرتهم أو اعتقالهم بهدف إيقاف مدهم للمجاهدين، لأنهم أدركوا أهميــة دورهــم في المعركة.

ولابد لهؤلاء الأنصار أن يستشعروا أهمية هذا الدور ومدى مساهمته في مــسيرة الجهاد، فلا يشعروا بالخوف وليتحملوا تبعات نصرتهم مــن آلام وإحــساس بالــضيق والحصار، فهم والمجاهدون في ساحات المعارك سيان، كل واحد واقــف علــى ثغــره المناسب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وليستحضر هؤلاء الأنصار ما يرجــون عند الله لتهون أمامه كل الآلام والصعاب. ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله، **وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤمِنُونَ حَقّاً، لَهُم مَغفِرَةُ وَرِزقُ كَرِيم** ﴾ [الأنفال ٧٤].

وليعلم الأنصار أن الذي يقعد ويتقاعس عن نصرة المجاهدين سيتألم أكثر وسيخسر أكثر مما يخسره المجاهدون، ولكن في سبيل نصرة الباطل أو – في أخف الحالات– خذلان الحق، فالتضحية والنفقة محتمة على الجميع، والآلام والآهات ستطال الجميع، فلتكن في سبيل الله، ولنجعلها في خدمة دينه ونصرة أوليائه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتحمل آلام وتبعات نصرة دينه، ويرزقنا الصبر للثبات على منهجه، ولا يحمِّلنا من الأمر ما لا نطيق، حتى لا يجعلنا فتنة للذين كفروا، إنه سميع مجيب قريب.

أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن تعودوا ... نعد

إهداء

أهدي هذا المقال إلى جميع الإخوة المجاهدين المرابطين في ساحات القتال، منافحين عن دين الله تعالى ، مستجيبين لنداء ربهم ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾، ولنداء الله سبحانه﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾.

إلى القائد الفذ، إمام المجاهدين الشيخ أسامة بن لادن ونائبه الشيخ أيمن الظواهري وجميع جنود وأنصار قاعدة الجهاد في أفغانستان وباكستان ، الذين أسسوا أعمدة وقواعد الجهاد في هذا العصر، وصمدوا في وجه أعتى قوات الصليب وحلفائها من الشرق والغرب، الذين مرغوا وجوه أعدائهم في وحل الهزيمة والعجز والذلة، والذين أذاقوهم مرارة الهزيمة والألم في عقر ديارهم ، عبر سلسلة غزوات نوعية ، ما زال العدو يتألم من تأثيراتها ويحاول جمع شتاته واستجماع قواته.

إلى الإخوة الأحبة في بلاد أفغانستان وما جاورها ، وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملا عمر حفظه الله ونصره ، وجميع من بايعه وناصره على الجهاد في سبيل الله يبتغون الموت مظانة، يتربصون بأعداء الله ويقعدون لهم كل مرصد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى الإخوة المجاهدين في الجزائر، ممثلين في الجماعة السلفية للدعوة والقتال – قيادة وقاعدة، أمراء وجنوداً، مجاهدين وأنصاراً – الذين يواجهون النظام المرتد العفن بكل أذنابه وأنصاره وتابعيه، يسطرون ملاحم من البطولة ويذيقون العدو مرارة الألم ، ماضون في جهادهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وهم مستقيمون على أمر الله.

إلى الإخوة الأعزة في بلاد الرافدين وإلى أمير حربهم الشيخ أبو مصعب الزرقاوي حفظه الله ونصره، وأعزه بجنود أتوا من كل حدب وصوب، ملبين نداء ربهم ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾، باعوا الأرواح لمليكهم، وسطروا بدمائهم أعظم الملاحم في تاريخ الإسلام كله، يثخنون في جنود الصليب وأعوانهم من المرتدين صباح مساء، يشفون بذلك صدور قوم مؤمنين طالما انتظروا هذه الأيام، ويغيظون صدور قوم كافرين ومنافقين، ماضون في جهادهم وقتالهم لأعداء الله، لا يضرهم من خالفهم من المخالفين ولا من خذلهم من القاعدين والمنافقين ولا من عاداهم من الكافرين والمرتدين، حسبهم أنهم ينافحون عن دين الله وعن أعراض المستضعفين من المسلمين، ومنتهى غايتهم أن ينالوا رضوان ربهم، ويفوزوا بشهادة في ساحات الوغى تنقلهم إلى جوار ربهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وسوف يكافئهم الله تعالى بفتح ونصر قريب، وتمكين في الأرض، ليتحولوا إلى فئة كل مسلم في هذه الأرض.

إلى الإخوة المجاهدين الأبطال في بلاد القوقاز، الذين رفعوا راية الجهاد وسط بلدان الصليب والإلحاد، مسطرين أعظم الملاحم والبطولات، مواجهين أعتى وأقوى الجيوش المعاصرة، والتي أصبحت كالفئران في مواجهة عصابات الجهاد والاستشهاد، وعباقرة العبوات الناسفة وأسياد حرب المدن بدون منازع.

إلى كل المجاهدين الأخفياء في كل مكان ، الذين يتربصون بأعداء الله في كل موطن وحين ويقعدون لهم كل مرصد، يعدون العدة ويخططون للنيل من أعدائهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، إعلاء لكلمة الله ونصرة لدين الله وانتصاراً أو ثأراً للملايين من المستضعفين من أمة الإسلام .

إلى كل المسجونين والمعتقلين في سجون الصليبيين والملحدين والمرتدين، في مشارق الأرض ومغاربها، يحتسبون ما أصابهم من قهر الأسر، يسبحون بحمد ربهم صباح مساء ، وينتظرون فرجه في كل حين، ليعودوا إلى مواصلة ما أسروا من أجله.

إلى كل المطاردين والمهجرين في سبيل الله، أخرجوا من ديارهم بغير حق وبلا ذنب اقترفوه، ينتقلون بين شعب وآخر، يخافون أن يتخطفهم الأعداء من حولهم، فارين بدينهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا، ويلتمسون أرضاً يعبدون فيها ربهم ويعدون فيها العدة لإخراج من أخرجوهم من ديارهم وأموالهم.

إلى كل هؤلاء وغيرهم كثير، أقول: قولوا لهم ﴿ وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت، وأن الله مع المؤمنين ﴾، ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعد فإن من سنن الله تعالى في خلقه أن جعل الأيام دولا ، ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران : ١٤٠].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن المعلوم أن أعداء الله لا يتوانون في حربنا لحظة واحدة ، لمجرد أننا مسلمون ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ [البقرة : ٢١٧]، ذلك هو دأبهم ، وتلك هي سنتهم ، لا تتغير ولا تتبدل، ومن هنا وجب علينا معشر المسلمين أن نقاوم هذه الحرب ونجابهها بعقيدة المواجهة والتصدي والمقاومة. ولن يستطيع أعداؤنا النيل منا ومن ديننا إلا بمقدار ما يناله الشيطان من عقيدتنا وطمس معالم الثبات والاستقامة في النفوس .

إن الأعداء ينفقون أموالهم وأوقاتهم وجهودهم في سبيل إعاقة مسيرة الدعوة إلى الله و الصد عن سبيل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾[الأنفال : ٣٦] ، وكل آمالهم أن يمنعوا المؤمنين – قيادات وجنوداً – عن ممارسة واجب الدعوة والجهاد في سبيل الله ، فتراهم يلجأون إلى إبعادهم وفصلهم عن ساحة العمل ، تارة بالسجن وتارة بالتهجير وتارة بالتقتيل ، وكلها وسائل تصب في الصد عن سبيل الله ، حينما لا تنفع وسائل الإغراء بالمال والشهرة والجاه . لكن الله سبحانه وتعالى يتكفل بحفظ هذا الدين بحفظ رجاله ، ويدافع عن الذين آمنوا بتثبيتهم وقذف روح الاستقامة والثبات في قلوبهم ، بالرغم مما يتعرضون له من وسائل الصد عن دينهم .

إن الحرب الصليبية المعاصرة تعتبر تتمة وامتداداً تاريخياً لهذا الصراع المرير بين الحق والباطل ، ويتمثل أساساً في هذه الحرب الدائرة اليوم بين القوات الصليبية بقيادة أمريكا وحلفائها من جهة – وهم كثر – ، وبين المجاهدين بقيادة قاعدة الجهاد وأنصارها من جهة أخرى– وهم قلة – لكن الله بارك فيهم وأعاد القاعدة القرآنية الخالدة ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٥].

بحيث صرنا نرى ونسمع معجزات في عالم الحرب، عصابات قليلة عددها تنجز ما عجزت عنه الجيوش الجرارة، وتحقق انتصارات في عالم الواقع كأنها في عالم الخيال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الوسائل التي يستعملها الأعداء للصد عن سبيل الله ومنع المؤمنين من أداء واجباتهم ، السجن والاعتقال ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٣٠]. وهي سنة جارية ستظل قائمة حتى تقوم الساعة وينتهي الصراع بين الحق والباطل ، لذا وجب على أصحاب الحق التنبه وعدم التأثر بهذه السياسة، لأنها وسيلة ثابتة من وسائل الحرب ، لابد من تحملها والتعود عليها.

أما داخل السجن فيمارسون أشد وسائل التعذيب وأخسها، على الجسد والنفس سواء ، وذلك من أجل الحصول على المعلومات التي ستؤدي إلى كشف المزيد من المجاهدين والاطلاع على خططهم وأساليب عملهم. هذا بالإضافة إلى وسائل الإغراء المتعددة لاحتواء المعتقلين ومحاولة تجنيدهم في صفوف العدو ليتحولوا إلى عملاء وجواسيس داخل أو خارج السجن.

وحينما لا تفلح كل هذه الوسائل يتمنى العدو ويكتفي بأن يخرج السجين منهار القوى، خائر العزيمة يبحث عن السلامة بعيداً عن هموم الدعوة وتبعاتها، ويعتزل الناس جميعاً ليتحول إلى عنصر محايد أو أحياناً إلى عنصر مثبط للآخرين. وهذا في حد ذاته أكبر نصر للأعداء ، حيث ينجحون في فصل الدعاة عن مهمتهم الكبرى وهي الدعوة ، وهذا من شأنه أن يحدث خللاً في ميزان القوى في ساحة المعركة.

فحينما يتراجع المجاهد الداعية عن مبادئه ويؤثر حياة الدعة والراحة على حياة الكدح والدعوة، فإن ذلك يكون له تأثير سلبي كبير على بقية المؤمنين، خاصة إذا كان من السابقين في الدعوة وممن لهم سمعة طيبة وسط الشباب .

إن موقف المؤمنين الصادقين هو الصبر والثبات والاستقامة، مهما تلقوا من تهديدات ، ومهما تجرعوا من عذابات ، ومهما فقدوا من أعزة ، فعقيدتهم تحتم عليهم أن يثبتوا ويواصلوا الطريق ، ولا يستسلموا لهذه الضغوطات، ولا يركعوا لهذه التهديدات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن أعداءنا لا يألون جهداً في إخماد جذوة هذا الدين وصد المؤمنين عن نصرته، ويبذلون في سبيل ذلك الغالي والنفيس، فهل نكون أقل منهم حماسة وثباتاً، وأقل منهم إخلاصاً وتضحية لهذا الدين؟؟ ونحن نعلم ثواب كل فرقة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الحساب .

سوف يستمرون ويستميتون في حربنا وصدنا عن أهدافنا، ولابد من جهتنا أن نستمر في المقاومة والإصرار على المضي لتحقيق هذه الأهداف، هذه هي نقطة القوة، وهذا هو سر ورأس الأمر كله.

إن تعودوا للاستهزاء والسخرية بنا وبدعوتنا ، بالسخرية بتقاليدنا وقيمنا ، بالسخرية بما ندعو إليه ، فإننا سنعاملكم بالمثل، فنسخر بمبادئكم وقيمكم ، ونسخر بأخلاقكم وتعاملكم ﴿ **إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾ [هود : ٣٨] ، نعد إلى مواصلة دعوتنا ، ونشر مبادئنا وقيمنا، ولن يثني ذلك من عزائمنا وهممنا.

إن تعودوا إلى محاصرتنا وحصارنا ، من أجل إبعادنا عن الناس ، **نعد** إلى البحث وابتكار أساليب جديدة تمكننا من التجمع بالناس وإيصال كلمتنا لهم والتلاحم معهم، وتحقيق قوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ **هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾.

إن تعودوا إلى حصارنا مادياً واقتصاديا في أرزاقنا ومواردنا، من أجل تجميد حركتنا، أو دفعنا إلى الافتتان بالدنيا والانشغال بطلب الرزق عن طلب العلم وأمور الدعوة والجهاد، **نعد** إلى البحث عن وسائل وأساليب جديدة تدر علينا ما كتبه الله لنا من خير ورزق حسن، نتقوى به على طاعة الله، ونخدم به ديننا.

وأفضل الطرق والوسائل لتحصيل الرزق هو الغنيمة التي شرعها الله لعباده المؤمنين ، ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٤١]. وما ورد عن رسول الله ﷺ في الحديث :" **جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**..".

إن تعودوا إلى سجننا من أجل فصلنا عن الناس وإيقاف مسيرتنا الدعوية، أو منعنا من الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريض الناس على الالتزام بدينهم وأداء واجباتهم، **نعد** إلى الصبر والتحمل وعدم التنازل عن مبادئنا، أو الخضوع لكم وإيقاف مسيرتنا، بل إننا سنعود إلى مزاولة الدعوة ولو في السجون، وتحريض الناس على الصدع بالحق ومقاومة الباطل وفضحه وإزالته، وسيواصل هذه المسيرة المئات بل الآلاف من أبناء الأمة، لا تعرفونهم و لم تحسبوا لهم حساباً، يبعثهم الله تعالى من حيث لا تدرون، فيكونوا حماة لهذا الدين ودعاة إلى عقيدة التوحيد والجهاد ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾[المدثر ٣١].

إن تعودوا إلى تهجيرنا من أراضينا وأهلينا من أجل قطع صلاتنا بساحة العمل والجهاد، **فإننا سنعود** إلى مواصلة مهمتنا في مواطن بعيدة عن ظلمكم، وسيسخر الله لنا أقواماً وظروفاً تساعدنا على مواصلة الطريق، ومواصلة الإعداد، ثم سيسهل الله لنا سبلاً ووسائل نتواصل بها مع إخواننا داخل أوطاننا، وكل بلاد الإسلام وطننا، وكل المسلمين الموحدين إخواننا ، لا نؤمن بحدود ولا نعترف بجنسية أو وطن إلا جنسية العقيدة ووطن الإسلام.

إن تعودوا إلى قتالنا وحربنا بوسائلكم الخسيسة المخالفة لكل الأعراف الإنسانية والشرعية، حيث تستهدفون الأبرياء من الولدان والنساء والعجزة في حربكم القذرة، وتستعملون الأساليب المختلفة لهتك الأعراض والحرمات وكشف الأسرار دون مراعاة لأخلاق ولا أعراف ولا دين، فنحن **سنعود** إلى قتالكم رغم الجراحات والنقص في العتاد والأموال والرجال، ولكنه قتال الشرفاء، الذين يراعون الحرمات ويرحمون الضعفاء، يهتدون بكتاب الله وسنة نبيه الكريم في كل خطوة من خطوات المسيرة القتالية ، ولا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينبغي أن تؤثر علينا حظوظ النفس والنزعات الجاهلية في تجاوز حدود الله حتى مع أعدائنا إلا بقدر التوافق مع الشرع الحنيف.

إن تعودوا إلى قتلنا وهي أسمى أمانينا ومنتهى غايتنا، فإن الله تعالى سيجعل في موتنا بركة لمن بعدنا ، تحفزهم وتقذف في قلوبهم العزة وفي نفوسهم الإقدام، لأن موتنا سيكون شهادة بحول الله ، وهي نور ونار ، نور ينير لمن يأتي من بعدنا درب الجهاد والدعوة، ونار عليكم تحرق مشاريعكم وأحلامكم وأمنكم، فماذا ربحتم يا أعداء الله ؟ لقد خربتم بيوتكم بأيديكم وأيدينا ، وسوف تظل دماؤنا تلاحقكم في كل مكان ، وإخواننا من بعدنا يواصلون هذا الدرب الطويل، وهذه الحرب المستعرة ، التي لن تضع أوزارها- بحول الله – حتى تدمركم وترمي بكم في مزبلة التاريخ، كأن لم تغنوا بالأمس، بل كأن لم تكونوا ، وهذه هي النهاية الطبيعية والحتمية للباطل ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾، ﴿ **وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾.

إن حربنا مع أهل الباطل سجال، يوم لنا ويوم لهم، ولكن يوم الحق أطول من يوم الباطل بكثير، حتى وإن بدا لأكثر الناس العكس. فحتى ونحن منهزمون نكون في حالات من الاستعلاء والعزة والتقرب إلى الله تعالى بالاستغفار والتوبة ، بينما يكون أعداؤنا غارقين في بحر من التذمر والكفر والتعاسة. أما في حالة النصر فنكون أكثر تواضعاً واستغفاراً لله تعالى بينما يكون أعداؤنا في حالات من النشوة الخادعة والبطر والخيلاء تدفعهم إلى ارتكاب المزيد من المعاصي والتكبر على الله واستحقاق المزيد من العذاب والاستدراج.

وهي حرب طويلة الأمد وعديدة الأشواط والمراحل، لا يمكن أن ينتصر المرء فيها إلا إذا كانت لديه القدرة على الثبات ومواصلة المعركة، والاستهانة بالعدو واستصغاره، والإيمان بأن الله تعالى معنا يهدينا ويثبت أقدامنا، ويقذف الرعب في قلوب أعدائنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهذا هو سر تفوقنا عليهم في جميع الحالات، إصرار على المضي في الطريق الموحش الشائك والمليء بالعقبات والألغام مع اليقين التام بالنصر والتمكين، ومعاودة الكرة تلو الكرة، رغم الخسائر والجروح والقروح ﴿ **وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ** ﴾، لأن الله تعالى فئة للمؤمنين الصادقين، وما أقواها وما أدومها من فئة ، ﴿ **وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

نسأل الله جل وعلا أن يرزقنا الإخلاص والثبات والاستقامة على دينه، فلا نموتن إلا ونحن مسلمون، مقبلين غير مدبرين، لا مبدلين ولا مغيرين، حتى نلقاه وهو راض عنا، نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفر ربه: أبو سعد العاملي

غرة رمضان ١٤٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودوا لو تدهن فيدهنون

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد

اعلم أن من علامات صحة إيمان العبد، ثباته على عقيدته وعدم التنازل عن جزء ولو بسيط منها، ليس هذا بالأمر الهين لأنه يحتاج إلى يقظة دائمة وإلى صبر واسع وتضحية كبيرة، ولكنه السبيل الوحيد الذي يجعله قدوة صالحة لغيره، من دون أن يبادر إلى دعوة الناس بلسانه، فالثبات على المبدأ له أثر بليغ على استجابة الناس والتأثير فيهم، وهذا ما يدعو إليه رب العزة في قوله تعالى ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ** ﴾[هود]، والتي قال عنها إمام الدعاة وسيدهم ﷺ: "**لقد شيبتني هود وأخواتها**" ويقصد في سورة هود هذه الآية الكريمة وهي آية الاستقامة والثبات.

ويحذر الله تعالى من مغبة الركون إلى الظالمين في قوله ﴿ **وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّار** ﴾، والركون هو الخضوع والتنازل عما يعتقده المرء خوفاً أو طمعاً. والمؤمن الحقيقي هو الذي يركن إلى الله تعالى وحده دون سواه في السراء والضراء وفي المنشط والمكره، لأنه يؤمن بأنه ركنه الركين وحبله المتين ﴿ **وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم** ﴾، وفي قوله تعالى ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيم** ﴾[البقرة].

والشيطان الرجيم يسعى دوماً – عن طريق عملية الإغراء – إلى إيقاع المسلم في المحظور وإبعاده عن الالتزام الصحيح بدينه والإفراط في مبادئه، وأولياء الشيطان – على جميع أنواعهم ومذاهبهم – يسلكون سبيل وليهم اللعين – لكي يبعدوا المؤمنين عن الصراط السوي ويتبعوا سبل الشيطان الملتوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأعداء الحق يودون لو أن المؤمنين يدهنون، خاصة في الأوقات التي تلقى فيها الدعوة استجابة وقبولاً لدى الناس، وتكون بضاعتهم الفاسدة في كساد، ويحاولون بشتى الأساليب صرف المؤمنين عن مبادئهم أو التنازل عن بعضها أو مجرد تمييعها وذلك بخلطها ببعض المبادئ الجاهلية أو البدعية، وبمجرد أن يبدأ الداعية في الانحراف، يجد أمامه ألف داع وداع من شياطين الإنس والجن يزينون له هذا المسار، ويعدونه بالخير والفلاح ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾.

فلكي يتفادى المؤمن الوقوع في هذا المنزلق، عليه أن يتشبث بعقيدته ويعض عليها بالنواجذ، ولا ينظر إلى المكاسب الآنية – مهما بدت له كبيرة –، وعليه أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم ولو كانوا قلة أو مستضعفين، فإنه سرعان ما سيزول هذا الضعف بالثبات والاستقامة و ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِين** ﴾[البقرة].

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في هذا المجال، وعلينا أن نتذكر مواقفه الثابتة على دينه، حينما عرض عليه كفار قريش المناصب والمال والجاه والسيادة مقابل أن يتوقف عن سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم والدعوة إلى التوحيد، فلم يلتفت إلى هذه العروض والإغراءات، رغم عظمها في فترة كانت تتميز بالضيق والحصار وقلة النصير، وكان بإمكانها أن تفتح آفاقاً وسبلاً للنبي ﷺ وأصحابه فيستغلوها لبسط نفوذ الدعوة (التي ستصبح في هذه الحالة مميعة ومحرَّفة)، ولكنه ﷺ لم يفعل وما كان له أن يقبل بشروط قريش وهو يعلم أنه سيخسر رضا الله وسينحرف عن النهج الذي بُعث من أجله، حتى ولو ربح الدنيا كلها ﴿ **وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْك** ﴾.

وهذا ما ينبغي أن يضعه الدعاة نصب أعينهم وهم يتحركون بهذا الدين العظيم، حتى لا يقعوا في المحذور الذي سيؤدي إلى الثبور.

فالذين يتربصون بنا الدوائر لكي ندهن، كثيرون، وكل واحد منهم له مصالح مباشرة وغير مباشرة، ويحرصون أشد الحرص على أن نقع في مستنقع التنازلات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتسهيلات، حتى وإن كانت صغيرة وهينة في البداية، لكنها تكفي كمفتاح ومقدمة للمزيد من التنازل والمداهنة.

الشيطان

يأتي على رأس اللائحة، فهو صاحب المصلحة الكبرى في أن ندهن، لأننا نمثل العقبة الرئيسية في سبيله بثباتنا واستقامتنا، فتجده يساهم بنفسه وجنوده وجميع أوليائه للدخول في معركة حاسمة ومتواصلة للوسوسة والإغراء، وإخفاء مفاسد هذه التنازلات في أعين الدعاة – أفراداً وجماعات –، وإظهارها بمظهر حسن حتى يتمادون في عملية المداهنة، شيئاً فشيئاً، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ **وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾، فتتسع المسافة بينهم وبين مبادئهم، ويصعب عليهم بعد ذلك الرجوع إلى الأصل.

ومن أهداف الشيطان أيضاً، أن يبعدنا عن نعمة الطاعة والإتباع ويدخلنا في دائرة المعصية والابتداع، فنستحق في نهاية المطاف مقت الله وغضبه، فنكون من أصحاب النار.

اليهود والذين أشركوا

تأتي هذه الفئات في الدرجة الثانية، لكونها تحمل أكبر العداء وأشده لأصحاب الحق ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا، الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾ [البقرة]، وهذا يدفعهم إلى بذل أقصى الجهد لإضعاف المؤمنين ومحاربتهم، وما دام أن قوة أصحاب الحق تكمن في تمسكهم وأتباعهم لهذا الحق، فإن جهود الأعداء تصب كلها في إبعاد المؤمنين عن دينهم وتحريف مسارهم عن طريق الحق الذي اتبعوه، ويشير إلى هذه الحقيقة قوله تعالى ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾، فمنتهى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غايتهم هو أن نبتعد عن هذا الدين ولا يكون هو المرجع في حياتنا، حتى وإن لم ندخل في دينهم ونتبع تعاليمهم، ولكن لا يحصل رضاهم عنا حتى ندخل في دينهم وملتهم ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾[البقرة].

لذلك يودون لو ندهن ونتنازل عن بعض مبادئنا، فنحذف الآيات التي تتحدث وتوجه المؤمنين لجهادهم أو تكشف حقيقة عدائهم الدائم والمستمر لهذا الدين ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾، والتي تدعو المؤمنين إلى البراءة منهم ومن دياناتهم، وتحذر من موالاتهم، ﴿ **لاَ تَتَوَلَّوْا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾.

وفي مقابل هذه المداهنة من طرف المؤمنين، يكون هناك مداهنة من قبل اليهود والذين أشركوا، تتمثل أساساً في بعض المساعدات المادية أو الرضا السياسي أو ترك بعض الهوامش من الحرية لأصحاب الحق لكي يتحركوا بدينهم - في الحدود التي لا تضر بمصالح هؤلاء - ويكون ذلك عبر إعطاء الأوامر والتعليمات لأذنباهم من الحكام الجاثمين على صدور الشعوب المسلمة والمتمسكين بزمام الحكم بفضل أسيادهم.

الفرق المبتدعة والذين اتبعوا الشبهات

يودون لو ندهن بعدم التعرض لمذاهبهم وانحرافاتهم، وبمسايرتهم والتعاون معهم، وربما بتزكية هذه المذاهب بين الناس لتظهر في مظهر حسن ومقبول، فيدهنون وذلك بتظاهرهم بالوحدة والتنسيق والتعاون، أو بعدم الانشغال في تتبع حركات المجاهدين والدعاة المخلصين - إلى حين - خاصة بكف ألسنتهم عنهم، أو بعدم الوقوف في صف الأعداء والتعاون معهم لمحاربة أهل الحق، والاكتفاء بموقف المتفرج، لا ينصرون الحق ولا يخذلون الباطل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدخل في هذه الزمرة، المنافقون والذين في قلوبهم مرض، لأنهم داخلون في الذين يتبعون الشهوات ويعبدون أهواءهم، ويحاولون خداع الدعاة المؤمنين بالتظاهر الكاذب بالإيمان، بينما هم يضمرون الكفر والعداء للحق، فيقدمون بعض الخدمات، قد تبدو لنا في الظاهر مكاسب نافعة، لكنها في الباطن سوف تضر الدعوة أكثر مما ستنفعها، وسيظهر الحق للناس مشوهاً، وستختلط عليهم السبل، ويتحولوا إلى صيد رخيص وسهل لا يلبثون أن يقعوا في شراك هذه الجماعات الضالة، ونكون قد ساهمنا في هذا بقسط كبير.

عوام الناس

يودون لو ندهن بعدم تتبعهم وتخفيف التركيز على دعوتهم، وغض الطرف على هفواتهم وموافقة أهوائهم ثم نتركهم يعيشون حياتهم وفق ما تمليه عليهم هذه الأهواء، فيدهنون بقبول بعض ما ندعوهم إليه مجاملة لنا، أو في بعض المناسبات ولساعات معدودة، فيتظاهرون بالصلاح والاستقامة لكي يرضوننا بأفواههم ويخالفون ما ندعوهم إليه بأعمالهم.

من أهداف بعض الجماعات وغاياتها، تجميع الناس، مهما كانت مستوياتهم، ولا يعيرون كبير اهتمام للجانب التربوي أو العقدي، همهم هو تكثير سواد الجماعة وتوسيع قطرها، وهذا الأمر يدفعها إلى عرض الإسلام في صورة سهلة ميسرة بل مميعة حتى لا يكون هناك رفض من قبل المدعوين، ولا يبينون لهؤلاء تبعات هذا الانتماء، من التضحيات والمصاعب التي سيلاقونها في الطريق، وهذه هي المداهنة الكبرى التي يقوم بها هؤلاء في حق هذا الدين، لكي لا يصدموا الناس - زعموا -، ولكي يستقطبوا المزيد من أنصار الدعوة كما يتوهمون.

بينما المطلوب مع هؤلاء هو مواصلة الدعوة معهم بالأسلوب الذي يناسب كل فئة منهم، بمخاطبتهم على قدر عقولهم وفهمهم، وعرض الإسلام بشموله وقوته ونصاعته،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى لو لم يقبلوه وأعرضوا عنه أو حاربوه، فالعقول والأهواء هي التي ينبغي أن تخضع لهذا الدين وليس العكس، ولا ينبغي أن نتخذ الناس مرجعاً ومقياساً ولا استجابتهم أو عدمها دليلاً على صدق ما ندعو إليه، فالناس أكثرهم لا يعلمون، وأكثرهم لا يؤمنون، وأكثرهم لا يستجيبون للحق إلا بقدر ما يتوافق مع أهوائهم وشهواتهم، فهل نتخذ هذا معياراً في دعوتنا ؟ فنبادر إلى التنازل والمداهنة عن مبادئنا لنرضيهم ؟!

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة، وعلينا أن نرجع إلى سيرته لنقف على طريقته في التعامل مع الناس، وكيف كان يعرض الإسلام كاملاً غير ناقص، واضحاً غير غامض، قوياً غير ضعيف، لا يخفي عليهم شيئاً خوفاً من عدم استجابتهم له، ولنا في سورة عبس خير عبرة وخير مثل في هذا المجال.

الحكام المرتدون

يودون لو ندهن، فنترك دعوة التوحيد، وندعو إلى تعدد الآلهة في التشريع والحكم والاتباع، وهذا هو دين الملك الذي ذكره الله تعالى في كتابه ﴿ **وَكَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ** ﴾[يوسف]. وهذا من شأنه أن يترك لهم المجال مناسباً للمزيد من الغي والفساد، واستعباد الناس دون حسيب ولا رقيب.

يريدوننا أن ندهن بترك عقيدة الولاء والبراء وحذفها من قاموس دعوتنا، فلا نعادي أعداء الله بل نواليهم، ونوالي قوانينهم وأعرافهم، ويُطلب منا أن نعادي المجاهدين الصادقين ونتبرأ منهم ومن مناهجهم.

يريدوننا أن ندهن بترك الجهاد في سبيل الله وحذفه من قاموس الوسائل التي ينبغي استعمالها لتحقيق الغايات والأهداف الشرعية، وعلى رأسها التمكين لدين الله في الأرض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتحقيق العبودية لله عز وجل بتعبيد الناس لربهم. ويريدوننا أن نسمي الجهاد إرهاباً وعنفاً ينبغي محاربته، والبراءة من كل المجاهدين وتسميتهم بالإرهابيين أو المتطرفين.

يريدوننا أن ندهن بعدم الكفر بالقوانين الوضعية الكفرية، بل بتزكيتها وتبنيها واعتبارها مرجعاً وحكماً بيننا وبينهم، في الحكم وفي كل تعاملاتنا، ونشارك معهم في سنِّها وتقنينها وتطبيقها.

فنحن – كما هو معلوم – نريد أن نغير هذا الواقع من جذوره، ولا نريد أن نكتفي بالإصلاحات الطفيفة التي تبقي على الأصل والجوهر، كأن نرقّع هذا الواقع ببعض التغييرات القشرية والسطحية كما يفعل الكثير من المحسوبين على الحركة الإسلامية المعاصرة، والذين دوختهم وخدَّرهم لعبة الديموقراطية ورضوا بأن يكونوا مع المرتدين والعلمانيين تحت قبة البرلمانات التشريعية، من أجل خدمة البلاد – زعموا –، ففرّطوا في أهم أصل من أصول ديننا ألا وهو التشريع.

إننا نريد أن نتميز بمنهجنا، ولا يمكن أن نلتقي مع هذا الواقع الجاهلي الفاسد بأي حال من الأحوال، لأننا على مفترق الطرق، طريقان متعاكسان، كما هو شأن الحق والباطل، لا يمكن أن يلتقيا أبداً، فإما منهجنا الشرعي القويم الذي يستمد قوته من الرحمن وإما منهج الفساد والطغيان الذي يستمد شرعيته من الشيطان .

في مقابل هذه المداهنة من جهتنا، يدهن هؤلاء المرتدون بأن يتركوا لنا بعض الحرية في الدعوة إلى ما يناسب قوانينهم ولا يتعارض معها، فندعو إلى تعدد الآلهة المدعاة، في الحكم والتشريع، بدلاً من دعوة التوحيد.

ويدهنون بمنحنا الرخصة الرسمية للمشاركة في اللعبة السياسية – إلى جانب الأحزاب المرتدة وبعض الفرق البدعية الضالة – للمساهمة في عملية تعطيل حكم الله وتشريع ما لم يأذن به الله والحكم بغير ما أنزل الله، وهي ثلاثية إبليسية، كل واحدة منها تكفي للخروج من دائرة الدين ومن ملة الإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا فيما يخص التعامل مع سائر هذه الفئات، عوامهم وخواصهم، يودون لو ندهن فيدهنون، والحرب ما زالت مستمرة وقائمة، كر وفر، تربص وتحين للفرص من كل الأطراف، ليغفل غريمه عن ثغرة من ثغرات المعركة، فيدخل منها إلى عقر دار غريمه.

وإن من أكبر الثغرات التي ينبغي على المؤمنين التنبه والحرص على عدم الإتيان من قبلها، هو المداهنة في الحق، والانصياع للباطل، مهما حاول الشيطان أن يضخِّم من قيمة بعض المكتسبات الموهومة، لأنها ستنقلب في الدنيا سراب وأوهام، وفي الآخرة ندامة وآلام. نعوذ بالله من الخذلان ومن خزي الشيطان.

[وكتبه الفقير إلى عفو ربه ورحمته: أبو سعد العاملي]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُم فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ

بسم الله الرحمن الرحيم، والعقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي الكبير القائل، مخاطباً أعداءه وأعداء عباده المؤمنين، ﴿ **وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينْ** ﴾ [الأنفال ٢٩]، والقائل مخاطباً عباده المؤمنين المجاهدين، ﴿ **كَمْ مِنَ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِين** ﴾ [البقرة ٢٤٧].

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين، القائل: "**نصرت بالرعب مسافة شهر**" وعلى آله وصحبه الأخيار الصابرين وعلى جميع أولياء الله الصالحين حتى يوم الدين، وبعد

من سنن الله عز وجل الثابتة في الدعوات أن جعل النصر والتمكين مقرونا بتوفير الشروط أو العوامل المعنوية قبل المادية ﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ ونصر الله يتجلى أساساً في التمسك بمنهجه ومن منهجه سبحانه أن يبحث العبد عن أسباب النصر والقوة والغلبة لتحقيقها في الواقع.

كما أن النصر المادي الظاهري يتحقق على أيدي القلة المؤمنة في مقابل الكثرة الكافرة، والناظر إلى سير الأنبياء والمرسلين يلمس هذه الحقيقة جلية ناصعة منذ أن بعث الله أول رسول على وجه الأرض – سيدنا نوح عليه السلام – وصولاً إلى خاتم المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وانتهاء بكل فئة مؤمنة قائمة على أمر الله حتى قيام الساعة.

جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: (**يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرهط ويأتي النبي ومعه رجلان ويأتي النبي ومعه رجل ويأتي النبي وليس معه أحد**)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا ينبغي الوقوف جلياً عند معاني هذا الحديث. فظاهره يوحي بأن الكثير من الأنبياء لم يستطيعوا استقطاب الأتباع حول دعوتهم أو أنهم لم ينجحوا في إيصال هذه الدعوة باللغة التي يفهمها الناس هذا هو ظاهر الأمر بينما الحقيقة غير ذلك، فحاشى للمؤمن أن يذهب به الظن هذا المنحى فيمن اختارهم الله عز وجل ليكونوا مصابيح هدى ومثلاً أعلى بل وحجة علينا أو لنا – حسب الموقف الذي سنتخذه من دعواتهم–

الحقيقة التي يغفل عنها الكثيرون هي أن هؤلاء الأنبياء ومن معهم قد جسّدوا تعاليم دعوتهم في أنفسهم أولاً ثم في محيطهم ثانياً وكان هذا في حد ذاته كافياً ليتحقق النصر بإذن الله حتى وإن لم يحققوا النصاب المادي في محيط صراعهم ﴿ **وَما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ الله، إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم** ﴾ [الأنفال ١٠]. فكان الله سبحانه وتعالى يأمر السنن الكونية وجنوده الأخفياء لتحقيق هذا النصر من حيث لا يدري خصوم الحق ويأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا. بل في أغلب الأحيان يأتي هذا النصر حينما يظن أهل الباطل أنهم قادرون ولن يُغلبوا بسبب كثرة عددهم وقوة عتادهم، وفي الوقت الذي يظن فيه أهل الحق أنهم منهزمون لا محالة وأن لا أمل في النجاة وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونْ** ﴾ [الأنفال ٦٠] وقوله: ﴿ **ذلِكُمْ وأنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الكَافِرِين إنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ وَإنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِين** ﴾ [الأنفال ٢٩]، وفي حق المؤمنين يقول رب العزة: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا، جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنْجِي مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِين... الآية** ﴾.

نود في هذا المقام أن نقف على حادثين من السيرة النبوية من أهم ما يبرز هذه الحقيقة السالفة الذكر، وهما غزوة بدر الكبرى وغزوة حنين.

قبل وقوع غزوة بدر، أنزل الله سبحانه وتعالى آيات فرض القتال والإذن به ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون، يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالُ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِيه، قُلْ قِتَالُ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرُ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة ٢١٤-٢١٥] وقد جاء ذلك بعد سرية عبد الله بن جحش، وكانت تعبئة للنفوس للمعركة الحاسمة مع قريش. فوضعت هذه الآيات نفوس العصبة المجاهدة من المهاجرين والأنصار في تعبئة كاملة، كما أن آيات أصحاب طالوت رفعت المد الشعوري للمواجهة، وبينت كيف ينصر الله تعالى القلة على الكثرة، ﴿ **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينْ** ﴾ [البقرة ٢٤٧].

لم نجد في استعداد المسلمين ما يشير– من قريب أو بعيد – إلى أن النصر سيكون في جانبهم فقوتهم ليست مناظرة لقوة قريش، وعددهم ليس بمتكافئ مع عدد قريش بل كانت قريش في مركز الثقل كذلك. وزين لها النصر غرورها وخيلاؤها، وما تتمتع به من استعداد وطول.

أما المسلمون فقد هُدوا إلى الترفع عن المادة، وتفريغ القلب من الحطام، ووُجِّهوا إلى الثقة بالله، والتعلق به في إخلاص وتجرد.

وقد خرج النبي ﷺ من العريش الذي نصب له يتفقد جيشه بنفسه، وينظم صفه ويقوي من رباطة جأشه، ويشد بروحه من عزمه، ويسدي إليه النصح، ثم هو يخطب فيهم محرضاً على القتال والاستشهاد في سبيل الله، ويبشرهم بالجنة فيقول: (**لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**).

وتقع الكلمات النبوية في النفوس موقعها الملائم، فيتعجل بعض الصحابة الموت، حتى ما ينتظر تناول تمرات وهي في يده، فيهرع إلى الموت يقاتل بغير زاد حتى يقتل.

ويدلف النبي عليه الصلاة والسلام إلى عريشه يدعو الله، ويلح في الطلب، ويبالغ في الابتهال والتضرع.. لقد صدق المؤمنون ربهم في الجهاد، وأخلصوا له بقلوبهم، فهيأ لهم أسباب النصر المادية والمعنوية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١) وعدهم إحدى الطائفتين: العير الذي أرادوه، أو النصر الذي أراده الله لهم.

٢) غشاهم النعاس حتى أمنوا واطمأنوا، وشاعت الثقة في جوانب أنفسهم.

٣) أرى الله نبيه في نومه قلة عدد عدوه ليشد من عزمه ويقوي قلبه.

٤) أنزل الله عليهم الماء من السماء، فتلبد الرمل تحت أقدامهم، وصلح تنعلهم فوقه في رفق ويسر، وثبتوا في مواقعهم، ولكن توحل موقع المشركين، فتخوضوا بالوحل وساءت حالتهم.

٥) أراهم العدو قليلاً حين المواجهة لكيلا يفزعوا، وأرى عدوهم المسلمين قلة، وكانوا كذلك، لكي يسترسل ويتمادى في صلفه وطغيانه وعتوه ﴿ **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً** ﴾ [الأنفال ٤٤].

٦) أرسل جنداً من عنده، تحارب مع المؤمنين تنفث في قلوبهم حرارة اليقين وتغريهم بالهجوم والتقتيل ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ..** ﴾ [الأنفال ١٢-١٣].

وهكذا وثق المسلمون بربهم، وقاتلوا بالإيمان مستبسلين، واستماتوا في طلب الشهادة، وركنت قريش إلى صلفها وغرورها واستنصرت بكبريائها وعزها، وقاتلت في سبيل الشيطان، بين الكؤوس والثغور والمعازف فانهزمت مخلفة وراءها قتلى وأسرى فيهم رؤوسها، وكتب النصر الحاسم للمسلمين، وتمت كلمة ربك ﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد ٧] [صور من الجهاد النبوي في المدينة ص ٦٢-٦٤].

وكان من القدر الرباني أن يقع مهلك طالوت على يد الغلام داود، ومهلك الطاغية فرعون هذه الأمة – أبو جهل – على يد غلامين من المسلمين، وها نحن نرى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التاريخ يعيد نفسه على أرض أفغانستان والشيشان وفلسطين حيث يسقط كبار العسكريين – قتلى أو أسرى – على أيدي مجاهدين لا يقيم لهم هؤلاء الأعداء أي وزن مادي أو دنيوي، ولا يملكون من الألقاب الجاهلية أي رصيد، سوى الدرجات العلا عند الله، التي يستخف بها أعداؤهم ولا يقيمون لها وزناً.

أما في غزوة حنين فقد تجمعت للمسلين كل العناصر المادية لتحقيق النصر والغلبة حيث جاءت مباشرة بعد فتح مكة وهو فتح ونصر عظيم وبعد أن جاءت أغلب القبائل العربية للبيعة والدخول في الإسلام وتكسرت شوكة المشركين في مكة الذين كانوا يعتبرون رأس الرمح للكفر والشرك في جزيرة العرب وكانوا يمثلون العقبة الأساسية والكبرى في دخول الناس في دين الله. فلم يبق حينئذ سوى قبائل هوازن وثقيف ومعهما بعض القبائل الصغيرة التي أعدت العدة لقتال المسلمين ومحاولة السيطرة على الزعامة السياسية والدينية في الجزيرة بعد انكسار شوكة قريش.

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله تعالى: (هذه هي المعركة التي اجتمع فيها للمسلمين – للمرة الأولى- جيش عدته اثنا عشر ألفاً فأعجبتهم كثرتهم، وغفلوا بها عن سبب النصر الأول، فردهم الله بالهزيمة في أول المعركة إليه ثم نصرهم بالقلة المؤمنة التي ثبتت مع رسول الله ﷺ، والتصقت به) اهـ [في ظلال القرآن ص ١٦١٧].

ويضيف فيقول: (إن معركة حنين لتعرض نتائج الانشغال عن الله، والاعتماد عن قوة غير قوته، لتكشف لنا عن حقيقة أخرى ضمنية. حقيقة القوى التي تعتمد عليها كل عقيدة. إن الكثرة العددية ليست بشيء، إنما هي القلة العارفة المتصلة الثابتة المتجردة للعقيدة. وإن الكثرة لتكون أحياناً سبباً في الهزيمة، لأن بعض الداخلين فيها، التائهين في غمارها، ممن لم يدركوا حقيقة العقيدة التي ينساقون في تيارها، تتزلزل أقدامهم وترتجف في ساعة الشدة، فيشيعون الاضطراب والهزيمة في الصفوف، فوق ما تخدع الكثرة أصحابها فتجعلهم يتهاونون في توثيق صلتهم بالله، انشغالاً بهذه الكثرة الظاهرة عن اليقظة لسر النصر في الحياة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد قامت كل عقيدة بالصفوة المختارة، لا بالزبد الذي يذهب جفاء، ولا بالهشيم الذي تذروه الرياح) اهـ [في ظلال القرآن ١٦١٨].

لا تزال هذه السنة قائمة إلى اليوم وحتى تقوم الساعة، فالقلة هي التي تقوم بواجباتها تجاه هذا الدين، وهي التي يحفظ الله بها دينه ومنهجه ليتحقق قوله تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون** ﴾، وكما يقول عليه الصلاة والسلام، عن ثوبان رضي الله عنه يرفعه: (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله**) [الترمذي ٢٢٢٩]، ومن أهم صفاتهم أنهم مقاتلون في سبيل نصرة هذا الحق والحفاظ على بيضته.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه يرفعه: (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**) [أبو داود ٢٤٨٤ وأحمد ٤ /٤٣٧].

بعد هذه المقدمة التمهيدية، نصل الآن إلى بيت القصيد في هذا المقال وهو التطبيق العملي لهذه القاعدة والسنة الربانية في هذا العصر ونقف مع بعض النماذج المعاصرة التي جسدت هذه السنة في أجل صورها فجعلها الله تعالى حجة على الجموع الغفيرة من أمة الإسلام التي تقف في موقع المتفرج وتبخل على هذه الطوائف المنصورة حتى بالدعاء والقليل يقف منها موقف المناصر بالمال والنفس كما هو مطلوب شرعاً وعقلاً.

تعتبر الطائفة المنصورة في أفغانستان أهم هذه الطوائف وذلك بسبب أهمية وثقل المعركة التي تخوضها وكذلك بسبب أهمية وثقل العدو الذي تواجهه، دون أن ننسى الطوائف الأخرى (في كشمير والفلبين وإندونيسيا وإرتريا والجزائر وغيرها) التي تحتاج -كل واحدة منها) إلى مقال مستقل بل إلى بحث مفصل لعلنا نوفيها بعضاً من حقها الملقى على أعناقنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فطائفة الحق في أفغانستان وفقها الله لإقامة دولة الحق، فقدمت للعالم أجمع نموذجاً لدولة الإسلام، وهذه هي الخاصية التي تتميز بها عن بقية طوائف الحق القائمة على أمر الله في هذا الزمان فأحبها من أحبها والتحق بها وساندها وناصرها وأصبحت هذه الإمارة الإسلامية فئة كل مؤمن صادق وملاذاً لكل المجاهدين الشرفاء، وأبغضها من أبغضها فنصَّب لها العداء وشارك في حربها بغضاً لها وخوفاً من أن ينتشر نور الحق الذي تحمله في هذه الأرض فيزيل ظلامهم الدامس ويزهق باطلهم وتنتهي ساعتهم كما انتهت ساعة أسلافهم من قبل.

لقد جمع هؤلاء الصليبيون جموعهم وأتوا بخيلائهم وتصريحاتهم العنترية للقضاء على دولة الإسلام في أفغانستان، وظنوا أن المعركة ستدوم أياماً معدودة ثم ينتهي الأمر وتخلو لهم الساحة لنشر باطلهم والسيطرة على ثروات المسلمين وعقولهم.

فكانت المعركة في أفغانستان بين الكثرة المغرورة بالقوة المادية والعددية من جهة وبين القلة المؤمنة المعتزة بقوة الإيمان وحسن التدبير والتنظيم والتوكل على الله عز وجل والإخلاص له سبحانه، فتحقق لهذه الفئة ما تحقق للفئة الأولى في بدر، حيث لم يستطع عدوهم تحقيق أي هدف من الأهداف التي جاء من أجلها [يراجع في هذا مقالات أخينا أبو عبيدة القرشي؛ "من يهزم من في أفغانستان؟"، و "القاعدة وفن الحرب"].

بينما استطاع المجاهدون أن يحافظوا على راية الجهاد عالية خفاقة على أرض أفغانستان وحية متقدة في قلوب الملايين من المسلمين وعلى رأسهم هذه الطوائف المقاتلة هنا وهناك، ولا زالت الحرب دائرة، ولا زال العدو يحاول ويعاود الكرة ويمنّي نفسه وأولياءه أنه حقق ما جاء من أجله وسوف يحقق بقية النصر الموهوم عما قريب بينما يتكبد في الواقع الفعلي الخسائر تلو الخسائر، وكل يوم يمرُّ عليه وكأنه سنة بأكملها، لا يدري كيف يخرج من هذا المستنقع حيث تحول الصياد إلى فريسة وسقط في الشراك التي أراد أن يوقع فيها تلك العصابة المقاتلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة، و لم يستطع هؤلاء الكفار إلا أن يلحقوا الأذى المادي بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، بينما تلقوا دروساً في التصدي والمقاومة وتلقوا ضربات موجعة في العتاد والأرواح وبالرغم من مشاركة آلياتهم الإعلامية في التعتيم والكذب ومواراة هذه الخسائر، فإن الناس قد علموا ما أصابهم من القرح والهزيمة والذعر، وها هم أولاء يستعدون للخروج من أفغانستان ويوقفون حملاتهم العشوائية تحت ضغط المجاهدين، خاصة بعدما سقط منهم العديد من الأسرى بأيدي الطائفة المنصورة.

ونفس الكلام ينطبق على بقية الطوائف المقاتلة في بقية الجبهات، ففي الشيشان نجد إخواننا المجاهدين قد ابتكروا أساليب جديدة ونوعية في حرب العصابات، تعذر على القوات الروسية فهمها واستيعابها فضلاً عن مقاومتها وإيقافها، فترى العصابات القليلة العدد تحدث الشرخ والقرح والإثخان في أعتى وأقوى الجيوش في العالم، وتحول الجيش المدجج بأحدث الأسلحة إلى مجرد أرانب تصطادها سواعد المجاهدين كل يوم متى وكيف شاءت. وكل يوم يمر يقترب فيه المجاهدون من النصر والتمكين ويتقهقر فيه العدو الغاصب جاراً أذيال الهزيمة تاركاً وراءه قتلى وغنائم تزيد من ضعفه ويتقوى بها المجاهدون على مواصلة طريق الجهاد، ليكون حتف هؤلاء الأعداء بسلاحهم، ويتحقق عليهم قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُون، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون** ﴾ [الأنفال ٣٦].

وفي فلسطين نجد الشباب المجاهد قد صعّد من وتيرة جهاده وطوّر أساليبه، بالرغم من وجود طابور خامس عميل يحرسه ويحاول إيقاف عملياته ضد اليهود، فلجأ المجاهدون إلى العمليات الاستشهادية التي تُعتبر ذروة سنام الجهاد، حيث لم يتمكن العدو ولا عملاؤه من السيطرة على هذا السيل الجارف من الاستشهاديين، تاركين وراءهم العشرات من القتلى والجرحى في صفوف الجيش اليهودي ومستوطنيه، فيتحقق قوله تعالى ﴿ **وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ** ﴾، فمهما ملكوا من سلاح وعتاد وجيوش جرارة من الجند والعملاء، فلن يوقفوا هذه العمليات النوعية، وبها يقترب المجاهدون من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النصر يوماً بعد بعد، إذا أحسنوا تعاملهم مع العملاء من حولهم وعرفوا كيف يميزون صفوفهم، حتى يبقى النصر بأيديهم وتكون كلمة هي العليا وكلمة الذين كفروا – من اليهود والمرتدين – هي السفلى.

هذه بعض النماذج التي أردت أن أقف أمامها، لنذكِّر أنفسنا بهذه الحقيقة الكبرى التي غفلنا عنها وكدنا أن ننساها حقيقة أن القلة المؤمنة الصابرة تنتصر على الكثرة الكافرة المغرورة، وبأن العدة المادية ما هي إلا سلاح ثانوي إلى جانب السلاح الأول وهو العدة الإيمانية ﴿ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِين ﴾.

أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد ؛

لما كان لكل عمل أسبابه ومقدماته، فإن العمل لدين الله تعالى والسعي لتحكيم شرعه ومحاربة أعدائه يحتاج – من باب أولى – إلى مقدمات وشروط اصطلح عليها شرعاً بالإعداد، لقوله تعالى ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال ٦١].

وقد اختلف الكثيرون في كيفية الإعداد، كل على حسب فهمه للتغيير المطلوب، فمن الناس من يرى أن الإعداد ينبغي أن ينحصر في الجانب التربوي وذلك بإخراج أفراد مؤهلين أخلاقياً وسلوكياً، وهذا في زعمهم كاف بإحداث التغيير المطلوب دون اللجوء إلى الأنواع الأخرى من الإعداد.

ومن الناس من يرى أن الإعداد هو معناه الدخول في بعض المؤسسات القائمة أصلاً ومحاولة التغيير من داخلها، حتى يتجنبوا الخسائر المادية والبشرية.

وهناك من يرى أن الإعداد يتجلى فقط في امتلاك الرجال والسلاح لخوض غمار المعارك مع العدو دون السعي إلى إيجاد ما يلزم من مؤسسات تابعة أو مساعدة للجانب العسكري.

وقسم آخر يؤمن بالاكتفاء بالتربية النظرية وانتظار منادي الجهاد، ثم يلتحقوا بالصفوف يومئذ، دون الإعداد العملي لهذا اليوم، وهؤلاء يكذبهم الله تعالى في ادعائهم هذا حيث يقول ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً** ﴾[التوبة].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا تتشعب الآراء والمذاهب حول الإعداد، ولأهمية الموضوع سأحاول الوقوف على بعض الشبهات المطروحة حوله، دون تفصيل الأدلة الشرعية على وجوب الإعداد شرعاً وحتميته واقعاً، لأن البحوث فيه كثيرة تغني وتشفي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

استعجال المواجهة :

قولهم: " أن في ذلك -أي الإعداد- استعجال المواجهة قبل اكتمال العدة، و بالتالي قتل الدعوة في مهدها، بل و لفت نظر الطغاة إلى الدعاة وبالتالي قتلهم وسجنهم وتشريدهم، ومن ثم التضييق على المسلمين، وفي النهاية مسخ أهل الإسلام، والعودة إلى الصفر كما بدأنا، والواقع خير شاهد لمن تأمل."

أقول : إن نقطة الالتقاء بين جميع العقلاء في ساحة العمل الإسلامي، هي ضرورة إعداد القوة اللازمة لإزالة هذه الحكومات المرتدة العفنة التي لا يصلح معها سوى القتال والقوة، والتي يؤيدها العالم الصليبي /الصهيوني بكل ما عوامل البقاء وبكل عناصر القوة، لتواصل عملية المسخ لهذا الدين، وعملية تكبيل طاقات المسلمين وتمييعها لتخدم مصالحهم وتبعدهم عن دينهم عن طريق وسائل الفساد المتوفرة.

فالإعداد يحتاج إلى جمع الجهود ووضعها في المكان المناسب، والمطلوب إعداد محكم شامل، ومنه الإعداد المادي الذي يشكل الجانب الرئيس لمن تأمل واقع هذه الحكومات المرتدة، حيث أنها لا تؤمن بالحوار ولا بالحلول السلمية، كما لا تدع مجالاً لخصومها بنشر الدعوة والتحرك بكل حرية في الساحة، مما يؤكد أن ضرورة امتلاك القوة أو حق القوة هو من أولى الأولويات في عملية الإعداد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما مسألة التضييق على الدعاة وقتلهم أو سجنهم وتشريدهم فهذه أمور يجب أن ينتظرها الدعاة إلى الله في كل حين، وهي علامة من علامات صدق المنهج، وضريبة لابد من أدائها ونحن ندعو أو نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر أو نجاهد في سبيل الله، إنها سنة الدعوات كلها، فالباطل لن يدع أهل الحق في سلام وأمان حتى وإن قرر أهل الحق عدم الهجوم على هذا الباطل ومبادأته بالقتال، فمجرد وجود الحق إلى جانب الباطل هو شيء مزعج له ومن شأنه أن يهيجه على الحق ولا يرتاح ويطمئن حتى يستأصل شأفة هذا الحق.

فالذي يستعجل المواجهة هو الطاغوت وجنوده، خوفاً من وجود الحق إلى جانبه، ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾، فسواء أعددت العدة أم قعدت مع القاعدين، فإن يد الكفر والردة ستطالك وتحاول إخراجك من دينك وفتنتك عن عقيدتك، وهذا منتهى مرامهم.

أما قولهم: بأن ذلك سيقتل الدعوة في مهدها، فهذا خطأ كبير، لأن الدعوة إنما تنتشر وتتجذر في النفوس (سواء نفوس أصحابها أو نفوس المتتبعين) في أيام الشدة والابتلاء والتمحيص، وهذا لا يعني أننا من محبي وعشاق الابتلاء، كلا ولكن لابد مما ليس منه بد، والضربة التي لا تقصم ظهرك لا تزيده إلا قوة، بالإضافة إلى أن ثباتك على هذا الدين – بالرغم من الابتلاءات والحصار والتشريد– من شأنه أن يؤثر في عدوك قبل صديقك ناهيك عن الكثرة التي وقفت في المنطقة الرمادية وأمسكت العصا من الوسط، فلا شك أن ثباتك وصبرك على مبادئك سيكون سبباً للدخول في دين الله أفواجاً، فهذا هو الطريق ولن تجد لسنة تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

أما أولئك المتساقطون في الطريق، فمن الخير ومن مصلحة الدعوة أن يتساقطوا لأنهم ضعفاء ولن يستطيعوا مواصلة المسير، وبالتالي وجودهم في الصفوف مدعاة للهزيمة والضعف، ويعتبر الابتلاء ثم التمحيص خير وسيلة لتصفية الصفوف، بدلاً من تجميع الأصفار، وتحويل التجمع إلى غثاء كغثاء السيل، يضر أكثر مما ينفع، وهذا ما نشاهده اليوم في الساحة، وهو لا يمثل حقيقة التجمع المبدئي الذي ينصر الله به دينه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإعداد يُشعر الأعداء بالخطر ويدفعهم إلى أخذ الحذر :

تلك شبهة أخرى وهي قولهم: "أننا بإعدادنا نُشعر الطاغوت بوجودنا وننبهه إلى أخذ الحذر للبطش بنا".

أقول : اعلم أن عملية الإعداد لا تتم في السراديب، وإنما تتم في واقع، فهناك من الأعمال ما هو داخل في الإعداد لا يمكن أن تقوم بها إلا علناً، ولكن الكثير بل الجزء الأكبر يجب أن يكون سراً، ولا يمكن للعدو أن يعلم به، ولسنا من دعاة الاستعجال أو استفزاز العدو ليقحمنا في معارك جانبية وهامشية لا مصلحة لنا فيها، فيجب علينا أن نعلم متى نخرج للمعركة وفق مقوماتنا ووفق برنامج يتوافق وإعدادنا، هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية والواقعية فأحياناً يصعب عليك تطبيق برنامجك، وتجد نفسك مضطراً إلى اتخاذ بعض المواقف العملية علناً، التي من شأنها أن تكشف أموراً، فالمسيرة لابد أن يكون فيها خسائر، لأن الطريق مفروش بالأشواك والعقبات وليس بالورود.

ومن يظن أنه سيقطع كل أشواط الإعداد دون أن يُعرف أو يتنبه العدو لبعض تحركاته ويكشف بعض مواقعه، فهذا غافل عن سنن الله في الدعوات، وعليه أن يبحث عن عالم آخر يتحرك فيه، وسنن أخرى لدعوته الغريبة.

أما قولهم أننا نحذر الطاغوت وننبهه بأخذ الحذر، فهذا غير صحيح، فالعدو يعلم يقيناً أن أهل الحق الحقيقيين لابد أنهم يعدون العدة لمحاربته، ما عدا أولئك المنهزمين الذين ينتظرون المعجزات، والذين سقطوا في أحضان الأعداء، يلتمسون منهم الرخصة لممارسة العمل السياسي المقنن وفق قوانين الكفر، ويعترفون بشرعية الطغاة، فهؤلاء لا يلتفت إليهم الطاغوت ولا يحسب لهم أي حساب، والواقع شاهد على ما أقول. أما المجاهدون فهم دوماً مرهوبو الجانب من قبل الطواغيت، ويحسبون لهم ألف حساب، وهذا معنى قوله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾، فقضية إعداد العدة لابد أن تحقق هذا الهدف، وهو إرهاب أعداء الله وإرعابهم وتخويفهم، وليس مجرد التخفي والعمل في الظلام المطلق خوفاً من إثارة العدو وتنبيهه كما يظن الكثيرون.

نعم، نحن نريد أن نرعبه ونرهبه، حتى يحسب لنا حساباً، وحتى يعلم الناس أن الإسلام له شوكة، وأن المعركة مع الباطل لابد حاصلة، فينضموا إلى صفوف المجاهدين، وهم بعد في مرحلة الإعداد.

الإعداد يسبب ضرراً للدعوة ويمنع من تكوين القاعدة العريضة :

قولهم: "إن هذا يتسبب في الإضرار بالدعوة عموماً، بل والقضاء على كل محاولة للإصلاح وبالتالي العجز التام عن تكوين القاعدة، كما هو الواقع."

أقول : فأما الإضرار بالدعوة فقد سبق أن تحدثت عنها سابقاً وقلت إن الدعوة تنشط أكثر وبصفة فعالة حينما يكون التجمع في مرحلة الابتلاء والتمحيص وليس العكس، لأن الذي يلتحق بالتجمع حينئذ يعلم يقيناً ما ينتظره في الطريق، وسيخلو التجمع من كل عناصر النفاق والضعف، كما كانت المرحلة المكية بالنسبة لدعوة النبي ﷺ، حيث لم يكن هناك نفاق ولا منافقون.

أما تكوين القاعدة، وهي القاعدة الصلبة التي ستتحمل البناء فيما بعد، فهي الأخرى لا يمكن أن تتم وتتأسس إلا في مدرسة التمحيص والابتلاء ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون** ﴾[العنكبوت ١] ، أما بناء القواعد في الرخاء وسعة الأمر فينتج عنه البناء الغثائي كما هو واقع حالنا اليوم، حيث أن الأعداد هائلة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن الإنتاج ضعيف إن لم أقل منعدم، إلا لدى التجمعات التي توجد في مراحل الابتلاء والتمحيص والمواجهة مع العدو.

وخير شاهد على هذا هو واقع الحركات الإسلامية المتباين، فقارن على سبيل المثال ما تعيشه كل الحركات المتواجدة في الساحة والتي تتبنى العمل السياسي وتهرب من التصادم مع السلطات القائمة، بل تعتبر هذا الصدام من المحرمات، قارن واقعها وحالها مع حالة الحركات الجهادية التي تبنت خط الجهاد والصدام مع هذه الأنظمة، لتجد الفارق الكبير بينهما وذلك على مستوى التكوين والعطاء والتقدم لخدمة هذا الدين.

إن القاعدة العريضة الحقيقية لا تنشأ في فراغ أو خلال التربية النظرية، بل وسط ألغام الابتلاء والتمحيص والحركة، فمن الذي يخيف العدو يا ترى؟ ألوف مؤلفة من القاعدين أم عشرات من المتحركين؟ انظروا إلى واقعنا لتدركوا هذه الحقيقة الناصعة، جماعات تُعدُّ بالألوف إن لم أقل بالملايين لا يعبأ لها الطاغوت ولا يأبه لها بسبب منهجها المسالم وطريقتها الموافقة لقوانينه وشرائعه، بينما جماعات الجهاد التي يُعدُّ أفرادها بالعشرات تُسخَّر لها كل الطاقات لتتبع آثارها من أجل حصارها ومحاربتها ليل نهار.

فمن الأقوى ومن الأجدر بالاتباع يا ترى؟

ضرورة الاستفادة من التاريخ :

قولهم: "ينبغي الاستفادة من التاريخ، والنظر لكل حركة كيف نجحت وكيف فشلت، بل النظر قبل ذلك إلى دعوة المصطفى ﷺ في بدايتها، كيف كانت. و النظر إلى حركات اليوم كيف منيت بالفشل الذريع و لم يكتب لها النجاح، وسبب ذلك هو استعجال الثمرة قبل بناء القاعدة، أو فضح الأمر وإعطاء الطاغوت إشارة إلى قدومنا وتخطيطنا."

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول : التاريخ شاهد على عكس ما يقول هؤلاء، فكل الحركات التي مُنيت بالفشل هي التي أخذت بمنطق قوة الحق وحده، وغفلت عن منطق حق القوة، فظنت أنها بامتلاكها هذا الحق ستتمكن من الانتصار وسوف يقدم لها الطاغوت زمام الأمور في طبق من ذهب، فكان العكس، بحيث سُحقت سحقاً، وكان الخطأ يتكرر في كل مرة، والقوم يُلدغون من نفس الجحر.

انظر – إن شئت – إلى الحركات الإسلامية التي تبنّت العمل السياسي في سائر البلاد الإسلامية ماذا جنوا من تمهلهم وانتظار أن تنضج الثمرة وعدم تسرعهم في قطفها؟

لقد جنوا الويلات تلو الويلات، وكانوا سبباً في تأخر الدعوة وتمييعها، وتمكين الطغاة من رقاب أتباعهم وزجهم في السجون أو الذهاب بهم إلى أعواد المشانق، وهم يرددون جهلاً قوله تعالى ﴿ **كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ أو قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾.

والأجدر بنا – ونحن نسرد الأحداث التاريخية – أن نسوق الأمثلة والتجارب الناجحة ونركز عليها، بدلاً من التركيز على التجارب الفاشلة وعلى الأخطاء البشرية لكي نثبط الناس عن التحرك ومعاودة الكرة.

وقلة الإعداد للمعركة هو الذي تسبب في هذه الخسائر والهزائم، ولو أنهم كانوا يمتلكون القوة اللازمة لما حصدوا كل هذا الحصيلة المرة خلال هذه العقود من الزمن.

عدم إثارة العدو :

ومن شبهات القوم الغريبة والعجيبة هو دعوتهم إلى عدم إثارة العدو والتحرش به، وعدم الدعوة للخروج عليه، والتعرض لقضايا الحكم على سبيل العموم لا التخصيص".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول : إنها وسائل بدعية، لم يعمل بها الأولون، ومخالفة لما سلكه الأنبياء والمرسلون، حتى وهم في مرحلة الضعف والحصار وقلة النصير.

كيف نسكت عن إثارة العدو وعدم الدعوة إلى الخروج عليه؟ وهو جوهر الدعوة كلها؟! وهل تقوم دعوة التوحيد في ديننا والعقيدة إلا على نفي وإثبات؟! نفي صفات الألوهية والربوبية عن هؤلاء الطواغيت، وإثباتها لله رب العالمين "لا إله إلا الله"؟!

فهل سكت رسول الله ﷺ والأنبياء من قبله عن سب آلهة أقوامهم، وفضحهم وتحريض الناس على الكفر بهم وبها؟!

هذه هي طريقة بناء القاعدة الصلبة الصحيحة، وليس بالسكوت عن هذه القوانين وعن هؤلاء الطواغيت، لكي لا تتأذى الدعوة كما يزعمون!!

فالدعوة إلى التوحيد الخالص، وإلى عقيدة الولاء والبراء ونشرها بين الناس، هو من الإعداد النظري الحقيقي، وهو عرض حقيقة الأسس والركائز التي يقوم عليها الباطل، والسعي إلى تدميرها ونسفها من الأساس.

ثم ما هذا الخطاب العام الذي يجب أن نسلكه في شرح الآيات والأحاديث؟! أتريدون أن نداهن، أم تراكم تريدون أن نؤمن ببعض الدين ونكفر ببعض حتى لا يترعج هؤلاء الطغاة ويغضبوا فيسدوا علينا أبواب الدعوة، ويسلبونا هذه الحريات في الحركة؟! وكأننا أحرار في ظل هذه الأنظمة المرتدة!!

إن الطغاة المرتدون يضعون لنا حدوداً وسدوداً حتى في ميدان الدعوة، فهم يحددون لك خطوطاً ودوائر لا ينبغي تجاوزها أو الخروج منها، وهو دين الملك كما سماه رب العزة. فكيف يمكننا قبول هذه الشروط لنقزّم ديننا ونشوهه فينطبق علينا قول ربنا عز وجل ﴿ **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِين** ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرينا سبل الإعداد الحقيقية ويجنبنا شبهات الشيطان وسبله التي تثبطنا عن فريضة الإعداد لنصرة دينه وإحياء سنة نبيه

آمين

والحمد لله رب العالمين

[أبو سعد العاملي – مجلة الأنصار العدد ١٥]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الردة والمفهوم المغلوط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لم يكن المسلمون ليصلوا إلى هذا التدني والضعف الصارخ إلا بسبب الانحراف الكبير الذي حصل لديهم على مستوى الرؤية الشرعية، فكثير من المفاهيم صارت مغلوطة في أذهان المسلمين، ما أدى إلى وجود مواقف خاطئة اتجاه الأمور، بل إلى وجود مناهج منحرفة على المستوى النظري والتطبيقي على حد سواء.

فضاعت العقيدة الصحيحة وسط زخم من البدع والانحرافات، كما ضاعت الأمة وسط أعدائها، حيث أنها لم تعد تستطيع التمييز بين العدو والصديق، ولا بين الكافر والمؤمن، ولا بين المنافق والصادق، كل هذا بسبب انتشار مذاهب البدعة بدلاً من مذهب أهل السنة والجماعة.

فلا غرابة أن ترى أن من بين أهم أهداف الإسلام هو التفريق بين سبيل الحق وأهله وبين سبل الباطل وأهله ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِين ﴾ [الأنعام ٥٥]، لكي يعلم المسلمون أين يضعون أقدامهم وهم يتحركون بهذا الدين، ومع من ينبغي التعاون وإعطاء الولاء وعلى من ينبغي إعلان العداء. هذه من أهم المحطات الإيمانية وأخطرها على الإطلاق في عقيدتنا الغراء.

فمفهوم الردة عند المسلمين قد أصابه انحراف كبير، حيث أصبح المرتد عند الغالبية شيء مستحيل الحدوث، ذلك أن عقيدة الإرجاء المترسخة في النفوس والعقول، تأبى أن نتصور مسلماً يخرج من دينه بسبب اقترافه بعض الأعمال الكفرية، فالردة أبعد منا بُعد السماء عن الأرض، فالمسلم يبقى مسلماً حتى وإن قال أو عمل ما هو كفر ألف مرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في اليوم والليلة، حيث حصرنا مفهوم الكفر أو الردة في الجحود أو الاستحلال، وليس في القول والعمل كما هو مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

حكم الردة أغلظ من حكم الكفر الأصلي:

بسبب خطورة الردة والمرتد على ديننا، نجد أن الشارع الحكيم قد أغلظ العقوبة للمرتد، بخلاف الكافر الأصلي، فالمرتد يُقتل في كل حال ولا يُدفن في مقابر المسلمين ولا يُصلى عليه ولا يُورَّث، كما تسبى نساء وذراري المرتدين المحاربين للمسلمين، ويجهز على جريحهم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وكفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) [مجموع الفتاوى، ٢٨/٤٧٨].

وقال كذلك: (وقد استقرّت السنّة بأنّ عقوبة المرتدّ أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعدّدة، منها أنّ المرتدّ يُقتل بكلّ حال ولا يُضرب عليه جزية، ولا تُعقَد له ذمّة، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنّه لا يُقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أنّ المرتدّ يُقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد، ومنها أنّ المرتدّ لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي إلى غير ذلك من الأحكام) [مجموع الفتاوى، ٢٨/٥٣٤].

بل إنّهم رأوا في المرتدّ أن لا يُدفن: قال إسحق بن منصور: (قلت لأحمد: المرتدّ إذا قُتل ما يُصنع بجيفته؟ قال: يُقال: يُترك حيث ضُرب عنقه كأنّما كان ذاك المكان قبره. يُعجبني هذا) [السابق، فقرة ١٣٠١].

وقال ابن تيمية: (والصدّيق رضي الله عنه وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدّين قبل جهاد الكفّار من أهل الكتاب، فإنّ جهاد هؤلاء حفظ لما فُتح من بلاد المسلمين وأن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدخل فيه من أراد الخروج عنه، وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين، وحفظ رأس المال مقدّم على الربح) [مجموع الفتاوى، ٣٥/١٥٨-١٥٩].

فالتعامل الشرعي مع المرتدين هو القتل والقتال، بينما ينبغي دعوة الكافر الأصلي إلى الإسلام وعرض الجزية عليه، قبل الإقدام على عملية القتال في المطاف الأخير.

هذا هو الحكم الشرعي المنسي فيما يخص المرتد، والذي حلَّ محله الحكم الوضعي الذي يساوي بين المسلم والمرتد، بل تراه يعظِّم المرتد ويعلي من شأنه ويقلِّده المناصب الكبرى والحساسة في الحكم والتسيير.

العلاقة التاريخية بين المرتدين والمحتلين:

لا شك أن من أعظم أسباب كفر هؤلاء المرتدين بعد تركهم لحكم الله تعالى واستبداله بحكم الطاغوت وعدم اتباعهم لشرع الله جملة وتفصيلاً، هو موالاتهم للكفار الأصليين وتبعيتهم لهم حذو القذة بالقذة، بالإضافة إلى الخضوع التام لأوامرهم وقوانينهم الكفرية.

فهذه العلاقة المحرمة نشأت منذ فجر ما يسمى كذباً وزوراً ب"استقلال بلداننا" أو ما اصطلح على تسميته "بحروب التحرير"، فالمحتل الصليبي ما استطاع أن يتمكن من بلداننا إلا بفضل التعاون المتين لهؤلاء المرتدين، حيث رضعوا من لبن ثقافته حتى الثمالة، وخضعوا لعملية تربية دقيقة في بلدان الكفر أو في بلداننا على أيدي الخبراء الصليبيين واليهود، لكي يقوموا بأدوار طلائعية في الحفاظ على مصالح أعدائنا، مقابل الفوز بمناصب الحكم.

لقد قامت نخبة الردة في بلداننا بخداع الشعوب - أثناء ما يسمى بحرب التحرير - فتسلقوا على جهاد الشعوب الغافلة، واستغلوا دماءها وتضحياتها، ليقطفوا ثمرة جهادها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرير، ويجعلوا من جماجم وأشلاء الآلاف من الشهداء سلماً للوصول إلى مناصب الحكم، وقد ساعدهم على ذلك أعداؤنا، بالتمكين لهم وتصويرهم للشعوب على أنهم أبطال وقيادات لهذا الجهاد. فخرج المحتل من الباب ليدخل هؤلاء المرتدون من ألف نافذة، وليتمكنوا من خيرات البلاد ورقاب العباد، كما لو كان المحتل موجوداً حالاً وفعلاً.

لقد تربى هؤلاء المرتدون على موائد الكفار من صليبيين ويهود، ليقوموا بدور الخلفاء لهؤلاء، فقاموا بهذا الدور الخبيث خير قيام، فجمعوا ثروات شعوبنا وخيرات بلداننا - تحت مسميات عدة وعبر وسائل مختلفة - ليقدموها في أطباق من ذهب لأعدائنا أو يدَّخروها في بنوكهم ليتم استغلالها هناك بعيداً عن أصحابها الحقيقيين، كما ساهموا في ترويج ثقافة الفساد والكفر والفسوق في بلداننا تحت مسمى الانفتاح والتبادل الثقافي، وهو في حقيقة الأمر احتلال جديد للعقول، وهدم للعقيدة والقيم.

ما حاربوا - بأيديهم وأفواههم - كل من يدعو الأمة إلى دينها من المصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فطاردوهم أو هجَّروهم أو سجنوهم أو قتلوهم، بعدما أدركوا خطرهم على مصائرهم ومخططاتهم الشيطانية.

ولقد تعاونوا مع أعدائنا في هذا المجال تعاوناً وثيقاً ولا يزالون، فسعوا إلى ما أسموه بتجفيف منابع الإصلاح والتضييق على الدعاة والمصلحين، بينما فتحوا أبواب الإفساد على مصراعيها لكل المفسدين لتنفيذ مهامهم وقدَّموا لهم كل الوسائل اللازمة لنشر مذاهبهم الهدامة.

إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا عن هذه العلاقة الجدلية والوطيدة بين الكفار الأصليين وهؤلاء المرتدين في قوله ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾، بل إن هؤلاء المرتدين لديهم درجة أعلى في الكفر، يستحقون بسببها أشد أنواع العذاب في الدنيا والآخرة، ومن لم يفهم هذه العلاقة وهذه الحقيقة ويدركها فلا زال في ضلال مبين، ولا يزال بحاجة إلى إعادة الفهم لدينه على ضوء فهم السلف الصالح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المفهوم المغلوط وتأثيره على العمل الإسلامي:

بسبب خلل في عقيدتها، وانتشار عقيدة غلاة المرجئة في مسمى الإيمان والكفر، اعتبرت شعوبنا هذه الفئات المرتدة، فئات مسلمة بمجرد نطقها بالشهادتين أو في أغلب الأحيان بمجرد شهادة الميلاد، وهذه هي الطامة الكبرى، فمكنتها من الوصول إلى مناصب الحكم والقرار والتوجيه وما زالت هذه العقيدة منتشرة ومستشرية في الكثير من النفوس، بل ما زالت هي التي تطغى على مناهج وبرامج العمل لدى الكثير من الحركات الإسلامية في الساحة.

فمنذ فجر ما يسمى بالصحوة الإسلامية، والساحة تعرف هذا النوع من الفرق الإسلامية، التي تعتقد أن الإيمان هو مجرد النطق بالشهادتين أو هو عبارة عن اعتقاد محض، لا علاقة له بالعمل البتة.

مما أدى إلى اختلاط المؤمن بالكافر، والصادق بالمنافق، والعدو بالولي، فصار الجميع مسلماً ينبغي التعاون معه، لمصلحة البلاد والعباد، وصار الجميع صديقاً ووليّاً ولا وجود لشيء يسمى البراء والعداء، ولا داعي لما يسمى بالجهاد، خاصة جهاد الطلب للتمكين لدين الله تعالى، فالجهاد أصبح للدفع ونُسخ جهاد الطلب، بل إننا وجدنا من أوقف حتى جهاد الدفع بدعوى أن الإسلام دين السلام والتسامح، ويحرص على دماء الأبرياء.

أما الكفار، فيعتبرهم هؤلاء أصدقاء، بل إنهم أهل كتاب ينبغي التعامل معهم بالتي هي أحسن، و لم لا، اعتبارهم إخوة لنا في الدين ينبغي التعاون معهم وفتح أبواب الحوار فيما بيننا، وتسمية ذلك بحوار الأديان أو حوار الحضارات بدلاً من تصادمها.

أما على المستوى الداخلي، وبخاصة التعامل مع الفئات الحاكمة في بلداننا، فإن الطامة أكبر، والمصيبة أعظم، حيث أننا نرى فقهاً جديداً يسمى بفقه المصالح المرسلة أو كما يعبرون عنه بقولهم المشهور "حيثما كانت مصلحة فثم دين الله"، بمعنى أن الدين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينبغي أن يدور مع مصالح القوم، وليس العكس، وكل ما يتعارض مع هذه المصالح فليس من دين الله تعالى في اعتقادهم.

هذه هي القاعدة البدعية الجديدة التي بنو عليها فقهاً عريضاً وطويلاً، ما شهدنا مثله من قبل في سلفنا.

الشيء الذي انبثق عنه نتائج وخيمة وغريبة، مفادها أن الحاكم - بالرغم من ردته - يعتبر ولي الأمر الشرعي ينبغي الخضوع له واتباع أوامره ومبايعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره.

وفي أسوأ حالات التعامل مع هؤلاء الحكام، فإنه لا يجوز الخروج عليه أو اعتباره كافراً مرتداً، بل أقصى ما يستطيعون وصفهم به، هو الظلم أو الانحراف، والصبر على أذاهم حتى لو جلدوا ظهورهم أو أخذوا أموالهم.

ألا ترون ذلك في كل بلداننا، بدءاً من بلاد المشرق العربي، وبخاصة بلاد الحجاز وبلاد الشام و في بلاد المغرب العربي، ثم في بلدان آسيا المسلمة خاصة جنوب شرقي آسيا، حيث انتشرت عقيدة غلاة المرجئة في مسمى الإيمان والكفر، فسارعت هذه الطوائف والفرق للدخول في دين الحكام أفواجاً، فشاركوهم طقوسهم السياسية، فدخلوا في لعبة الانتخابات أو ما يسمى باللعبة الديموقراطية، وساهموا مع بقية الأحزاب المرتدة - طوعاً لا كرهاً - في تزيين صورة الأنظمة الحاكمة، بل إن من هذه الطوائف المبتدعة من قدَّم ولاءه وشارك مباشرة في هذه الحكومات، بحجة الإصلاح وجمع ذات البين وتوحيد كلمة المسلمين ومحاربة التشدد والتطرف.

لقد ابتلينا بهكذا جماعات، انحراف في العقيدة وانحراف في التطبيق، وقلب للموازين والمفاهيم الصحيحة اتجاه أعدى وأخطر فئة على الدين، ألا وهي فئة الردة والنفاق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا يمكننا والحالة هذه، أن نتعامل مع هذه الطوائف إلا بمزيد من الحذر، واعتبارها أنصاراً مباشرين لهؤلاء المرتدين، وسياجهم الذي يتحصنون به في مواجهة جماعات الجهاد أو ما يسمونه بالجماعات الإرهابية.

لقد التقت مصالحهم على محاربة الجهاد والمجاهدين وكل من يحرض عليه من الدعاة والعلماء والمصلحين، وساهموا جميعاً في نشر دينهم الجديد، المبني على ما يسمى بتحقيق المصالح المرسلة، والحرص على إرضاء العباد على حساب إسخاط رب العباد، والحرص على إتباع الظن و إرضاء الهوى بدلاً من اتباع الحق وإرضاء الرب.

لقد أصبحت مهمة جماعات الجهاد صعبة ومتشعبة، حيث لابد من مواجهة هذه الطوائف وإزالتها من الطريق، وهدم أصنامها المتمثلة في هذه المفاهيم المغلوطة اتجاه الكثير من المصطلحات والمسائل الشرعية.

لن تكون بالمهمة الصعبة على عصابات الحق والجهاد، فالزبد يذهب جفاء وحده وبلا جهد يُذكر، بفضل توفيق الله تعالى وإرادته بإحقاق الحق ولو كره المجرمون والكافرون والمشركون ﴿ **وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُون** ﴾ [الأعراف]، ثم بفضل العزيمة الكبيرة التي يتمتع بها هؤلاء المؤمنون.

فكل المؤشرات الحالية تبشر ببداية النهاية لهذه الطوائف البدعية، وبقرب زوال هذه المفاهيم المغلوطة من عقول الناس، حيث أن المفاهيم الشرعية قد بدأت تكتسح الساحة وتنتشر في أوساط العمل الإسلامي، وأخذت جماعات الجهاد مواقع متقدمة في مواجهة أعداء الأمة، من كفار أصليين ومرتدين ومنافقين، وأصبحت هذه الجماعات بمثابة رأس الحربة في حربنا الطويلة الأمد مع الأعداء، فلم يعد هناك مكان لمثل هؤلاء المبتدعة في مواصلة حضورهم على الساحة من أجل التأثير على مجريات الأمور، فمكانهم هو المؤخرة والقعود مع القاعدين، في انتظار قطف الثمرة بجهد بسيط، ومحاولة الركوب على موجة الجهاد المبارك كما فعلت الفئات الحاكمة مع جهاد أجدادنا في مواجهة المحتل بالأمس القريب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لن تتكرر التجربة بإذن الله، وسوف يعرف المجاهدون هذه المرة كيف يقطفون ثمرة جهادهم بأيديهم، فلم يعودوا قاصرين سياسياً - كما كان حال أجدادنا وآبائنا عقب ما يسمى بالاستقلال الصوري - بل إن جيل الجهاد اليوم، يتمتع بوعي رفيع وفهم سليم وفقه رشيد، يمكِّنهم من قيادة البشرية جمعاء، فضلاً عن قيادة دولة أو قطر من أقطار عالمنا الإسلامي الفسيح.

وخير دليل على ما نقول، هو هذه الصور من التحدي الصارخ، وهذه الملامح الجهادية المباركة في مواجهة العالم أجمع، وعجز الأعداء عن تفادي هذه الضربات الجهادية فضلاً عن القضاء على هذه الجماعات المباركة.

لقد انتهى عهد البدعة وحل محله عهد السنة، وسوف نرى قريباً تحقيق وعد الله لعباده ولدينه بالتمكين، ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾.

[أبو سعد العاملي– مجلة الانصار / ١ شوال ١٤٢٣]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واتقوا فتنة

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه** ﴾، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين الذي جاء ابتلاءً للناس، قال تعالى في الحديث القدسي: "**إنّي مبتليك ومُبتلٍ بك**" [رواه مسلم]، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وبعد

كثيرة هي المصطلحات التي تعرضت لعمليات تشويه وتمييع، من أجل تقديم إسلام مزيف، موافق لأهواء الطغاة، لإبعاد الناس عن الدين الصحيح وزرع ثقافة اللامبالاة والهروب من الواجبات الشرعية، فسموا الربا فائدة والزنا فناً والاختلاط تفتحاً والجهاد إرهاباً والعفة تخلفاً وكبتاً، وما تركوا باباً للشر والمنكر إلا وفتحوه، ولا باباً للخير والمعروف إلا وأغلقوه.

وابتعد الناس عن المفاهيم الصحيحة لدينهم وسقطوا في أحضان دين الملك وشربوا منه حتى ارتووا وغابت الكثير من هذه المفاهيم وحل محلها مفاهيم عرجاء مشوهة أصبحت هي النوافذ التي يرى منها الناس ويفهمون دينهم، وحقق الأعداء ما خططوا له، حيث سار الناس مجرد أتباع لرهبان السلاطين وسدنتهم، وتحقق قول الله تعالى على لسان فرعون ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد** ﴾[غافر].

من هذه المصطلحات والمفاهيم المغلوطة، تبرز كلمة الفتنة، ونظراً لأهميتها على دين العباد، خاصة في هذه الفترة الحرجة من عمر الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، آثرنا تخصيص هذا المقال لبيان المفهوم الحقيقي لهذا المصطلح، وفق الرؤية القرآنية.

الفتنة أكبر من القتل: اختلف الناس في مفهوم الفتنة اختلافاً كبيراً، نتج عن ذلك وجود مناهج متباينة في التعامل مع النصوص التي تتحدث عن الفتنة في الدين، ففرقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعتقدت أن الفتنة في الأموال والأولاد وملذات الدنيا هي كالفتنة في الدين سواء، وعليه فإنه يجوز التضحية بالعقيدة في سبيل الحفاظ على المصالح الدنيوية وعززوا اعتقادهم هذا بكثير من النصوص الشرعية كقوله تعالى ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ وقوله عز من قائل ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ أو قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ غيرها من الآيات.

وفرقة اعتقدت أن الابتلاء في سبيل الدين يعتبر فتنة يجب تفاديها واعتبروها ظاهرة سلبية وعلامة من علامات النقص أو الانحراف عن النهج الصحيح المراد اتباعه من قبل الدعاة، كالموقف الذي وقفته بنو إسرائيل اتجاه موسى حينما اشتد عليهم بلاء فرعون وجنوده فقالوا مخاطبين موسى عليه السلام ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾، وكما هو موقف المنافقين وضعاف النفوس مع أنبيائهم وقادهم على مر العصور، ونذكر موقف المنافقين مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ﴿ اِئْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي، أَلاَّ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾، حيث يتهمون القيادة بالنقص وسوء التصرف أو التسرع والاستعجال في قطف الثمرة، وهي الأسباب التي يعتقدون أنها تجلب لهم الابتلاء والفتنة.

ولكي نقف عند المفهوم الحقيقي للفتنة، لابد من الرجوع إلى النصوص القرآنية التي نزلت لتعرّف هذا المصطلح وتصحح المفاهيم الخاطئة حولها، ونحن نعيش فترة شبيهة بما كان يعيشه الصحابة الكرام في مرحلة الإعداد والدعوة وسط حصار الكفار وتحالفاتهم.

يقول تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يقول ابن كثير – رحمه الله – : (أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله ﴿ أكبر عند الله ﴾ من قتل من قتلتم منهم ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء في ظلال القرآن – في تفسير هذه الآيات – ما يلي: "هؤلاء طغاة بغاة معتدون، لا يقيمون للمقدسات وزناً ولا يتحرجون أمام الحرمات، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق ودين وعقيدة، يقفون دون الحق فيصدون الناس عنه، ويفتنون المؤمنين ويؤذونهم أشد الإيذاء، ويخرجونهم من البلد الحرام الذي يأمن فيه كل حي حتى الهوام، ثم بعد ذلك كله يتسترون وراء الشهر الحرام، ويقيمون الدنيا ويقعدونها باسم الحرمات والمقدسات ويرفعون أصواتهم، انظروا ها هو ذا محمد ومن معه ينتهكون حرمة الشهر الحرام، فكيف يواجههم الإسلام؟ يواجههم بحلول مثالية طائرة؟ إنه إن يفعل يجرد المسلمين الأخيار من السلاح، بينما خصومهم البغاة الأشرار يستخدمون كل سلاح، ولا يتورعون عن سلاح، إن الإسلام لا يصنع هذا، لأنه يريد مواجهة الواقع لدفعه ورفعه، يريد أن يزيل البغي والشر، وأن يقلّم أظافر الباطل والضلال ويريد أن يسلم الأرض للقوة الخيرة، ويسلم القيادة للجماعة الطيبة.. إن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات، ويشدد في هذا المبدأ، ويصونه ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات، ويؤذون الطيبين ويقتلون الصالحين ويفتنون المؤمنين ويرتكبون كل منكر وهم في منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التي يجب أن تصان.

إن الإسلام يدفع الجماعة المسلمة إلى الضرب على أيدي الظالمين، وإلى قتالهم وقتلهم وإلى تطهير جو الحياة منهم، هكذا جهرة وفي وضح النهار" انتهى (في ظلال القرآن).

أقول: في هذا المقام يجدر بنا أن نقف لتسجيل ملاحظة على واقع المسلمين اليوم، إذ نرى تشابهاً كبيراً بين واقع الجماعة المسلمة الأولى في عهد النبي ﷺ، وبين واقع كل جماعة إسلامية ربانية معاصرة، على الأقل في هذه النقطة بالذات، فالحكومات الطاغوتية تشن حرباً لا هوادة فيها على المؤمنين، الذين خرجوا على شرعة الحكام المرتدين، وشقوا عصا الطاعة عليهم، ويستعملون كل الأساليب البشعة التي لا تخطر على بال إنسان، وتتمزق القلوب رعباً وخوفاً وهلعاً بمجرد ذكرها فضلاً عن تحملها. هذا بالإضافة إلى انتهاكهم المستمر للحرمات الآمنة والأعراض الطاهرة ومداهمتهم للبيوت في وضح النهار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وآناء الليل لاعتقال المجاهدين وعائلاتهم لا لشيء إلا أن يقولوا ربنا الله ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد ﴾ ثم قطع الأرزاق عنهم بطردهم من وظائفهم أو الاستيلاء على أموالهم وتجارتهم، وكل هذا يتم تحت غطاءات قانونية ظالمة، كأن يتهموا هؤلاء المؤمنين بالإرهاب وإرعاب الناس والاعتداء على أمن ومؤسسات الدولة.

هذه هي الفتنة الحقيقية التي ينبغي تبليغها للناس، فتنة المسلم عن دينه، ومنعه من ممارسة شعائره وتنفيذ أوامر ربه والانتهاء عن نواهيه.

واتقوا فتنة

أما الشق الثاني من مفهوم الفتنة فهو يتمثل في الابتلاء والمحنة التي تصيب المرء حينما يبتعد عن دينه، ويفرط في واجباته، وقد يأتي إما عقوبة شرعية مباشرة من خالقه ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾، أو قدرية غير مباشرة على أيدي الكافرين حينما يتخلف المسلمون عن أسباب النصر ويستوون مع أعدائهم في المعاصي فيجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، بعكس قوله تعالى في حق المؤمنين الصادقين ﴿ **وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾.

أو حينما يقف المؤمن موقف الحياد واللامبالاة ويترك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفساد المستشري في محيطه، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونْ** ﴾، فكان العذاب نتيجة حتمية لمن ترك هذا الواجب، والنجاة لمن قام به.

وحينما يتخلف الجميع عن أداء هذه الفريضة الواجبة، ويؤثرون السلامة والدعة والراحة، فإن الله تعالى يعم الجميع بعقابه وعذابه ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابْ** ﴾[الأنفال]. فكثير من الناس يظنون أنهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ناجون ما داموا لا يقترفون السيئات حتى وإن اختلطوا بالعصاة فيؤاكلونهم ويجالسونهم ويصاحبونهم، ويخطئون فهم قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ كما أخطأ فهمها بعض الناس في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فصعد المنبر وقال: "أيها الناس: إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**"

ومن هنا نفهم ما أصاب أمتنا من ذل وخزي وصغار، ونقص في الأموال والأنفس والثمرات، وتمكين العدو في أرضنا وخيراتنا وأعراضنا، فكل ما أصابنا هو بسبب تركنا لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والضرب على أيدي الظالمين، وخذلان أهل الحق وعدم نصرة المظلومين، واهتم كل واحد منا بخاصة نفسه، يبحث عن السلامة والراحة، والواقع خير شاهد على ما أقول.

انظروا لقد تركْنا الحكومات المرتدة تعيث في الأرض فساداً، تهدم الدين وتوالي الكافرين وتحارب المجاهدين، ووقفنا موقف الخائف المترقب، أحرص الناس على حياة، منتهى أمانينا أن لا تكون مصيبتنا في دنيانا، أما الدين والعزة والكرامة وأعراض المؤمنين فلا بواكي لهم، ولا يحرك فينا ساكناً. فكانت النتيجة أن خسرنا الدين والدنيا معاً، وحرمنا الله من المتاع الدنيوي الذي آثرناه على الآخرة، فلم نعد نملك سوى الفتات والأنين والحنين إلى الأمس، مصداقاً لقول الشاعر :

رب يوم بكيت فيه فلما *** صرت في غيره بكيت عليه

انظروا إلى ما يحدث في بلدان المسلمين المحتلة من قبل الكفار من نصارى ويهود ووثنيين وهندوس ومرتدين، ماذا فعلنا لإنقاذهم أو نصرتهم، أو على أقل التقادير لتحريض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحض الآخرين على ذلك؟ لاشيء سوى البكاء على الأطلال، والاهتمام بأمورنا الصغيرة التافهة، ونسج الأحلام والأماني، وانتظار المعجزات، فحتى الدعاء الصادق بخلنا به على هؤلاء، فصلواتنا عبارة عن طقوس وحركات جامدة، لا نستحضر فيها الخشوع اللازم ولا الشروط المطلوبة لكي يُقبل فيها دعاءنا، فعمَّتنا الفتنة وشملتنا، فصرنا من الظالمين لأنفسنا وإخواننا وديننا وقيمنا، فحق علينا عذاب ربنا.

انظروا إلى ما حدث ولا يزال يحدث لإخواننا في أفغانستان من إفساد لدينهم وتدمير لعمرانهم وقتل لشعبهم، ماذا فعلنا من أجل نصرتهم - إلا القليل ممن رحم الله - . وانظروا إلى ما فعلته القوات الصليبية في بلاد الرافدين، من تدمير لكل المعالم الإسلامية الأصيلة ، ومحاولة إبادة الشعب السني المسلم واستبداله بطوائف الردة والبدعة ، ولا يزالون يحاولون تحقيق مشروعهم الشيطاني هذا.

وانظروا إلى ما فعله الروس الملحدون في بلاد القوقاز المسلمة، ثم ما فعله اليهود في فلسطين على مرأى ومسمع من العالم أجمع وبمباركة من هذا الأخير، ونحن نقف مشدوهين ومكبلين أمام ما يحدث، غارقين في الفتنة حتى النخاع، فتنة صنعناها بأيدينا حينما تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإعداد لذلك.

وبعد،

ماذا ننتظر يا عباد الله؟ أننتظر أن يخسف الله بنا الأرض كما خسفها بالذين من قبلنا؟ أننتظر أن يضرب الله قلوب بعضنا ببعض أكثر مما نحن عليه اليوم؟ أما من وقفة نراجع فيها انتماءنا لهذا الدين، ونخلص النية ونعاهد الله تعالى على الخروج من هذا المنزلق، ومن هذه الحفرة التي وضعنا أنفسنا فيها، هروباً من الواجبات وتفادياً للتبعات؟ كفى ظلماً لأنفسنا ولديننا ولأمتنا، ولنأخذ على أيدي الظالمين فينا، ولا نتركهم يغرقون السفينة فنكون من الهالكين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفتنة حاضرة ومحيطة بنا من كل جانب، فلا نركن إليها، بل علينـــا أن نتقيهـــا بأعمالنا ونحرص كل الحرص على عدم استمرارها حتى لا تأكل نارها ما تبقى من إيماننا، ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَـــاب** ﴾، وقانا الله وإياكم من غضبه وعقابه، وهدانا للعمل بكتابه وسنة نبيــه، والحمـــد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معرفة الواقع ضرورة حتمية لتغييره ١

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

تعتبر معرفة الشيء شرطا للحكم عليه، أو بعبارة أخرى، نقول إن معرفة الشيء بداية وضرورة حتمية لتغييره، فلابد من معرفة الواقع – معرفة دقيقة وشاملة – قبل التفكير للتحرك فيه، لإصلاحه أو تغييره.

كما أن معرفة الواقع وموقفنا منه، يحدد نوعية الوسائل المتبناة من أجل إحداث هذا التغيير أو الإصلاح. فالذي يؤمن مثلاً بأن الواقع القائم هو واقع إسلامي صالح – بدون دليل شرعي سوى اتباع الظن والهوى–، سواء بنظمه ومؤسساته أو سواء بالشرائح البشرية الفاعلة فيه، فإنه سيسعى للتعاون مع هذا الواقع والمساهمة في دعمه وتقويته، وأقصى ما سيكون برنامج عمله، هو السعي إلى إصلاح بعض الانحرافات الطفيفة التي طرأت على هذه المجتمعات دون المساس بأسسها ومناهجها، ودون التفكير في مواجهتها أو الاصطدام معها فضلاً عن معاداتها والبراءة منها.

وفي الجهة المقابلة، نجد أن موقف الأنظمة القائمة في هذه المجتمعات لها موقف مشابه من هذه الأطراف، حيث تسمح لها بالتحرك والعمل بحريات أوسع، وتمنحها بعض الصلاحيات والهوامش للمشاركة الفعلية في العمل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، في الحدود التي تخدم مصالح هذه الأنظمة، وعلى رأسها تزيين صورتها أمام الرأي العام الداخلي والخارجي – كما يقولون –.

وفي الطرف الآخر، نجد من يؤمن ويعتقد بأن هذه المجتمعات فاسدة، قائمة على الباطل، وتعادي الحق وأهله وتسعى بكل ما أوتيت من قوة وإمكانات لتجسيد وترسيخ هذا الباطل في النفوس وعلى أرض الواقع، ويسعى أصحاب هذا الاعتقاد لنصرة الحق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يؤمنون به، ومحاربة هذا الباطل، ولا مجال هنا للحوار أو المداهنة فضلاً عن الركون أو الانقياد لأصحاب الباطل.

وينبثق من رحم هذا الاعتقاد فقه مختلف ومناقض تماماً لفقه التوجه الأول، وأقصد التوجه المداهن والقابل للمشاركة في مؤسسات هذه المجتمعات الجاهلية، فقه مبني على عقيدة الولاء والبراء ﴿ **إِنَّا بُرَءاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَه** ﴾[الممتحنة ٤]، وعلى عقيدة التميز والمفاصلة ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ، فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً** ﴾[الكهف ١٦] ولاشك أن كهف العصر هو التجمع الإيماني، القائم على عقيدة التوحيد متمثلة في الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت على مختلف أشكاله وأنواعه وألوانه.

لاشك أن الواقع الذي نتحرك فيه، يتكون من مجموعة عناصر متشابكة، بعضها معقد والبعض الآخر أقل تعقيداً، ونحن مطالبون بمعرفتها جميعاً من أجل التأثير فيها قصد إصلاحها أو تغييرها، وهذه خطوة أولى قبل التفكير في أي شيء آخر.

الذي نعتقده يقيناً أن الإسلام لم يأت لكي يُبقي على الأوضاع القائمة أو محاولة إحداث بعض الإصلاحات الطفيفة عليه مع الإبقاء على أصله وجوهره، بل إن دوره هو إحداث تغيير جذري في هذا الواقع.

إن ديننا يطلب منا أن نتميز بمنهجنا، ولا يمكن أن نلتقي مع هذا الواقع الجاهلي الفاسد بأي حال من الأحوال، لأننا على مفترق الطرق، طريقان متعاكسان، كما هو شأن الحق والباطل، لا يمكن أن يلتقيا أبداً، فإما منهجنا الشرعي القويم الذي يستمد قوته من الرحمن وإما منهج الفساد والطغيان الذي يستمد شرعيته من الشيطان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه، فإنه قبل التفكير في بدء التغيير المرتقب، ينبغي البدء بفهم أهم العناصر التي تكوِّن هذا الواقع فهماً عميقاً ودقيقاً على ضوء الشرع الحنيف، وسوف نسرد تلكم العناصر حسب أهميتها، ونبين الموقف الشرعي الواجب اتخاذه تجاهها – حسب فهمنا لدين الله تعالى الموافق لفهم سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وفهم العلماء الأثبات العاملين لهذا الدين، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، والذين يقولون كلمة الحق ولا يخافون في الله لومة لائم، لا يحسبون حساباً لدنيا تفوقهم أو بلاء يصيبهم، في سبيل تبليغ الحق الذي يؤمنون به، فبهم نقتدي وعلى نهجهم نسير، وعلى الله نتوكل وإليه ننيب وإليه المصير.

القوانين السائدة

المجمع عليه من قبل الجميع أن القوانين المعمول بها في بلداننا العربية والأعجمية، هي قوانين وضعية، عبارة عن خليط من القوانين الكفرية المعمول بها في بلاد الكفر الأصلية، منقحة ببعض القوانين الشرعية، التي وُضعت لمجرد تزيين صورة هذه الدساتير ولا تحظى بأي تطبيق على أرض الواقع.

هذا ما نجده في كل الدساتير الوضعية، إشارة إلى أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، والمرجع الأساسي للقوانين هي الشريعة الإسلامية، ولكن كل القوانين المعمول بها حالاً وواقعاً، تخالف بل تناقض الشريعة جملة وتفصيلاً. وإذا أردنا أن نسرد أمثلة من الدساتير المعمول بها في بلداننا لطال بنا المقام، والمسألة معلومة وبديهية لدى الجميع.

وإذا علمنا هذا الأمر، فإنه يترتب عليه مجموعة تبعات وواجبات لابد من العمل بها، وبعبارة أخرى، ينبغي على الذين يبتغون التغيير أن يكون لديهم موقف واضح وصريح من هذه القوانين، موقف يمليه عليهم دينهم وعقيدتهم، يتمثل في الكفر بهذه القوانين ﴿ **إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله** ﴾[الممتحنة ٤] وعدم الاعتراف بها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو الخضوع لها فضلاً عن القبول بها كمرجع أو حكم في الأمور العامة والخاصة، وذلك اتباعاً لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾[النساء ٥٩]، وقوله عز من قائل ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه** ﴾[يوسف].

لا ينبغي الوقوف عند هذا الحد، بل المطلوب أن يساهم المسلم في محاربة هذه القوانين، ببيان حقيقتها المخالفة للفطرة وللشرع، والمساهمة في تحريض الناس على عدم الاعتراف بها وعدم التحاكم إليها، ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾[النساء ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[النساء ٦٥].

فالناس ما زالوا مخدوعين بشعارات الطواغيت، ويظنون أن هذه القوانين موافقة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو أنها مخالفة لهما في بعض الجوانب فقط، ولا بأس من ذلك ما دام أن الدولة تعلن في دساتيرها بأنها إسلامية، فعلينا أن نثق فيها ونتلمس لها سبعين بل ألف عذر... ﴿ **وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾.

إننا مطالبون شرعاً وواقعاً بفضح هذه القوانين وتعريتها أمام الملأ، وبيان فسادها حتى يحذرها الناس ويكفروا بها ويمتنعوا عن التحاكم إليها، كخطوة أولى قبل الإقدام على هدمها ونسفها، واستبدالها بشرع الله الحكيم.

ينبغي علينا تنبيه الجميع إلى خطورة الاعتراف بهذه القوانين ومدى ضررها على مصالحهم الدنيوية والأخروية على حد سواء، ففي الدنيا يتعرضون لشتى أنواع الظلم والإفساد باتباعهم وخضوعهم للدساتير الوضعية، أما في الآخرة فسيتعرضون لغضب الله وعذابه بالتحاكم إلى الطاغوت وعدم الكفر به، وجعله نداً لله في الحكم والتشريع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأنظمة الحاكمة

تعتبر هي أيضا خارجة عن شرع الله تعالى، محاربة له ولعباده المؤمنين، وذلك جهاراً نهاراً، بعدما كانت تقوم بذلك خفية، أصبحت اليوم تتحدى مشاعر المسلمين وتعلن عن الكفر البواح، تارة عن طريق سن هذه القوانين الكفرية وتارة عن طريق موالاة الكفار، وتارة أخرى عن طريق الاستهزاء بدين الله تعالى ومحاربة الذين يأمرون بالقسط والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وكل يوم يمر على الأمة إلا وتنتهك عورات هذه الأنظمة الحاكمة، ويظهر وجهها الحقيقي البشع أكثر وضوحاً ونصاعة، ويظهر عداؤها لأصحاب الحق ولقضايا المسلمين ومصائرهم، في الوقت الذي يظهر انحيازها لأعداء ديننا وأمتنا واضحاً لكل ذي عينين.

يمكننا تلخيص بعض جرائم هذه الأنظمة في عالمنا الإسلامي كالتالي:

- تحقيق إرادة دول الصليب واليهود الدينية في سياستها الداخلية والخارجية المعادية للإسلام والمسلمين، ودعم سياسة التنصير الصليبية وتقديم التسهيلات للمنصِّرين وبناء الكنائس والمراكز الدينية الأخرى لمحاربة الإسلام.

- تبني العلمانية وفصل الدين الإسلامي عن الدولة وإلغاء العمل بقوانين الشرع الإسلامي واتخاذ القوانين الصليبية.

- إعداد مناهج التعليم المدرسي والجامعي من قبل لجان صليبية يهودية وتزوير التاريخ الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– إقامة المدارس والجامعات المختلطة ونشر الانحلال الجنسي الذي يعاني منه العالم النصراني بسلسلة من الأمراض الاجتماعية والطبية.

– التآمر على نهب ثروات الشعوب الإسلامية وإعطائها للدول والشركات النصرانية واليهودية.

– انتهاج سياسة تخريبية في تدمير الأمن الغذائي للشعوب الإسلامية وذلك بإفساد الزراعة والصناعة الزراعية.

– إقامة المصارف اليهودية والصليبية والمحلية، ونشر الربا في المجتمعات الإسلامية ومنع الزكاة كركن من أركان الإسلام حتى لا يتقوى المسلمون ولا يتكافلوا.

– إقامة أماكن الدعارة والقمار واستيراد الخمور من الدول الصليبية بملايين الدولارات سنوياً.

– محاربة رجال العلم المخلصين وتصفيتهم أو إرهابهم ومنعهم من نشر الدين الصحيح وتحويل خطبة الجمعة إلى منبر للدعاية للحكام الكفرة وإلغاء دور هذه الخطبة الحقيقي في توجيه المسلمين وتنبيههم إلى الأخطار المحدقة بهم من أعدائهم الداخليين والخارجيين.

– تفريغ الدين الإسلامي من جوهره كنهج وطريقة حياة، وحصره في العبادات، وإلغاء الجهاد ضد الظلم واعتبار المجاهدين الذين يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله وشرعه إرهابيين يجب تصفيتهم تماماً كما يفكر اليهود والنصارى."[1]

انطلاقاً من هذه الحقائق المفزعة، يتعين على أصحاب الهمم العالية في التغيير الحقيقي أن يتخذوا موقفاً واضحاً على ضوء الشرع الحنيف، تجاه هذه الأنظمة المرتدة، موقف العداء والبراءة والمفاصلة، وعدم طاعتهم أو نصرهم أو المشاركة في مؤسساتهم، ما

[1] الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي – الأستاذ محمد طه الطرابلسي – مجلة المنهاج – العدد الرابع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

داموا قد أعلنوا الحرب على دين الله تعالى، وجاهروا بكفرهم البواح ووقفوا لأصحاب الحق بالمرصاد في كل سبل الخير والصلاح.

ينبغي معرفة العدو الذي يواجهنا بأبشع الأساليب وأخبثها، وذلك بمعرفة منهجه الجاهلي، ومعرفة مواطن قوته وضعفه، من أجل تعريته وفضحه ثم من أجل دحضه وهدمه بعد ذلك.

وكما أشرنا في بداية المقال، فإن الموقف الشرعي الواضح من هذه الأنظمة الحاكمة، يفرض على أصحاب الدعوات ودعاة التغيير أن يحددوا مناهجهم بكل وضوح، وبالتالي يبتغوا الوسائل والطرق الشرعية للتعامل مع هذه الأنظمة، وينبثق عن هذا فقه سليم للحركة من أجل التأثير في المحيط الذي نعمل فيه، وفي الناس الذين نتواصل معهم، وفي هذه الأنظمة التي نريد أن نغير ونزيل.

أما الذين يتخذون موقفاً مغايراً، كأن يعترفوا بهذه الأنظمة أو يتعاونوا معها أو يدخلوا معها في أحلاف باطلة، أو يلتمسوا منها الرضا المعنوي أو الترخيص السياسي ليشاركوا في اللعبة السياسية، التي ستؤدي إلى احتوائهم وتدجينهم، ومن ثم إلى تشويه الإسلام أو تقزيمه، فكل هذا يعتبر حراماً شرعاً وجرماً في حق هذا الدين ثم في حق هؤلاء المستضعفين الذين ينادون ليل نهار ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، وَاجْعَلْ لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِياً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً** ﴾.

بهذا الموقف المنحرف سنكون من أعوان الظلمة بل من الظلمة أنفسهم، وسوف نساهم في ترسيخ الباطل وتقويته حتى ولو ادعينا العكس ومهما رفعنا من شعارات التغيير والإصلاح .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا فهم دينه فهماً سليماً، لكي نعي حقيقة النظم الوضعية وواقع الأنظمة الحاكمة، وحتى نلتقي مع بقية العناصر المكونة لهذا الواقع في الجزء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني والأخير من هذا المقال، نسأله سبحانه أن يثبتنا على الحق ويرزقنا الإخلاص والاستقامة، والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معرفة الواقع ضرورة حتمية لتغييره ٢

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

تحدثنا في الحلقة الماضية عن عنصرين من أهم العناصر التي ينبغي إدراكها وفهمها فهماً عميقاً على ضوء الشرع الحنيف، لكي نتمكن بالتالي من تغيير هذا الواقع، ألا وهما النظم أو القوانين السائدة ثم الأنظمة الحاكمة، ونقف في هذه الحلقة الثانية والأخيرة مع العناصر المتبقية، فنقول وبالله التوفيق:

الأحزاب السياسية

الذي ينبغي فهمه ووعيه منذ البداية، هو أن هذه الأحزاب تعتبر الوجه الآخر لهذه الحكومات، أو بعبارة أخرى هي بمثابة الأوتاد التي تستند وتقوم عليها هذه الأنظمة الحاكمة، والخزان الذي يمدها بكل عناصر القوة والبقاء، ذلك أن معظم هذه الأحزاب تضع نفسها في لائحة الانتظار والترقب، للدخول والمشاركة في عملية الحكم – بصورة مباشرة أو غير مباشرة – أي سواء في المؤسسات التشريعية أو التنفيذية.

فلا فرق إذن – من الناحية الشرعية والواقعية – بين جوهر الأنظمة من جهة وبين جوهر هذه الأحزاب من جهة أخرى، وجهان لعملة واحدة، عملة الردة والظلم والولاء للكافرين، وعملة العداء للحق ومحاربته بشتى الوسائل.

فرؤساء هذه الأحزاب العلمانية يعتبرون رؤوساً وأئمة للردة والفساد السياسي في بلداننا، شأنهم شأن الحكام المرتدين، لا فرق بينهم البتة، لأنهم طرف مباشر في عملية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التشريع والحكم إلى جانب هؤلاء الحكام، ومن ثم تراهم يدافعون ويسعون إلى الحفاظ على المؤسسات القائمة، ويعتبرونها شرعية، كما يساهمون في الصد لأهل الحق من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ويشنون عليهم أشد أنواع الحرب، وذلك بالوقوف إلى جانب الحكومات القائمة في حربها لهؤلاء المصلحين.

يتجلى ذلك في الحملات الإعلامية المقصودة لتشويه سمعة جماعات الحق، وتقديم المعلومات اللازمة لأجهزة المخابرات والتجسس عن هذه الجماعات، بل إن الكثير من أعضاء هذه الأحزاب – قيادات وقاعدة – نجدهم أعضاء في هذه الحكومات المرتدة، ويشاركون في محاربة جماعات الحق، ويصفونها بالإرهابية أو الظلامية أو الرجعية، كما أنهم يساهمون في تنفيذ برامج الإفساد في البلاد، ويشرعون قوانين مخالفة بل محاربة للشريعة السمحاء في جميع الميادين وعلى كل المستويات.

فهل بعد هذا، يأتي من يتعامل أو يتعاون أو يأمل خيراً في هذه الأحزاب؟! لقد رأينا بعض من ينتسبون إلى العمل الإسلامي – زوراً وبهتاناً – من يتحالف ويتعاون مع هذه الأحزاب المرتدة، من أجل الوصول إلى قبة البرلمانات الشركية، ونجدهم قد أعطوا ولاءهم وبايعوا رؤوس هذه الأحزاب بحجة التعاون على البر والتقوى والإصلاح، ومن أجل خدمة الصالح العام. هكذا يتوهمون، وهكذا يزين لهم الشيطان أعمالهم ويصدهم عن السبيل القويم.

إن المطلوب منا أفراداً وجماعات أن نكفر بهذه الأحزاب ونعاديها ونبرأ إلى الله منها ومن أعمالها الشركية، وعلى رأسها المشاركة الفعلية في عملية التشريع والتنفيذ للقوانين الكفرية، ثم السعي الحثيث إلى التصدي للحق ونشر الباطل، فهل بعد هذا الكفر البواح نتردد في اتخاذ الموقف الشرعي الواجب اتخاذه اتجاه هذه الأحزاب؟

الجماعات الإسلامية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاشك أن الساحة تعج بالكثير من الجماعات التي تدعي انتماءها للإسلام وترفع شعارات الدين في تحركاتها، ولكن الكثير منها لا تستحق أن تنسب للإسلام فضلاً عن أن تحسب قدوة ومثالاً في مجال العمل الإسلامي وابتغاء التغيير المنشود. ذلك أن جل هذه الحركات والتجمعات لديها انحرافات خطيرة على مستوى العقيدة، وبخاصة في مسمى الإيمان والكفر، ثم في مسألتي الولاء والبراء وحتى في مسائل الحكم والتشريع، وهذه هي الأصول التي يقوم عليها هذا الدين، والتي تشكل مفهوم التوحيد، الذي لا يتم إيمان المرء بدونه، فضلاً عن تحقيق النصر لهذا الدين وانتظار توفيق الله ومدده.

أهم ما ميّز ساحة العمل الإسلامي في العقود الماضية هو وجود طاقات مخلصة ومتفرغة لهذا الدين، قدّمت الكثير من العطاء وضحّت بالعديد من المكتسبات المادية والمعنوية في سبيل نصرة الحق وإزهاق الباطل، فدارت بينها وبين أعدائها معارك، انتهت جلها لصالح الأعداء، وذلك لأسباب عديدة ليس هذا مجال تفصيلها، إلا أنه ينبغي أن نذكر أن أهم هذه الأسباب، هو عدم توفير أو استيفاء شروط النصر الواجبة، وعلى رأسها عقيدة مختلطة ومشوبة بالكثير من الانحرافات الشرعية، وهذا ما أدى فيما بعد إلى سقوط الحركات الإسلامية في مستنقعات التيه والهزيمة، وظلت لسنين عديدة تسمِّن أعضاءها ليأتي الأعداء فيجدوا رقابهم جاهزة للذبح وأجسادهم جاهزة للسلخ، وهم يرددون قوله تعالى ﴿ **كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾، فحكموا على أنفسهم — بسبب هذه العقيدة المنحرفة — أن يظلوا في المرحلة المكية من عمر الدعوة، فينسخوا بذلك أكثر من ثلاثة أرباع ما أنزله الله تعالى من تشريع وحكم.

هذا في الوقت الذي كانت توصف فيه كل حركة سلفية جهادية بأبشع الأوصاف والنعوت، ليس من طرف الأعداء بل من قِبَل هذه الطوائف المبتدعة وما أكثرها.

فلابد من تصنيف دقيق لهذه الطوائف من جديد، وذلك لنتمكن من معرفة أولوياتنا في العمل على أرض الواقع، فنحذر من نحذر ونواجه من نواجه ونتعاون مع من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينبغي التعاون معه. لابد من توضيح الصورة لنا ولمن يأتي من بعدنا يريد أن يقدِّم شيئاً لهذا الدين، فمعرفة هذه الطوائف أو ما اصطلح عليه حديثاً بالحركات الإسلامية، أمر ضروري وحتمي.

فلابد من كشف حقائق كل طائفة منها، وبيان منهجها وأهدافها ووسائل عملها، وقبل هذا وذاك، لابد من كشف العلاقة بينها وبين أعداء هذا الدين (من حكام مرتدين وكفار أصليين ومنافقين مندسين)، أو بعبارة أخرى، علينا أن نعلم مواقفها اتجاه كل هذه الفئات سالفة الذكر، لندرك موقعها في هذه الحرب القائمة بين أهل الحق وأهل الباطل، ثم نضعها في الكفة المناسبة.

إن تصنيف هذه الطوائف أو الجماعات يتحدد انطلاقاً من موقف كل طائفة من هذه الطوائف من النظم والقوانين السائدة ثم من الأنظمة الحاكمة، فهما المؤشران الأساسيان اللذان يكشفان حقيقة كل جماعة، ومدى بعدها أو قربها من المنهج الشرعي الصحيح. وبعد ذلك يأتي الموقف العملي في الساحة ليزكي أو يفنّد المواقف النظرية.

وهذا هو السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله معرفة حقيقة هذه الطوائف، ثم اتخاذ الموقف الشرعي منها سلباً أو إيجاباً.

يبقى أن نشير إلى أن هذه الطوائف هي الأخرى بحاجة إلى عملية تغيير أو إصلاح – في حال وُجد فيها خلل أو انحراف –، فهي تعتبر طرفاً مهماً في هذا الواقع، ليس بالضرورة أن تدور دائماً مع مصلحة هذا الدين، فكم من صديق يهدم من الداخل أكثر مما قد يهدمه العدو من الخارج.
فلابد من معرفة كل التجمعات الإسلامية التي تتحرك في الساحة، من أجل التعاون معها أو التنسيق في المجالات التي يسمح فيها المجال لذلك، أو من أجل التناصح والتواصي. أما باقي فرق المبتدعة والطوائف المخالفة المعاندة فدورنا تجاهها هو بيان حقيقتها وضلالها للناس لكي يحذروها ويتجنبوها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلماء والمفكرون

بإمكاننا أن نعيد نفس الكلام الذي قلناه عن الجماعات، ولكن مع ثمة فرق جوهري بينهما، هو أن للعلماء مكانة أسمى وأعظم في نفوس الناس من تلك التي تملكها الجماعات، ذلك أن العلماء ورثة الأنبياء، ويحظون باحترام كبير لدى أوساط الناس على مختلف مستوياتهم، كما أن الحركات الإسلامية نفسها بحاجة إلى هؤلاء العلماء كمرشدين أو موجهين أو ربما حتى قياديين. وتبقى كل جماعة ضعيفة أو نكرة إلى حد بعيد حتى تضم في صفوفها هؤلاء العلماء، عندئذ تجد القبول عند الناس وتفرض نفسها على الساحة وتحظى بالكثير من الاحترام من لدن عامة الناس والكثير من الهيبة والرهبة من قبل الأعداء.

ومن هنا ينبغي أن يكون هؤلاء العلماء في مستوى عال من الفقه والإخلاص والورع، يرفعهم عن الشبهات، ويحميهم من السقوط في إغراءات العدو أو الانكسار أمام إرهابه.

ولكن لابد من الإشارة إلى أن وجود علماء داخل الحركات ليس شرطاً وضرورة لكي تكون هذه الجماعة أو الطائفة ذات مصداقية، حيث أننا نجد الكثير من جماعات لا تضم في صفوفها علماء من الطراز الذي يكون مشهوراً بين الناس، لكنها (أي الجماعة أو الطائفة) تملك منهجاً شرعياً سليماً ومواقف صائبة وأعضاء أكفاء ومراجع خارج دائرتها تحظى بالشرعية وتتميز بصفات الإخلاص والاتباع، وهذا هو المهم عند الله. أما الناس فلم ولن يكونوا أبداً مرجعاً ومقياساً للصلاح أو الفساد.

الذي أود أن أشير إليه هنا في هذا المقام هو أنه ينبغي تصنيف هؤلاء العلماء تصنيفاً جيداً، ولا نخشى في ذلك لومة لائم، ولا ترهبنا الأعراف أو أقوال الناس عن القيام بهذه المهمة الكبيرة والنافعة للعمل الإسلامي، ذلك أننا نجد أن الكثير من العوائق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمثبطات يكون سببها بعض هؤلاء العلماء، بل منهم من يكون سبباً في تأخير النصر ونسف جهود كبيرة قامت لنصرة دين الله تعالى.

فالكثير من هؤلاء العلماء قد تحولوا إلى جنود للطاغوت، يتقربون إليه ويدورون مع أهوائه وشهواته حيث دارت، فانسلخوا من دينهم وأداروا ظهورهم لما كانوا عليه من الحق، وآثروا حياة الترف والسلامة على حياة الخشونة والتضحية.

إن القدسية الزائفة التي يصبغها الناس على بعض العلماء المنافقين ينبغي أن نحرقها وننسفها نسفاً، لأنها حولت هؤلاء إلى أصنام تُعبد من دون الله، لا يُسألون عما يفعلون ولا يُناقشون فيما يفتون، ولا يمكن أن تنصحهم أو تنقدهم فضلاً عن أن تخالفهم. ولقد أضروا كثيراً بالعمل الإسلامي وبالعاملين المخلصين، فمنهم من وقف مباشرة يدافع عن الطواغيت وينافح عن طريقتهم وشريعتهم إما طمعاً في فتات الفتات الذي يتكرم به هؤلاء الطواغيت وإما خوفاً من بطشهم وإما بغضاً وحسداً لأهل الحق، ومنهم من ينصرونهم جهلاً بسبب خلل في عقيدتهم وفهمهم لدين الله، وكلاهما يعتبر ناصراً للباطل خاذلا للحق، ينبغي التنبيه إلى خطورتهم والتحذير منهم.

أما أولئك الصادقون العاملون بعلمهم، الذين لا يخشون في الله لومة لائم، ولا يطمعون في دنيا يصيبونها، فهؤلاء ينبغي تأييدهم ونصرتهم وحمايتهم من كيد الطواغيت، واتخاذهم أئمة وهداة على طريق الحق حتى وإن كانوا غير منتمين إلى صفوف جماعات الحق بالمفهوم الحركي التنظيمي، إذ يكفي أن يلعبوا دورهم في التوجيه والترشيد والفتوى عن بعد ما داموا يعيشون في الواقع ويتابعون الأحداث عن كثب. مع أننا نتمنى أن يوجهوا ويقودوا العمل الإسلامي من داخل هذه التجمعات الإيمانية، لكن ثمة معوقات – وعلى رأسها ضغوطات الطواغيت ومراقبتهم – تحول بينهم وبين القيام بهذا الدور من الداخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عامة الناس

إن مهمة الدعاة الحقيقيين هو الاحتكاك مع الناس والاختلاط بهم، من أجل التأثير فيهم وتغييرهم، ثم توظيفهم وتحميلهم مسؤولية التغيير، فلا يمكن الوصول إلى كسب الناس إلا بمعرفة خبايا نفوسهم وطريقة تفكيرهم ثم مستوياتهم ومؤهلاتهم الفكرية وقدراتهم العقلية، حتى نتمكن من مخاطبتهم على قدر عقولهم كما أمرنا رسول الله e.

والذي يتحرك في الساحة دون أن يصنف الناس بهذه الطريقة، فإنه سيفشل فشلاً ذريعاً، وسيكون كالذي يسير في صحراء واسعة الأطراف دون دليل ولا موجه، ذلك أن النفوس البشرية قد جُبلت على الراحة والدعة، وحب السهل من الأمور حتى وإن كانت مخالفة للشرع ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾، فأكثر الناس لا يعلمون الحق وتبعاته، ولا يعلمون مصالحهم الأخروية، ولا يعلمون الطرق والوسائل المؤدية إلى نجاتهم في الدنيا والآخرة، وأكثرهم لا يعقلون هذا الحق، أي لا يفهمون ما يأتيهم به المصلحون من خير ورشاد، والقليل منهم فقط من يدرك حقيقة هذه الأمور كلها، ويمضي لتحمل تبعات هذا الفهم والإدراك ﴿ **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾. هذه هي سنة الله تعالى في خلقه، وهي حقيقة تتكرر في كتاب الله مراراً ليتذكرها الدعاة فلا يغفلوا عنها وهم يمارسون دعوتهم، حتى لا يصطدموا فيتوقفوا عن أداء واجباتهم.

إن الدعوة تمر بمراحل عديدة، منها اليسير ومنها العسير، وموقف الناس يتغير من مرحلة إلى أخرى، فالذي يكون معك في الرخاء ليس بالضرورة أن يبقى معك في الشدة، وهذا ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار، وليحرص التجمع الإيماني على تربية جيل من المؤمنين يكونون بمثابة النواة الأساسية، لا يتزعزع إيمانهم ولا يتغير ولاؤهم مع تغير المراحل، ولو كانوا قلة.

أما ما تبقى من الناس فينبغي الاجتهاد على تفادي شرهم وإبعادهم عن نصرة الباطل حتى ولو خذلوا الحق، فالواقع اليوم – وفي كل زمان ومكان – يتميز ببعد أغلب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس عن الحق وبغضهم لأهله أو في أهون الظروف، عدم نصرهم لهم، وهـذا الموقـف الأخير خير وأهون على الحق وأهله من أن يكونوا أنصاراً للباطل وجنوداً في صفه.

هذه هي المعادلة التي ينبغي السعي إلى تحقيقها في السـاحة، وعلينـا أن نهجـر الأحلام والأماني الكاذبة قبل أن نصطـدم بالواقع، فنجد أنفسنا وسط خصوم متعددي الألوان والمذاهب، لا ندري من أين نبدأ ولا من أيـن ننتهـي.﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[يوسـف ١٠٨].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا تخافوهم وخافون

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، الذي خلق كل شيء ثم هـدى، والـصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ثم اهتدى، ثم أما بعد

إن الخوف صفة طبيعية في النفس البشرية مثلها مثل بقية الصفات كحب النفس وحب الدنيا والجزع والغضب والحزن وغيرها، وهي لا تدل على ضعف الإنسان بقدر ما تدل على طبيعته، إلا إذا تحول هذا الخوف إلى عاهة تثبط صاحبه وتمنعـه مـن مزاولـة واجباته وتدفعه إلى اقتراف المعاصي والذنوب بدلاً من أداء الطاعات والفروض.

ولقد نبه الله تعالى إلى هذه الحقيقة في عدة مواطن من كتابه الحكيم، مثل قولـه تعالى وهو يتحدث عن موسى عليه السلام ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ، قُلْنَا لَـا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى** ﴾ [طه : ٦٧، ٦٨] وقوله ﴿ **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَـنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى** ﴾ [طه : ٢١] ، وقوله مخاطبا موسى وهارون ﴿ **قَالَ لَا تَخَافَـا إِنَّنِـي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ [طه : ٤٦] ، وعلى لسانهما قوله تعالى ﴿ **قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى** ﴾ [طه : ٤٥]. والأمثلة في ذلك كثيرة في كتاب الله وفي سـنة نبيه ﷺ، كلها تدل على حقيقة أن الخوف صفة طبيعية في الناس ينبغي عليهم تجاوزها.

أسباب الخوف وجذوره

١ – الوراثة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كثيرة هي الصفات التي يرثها الأبناء عن الآباء، مثل الكرم والجود والشجاعة والإقدام، وكذلك الصفات السلبية مثل البخل والحرص والجبن والخوف.

فحينما تكون الأم خائفة أثناء الحمل وأثناء فترة الولادة، فإنها تنقل ذلك الخوف والتوتر إلى وليدها، فيرث عنها هذه الصفات التي قد تلزمه طول حياته إن لم يتداركها بالتربية والتعود على الصفات المعاكسة لها. وهذه حقيقة علمية تؤكدها التجربة في الواقع الفعلي. لذلك وجب على الآباء التنبه إلى هذه المسألة، ومحاولة التخلق بالأخلاق الحميدة لتنتقل إلى أبنائهم، حتى وإن كنا لا نريد لعب دور فعال وإيجابي في عملية التغيير القادمة، فعلى الأقل لا نحرم أطفالنا من لعب هذا الدور مستقبلاً ويكون لنا شرف المشاركة في هذا العمل المبارك .

٢ – التربية

لاشك أن عملية التربية لها دور كبير في تكوين البنية النفسية والأخلاقية للطفل، فعملية التلقين التي يتلقاها الطفل في البيت تساهم في تسطير شخصيته المستقبلية، شئنا ذلك أم أبينا، لأن الطفل لابد أن يبحث عن مثل أعلى في حياته ليتخذه قدوة في سلوكياته وحركاته، هذا بالإضافة إلى التأثير الكبير الذي يتركه تعاملك مع طفلك ومدى الآثار السلبية أو الإيجابية التي تتركها طريقة التربية وطريقة تصحيح أخطائه وتوجيهه.

فالطفل الذي يتعرض إلى الضرب الدائم لأتفه الأسباب وإلى السب والشتم كلما اقترف ذنباً أو خطأ سوف يفقده ثقته في نفسه، وتنهار شخصيته في صغره، وهذا من شأنه أن يؤثر سلبياً في عملية التربية التي نتوخاها، وسوف نكوُن فرداً فاشلاً لا يصلح لشيء في هذه الحياة.

كما أن عملية التخويف المستمرة التي يتلقاها الطفل في صغره، سوف تجعل منه فرداً يخاف من كل شيء ، ولا يمكن أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام لوحده، لأنه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيجد أمامه جداراً سميكاً من العقبات تحجب رؤيته وتكبل جوارحه وتجمد إرادتـــه، في الوقت الذي ينبغي زرع الثقة في نفسه وتعويده على إنجاز أعماله بنفسه وتشجيعه علـــى أخذ المبادرة في كل الأمور واستصغار المشاكل والعقبات في عينيه لكي لا يخـــاف مـــن الإقدام.

والطغاة في كل زمان ومكان يحاولون فرض سياسة تعليمية خاطئة مبنيـــة علـــى الإرهاب والتخويف، لكي يتحول الشعب إلى قطيع ينقاد بكلمة وتهديد ، ولا يملك إرادة النقد ولا إرادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يخافون من كل شيء، ويقبلون كـــل شيء مهما خالف مبادئهم أو تناقض مع توجهاتهم، مادام أن في ذلك الـــسلامة وعـــدم التصادم مع الأنظمة الحاكمة. وهكذا نرى شعوباً ترضى بالذل والتبعية، وتقبـــل الظلـــم والاستبداد، لأنها تعرضت لعملية تربية قائمة على الإرهاب والتخويف انتـــهت بـــسلب الشخصية وزرع التبعية والخضوع ، لمجرد أنها حازت على لقمة عيش ملوثة بعيداً عـــن الاحتكاك بالأنظمة، تسمع وتطيع، تنفذ ما يملى عليها بلا نقاش ولا تردد.

أما سياسة التأديب والعقوبة فتكون هي الأخرى مبالغ فيها وتتجـــاوز القـــدر المطلوب، حيث تتحول إلى هدف في حد ذاته وليس وسيلة للتصحيح والنقد البناء، وهي نفس الطريقة التي تستعملها الأنظمة الحاكمة في حق الشعوب، فنرى الأحكام القاســـية والظالمة لا تتناسب مع الجرائم المقترفة، والهدف ليس هو التربية والتأديب، إنما التخويـــف وتحطيم الإنسان ككل حتى لا يبقى لديه أي أمل في الحياة فضلاً عن النفع و العطاء. هذا فضلاً عن التفكير في المشاركة في أي عملية تغيير للواقع الفاسد.

٣- ضعف الإيمان بالله

يعتبر من أهم أسباب الخوف على الإطلاق، فالأسباب السابقة يمكن تجاوزها إذا عرف المرء قيمة ربه وخالقه، وعرف أنه المدبر في هذا الكون، ولا يملك أحد لأحد نفعاً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا ضراً إلا بإذن الله، وأنه لو اجتمعت الإنس والجن في صعيد واحد على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وان الموت والحياة بيد الله تعالى لا يملك أحد أن يقدم أو يؤخر أجلاً، وبأن الرزق من عند الله هو الذي يعطي ويمنع متى شاء، بسبب وبغير سبب.

فما دام كل هذه الأمور بيد الله سبحانه، فلم الخوف يا ترى؟ وممن الخوف إذن ؟

إن ضعف العقيدة في أن الله تعالى كاف عبده ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ** ﴾ [الزمر : ٣٦] ، وقادر على أن يحميه ويدافع عنه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ وأن الله تعالى يقف بالمرصاد في وجه أعداء المؤمنين ليحول بينهم وبين أوليائه ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ [الفجر : ١٤]، وأن الموت الذي يخاف منه المرء ويجعل الخوف سبباً ووسيلة للهروب منه، هو ملاقيه وهو بيد الله تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الجمعة : ٨] ، هذا الضعف في العقيدة هو الذي يرسخ الخوف في نفوس العباد، ويجعلهم عبيداً لهواجس وتخمينات وافتراضات خيالية تمنعهم من أداء واجباتهم كما أمرهم الله عز وجل.

وفي هذه الحالة يتحول المرء إلى ولي من أولياء الشيطان ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٧٥] يتصرف فيه كيف يشاء، يوسوس له ويخيفه من كل شيء، حتى لا يكاد يخطو خطوة إلا ويعتقد أنه سيفشل وسيلقى المصائب في طريقه، فلا يلبث أن يتراجع فيظل جامداً في مكانه فريسة للهواجس والوساوس الشيطانية. وبهذا يكون الشيطان قد صدق عليهم ظنه، وهمشهم بعيداً عن معترك الصراع الدائر بين أولياءه وأولياء الله .

كيف تقضي على الخوف ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ – تشخيص الخوف

لابد من تشخيص المرض بداية لكي نتمكن من علاجه، والخوف مرض عضال وخطير إن لم يتنبه له صاحبه، وهو أنواع كثيرة، فهناك من يخاف من المرض ومن يخاف من الموت ومن يخاف من الفقر ومن يخاف من الناس ومن يخاف من المستقبل بصفة عامة وغيرها من الأنواع، لذلك ينبغي على المريض أن يشخص نوعية الخوف الذي يعاني منه، ليتمكن بالتالي من إيجاد الدواء المناسب له.

فالذي يخشى ويخاف الفقر مثلاً عليه أن يرجع إلى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المجال، وكذلك أقوال العلماء في تناول هذا الموضوع لكي يزيل عن نفسه تلك الشبهات والمفاهيم الخاطئة، فيتحرر من تلك القيود. وهكذا يصنع مع كل نوع من أنواع الخوف، الرجوع إلى الشافي المعافي الحقيقي ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤].

٢ – الإيحاء بالبطولة

المرء حيث وضع نفسه، ومن المعلوم أن الجانب النفسي له تأثير كبير على الإنسان، فقوة الدفع هي التي تدفع المرء إلى الفعل، وكلما ضعف الجانب النفسي كلما أحجم الإنسان عن تنفيذ الكثير من الأعمال كان بإمكانه فعلها لو توفرت هذه العوامل النفسية .

فالإيمان بالنصر واليقين في وعد الله تعالى هو الذي يدفع المؤمن إلى البحث عن أسبابه وعن الوسائل اللازمة لتحقيقه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واليقين بأن المؤمن أفضل من غيره بسبب إيمانه وارتباطه بالله تعالى، هو الـذي يدفع هذا المؤمن إلى الاستعلاء على غيره من الكفار والمرتدين والمشركين، ويسعى إلى لعب دور المصلح والمربي والهادي إلى سبيل الله.

إن المؤمن بطبعه محب للخير، ساع إلى نشره بين الناس، ويضحي بالكثير من القيم المادية في سبيل القيام بهذه المهمة، كونها تدخل في إطار عبادته لربه الرحيم واقتفاء لسنة نبيه الكريم، ومن هنا تجد المؤمن يوحي لنفسه بعظم المهمة ويقف مواقف البطولة والتضحية في كل خطوة يخطوها.

٣- قراءة سير الأبطال

لقد فطر الله الإنسان على الكثير من الملكات وجوانب القوة التي يمكن تسخيرها في الخير والشر، وذلك بناء على عقيدة هذا الأخير ومبادئه.

ولقد عرف التاريخ الكثير من الشخصيات تركت آثارها وبصماتها في المسيرة الإنسانية – سلباً أو إيجاباً – اعتبروا أبطالاً وسط أقوامهم، بصرف النظر عن عقائدهم وأهدافهم التي قاموا من أجل تحقيقها، وقد تحولوا إلى مثل أعلى وقدوة دائمة لشعوبهم، ما زالوا يقتفون أثرهم في جميع مراحل مسيرتهم التاريخية.

يعتبر هؤلاء مصدر إلهام لشعوبهم، وسبباً في شحذ الهمم ودفع مسيرة التغيير والإصلاح في الاتجاه الصحيح.

ونحن معشر المسلمين، أحوج الناس إلى قراءة سير هؤلاء الأبطال، لأن الله أمرنا بذلك في قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ وفي الكثير من الآيات في كتاب الله، كلها تحث على الاستفادة من التجارب السابقة، واقتفاء أثر هؤلاء الأبطال المصلحين، لكي تستمر عملية التغيير والإصلاح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مهما نختلف مع بعض هؤلاء الأبطال في الاعتقاد والغايات ، فإنه لابد أن نجد قواسم مشتركة في عملية التغيير ينبغي الاستفادة منها في كل حال.

مع أن لدينا اكتفاء ذاتي في هذا المجال، فتاريخنا الإسلامي مليء بالأبطال والمصلحين العظام، وكل بطل من هؤلاء يعتبر مدرسة في حد ذاته، وقدوة لكل مؤمن في مجال الدعوة والجهاد. ودورنا هو قراءة متأنية وواعية لهذه السير، ونقلها لأجيالنا القادمة لتكون نبراساً لا ينطفئ ووسيلة لشحذ الهمم وتقوية العزائم لتحقيق الأهداف ونيل الغايات.

٤ –الإقدام

وهو عكس الإحجام والتهيب، والمؤمن مطالب بالإقدام والتوكل على الله تعالى في كل أعماله ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ** ﴾، فالنفس بطبعها ميالة إلى الخمول والدعة والراحة، ولابد من دفعها إلى أداء الواجبات دفعاً، لكي تستقيم وتتعود على فعل الخيرات وأداء الواجبات، هذا في الوقت الذي تجد المتعة في اقتراف المعاصي والانحراف عن جادة الصواب.

ومن الأمور العظيمة والكبيرة التي ينبغي تعويد النفس على أدائها، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنفاق المال والوقت والنفس في سبيل الله، ومقارعة الظالمين والكافرين والمرتدين.

فتعويد النفس على هذه الأمور يكون بالتدرج تارة وبالإقدام تارة أخرى، حتى تجبل هذه الأخيرة على هذه الأعمال فتكون عندها يسيرة بعدما كانت كالجبال الرواسي.

فالقاعدة العظيمة التي تقول: " إذا خفت من أمر فقع فيه " تعتبر الشعار الذي ينبغي أن تتخذه النفوس الكبيرة لكي تساهم في تحرير الأمة وإعادة بناء مؤسساتها لكي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترجع إلى مزاولة دورها الحقيقي ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** ﴾.

ويعتبر الموت من أكبر الحواجز الذي يخشاه المرء، وهو من أكبر المثبطات التي تقعد الإنسان عن أداء واجباته ومواجهة أعدائه، والموت شيء طبيعي ولا ينبغي أن يقعد الإنسان ويكبله عن التقدم في مسيرة التغيير الكبرى ، فسلفنا الصالح كانوا يطلبون الموت في كل لحظة من لحظات عمرهم، وكان شعارهم هو " أطلبوا الموت توهب لكم الحياة"، وكانت التوجيهات القرآنية هي التي تطبع حياتهم وسلوكياتهم في كل حركة وسكنة، ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾، وقوله تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾، وقوله تعالى ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾، كل هذه التوجيهات وغيرها كثير من شأنها أن تزيل كل الشوائب والتخوفات، وتحطم كل العوائق والعقبات ، وتكسر كل القيود والمكبلات من طريق المؤمن وتجعله ينطلق حراً خفيفاً ابتغاء وجه الله، مؤدياً لواجباته الإيمانية كما يحب الله ويرضى.

﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ** ﴾، ﴿ **ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾.

٥- تحجيم الدنيا

كراهية الموت مرادف لحب الدنيا، وحب الدنيا هو الذي يمنع المؤمن من العطاء والتضحية والفداء، ويدفعه إلى الحرص والإحجام والخوف. لذلك وجب على المؤمن أن يعرف حقيقة هذه الدنيا ومدى حقارتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالدنيا دار ممر وجسر للعبور إلى دار المقر، ولا يمكن لعاقل أن يتمسك بالفـاني مقابل الباقي، ولا أن يبني فوق الجسر أو الممر لكي يسكن ويستقر، فالعاقل يبني حيـث القرار الدائم.

كذلك مثل الدنيا والآخرة، فإن الأولى فانية والثانية باقية، وما دام الأمر كذلك فالأحرى بنا أن نجعل الدنيا مزرعة للآخرة ، وأن نربي أنفسنا وأبناءنا على هذه الحقيقـة القرآنية العظيمة ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً** ﴾ [الكهف : ٤٥].

حينما يصل المرء بنفسه إلى هذه الدرجة الرفيعة لفهم الحياة ، فإن طريق التغـيير والتضحية ستكون معبدة وسهلة للغاية، لأن الحمل خفيف ولن يؤخر أو يبطـئ عمليـة المسير أبداً، كما وسيزول الخوف من فقدان الغالي والنفيس، لأن القلب قد امتلأ بحـب الآخرة وما عند الله ، و لم يعد فيه مكان لمتاع الدنيا.

وكتبه الفقير إلى رحمة الله وعفوه: أبو سعد العاملي- رمضان ١٤٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدعوة و التنظيم؛ بين السرية و الجهرية

بسم الله الرحمن الرحيم، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

نظراً لتباين الآراء حول هذه المسألة الهامة، أردت أن أدلي بدلوي – رغم قلة بضاعتي – في هذا الموضوع الخطير والهام، لعله يفتح باباً للحوار بين مختلف العاملين لهذا الدين، ولعله يغطي شيئاً من النقص الموجود، ويفتح أبواباً كانت مغلقة لكل العاملين والدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيله، أسأل الله التوفيق والسداد.

مفهوم الدعوة:

قبل البدء في الحديث عن كيفية مزاولة الدعوة، أود في البداية تعريف هذا المصطلح الذي أصبح من أكثر المصطلحات ميوعة في أوساط العمل الإسلامي، وأصبح لدى الكثيرين صنماً يعبد من دون الله، وعصا يلوح بها الجميع يتخفون وراءها ويحتمون بها حتى وإن زاغوا عن النهج القويم وابتدعوا في الدين.

فما هو يا ترى المفهوم الحقيقي والشرعي المقبول للدعوة؟ بعبارة أخرى؛ ما هي الدعوة المقبولة شرعاً وما هي الدعوة المرفوضة شرعاً؟ إلى ماذا يجب أن ندعو الناس؟ وكيف ينبغي التعامل مع المدعوين؟ هل نتنازل عن بعض المبادئ الأصلية من الدين في سبيل إرضاء هؤلاء المدعوين حتى نكسبهم؟ أم أنه ينبغي الحفاظ على المبادئ أولاً حتى وإن تعارضت مع أهواء ورغبات المدعوين؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الدعوة، يجب أن تكون إلى الله وإلى دينه ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت : ٣٣] ، وقوله تعالى ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾... فالدعوة يجب أن تكون إلى الله وحده، وليس إلى أي منهج أو مذهب أو جماعة، مهما كان نوعها ومهما كانت قيمتها.

فالكثير من الجماعات أو الفرق أصبحت أصناماً تُعبد من دون الله، يعادي فيها المرء ويوالي بناء على مبادئ وأفكار بشرية تخالف شرع الله جملة وتفصيلاً، وبالتالي يتحول الدين إلى مجرد شعار وراية لتزيين صورة هذه الفرقة أو تلك ومن أجل استقطاب أكبر عدد ممكن من الأنصار والأتباع ليس إلا.

والدعوة نوعان: دعوة عامة، ودعوة خاصة.

فأما الدعوة العامة؛ فتكون إلى مبادئ الإسلام الواضحة والدخول في دين الله ونبذ الأفكار والمبادئ المخالفة له، فهي نقلة نوعية من دائرة إلى أخرى، ومن منهج حياة إلى آخر، وأهم ما ينبغي الدعوة إليه هو الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾، ويتجلى ذلك في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾.

هذا هو الهدف الأكبر والغاية العظمى التي يتوخاها الداعية من وراء دعوته.

وأما الدعوة الخاصة؛ فتكون إلى الجماعة أو التنظيم الذي ينتمي إليه الداعية، وذلك حتى يتمكن من تطبيق هذا الدين وتبليغ رسالة الإسلام إلى الآخرين، فالجماعة تعتبر الوعاء الذي يجمع طاقات الدعاة وينظمها من أجل القيام بواجب التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، إذ أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن نافلة القول الاتفاق على أن الجماعة لابد لها من أمير أو قيادة، ولابد من توفر عنصر الطاعة، وهي الرابط المتين بين القيادة والقاعدة، وبها يتم العمل الجماعي ويؤتي ثماره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالجماعة وسيلة لتحقيق الغاية، وهو التمكين لدين الله بالدعوة والحسبة والجهاد، وإذا ما تحولت الجماعة إلى هدف وغاية في حد ذاتها، فينبغي الخروج منها ونصحها من أجل تصحيح مسارها.

أما كيفية التعامل مع المدعوين، فالمطلوب من الداعية ومن الجماعة على حد سواء، أن تعرض مبادئ الإسلام على المدعو كما هي، دون نقص ولا زيادة، وسواء رغب المدعو في ذلك أو لم يرغب، فإن هذا لا ينبغي أن يدفعنا إلى التنازل عن بعض المبادئ وعرض الدين ناقصاً موافقاً لهوى المدعو حتى يقبله ويرضى عنه، كما تفعل الكثير من التجمعات البدعية اليوم، حيث يدعون إلى إسلام ناقص ناعم موافق لأهواء الناس وتطلعاتهم، لا يطلبون منهم نفقة ولا طاعة ولا هم يحزنون.

وتحضرني حادثة بيعة الصحابي ابن الحصين الذي جاء ليبايع رسول الله ﷺ، وحينما عرض عليه الإسلام بما فيه النفقة والجهاد، رفض الصحابي أن يبايع واشترط على الرسول ﷺ أن يقبل كل الأركان ما عدى النفقة والجهاد، فنزع النبي يده من يد الصحابي وقال له: (**دين لا نفقة فيه ولا جهاد! فبم تدخل الجنة؟**)، وحينها استدرك الصحابي وقال للنبي ﷺ: مدّ يدك يا رسول الله لأبايعك عليهن كلهن.

فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يقبل منه هذه البيعة الناقصة، وكان بإمكانه أن يقول مثلاً؛ "دعني أدخله في الإسلام مؤقتا وفق شروطه هو، ثم بعد ذلك أعرض عليه ما تبقى من بنود وأركان وأحاول إقناعه بقبولها بالتدريج". لم يفعل ذلك ﷺ وإنما أراد أن يُدخل الرجل إلى دين الله من بابه الصحيح، حتى يتحمل مسؤوليته كاملة ويدرك جيداً نوع الطريق الذي ينتظره.

وهذا ما فعله أيضاً عليه الصلاة والسلام مع باقي الصحابة – خاصة في المرحلة المكية كما سنرى ذلك لاحقاً في هذا البحث – حيث كان يشترط عليهم أن يبايعوه ويدخلوا في الإسلام، ويقولون: (وماذا لنا إن نحن بايعناك يا رسول الله؟)، فيقول: (ولكم الجنة).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يربطهم بمصالح أو إغراءات مادية، ولا يخفي عنهم تبعات الطريق ومشقاتها، بل يوضح لهم منذ البداية ما سيلقونه من عنت ومشقة وتضحيات، حتى يكونوا على بينة من الأمر ويتقدموا بخطى واثقة مسؤولة، ما شاء الله لهم أن يتقدموا، فمنهم من يتساقط في الطريق، ومنهم من يثبت ويواصل المسير، ومنهم من يقضي نحبه شهيداً قبل أن يرى النصر والتمكين.

هذه هي الدعوة، وهذا هو الطريق إليها، وهؤلاء هم الثابتون عليها من الدعاة والمدعوين، نسأل الله الثبات والاستقامة.

الجهرية أم السرية ؟

في البداية أود أن أذكر بأن هدف الدعوة هو تعبيد الناس لربهم وذلك بإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده – كما عبر بذلك الصحابي ربعي بن عامر لقائد الفرس – ومن جور الأديان والمذاهب الدنيوية الظالمة الناقصة إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

ورأينا – فيما سبق– أن الدعوة نوعان: دعوة عامة ودعوة خاصة، فالدعوة العامة لا تحتاج منا اليوم إلى سرية أو تخفي، فالكل مطالب بممارستها علانية، ولا ينبغي أن يخاف في ذلك لومة لائم، ولا يمكن أن تسقط عنا إلا بسقوط إيماننا، فالإسلام هو العنوان العريض واللافتة الكبرى التي ينبغي على كل أحد أن يرفع في حركته وسكنته، في سره وجهره، في سفره وحضره، في سلمه وحربه، أو كما عبر الله سبحانه في كتابه الكريم ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٦٣].

وأما الدعوة الخاصة، فإنها تكون إلى الجماعة أو التنظيم الذي ينتمي إليه المسلم، لكي يحقق عبادة الله عز وجل، وحتى يتمكن من القيام بعبادات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله على أحسن وجه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتنظيم أو العمل الجماعي يختلف من تجمع إلى آخر؛

فهناك التجمعات التي تمارس الدعوة في نطاق محدود وتدعو إلى بعض مكارم الأخلاق والالتزام ببعض العبادات المحدودة التي لا تقض مضاجع الطغاة ولا تهتم بشؤون الحكم، أو تهتم بها من باب النصيحة والترقيع، وتسعى إلى تجميع الناس في صفوفها لكي تظهر بمظهر القوة فيسمح لها الطاغوت بممارسة العمل السياسي والاعتراف بها إلى جانب الأحزاب السياسية البدعية أو المرتدة، فهذه الجماعات لا تحتاج إلى السرية لكي تدعو الناس للانضمام إلى صفوفها، بل تعلنها جهاراً نهاراً على مرأى ومسمع من الأنظمة الحاكمة والأحزاب القائمة، أنها تسعى إلى المشاركة السياسية وإلى الإصلاح تحت مظلة القوانين الرسمية المعمول بها في البلاد، وأنها لا ولن تستعمل العنف - وهو الجهاد - كوسيلة للوصول إلى الحكم، بل هي من الرافضين والكافرين بهذه الوسيلة الشرعية.

فمثل هذه الجماعات تجد الأبواب مشرعة أمامها للدعوة إلى مبادئها ومناهجها البدعية، وبالتالي نجد السلطات المرتدة تغض عنها الطرف وتترك لها المجال للتحرك واستقطاب الشباب من أجل تكبيلهم خوفاً عليهم من الانضمام إلى جماعات العنف والتطرف - كما يسمون الجماعات الجهادية —

هذا في الوقت الذي نجد الجهود كلها متحدة من أجل محاربة هذه الجماعات وتشويه صورها في أعين الناس حتى ينفروا منها كما تنفر الحمر المستنفرة من القسورة.

ففي هذه الحالة تجد جماعات الجهاد أنفسها مضطرة للدعوة إلى مبادئها ومناهجها بالسرية، وأحياناً بالسرية المطلقة، خوفاً من أن ينكشف أمرها للطاغوت وهي لا تزال في مراحل الإعداد. فالدعوة والتنظيم كلاهما يتمان في السرية ريثما يتم إعداد القاعدة الصلبة التي تنطلق فيما بعد من أجل الجهر بالدعوة، وهي الدعوة إلى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله عز وجل، ثم إلى تحريض الناس على جهاد هؤلاء المرتدين الذين اغتصبوا حكم الله بالقوة، وجعلوا من أنفسهم آلهة وأرباباً يُعبدون من دون الله ويشرعون قوانين مخالفة لشريعة الرحمن، يفرضونها على الناس بالحديد والنار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما التنظيم فإنه يتم بطريقة سرية – في جميع مراحل العمل – حتى بعد مرحلة التمكين، وهو ما يشير إليه قوله ﷺ: **(استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان)**، وقد كان عليه الصلاة والسلام يطبق هذه النصيحة والقاعدة الأمنية في حياته كلها، خاصة في غزواته، حيث كان يموه دائماً على العدو وجهة خروجه وحتى وقت هجومه.

فنحن يجب أن نعتبر أنفسنا في حرب مفتوحة مع أعدائنا، والحرب خدعة، وهي تستلزم السرية المطلقة في التحرك والتنظيم، ومزيج من السرية والجهرية في الدعوة والاستقطاب، وسط بين أولئك الذين ميعوا الدعوة ففتحوا الأبواب لكل من هب ودب دون شروط ولا مراقبة، فرأينا بعض المنافقين والعملاء والمندسين يصلون إلى مراكز المسؤولية والتسيير داخل هذه الجماعات، وبين تلك الجماعات التي تعمل في الظلام ولا تؤمن أبداً بالعمل الجهري والعلني في أي وقت من الأوقات، فقزّموا الدعوة وحكموا على جماعتهم بالجمود والتحرك في دائرة صغيرة جداً، فسقطوا في متاهات التفريط كما سقط الفريق الأول في مستنقع الإفراط.

فالحق يتطلب منا في بعض الأحيان أن نجهر به، حتى وإن أدى ذلك إلى بعض التضحية وإلى كشف بعض الأسرار، ولا ننسى أبداً أن قول كلمة الحق عند سلطان جائر هو سيد الجهاد، كما أن الذي يموت في سبيل ذلك يعتبر سيد الشهداء، فما بالك بالجهر بالحق في وجه سلطان مرتد استبدل شرع الرحمن بشرع الشيطان، هذا بالإضافة إلى الثمار الكبيرة والعظيمة التي ستدرّها على الدعوة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾[إبراهيم : ٢٥].

ولا يفوتني هنا أن أنبه على نقطة هامة في الموضوع، وهي أن القيادة في التجمع هي التي تحدد للفرد كيفية التحرك، وهي التي تختار كذلك الوقت المناسب للعمل العلني أو السري، بناء على معطيات كثيرة وعوامل متعددة، يفرضها الواقع والحركة بهذا الدين،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالأمر ليس نظرياً بحتاً إنما يتغير من ظرف لآخر، ومن مكان إلى آخر، وليس مبنياً على عواطف الناس ودوافعهم الشخصية.

هذا والله تعالى أعلم.

نسأله سبحانه أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه واتباع أهله ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه واجتناب أهله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحركة الإسلامية؛ بين الثبات على المبادئ وضغوط الواقع القائم

بسم الله الرحمن الرحيم، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد :

دور الحركة الإسلامية أصلاً هو ليس التصالح مع الواقع القائم ولا الانقياد له ولا حتى الالتقاء معه في وسط الطريق، بل دورها هو تغيير هذا الواقع القائم من أساسه وإزالته بقضه وقضيضه، لأن هذا الواقع جاهلي ومناقض تماماً للواقع الإسلامي المنشود، لأن الله سبحانه يقول: ﴿ **اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة : ٢٥٧].

فالمسلمون يتحركون في هذه الحياة في سبيل الله بينما غيرهم يتحركون في سبيل الطاغوت وهو الرمز الممثل للجاهلية، ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ [النساء : ٧٦]، وعليه فإن أي احتمال للالتقاء مع هذا المشروع الطاغوتي في وسط الطريق غير وارد، وسيظل كل طرف في جهته يقاوم ويصارع من أجل البقاء ومن أجل فرض نفسه ومبادئه على المحيط الذي يتحرك فيه.

ولكن هناك ثمة فرق جوهري بين المشروعين سالفي الذكر، فالمشروع الإسلامي مثلاً يهدف إلى تحرير الإنسان ثم تركه بعد ذلك يختار لنفسه الجهة التي يرغب الانتماء إليها، أو بعبارة أدق يترك له اختيار الجبهة التي سيجاهد فيها لتجسيد ما يؤمن به.

وأما المشروع الطاغوتي فإنه يُبقي على الإنسان عبداً لهواه وعبداً للعباد، ويواري عنه كل الحقائق والمعطيات التي من شأنها أن تحرره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من بين الأسباب التي تجعل الحركة الإسلامية تخضع أو تنقاد للواقع القائم، يمكننا تسجيل ما يلي :

ضعف الرؤية الإيمانية لمفهوم الصراع بين الحق والباطل، حينما يستعلي الباطل وتكون له الغلبة الظاهرية، ثم بسبب غياب الرؤية المستقبلية وضعف الإيمان بالوعد الإلهي بالنصر والغلبة لأصحاب الحق، وبأن الحرب سجال: ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ** ﴾ [الأنفال : ٥٩] ، بحيث أن غلبة الباطل في جولة معينة لا يعني أن هذه الغلبة مطلقة ودائمة أو بأن الحق لن يستطيع مقاومته وعليه بالتالي أن يخضع ويستسلم، كلا بل على أصحاب الحق أن يستعيدوا ثقتهم في ربهم ثم في أنفسهم ثم يستعدوا للجولة القادمة، وهذا ما يُلمّح إليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠].

الهروب من القروح ومن الطرق الشائكة من أجل تحقيق النصر، وهذا الأمر يدعو أو يدفع الحركة الإسلامية إلى البحث عن الوسائل السهلة والناعمة حتى وإن أدى بها إلى الوقوع في أحضان القوى الطاغوتية ومسايرتها وفق الشروط التي تفرضها وتقترحها هي.

التشوق إلى تحقيق النصر والتمكين بأي الوسائل الممكنة وفي أسرع الآجال، ولا شك أن نشوة النصر تفقد الإنسان الكثير من الاتزان وتغيّب عنه تلك المقاييس الإيمانية التي يزن بها الأمور، فتختلط عليه الأمور لتصبح الأهداف وسائل والوسائل أهدافاً، أو بعبارة العصر يصبح الاستراتيجي والتكتيكي شيئاً واحداً.

خلق بعض الخصوم المصطنعة من أجل عرقلة المسيرة الإسلامية الصحيحة وتحريفها عن اتجاهها الأصيل، فتصبح المعركة الكبرى مع هذه الفئات المصطنعة، وتُنسى المعركة المصيرية والجوهرية مع القوى الطاغوتية، التي تتحول في هذه الحالة إلى حكم يُحتكم إليه، ويعترف له الجميع بالشرعية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الوقت الذي كان من المفروض على الحركة الإسلامية أن تكون واعية وتتسلح بمجموعة رؤى وتصورات نراها ضرورية من أجل الثبات والحفاظ على المبادئ :

أن تعرف أن طريق النصر، طريق طويل وشائك، ومليء بالقروح والجروح، وعليه فإن الاستمرارية فيه هو عين الصواب، وبأن هذه التضحيات هي الثمن الطبيعي للنصر المرتقب، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [البقرة : ٢١٤].

وقد سأل رجل الشافعي رضي الله عنه: أيهما أفضل للرجل؛ أن يُمكّن أو يبتلى؟ قال الشافعي: لا يُمكّن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة.

وارتباط النصر والتمكين بالبلاء إنما هو يكون تحقيقاً لصلاحية أهل الحق في مهمة دفع الباطل سواء كان بتكفير ذنوبهم أو برفع درجاتهم. ولهذا قال ﷺ: (**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**)، باعتبار أن الأنبياء والأمثل فالأمثل هم القائمون بدفع الباطل وأهله.

يقول ابن القيم في هذا المجال كلمة جامعة بليغة تكاد تكون ملخصاً لكل ما سبق قوله في هذا الباب: (إن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسطه صبر وتوكل، وآخره هداية ونصر).

نجد هذا في قوله تعالى بالترتيب: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٢].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ضرورة الصبر والتوكل يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ ﴾، وقولـه: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾.

وأما في حتمية النصر والتمكين لأهل الحق فيقول عز من قائل: ﴿ كَتَبَ اللَّـهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾، ويقول: ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُـؤْمِنِينَ ﴾، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

ويجب أن نفرق بين واجب إثبات العداء لجميع أطراف الجاهلية وبين إمكانيـة المواجهة العملية لأحد هذه الأطراف، فنحن نعادي جميع الأعداء تصوراً واعتقاداً، ولكننا نواجه ونقاتل في حدود إمكانياتنا العملية، فنختار في تلك الحدود أنسب اتجاهات العداء وأطرافه، وقد يتغير هذا الاتجاه حسب الظروف والأحوال ولكنه دائماً هو الاتجاه الـذي يمثل الخطر الأول على هذه الدعوة، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّـنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾، يعني الذين يمثلون أقرب خطر عليكم، وبذلك يتحقـق التوازن العسكري في الدفع بين الإسلام والجاهلية[1].

فالثبات على هذا الدين وعلى مبادئه يعتبر سنة من سنن الإيمان وبها استدل هرقل الروم على صدق نبوة رسول الله ﷺ، حين سأل أبا سفيان قائلاً : (أيرتد أحدهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟)، فأجاب: أن لا، قال: (كذلك الإيمان حينما يخـالط بـشاشة القلوب).

فضغوط الواقع يجب أن تُقابل بإرادة قوية من قبل التجمع الإسـلامي المبـدئي، ويمكن التغلب عليها باستحضار سمو ونبل أهدافنا، والقيمة الكبرى للمعركة التي نخوضها مع هذا الواقع لتغييره لكي يكون تابعاً لا متبوعاً، وهي سنة الأنبياء والمرسلين من قبلنـا، جاءوا ليغيروا واقعهم من أساسه وليس من أجل التصالح معه والرضوخ له.

[1] [قدر الدعوة / رفاعي سرور]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠-٣٢].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شروط النصر وتبعاته

بسم الله وبه أستعين وأصلي وأسلم على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد

أود أن أشارك بهذا الموضوع الهام والمناسب للمرحلة التي تعيشها القوى المجاهدة في الأمة في مواجهة قوى البغي والطغيان والكفر والإلحاد والنفاق والبدعة على أرض أفغانستان والعراق وفي كل أراضي المسلمين ، خاصة وأن جماعات الجهاد اليوم تمثل قطب الرحى والمركز الرئيس لأبناء المسلمين ولكل محبي التغيير وفق المنهج الرباني .

فلا غرابة أن نرى هذا الإصرار الكبير وهذه الاستماتة الفريدة من قبل قوات الباطل، على مواصلة الحصار وجمع العدة والسلاح وتأليب الأحزاب، لمحاولة استئصال شأفة هذه العصابات المباركة المجاهدة ، وسط ذهول المسلمين وقعودهم ، ووسط تثبيط المثبطين وتخذيل المتخاذلين ، ولكن الله من ورائهم محيط ، وعلى إهلاك أعدائه قدير ، وعلى نصر عباده قوي عزيز .

وعلينا في البداية تعريف النصر بالمفهوم الرباني وليس بالمفهوم الأرضي ، فالنصر هو انتصار العقيدة، وانتشارها بين الناس وسريانها في النفوس بالرغم من الحصار والانكسار الذي قد يصيب حاملي الحق في فترة من فترات الصراع مع حاملي الباطل .

أما النصر بمفهومه الأرضي فهو ظهور المبدأ بالقوة وتطبيقه على أرض الواقع، حتى ولو كان الناس له كارهون ورافضون ، كما هو الشأن بالنسبة للاحتلال الكافر ، والذي تمثله اليوم أمريكا بكل عنجهية وتكبر وغطرسة ونكران للطرف الآخر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالحق يكون منتصراً حتى وإن كان حاملوه لا يستطيعون تجسيده على أرض الواقع ، كما هو حاصل اليوم بالنسبة للحركات الإسلامية المجاهدة ، التي تجسد الإسلام في أعلى وأجل صوره بالرغم من غربتها ونكران القريب لها قبل البعيد.

فبلال الحبشي انتصر على أميَّة في مكة حتى وهو تحت رحمة سياطه ، وكذلك فعل خباب بن الأرت ومصعب بن عمير وقبلهم آل ياسر الذين استشهدوا و لم يحققوا أي تمكين على الأرض، و لم يروا أي نصر مادي ظاهري على أرض الواقع . هذا هو الانتصار والنصر الحقيقي الذي يُمهّد للنصر المادي الظاهري .

يقول الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله :" والنصر الأخير مرتبط بالنصر الأول، فما يتحقق النصر في عالم الواقع إلا بعد تمامه في عالم الضمير، وما يستعلي أصحاب الحق في الظاهر إلا بعد أن يستعلوا بالحق في الباطن.. إن للحق والإيمان حقيقة متى تجسمت في المشاعر أخذت طريقها فاستعلنت ليراها الناس في صورتها الواقعية، فإذا ظل الإيمان مظهراً لم يتجسم في القلب، والحق شعار لا ينبع من الضمير، فإن الطغيان والباطل قد يغلبان، لأنهما يملكان قوة مادية حقيقية لا مقابل لها ولا كفاء في مظهر الحق والإيمان..يجب أن تتحقق حقيقة الإيمان في النفس وحقيقة الحق في القلب، فتصبحان أقوى من حقيقة القوى المادية التي يستعلي بها الباطل، ويصول بها الطغيان"[1].

فما نراه اليوم من تحالف أحزاب الكفر والنفاق والردة على جماعات المؤمنين وعصابات المجاهدين هنا وهناك، لهو خير دليل على أن هذه الفئات المجاهدة الصابرة قد انتهجت طريق الحق ، وكلما تمسكت بهذا الحق وصبرت عليه، كلما كان ذلك مدعاة للآخرين للانضمام إلى صفوفها وتوسيع دائرتها ، وكلما اقترب النصر والتمكين ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون هذه السنة الربانية ، بسبب بعدهم عن دينهم وعن الممارسة الفعلية لهذا الدين في الواقع.

[1] طريق الدعوة في ظلال القرآن – ص ٣٤٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن شروط النصر؛ النفقة في سبيل الله بالمال، وهو دعامة أساسية يحتاجها الجهاد في كل مراحله، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ فقد قال ابن كثير: " ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده ثم عطف بالأمر بالإحسان وهو أعلى مقامات الطاعة، فقال ﴿ **وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾.

أما صاحب الظلال رحمه الله فيقول " والجهاد كما يحتاج للرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد المسلم يجهز نفسه بعدة القتال ومركب القتال وزاد القتال.. لم تكن هناك رواتب يتناولها القادة والجند ، إنما ترك هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال وهذا ما تصنعه العقيدة حينما تقوم عليها النظم ، إنها تحتاج حينئذ أن تنفق لتحمي نفسها من أهلها أو من أعدائها، إنما يتقدم الجند ويتقدم القادة متطوعين ينفقون هم عليها ، من أجل هذا كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى الإنفاق في سبيل الله ، الإنفاق لتجهيز الغزاة ، وصاحبت الدعوة إلى الجهاد دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله ، الإنفاق لتجهيز الغزاة ، وصاحبت الدعوة إلى الجهاد دعوة الإنفاق في معظم المواضع ، وهنا يعد عدم الإنفاق تهلكة ينهى عنها المسلمون ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ** .. ﴾ الآية ، والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للنفس بالشح وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف وبخاصة نظام يقوم على التطوع كما كان يقوم الإسلام ، ثم يرتقي بهم من مرتبة الجهاد والإنفاق إلى مرتبة الإحسان ﴿ **وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ومرتبة الإحسان هي عليا المراتب في الإسلام وهي كما قال رسول الله ﷺ " **أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** " وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة ، فإنها تفعل الطاعات كلها ، وتنتهي عن المعاصي كلها ، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة وفي السر والعلن على السواء " . اهـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن شروط النصر أيضاً؛ التضحية بالنفس في سبيل نصرة دين الله، ونجد ذلك في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** ﴾ [التوبة : ١١١].

وفي قوله عز من قائل ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ، يقول ابن كثير: " قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر فعل ، فتخلص منهم وأعطاهم ماله ، فأنزل الله فيه هذه الآية فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له : ربح البيع ، فقال وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك ؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية .

ويروى أن رسول الله ﷺ قال له : ربح البيع صهيب . وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة : ١١١] ولما حمل هشام بن عامر بين الصفين أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلوا هذه الآية ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ ، وسيد يقول في ظلاله : " ويشري هنا معناها يبيع ، فهو يبيع نفسه كلها لله، ويسلمها كلها لا يستبقي منها بقية ، ولا يرجو من وراء أدائها وبيعها غاية إلا مرضاة الله ، ليس فيها شيء وليس له من ورائها شيء، بيعة كاملة لا تردد فيها ، ولا تلفت ولا تحصيل ثمن ولا استبقاء بقية لغير الله ، والتعبير يحتمل معنى آخر يؤدي إلى نفس الغاية، يحتمل أن يشتري نفسه بكل أعراض الحياة ليعتقها ويقدمها خالصة لله لا يتعلق بها حق آخر إلا حق مولاه، فهو يضحي كل أعراض الحياة ويخلص بنفسه مجردة لله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن شروط النصر؛ الصبر على المحنة والابتلاء ، ومواصلة الطريق رغم الجراحات والحرمان ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [البقرة : ٢١٤].

قال ابن كثير في التفسير : "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم ، ولهذا قال ﴿ **وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء** ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب . قال ابن عباس وابن مسعود وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم ، البأساء الفقر ، الضراء السقم ، وزلزلوا خوفوا من العداء زلزالاً شديداً وامتحنوا امتحاناً عظيماً ﴿ **حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ** ﴾ أي يستفتحون على أعدائهم ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة ﴿ **أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ** ﴾ كما قال تعالى ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً** ﴾ وكما تكون الشدة يترل من النصر مثلها ولذا قال ﴿ **أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ** ﴾، وفي حديث ابن رزين: " **عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر إليهم قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب** " الحديث .

ويقول صاحب الظلال : " هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها ، وإلى سننه سبحانه في تربية عباده المختارين الذين يكل إليهم رايته وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته ، وهو خطاب مطرد لكل من يختاره لهذا الدور العظيم ، إن هذا السؤال من الرسول ومن الذين آمنوا معه ، من الرسول الموصول بالله عبر وحيه ، والمؤمنين الذين آمنوا معه، إن سؤالهم ﴿ **مَتَى نَصْرُ اللّهِ؟** ﴾ ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة، ولن تكون إلا محنة فوق الوصف ، تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب فتبعث منها ذلك السؤال المكروب (متى نصر الله ؟) وعندها تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة ، عندئذ تتم كلمة الله ، ويجيء النصر من الله ﴿ **أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ** ﴾ ، إنه مدخر لمن يستحقونه، ولن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية ، الذين يثبتون على البأساء والضراء ، الذين يصمدون للزلزلة ، الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة ، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله وعندما يشاء الله ، وحتى حينما تبلغ المحنة ذروتها فهم يتطلعون إلى نصر الله فحسب لا إلى أي حل آخر ولا إلى أي نصر آخر لا يجيء من عند الله ، ولا نصر إلا من عند الله ، بهذا يدخلون الجنة ، مستحقين لها ، جديرين بها ، بعد الجهاد والامتحان والصبر والثبات والتجرد لله وحده ، والشعور به وحده وإغفال كل ما سواه وكل من سواه.

إن الصراع والصبر عليه يهب للنفوس القوة ، ويرفعها على ذواتها ويطهرها في بوتقة الألم، فيصفو عنصرها ويضيء ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية ، فتتلألأ حتى في عيون أعدائها وخصومها ، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجاً كما وقع ، وكما يقع في كل قضية حق ، يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم ، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين.

على أنه – حتى إذا لم يقع هذا – يقع ما هو أعظم منه في حقيقته، يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنها، وأن تنطلق من أسر الحرص والدعة والراحة التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء ، كسب يرجع جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون ، المؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته ، وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف..وهذا هو الطريق ، هذا هو الطريق ، إيمان وجهاد ، ومحنة وثبات وابتلاء وصبر وتوجه إلى الله وحده ، ثم يجيء النصر ، ثم يجيء النعيم " اهـ.

ونحن نقول : تعالوا ننظر إلى هؤلاء الذين يتحركون باسم الإسلام اليوم ، ويرفعون لافتاته وشعار الجهاد والدعوة إلى الله ، وهدفهم – كما يدعون – هو إقامة شرع الله في الأرض، أو بعبارة أخرى ينتظرون نصر الله ، ونصر الله لا يأتي إلا وفق شروط لابد من توفيرها كما أسلفنا القول ، امتحان وفتنة واختبار ونقص من الأموال

www.manaraa.com

والأنفس والثمرات ، ثم بعد ذلك صبر واستعلاء بالإيمان وتحد للجاهلية مهما عظم كيدها واشتد بطشها، ثم عدم الانحناء لرياحها وضرباتها المتتالية ، هل يا ترى يوفون بشيء من هذا حتى ينتظروا نصر الله ؟ أم أنهم سقطوا في أحضان الطغاة وصبغوا أعمالهم بصبغة الإسلام زوراً وبهتاناً لكي يخدعوا الغافلين من أبناء الأمة ، فينضموا إلى تجمعاتهم ويخمدوا نار الثورة والجهاد ؟!

إن طريق الحق واضح وأسباب النصر معلومة ولابد من توفيرها في أنفسنا ابتداء ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ ولابد من الصبر بلا انكسار ولا تذلل، واستعلاء بالإيمان بلا تكبر وخيلاء ، وانتظار للفرج دون تواكل ولا يأس ولا ملل ، وعندئذ يحق لنا أن ننتظر نصر الله والتمكين لدينه في الأرض ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً** ﴾ [النور : ٥٥].

أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرحلة ما بعد النصر

الحمد لله رب العالمين، قاصم الجبارين وناصر المستضعفين، القائل: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقائد المجاهدين القائل: (... **واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً**).

الذي دفعني إلى الكتابة عن النصر وعن مرحلة ما بعد النصر، وكذلك عن شروط تحقيقه والأسباب التي تعصف به لتجعله في عالم النسيان والزوال، هو ما حققه الجهاد الإسلامي في أفغانستان من نصر وتمكين على أيدي طالبان، وما يحققه الإخوة المجاهدون في الشيشان ثم ما يقوم به الإخوة في الجزائر من إثخان في أعداء الله ومن تقدم واقتراب من النصر يوماً بعد يوم، وكذلك ما تحققه حركة الجهاد من تقدم في كل من كشمير والفلبين وأندونيسا وإرتريا وباقي مواقع الرباط. فحديثنا هنا سيكون عبارة عن نصيحة أو لنقلْ تذكيرا للحركة المجاهدة في كل مكان، خاصة الإخوة في طالبان المسلمة.

وقبل الحديث عن الحركة الإسلامية في مرحلة ما بعد النصر أو ما بعد التمكين، نود أن نشير إلى أن ما حققته حركة طالبان في أفغانستان من نصر وتمكين للمشروع الإسلامي، إنما كان نتاج سنين من التضحيات والجهاد المستمر، بالإضافة إلى القدوة العالية لقياداتها ونزولها إلى الساحة تعيش الآلام وتقدم التضحيات إلى جانب الشعب المسلم، تعاني الجوع والفاقة، وتقدم خيرة أبنائها شهداء بسبب غدر المنافقين وحقد الكفار الملحدين.

وبالرغم من تحالف الأعداء في الداخل والخارج على ضرب هذه الحركة الفتية المؤمنة الصادقة، وبالرغم من قلة النصير والزاد والعتاد، استطاعت الحركة أن تحرز انتصارات ساحقة على أعدائها وتسيطر بذلك على جل التراب الأفغاني وتحارب الفساد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجريمة وتزرع الأمن والطمأنينة في البلاد، كما سارعت إلى تطبيق الشريعة الإسلامية على نطاق واسع من البلاد وفي شتى مجالات الحياة.

فالزمرة المؤمنة لابد أن تحقق صفات الإيمان والتقوى والتوكل على الله تعالى والتجرد له تجرداً كلياً، واعتبار أن النصر وسيلة لعبادة الله والتقرب إليه قصد نيل رضاه، ويمكننا جمع هذه الصفات كلها في كلمة واحدة هي "نصر الله"، كما يقول عز وجل: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾، ونصر الله معناه تحقيق صفات الإسلام في ذواتنا والسير وفق شرع الله تعالى في كل حركة وسكنة.

كما نود تسجيل ثمة حقيقة جوهرية تبين الوقت الذي يجيء فيه النصر والحالة النفسية التي يكون عليها جند الله قبيل تحصيل النصر، نقرأ هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [يوسف : ١١٠] ، فانتصار الحق يفاجئ الجميع حتى المنتصر نفسه، وربما ليضيف إلى نشوة النصر نشوة أخرى إضافية ولتكون بالنسبة للمغلوب كالصاعقة تقصم ظهره وتهدم آماله وكل طموحاته، ولا يترك له فرصة لأخذ الحذر أو الاستعداد للصدمة المرتقبة، حكمة الله البالغة ﴿ **إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾.

بعد هذا المدخل القصير، نتساءل ونقول...

ما هو المطلوب من المنتصر حتى يحافظ على انتصاره؟

إن المحافظة على النصر أعظم قيمة وأصعب إنجاز من تحقيق النصر نفسه، لأن العراقيل والصعاب تظهر تتراً في طريق هذا النصر، ويحاول الأعداء بكل ما يملكون من وسائل الكيد والمكر، إحباط هذا الإنجاز العظيم الذي حققه المسلمون، ولاشك أن العراقيل ستأتي من الداخل والخارج على السواء، ولا ينبغي أن نتصور بأن المجتمع سيكون خاضعاً للطليعة المجاهدة كالخاتم في اليد تديره كيف تشاء، بل سيكون هناك طوابير النفاق والشرك وأصحاب الإيمان الضعيف والمثبطون، وكلهم سيشكلون جبهة داخلية لمحاربة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المشروع الإسلامي ولإقصاء الطليعة المجاهدة من الساحة السياسية وليس فقط من على كرسي الحكم.

من بين الأمور التي يجب توفيرها والتسلح بها في هذا المجال، ما يلي:

أولا:

المحافظة على الصفات الإيمانية وتقويتها، وتوثيق الصلة الروحية بالله عز وجل - الذي هو صاحب النصر الحقيقي - ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في سورة النصر ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ فالمؤمن لا يمكن أن يحقق شيئاً في هذا الوجود إلا بإرادة الله تعالى وتوفيقه ﴿ **لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ** ﴾، والتقرب إليه سبحانه بالعبادة والطاعة يعني ضمان التدخل الإلهي إلى جانب عباده المؤمنين وحفظه لهم، وبأنه سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده، لا يمكن لأية قوة أن تصمد في وجه إرادته ولا أن تغير مشيئته.

ثانيا:

التحلي بالتواضع الجم بدل الإحساس بالغرور والخيلاء والتكبر، وهي صفات إبليسية ذميمة يحاول الشيطان الرجيم زرعها في نفس المنتصر حتى ينقلب على نفسه ويهدم ما أنجزه بيده، لأن الطموح والتقدم في الإنجاز الجيد يكسره شيئان: اليأس والغرور، فاليأس يصيب المنهزم فلا يقدر على مواصلة الصراع مع عدوه فيستسلم للفشل وتخور عزيمته فيفترسه عدوه كيفما يشاء، وأما الغرور فيصيب المنتصر، فيغتر ويحسب نفسه الأقوى والأكفأ، فلا يواصل تقوية نفسه وإمكاناته أو تطوير أساليبه، ويدفعه هذا الشعور بالتالي إلى الاستهانة واستصغار شأن عدوه الذي يستغل هذه الثغرة لرد الصاع صاعين.

ثالثاً:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التسلح بالصبر على مواجهة الصعاب، وامتلاك النفس الطويل، وتمالك النفس أما الاستفزازات المتنوعة من قبل الأعداء والمغرضين، ومحاولة معالجة المشاكل المطروحة بالحكمة القرآنية، بحيث أنه يجب تصنيف الفئات المعوقة للمشروع الإسلامي كل واحدة على حدة، ومعاقبتها وفق ما تستحقه حتى تتجنب الطليعة المجاهدة الوقوع في الظلم أو التساهل في تطبيق الشرع، أو بعبارة أدق: تجنب الوقوع في الإفراط والتفريط في التعامل مع الفئات سالفة الذكر.

رابعاً:

النجاح في تنفيذ وتحقيق كل الوعود والتعهدات المادية والمعنوية للشعب – قدر المستطاع – وتخصيص أموال من عائدات الزكاة مثلاً للمؤلفة قلوبهم في بداية الأمر حتى يتجنب المشروع الإسلامي كيدهم ومكرهم، وحتى لا تستاء الجماهير من الطرح الإسلامي خاصة وأنها – أي الجماهير – لن تستطيع أن تتفهم وضعية الطليعة الصعبة التي وجدت نفسها فيها، بمجرد الحصول على النصر الظاهري والتمكين في الأرض.

وهذا ريثما تتجذر في نفوس الشعب عقيدة احتمال الضرر والرضا بما عند الله عز وجل والتعلق بوعوده الأخروية بدل التعلق بالدنيا وأوساخها.

خامساً:

السير في تطبيق الشريعة الإسلامية بحزم وحسم، وليس بالتدريج والتمييع حتى لا تفقد الشريعة هيبتها وتعطي ثمارها المرجوة، بدلاً من التطبيق الأعرج والأبتر، مما سيؤثر سلباً على أهداف الشريعة ومقاصدها.

سادساً:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتظار كل أنواع المفاجئات والاستعداد التام لمواجهتها، واحتمال انقلاب قسط أكبر من الجماهير على الطليعة نظراً لطول انتظار تحقيق الوعود والتشوق إلى جني الثمار في أسرع وقت ممكن خلافاً لسنة الدعوات وطبيعتها التي تتطلب من القاعدة التضحية المتواصلة والصبر الواسع والطويل قبل اكتمال بنيات المجتمع الإيماني المنشود والموعود.

سابعاً:

الاعتماد – بعد الله تعالى – على القاعدة الصلبة التي حملت البناء وأوصلت القافلة المجاهدة إلى شاطئ النصر والتمكين، واعتبارها القلب النابض للمجتمع والحارس الأمين للمحافظة على هذا النصر، والقادرة على صد كل الهجمات الخارجية والفتن الداخلية التي تحاك وراء كواليس الاستكبار العالمي من أجل قتل الوليد الجديد في مهده.

فمن خلال التمعن في أحداث السيرة النبوية المطهرة – غزوة أحد وغزوة حنين على سبيل المثال – وبعد وفاة الرسول ﷺ وما أعقب ذلك من ارتداد كل القبائل العربية عن الإسلام برفضها أداء حق الزكاة للخليفة الأول الصديق رضي الله عنه، نلاحظ أن الذين ثبتوا مع الرسول في أحلك الظروف أو مع الخليفة الأول للمسلمين لمواجهة المرتدين وإرجاعهم إلى البيت الإسلامي ومنع انتشار مصيبة الارتداد هاته، هم أولئك السابقون الأولون، الذين سبقوا إلى الإيمان والهجرة والجهاد، وتربوا في مدرسة الابتلاءات والمحن، وبنوا أنفسهم وقواعدهم في الوقت الذي كانت ضربات الباطل تنزل عليهم كوابل المطر، ورغم ذلك صمدوا وتجاوزوا مرحلة الاستضعاف بنجاح لا نظير له في تاريخ الدعوات كلها.

ثامناً:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استعمال الحكمة البالغة وإظهار الملكات والفعاليات المجاهدة إلى الوجود لمواجهة المستجدات على الساحة، والبروز بمظهر المسؤولية والكفاءة العالية أمام الجماهير حتى تستمر في منح ثقتها للقيادة الحاكمة، مع امتلاك القدرة على حل كل المعضلات آنياً أو مستقبلياً.

تاسعاً:

بث الدعاة والمربين وزرعهم في المجتمع لتبليغ مقاصد الشريعة وتوسيع دائرة القاعدة الصلبة التي اعتبر الأساس والضمان الوحيد لبقاء المجتمع الإسلامي قوياً وقادراً على تحدي كل التجمعات الجاهلية المناقضة والمناهضة له، ولاشك أن الطليعة الحاكمة ستملك كل وسائل الإعلام والدعاية التي تمكنها من تبليغ رسالة الإسلام على أحسن وجه، وعليها في هذا المقام أن تكثّف من البرامج التعليمية والتوعوية لاستدراك ما ضاع من الوقت ومن الفرص في هذا المضمار.

هذا فيما يخص أهم ما يمكن فعله وتحقيقه على المستوى الداخلي، وتحديداً مع الشعب الذي يمثل مادة الصراع بين الحق والباطل أو بين المشروع الإسلامي الرباني والمشروع الجاهلي الشيطاني، أما على المستوى الخارجي.

فالمطلوب من القيادة المسلمة أن تتحلى بمجموعة صفات نلخصها كالتالي:

أولاً:

الحفاظ على المبدئية وتغليبها على العوامل الأخرى، ونقصد بالمبدئية هنا، التشبث بالمبادئ وعدم التفريط فيها ولو كان ذلك على حساب فقدان المصالح المادية أو بعض الأصدقاء أو الحلفاء ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً:

الحفاظ على الاستقلالية في تسيير الأمور الداخلية والخارجية، والحذر من السقوط في أحضان قوى الكفر العالمي المعادي والمحارب للمشروع الإسلامي، ولو أدى ذلك إلى التعرض إلى مجموعة من الضغوطات المادية والمعنوية من طرف هذه الجهات بالذات.

ثالثاً:

تسخير السياسة الخارجية وجعلها أداة لتصدير المشروع الإسلامي ومحاولة تبليغ الرسالة للعالمين عملاً بقوله تعالى ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** ﴾، ولقوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾، ولقوله ﷺ: (**الجهاد ماض إلى يوم القيامة**)، والجهاد هنا ماض ومتواصل حتى بعد إقامة الدولة الإسلامية النواة، وهذا يعني جهاد كل من يستعبد الناس ويصدهم عن سبيل الله وعن اتباع الحق، ويسلبهم حرية الاعتقاد وحرية اختيار الدين الحق، المناسب والملائم للفطرة الإنسانية التي قال عنها رسول الله ﷺ: (**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ويمجّسانه وينصرانه**)، ومصداقاً لقول ربعي بن عامر لقائد الفرس قبل معركة القادسية: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة).

فالطليعة المجاهدة لا ينبغي لها أن تنكفئ على نفسها، فتخاف من مواجهة الطرف الآخر، بل بالعكس تماماً، فهي توجد في موقع القوة، والقوة الحقيقية هي قوة العقيدة والشعور بالاستعلاء الإيماني ﴿ **وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾، فالمؤمن ليس ممن يخاف على نفسه من الضياع ولا على شخصيته من الذوبان في بحر الملذات والشهوات الجاهلية البهيمية، وهذا بفضل إيمانه القوي وشخصيته المؤثرة، وما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينطبق على الفرد المؤمن ينطبق كذلك على التجمع المبدئي، الذي كلفه الله تعالى تبليغ رسالته وقيادة البشرية الضالة وإخراجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام في ظل الشريعة الربانية العادلة.

رابعاً:

السعي الجاد والمتواصل من أجل امتلاك القوة المادية أو بعبارة أدق امتلاك حق القوة، وذلك للتمكن من الدفاع عن بيضة الإسلام والتصدي لكل الهجمات المحتملة التي قد تأتي من قبل الأعداء والمتربصين بالمشروع الإسلامي الدوائر، من أجل استئصال شأفته من الوجود، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ** ﴾، لهذا وجب الاستعداد والتربص وأخذ الحذر، ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾.

خامساً:

محاولة الاستفادة من القوانين والأعراف الجاهلية وتسخيرها من أجل ضرب القوى المعادية وإيقاع الفتنة فيما بينها، حتى لا تتوجه جهودهم وتتوحد لضرب التجمع الإسلامي وهو لا يزال في مهده، ومحاولة الاستفادة من القاعدة القائلة:" عدو عدوي صديقي " والسعي دوماً إلى كسب الأصدقاء في الميدان السياسي واتخاذهم درعاً واقياً من ضربات الأعداء المحتملة.

سادساً:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تسهيل الإجراءات القانونية لأبناء الأمة الإسلامية حتى يتمكنوا من الدخول إلى الوطن الإسلامي وجعله قبلة لهم في ميدان العمل الإسلامي ومحطة استراحة وتزود وإعداد بعيداً عن كيد ومكر حكوماتهم الطاغوتية، وفتح الأبواب على مصراعيها للحركات الجهادية لتنظيم أمورها وصفوفها، وعلى القيادة المسلمة أن تتبنى كل قضايا الشعوب المستضعفة والمقهورة وبخاصة المسلمة منها، وتقدم لها كل المساعدات اللازمة من أجل التحرر وجهاد حكوماتهم الطاغوتية، وبهذا ستأخذ الطليعة المجاهدة موقع الصدارة في مشروع التحرر والجهاد والحركة بالإسلام على كونه دين الحرية والكرامة والعزة للإنسان فوق هذه الأرض.

هذه بعض النقاط التي يمكننا تسجيلها في هذا المجال، على أساس أنها تعتبر نصائح وتوجيهات من مسلم غيور وحريص على أن يبقى المشروع الإسلامي مشعلاً دائم الاتقاد ينير الطريق لكل الحائرين والتائهين في هذا العالم البهيمي، وعلى أنه المرشح الوحيد للأخذ بيد هذه البشرية الضالة إلى شاطئ الأمان.

وحرصاً على تجنب أي انتكاسة للحركة الإسلامية بعدما خطت الخطوة الأولى بنجاح وتمكنت من تحقيق النصر الظاهري للطرح الإسلامي الرباني، ويبقى عليها الجهد الأكبر وهو الحفاظ على هذا النصر، وسط الألغام العديدة التي تحيط بهذا المشروع الوليد، الذي يهدد قوى البغي والطغيان ويعدها بالزوال والاندثار، كما يعد بذلك رب العزة وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً** ﴾، وقوله عز من قائل ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ** ﴾.

﴿ **هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقفات تربوية مع بيعة العقبة الثالثة

١ - السمع والطاعة في المنشط والمكره .. (١٨٥)

٢ - أنواع النفقة .. (١٩٢)

٣ - الحسبة .. (١٩٩)

٤ - قول الحق والنصرة .. (٢٠٧)

٥ - التبعات .. (٢١٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- السمع والطاعة في المنشط والمكره

تمهيد

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ [الفتح ١٠]. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، القائل: "**من مات ولم يكن في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية**"، ثم أما بعد

كم نحن بحاجة إلى الوقوف وقفات اعتبار وتذكر عند محطات سيرة رسولنا الكريم ﷺ، فالله سبحانه قد جعل ذلك تعبداً قبل أن يكون حاجة وضرورة ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً** ﴾، وفي قوله عز من قائل ﴿ **قل إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾، فحاجتنا إلى السيرة النبوية كحاجة السائر في صحراء قاحلة إلى واحات يجد فيها الماء والظل يتزود منها ليواصل رحلته، بل حاجتنا إلى هذه السيرة أشد من هذا المسافر، لأن السيرة تحفظ لنا ديننا وعقيدتنا من الضياع في حين أن هذه الواحات تحفظ لنا حياتنا، وحفظ الدين مقدم على حفظ النفس في سلم مقاصد شريعتنا.

ومن أهم هذه المحطات تلك التي وقف فيها الأنصار يبايعون فيها رسول الله ﷺ عند العقبة، وكانت في فترة عرفت فيها الدعوة حالة من الركود والجمود، وذلك بعدما طاف رسول الله على القبائل خارج مكة وعلى الوفود القادمة إليها، فعرض عليهم الدعوة وطلب منهم النصرة وكان الرفض والجفاء والاعتداء عليه هو الجواب، فأذن الله تعالى لهذه الدعوة أن تتنفس من جديد وتنطلق في الآفاق بعدما وفرت تلك القاعدة الصلبة الأولى شروط النصر وتحققت فيها العناصر اللازمة لحمل البناء القادم من أجل توسع موزون وفق مشيئة الله وقدره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاءت هذه البيعة لتقلب الكثير من الموازين داخل مكة وخارجها، ولتكون إعلاناً جديداً ومنطلقاً لمرحلة الدولة الإسلامية، بعدما قطعت الجماعة المؤمنة مرحلة الدعوة والتمحيص بنجاح لا نظير له، فكانت هذه الانطلاقة بمثابة منحة ربانية لهذه الجماعة، وهي في الوقت ذاته محنة نظراً لثقل التبعات التي تنتظرها في مستقبل الأيام.

ذلك أن مرحلة الدعوة ستعرف منعطفات جديدة ومتطلبات ثقيلة، وستشتد الحرب بين طرفي الصراع أكثر من ذي قبل، نظراً لتمايز الصفين ولإعلان الفئة المؤمنة حربها على جموع الكفر لأول مرة منذ انطلاق الدعوة كما سنرى في الصفحات القادمة من هذا المقال إن شاء الله، حيث سُميت هذه البيعة ببيعة القتال مقارنة مع بيعة العقبة الأولى التي سميت ببيعة النساء التي لم يكن فيها ذكر للقتال ولا للتدافع.

والناظر إلى واقع المسلمين اليوم وبخاصة واقع مجاهديهم ودعاتهم، يجد أن التاريخ يعيد نفسه، حيث أن الظروف مماثلة والصورتين متطابقتان إلى أبعد حد، فأهل الحق محاربون من قبل قوى الكفر مجتمعة بمساعدة جيوب النفاق والردة وهو ما لم يكن موجوداً في المرحلة المكية، والدعوة أصبحت غريبة في البيئة التي من المفروض أن تؤويها وتنصرها، والقاعدة الصلبة التي تحمل منهج الدعوة والجهاد قليلة العدد وبحاجة إلى أنصار وأعوان يحملون معها جزءاً من عبء هذا الدين الثقيل كما نبّأ بذلك رسول الله ﷺ عند حديثه عن هذه الطائفة في قوله وهو يخاطب أصحابه: "ستجدون على الحق أعواناً ولا يجدون على الحق أعواناً ".

فلا يسعنا – والحالة هذه – سوى الوقوف بكل إخلاص وتمعن أمام هذه البيعة التاريخية الخالدة، نستقي منها ما يلزمنا من دروس وعبر، ونجعلها نبراساً لنا على الطريق– وهذا ما ينبغي أن يكون – في كل مرحلة من مراحل الصراع مع الباطل ومع كل محطة من محطات السيرة النبوية العطرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سنقف عند بنود هذه البيعة ونسلط عليها الأضواء ونربطها بواقع الطوائف المجاهدة، دون التطرق إلى المشاهد الأخرى المرافقة لهذه البيعة سوى ما نعتقد أن له علاقة وطيدة ومباشرة بحركية هذا الدين في مواجهة ما واجهه الرعيل الأول بقيادة النبي ﷺ.

الطاعة والانضباط

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتَّبع الناس في منازلهم: عكاظ ومَجنّة، وفي المواسم يقول: "**من يُؤويني؟ من ينصُرني؟ حتى أبلِّغ رسالة ربي وله الجنّة**"، فلا يجد أحداً يُؤْويه ولا ينصره، حتى أن الرجل لَيَخرُج من اليمن أو من مُضر فيأتيه قومه وذوو رَحِمِه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدّقناه، فيخرج الرجل منّا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دارُ من دور الأنصار إلا وفيها رهطُ من المسلمين يُظهرون الإسلام.

ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويُطرد في جبال مكة ويخاف؟! فرحل إليه سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: **تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنَّفقة في العُسْرِ وَالْيُسْرِ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة** "[1] .

قبل الحديث عن هذه البنود، أود أن أسجل الملاحظات التالية :

[1] وقد رواه أحمد أيضاً والبيهقي من غير هذا الطريق أيضاً، وهذا إسناد جيّد على شرط مسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إن الداعية إلى الله تعالى لابد أن يستنزف كل طاقته وجهده في تبليغ الدعوة، ويلجأ إلى كل الوسائل والأساليب الشرعية الممكنة للوصول إلى قلوب الناس، ولا ينبغي أن يصاب بالملل أو اليأس أو أي نوع من الإحباط، وهو مع هذا يدعو ربه أن يوفقه لإيجاد سبل جديدة لتبليغ دعوته، وأن يهدي الناس إلى ما يدعوهم إليه.

- إن الداعية لا يُطمع الناس في مغانم دنيوية، ولا يربطهم بأهداف مادية زائلة، في مقابل الاستجابة لدعوته أو مجرد إيوائه ونصرته، بل يربطهم بربهم وحده، ويعدهم بالجزاء الأخروي فقط: "وله الجنة".

- إن تكذيب الناس له والاستهزاء به وعدائهم له ولدعوته لا يفت من عضد الداعية شيئاً ولا يوهن من عزيمته في مواصلة مسيرته.

- إن نصر الله وفتحه على الدعاة لا يأتي إلا بعد أن يقدم هؤلاء كل ما في جعبتهم من جهد بشري ومن أسباب مادية في سبيل إنجاح دعوتهم.

السمع والطاعة في النشاط والكسل

وهي من أهم السمات الرئيسية لكل تجمع إيماني منظم، فالقيادة أو الإمارة لا معنى لها ولا قيمة ما لم يتوفر عنصر الطاعة لدى الجنود، والطاعة المطلوبة هي الطاعة في المنشط والمكره، في السراء والضراء، في العسر واليسر، وإلا فهي طاعة ناقصة لن تؤتي أكلها وثمارها المرجوة.

ذلك ما عبّر عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قولته المشهورة : "لا إسلام بدون جماعة، ولا جماعة بدون إمارة، ولا إمارة بدون طاعة"، وما عبّر عنه المثل القائل: "لا رأي لمن لا يُطاع".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالسمع والطاعة هما الركيزتان التي يستند عليهما التنظيم، وإلا فهو تجمع لا أساس له، ولا يمكن أن يحقق شيئاً على أرض الواقع، سوى تجميع الأصفار واستهلاك الأوقات والجهود فيما لا طائل وراءه.

أما النصوص التي وردت في السمع والطاعة فكثيرة ومتنوعة، منها قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ فجاءت طاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله، أي في حدود أوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذا ما يعبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: "**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إنما الطاعة في المعروف**".

وهذا ما يميز الطاعة في التجمع الإيماني مع الطاعة في غيرها من التجمعات الأخرى، حيث يكون الجنود والأتباع مطالبون بتنفيذ أوامر أمرائهم دون النظر في طبيعتها، ولا يمكن أن تكون عرضة للنقاش أو التراجع.

فالسمع والطاعة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهما وجهان لعملة واحدة، إذ أن الأهم ليس هو مجرد السمع وقبول الأوامر، بل لابد من الطاعة التي تمثل جانب التنفيذ والتطبيق.

وما آلت إليه أمتنا من تشرذم وانحطاط وتمكين لأعداء الله في أراضينا وخيراتنا، إنما هو بسبب بُعدِ المسلمين عن طاعة الله ورسوله بترك الأوامر وإتيان النواهي، وانغماسهم في الشهوات واتباعهم للأهواء، هذا على مستوى الأمة، أما على مستوى التجمعات الإسلامية فإن من أهم أسباب فشلها وعدم تقدمها في مسيرة التغيير المنشودة، هو غياب عنصر السمع والطاعة في صفوفها، حتى تحولت هذه التجمعات إلى مجرد جمعيات صورية لا تقدم ولا تؤخر.

وأحياناً، حينما تجد هذا العنصر متوفراً في التجمع، فإنه أحادي الجانب والاتجاه، حيث يكون متوفراً في حالات الرخاء والمنشط، ولا تجد له أثراً في حالات الشدة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمكاره، وهي الفترات التي يوضع فيها الفرد في المحك، وتظهر حقائقه لنفسه قبل غيره، كما أنها الفترات التي يحتاج فيها التجمع إلى هذا العنصر بقضه وقضيضه.

فأمة الجهاد والتضحية تمتاز عن غيرها من أمم الرخاء والتميع بكونها أمة مطيعة، وملبية لأوامر ربها ورسولها وأوامر قياداتها من بعده، وبها استحقت أن تكون خير الأمم وأفضلها على الإطلاق، وهل ما آلت إليه أمة بنو إسرائيل من التهميش واللعنة والتبديل إلا بسبب نكوصها عن عهودها مع ربها وعصيانها لأنبيائها واستبدال عنصر الطاعة بعنصر العصيان ؟!

هناك نقطة هامة أود الوقوف عندها في نهاية حديثي عن عنصر السمع والطاعة، هي مساهمة هذا العنصر في التأثير على مردودية القيادة سلباً أو إيجاباً، كما يساهم في كشف حقيقة الفرد لنفسه ولقيادته.

كثير من الجنود يطلبون من قياداتهم أن تكون في مستوى عال من الحنكة والتخطيط والعطاء، فيشترطون عليها أن تكون في مستوى الخلفاء الراشدين، وينسون أن ذلك يتوقف على نوعية الجنود والأتباع، فالذي يطلب أمراء كأبي بكر الصديق وعمر الفاروق لابد أن يكون هو في مستوى الصحابة كعمار وبلال.

فحينما يكون هذا العنصر متوفراً في الجنود، فإنه يدفع القيادات إلى تطوير كفاءاتها ومحاولة الارتقاء إلى مستويات أعلى وابتكار أساليب ووسائل أفضل لتلبية حاجيات هؤلاء الجنود، ومحاولة استغلال وتسخير هذه الطاقات المتفجرة في خدمة الأهداف الكبرى للتجمع.

وهكذا يتحول التجمع الإيماني إلى أنموذج من العطاء والإخلاص والتضحية، وإلى مثل أعلى في السمع والطاعة على مستوى القيادة والقاعدة على حد سواء.

هكذا كان التجمع الإيماني الأول بقيادة رسول الله ﷺ، سواء في مكة وهي مرحلة الدعوة والتمحيص وبناء القاعدة الصلبة، أو في مرحلة بداية بناء الدولة الإسلامية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي ابتدأت بهذه البيعة عند العقبة، والتي التحق بها الأنصار لينضموا إلى دائــرة التوحيــد ويوسعوا قطرها إلى جانب إخوانهم المهاجرين.

والنداء موجه إلينا جميعاً بتجسيد هذا العنصر الهام في حياتنا الإيمانية، ســواء في حياتنا الفردية مع ربنا عز وجل واتجاه سنة رسوله ﷺ، أو في حياتنا الجماعية سعياً لتحقيق عبودية الله في الأرض وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإلى أن نلتقي مع بقية بنود هذه البيعة التي تمثل منعطفاً مصيرياً في حياة كل مؤمن صادق في إيمانه، أسأل الله جل وعلا أن يهدينا لأخلص الأعمال وأقومها، ويرزقنا الثبات والاستقامة على هــذا الدين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الشيخ أبو سعد العاملي – مجلة الأنصار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢– أنواع النفقة

رأينا في المقال السابق أن بيعة العقبة الثانية، وهي بيعة الأنصار، جاءت في فترة كانت الدعوة بحاجة إلى من يعطيها دفعة إلى الأمام والخروج بها من مرحلة الجمود والحصار إلى مرحلة الانطلاق والانتشار، وقد فتحت هذه البيعة آفاقاً أكبر وأوسع للدعوة، ونقلت الجماعة المسلمة إلى مرحلة الدولة بعدما كانت في مرحلة الدعوة، فلو شاء الله سبحانه وتعالى لأنفذ أمره وقدره دون الحاجة إلى أحد، ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولُ لَهُ كُنْ، فَيَكُونْ** ﴾، لكنه – سبحانه – يريد من خلقه أن يكونوا أداة لتحقيق هذا القدر، فكانت هذه البيعة جزءاً من هذه السنة، وكان الأنصار جنوداً وأداة لتحقيق وعد الله وقدره ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

وقد سُميت ببيعة القتال، لما تحتويه من بنود قوية تحتِّم على عاقديها الالتزام بها، وتَحَمّل تبعاتها، تصل إلى حد الدخول في حرب للدفاع عن رسول الله ﷺ.

كانت هذه البيعة نموذجاً يُحتذى بها إلى يوم القيامة – كما هو شأن سيرة النبي ﷺ ومواقفه كلها – وقد سميناها "**بيعة العقبة الثالثة**"، تعبيراً منا على أنها بيعة ينبغي أن تتكرر في كل زمان ومكان، حيثما وُجدت طائفة أو جماعة تتبنى وتسير على نهج النبي ﷺ، وبخاصة حينما تكون في مرحلة المخاض والحصار والتمحيص.

فالمسلم دائماً بحاجة إلى تجديد بيعته وانتمائه لهذا الدين حتى يجدد عهده مع ربه، ويكون دوماً على أهبة الاستعداد لتحمل تبعات هذا الانتماء، وحمل الأمانة كما يحب الله ويرضى. لا أن يكون عبئاً ثقيلاً يضر أكثر مما ينفع، فالمؤمن يجب أن يكون جسراً لكي يعبر عليه الإسلام إلى قلوب العالمين، ولا يجعل الإسلام جسراً يعبر عليه لتحقيق مصالحه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبعد السمع والطاعة في النشاط والكسل، ننتقل إلى البند الثاني في هـذه البيعة المتجددة وهو:

النفقة في العسر واليسر

ينبغي علينا أن ننظر إلى مفهوم النفقة بشموليته، فهو لا يتعلق فقط بالمال،- كما قد يتبادر إلى الأذهان-، بل لابد من إنفاق كل ما يملك المسلم في سبيل الله، أو بالتعبير القرآن ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٤].

فالنفقة تنجي صاحبها من التهلكة بدليل قوله تعالى ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾

روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، عن أسلم أبي عمران، قال حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما، فترل فينا ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد [1].

أقول: انظروا كيف ذمَّ الله تعالى أناساً قد أقاموا دولة الإسلام بأموالهم ودمائهم، فآثروا القعود مع الأهل والمال، وظنوا أن هذا هو الواجب، فماذا نقول في أمتنا التي بخلت

[1] رواه أبو داود والترمذي والنسائي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على دينها في وقت تكالبت عليها الأعداء، وغابت فيها شرائع الإسلام وحلَّ محلها الكفر والردة والنفاق؟

فالإسلام بحاجة إلى النفقة في كل حين، ففي مرحلة الدعوة مثلاً يتحتم على الدعاة أن ينفقوا أوقاتهم ويكونوا وقفاً لله تعالى للقيام بمهام الدعوة وما يرافقها، ولابد أن يكون همُّ الدعوة في مقدمة اهتمامات الداعية، لابد أن تملأ عليه فكره وجوارحه، فلا يحس بالراحة إلا وهو في ميادين الدعوة، يبحث عن أنصار جدد لنصرة دعوته وإكثار سواد جماعة الحق، أو تراه موشحاً سلاح الحجة والبيان لمحاربة البدع والمذاهب الهدامة التي عجَّت بها الساحة وأصبحت تثبط الناس وتبعدهم عن دينهم وتقذفهم في مهاوي الضلال واللامبالاة.

هكذا هو الداعية تجده في كل مرفق من مرافق الدعوة، كالغيث أينما وقع نفع، بل تراه سباقاً إلى عمل الخير والتنافس فيه، يعمل في السر والعلن، لا يرائي الناس وفي الوقت نفسه لا يترك مجالات الدعوة للمفسدين ودعاة الضلالة والبدعة.

والوقت الذي يبارك فيه الله تبارك وتعالى هو وقت الشدة والضيق، فهو لا يعطي للدعوة فراغ وقته وفتاته، بل يجود بأغلى أوقاته، فحينما تلتقي لديه مصلحة شخصية ومصلحة الدعوة فإنه لا يتردد في إلغاء أو إرجاء مصالحه ويقدِّم مصالح الدعوة، ويصبح هذا الأمر مألوفاً لديه بل ربما من البديهيات التي لا تحتاج إلى تفكير أو دراسة. فهو يُنفِّذُ قوله تعالى ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون** ﴾، والبر هو غاية ما يتوخاه المؤمن الداعية في كل حركاته وسكناته، لأنه يهدي إلى الجنة.

وتتطلب مرحلة الدعوة أيضاً إنفاق المال وهو أعلى مرتبة من الوقت من حيث الأهمية، فكثير من الناس يستطيعون إنفاق أوقاتهم في سبيل الدين، ولكنهم يبخلون بالمال، ومن أجل ذلك ذكره الله تعالى في جميع آيات الجهاد قبل النفس مباشرة، باستثناء آية البيعة حيث قُدِّمت النفس على المال وذلك في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّة** ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالذي لا يستطيع أن ينفق ماله في سبيل الله، من باب أولى لن يستطيع تقديم نفسه في سبيل نصرة دين الله، ومن أجل هذا لا بد للمؤمن أن يدرِّب نفسه ويعوِّدها من أجل الجود بالمال لتصل إلى الجود بالنفس، وهو أعلى مراتب الجود.

أما في مرحلة الجهاد، فإن النفقة تفرض نفسها أكثر، سواء على مستوى الوقت أو المال أو الأهل أو المناصب أو النفس وهي غاية الجود.

فبالنسبة لعنصر الوقت فإن المجاهد يتفرغ كلياً للجهاد، ولا يترك شيئاً من وقته للمسائل الأخرى إلا ما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بجهاده، فحياته تتحول إلى جندية حقيقية، تراه حاضراً باستمرار في كل مواقع الجهاد، لا يغادر موقعه إلا بأمر من قيادته حتى لا يؤتى الإسلام من قبله، فالثغرة التي نستهين بها هي التي يمكن أن يدخل منها العدو، فيوقع فينا الخسائر الفادحة التي يمكن أن تهدم البنيان.

أما على مستوى المال، فإن المجاهد يساهم بماله في الجهاد ويسعى دوماً إلى تغطية متطلبات جهاده وجهاد غيره، كما أنه يساهم في البحث عن كل السبل الشرعية للحصول على الموارد المالية للتجمع، حتى لا يتوقف الجهاد، لأنه يدرك أن المال هو عصب العمل الجهادي، وبدونه لا يمكن التقدم وتحقيق أهدافه .

ومن هنا ترى المجاهد المخلص والصادق في جهاده يحس بالحرج والضيق حينما لا يجد ما ينفقه في سبيل الله، ويخاف من أن يقعده هذا النقص عن واجبات الجهاد فيكون من القاعدين.

ومن أنواع النفقة في مرحلة الجهاد أيضاً، هو إمكانية فقدان الأهل والولد في سبيل الله تعالى، وذلك حينما يكون المجاهد مخيراً بينهم وبين ترك الجهاد والركون إلى الدنيا في مقابل الحفاظ عليهم، سواء بسبب رفض أهله مواصلة الجهاد معه، أو بسبب الضغوط والمساومات التي يتعرض لها من قبل الأعداء حيث يخيرونه بين ترك الجهاد وبين التضحية بأهله وولده، فلا يكون خياره حينئذ إلا مواصلة الجهاد والنفقة بأهله قرباناً إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله تعالى إما بالاستشهاد أو التهجير. وقد عاش الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ بعضاً من هذه الصور عند هجرتهم من مكة إلى المدينة، حيث حرمهم المشركون من أهليهم وأولادهم، وعاشها الكثير من المجاهدين في العصور التالية، وها نحن نرى نماذج أخرى في هذا العصر حيث قدَّم المجاهدون أمثلة رائعة في النفقة والتضحية بأهليهم وذويهم في مقابل مواصلة درب الجهاد والصمود، فللّه درُّهم.

ومن أنواع النفقة التي يكون المجاهد مدعواً إلى أدائها، هو التضحية بالمناصب الدنيوية كالوظيفة أو التجارة أو المعارف الشخصية سواء مع الأفراد أو الجماعات، وكم من مصلحة ستفوته بسبب تعارضها مع مقاصد جهاده، وكم من فريق سيعلن عداءه له بعدما كان من أقرب الأقربين إليه، ولابد للمجاهد أن ينفق ويزهد في كل هذا حفاظاً على مبادئه وعلى جهاده، وكم ذا سيخسر من مصالح دنيوية زائلة ومن شهرة ومكانة بين الناس، كانت تعلي من درجته أو قيمته الاجتماعية، ويجد نفسه مخيراً بين الحفاظ عليها وعلى مدح الناس له وبين إنفاقها وذم الناس له.

ونصل إلى النوع الأخير من أنواع النفقة، وهو ذروة سنامها: إنه إنفاق النفس التي بين جنبيك، وهو العقد الكبير بينك وبين ربك منذ اليوم الذي التزمت فيه بهذا الدين، ورضيت أن تكون من معتنقيه وأنصاره ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُون ﴾، ولا شك أن هذه المرتبة لا يمكن أن يبلغها المؤمن إلا بعد أن يتدرج في أنواع النفقات التي سبق الحديث عنها، فالذي يبخل بوقته لا يمكن أن ينفق ماله، كما أن الذي يعز عليه ماله ومنصبه وتجارته لا يمكن أن يقدّم نفسه رخيصة في سبيل الله، فلابد إذن من تدريب النفس وتعويدها على النفقة، ولتبدأ باليسير ثم الأقل يسراً حتى تصل بها إلى عسير الأشياء وأعزها على النفس، وتوصل نفسك إلى أقصى البر وأعلى مراتبه.

فما أحوجنا إلى هذا البند العظيم في دعوتنا وجهادنا، ولاشك أنه السلاح الأمضى والفتاك الذي يخشاه عدونا، ولا يمكن أن يجد له مثيلاً يعادله في قوته ونتائجه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأفضل صورة وألمعها لهذا الصنف هو هذه العمليات الاستشهادية التي يقدم فيها المجاهد نفسه بعدما قدّم كل شيء آخر، وهو أصدق تعبير على الحب لهذا الدين، وأوفى طريقة لأداء ثمن الصفقة التي عقدها مع ربه.

النفقة في العسر هي المحك، فهنا تظهر حقيقة الإيمان والالتزام، لأنه ما أسهل أن ينفق المرء في حالات اليسر، وما أسهل أن يدّعي المرء الشجاعة والكرم والجود في حالات الرخاء والفراغ، ولكن القليل من يوفّي ويصدق في دعواه حينما تشتد المحن ويقل الزاد وينادي منادي الجهاد.

أما خلال المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الدولة، فإن النفقة ينبغي أن تستمر على جميع المستويات، وتأخذ أشكالاً أكثر تنظيماً، حيث يتكلف النظام الحاكم في الدولة المسلمة بتشكيل فرق مختصة في كل مجال من مجالات الدعوة، ولكن تبقى الرعية مسؤولة وتساهم بكل ما تملك في سبيل نشر هذا الدين والحفاظ على بيضته، ويكون الجميع مدعواً إلى النفقة في اليسر والعسر أكثر مما كان الشأن في مرحلة الدعوة والجهاد، لأن الأساس ليس إقامة دولة التوحيد فحسب، إنما الأهم هو الحفاظ على استمراريتها والتصدي لكل مخططات الأعداء الذين يسعون إلى هدم معالمها وإزالة كيانها، فمن باب أولى أن تستمر عملية النفقة بوتيرة أكبر وأسرع.

انظروا كيف تعامل الأنصار مع بنود هذه البيعة عند أول امتحان لهم على أرض الواقع، وذلك عندما هاجر إليهم إخوانهم من مكة، فطلب منهم رسول الله ﷺ أن يتآخوا في الله أخوين أخوين، فاستجابوا لهذا النداء النبوي وزيادة، حيث قسموا أموالهم وبيوتهم نصفين مع إخوانهم المهاجرين، بل منهم من طلب من أخيه المهاجر أن يختار إحدى زوجتيه ليطلقها فيتزوجها أخوه (يتعلق الأمر بسعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما).

وصور أخرى فريدة من نفقة الأموال والأنفس في الغزوات تعج بها كتب السيرة، لولا خوفي من الإطالة لذكرت العشرات منها، وكان الصحابي يأتي ليجاهد فلا يجد ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينفقه في سبيل الله فيرجع باكياً متحسراً ألا يستطيع الخروج مع الجيش، ﴿ **وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ** ﴾ [التوبة : ٩٢].

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على واقع الحركات الإسلامية المعاصرة، فإننا نجد صنفين أساسين لا ثالث لهما، صنف يسير وفق بنود بيعة العقبة،خاصة البندين سالفي الذكر (الطاعة والنفقة)، حيث نجد أفرادها يلتزمون بهما ويجسدانهما خير تجسيد، ومن أجل هذا نجحت وتقدمت في مسيرتها الجهادية وأصبحت تهدد وتخيف العالم الكافر وأعوانه من المرتدين والمنافقين، وتحولت إلى شوكة في حلوقهم لن تزول حتى تحقق أهدافها بإذن الله. والصنف الثاني انحرف عن هذه البيعة و لم يحقق بنودها كما يجب، خاصة في مسألة النفقة، حيث اتخذوا هذا الدين حرفة ثانوية، واتخذوه سلماً للوصول إلى مآربهم الشخصية وبقرة حلوباً يقتاتون منها، فتأخرت مسيرتهم وحادوا عن الطريق الصحيح، واندحرت حركتهم وبقيت تدور حول نفسها بالرغم من كثرة أفرادها.

وقد تنبه الأعداء إلى هذه الثغرة الكبيرة في صفوف الحركات الإسلامية، فحاولوا اللعب على هذا الوتر الحساس وروّضوا المسلمين على حب المناصب والارتباط بها، وأوهموهم بأنها وسائل ناجعة لخدمة الدين، فتحولت هذه الوسائل إلى أهداف وغايات لدى أصحابها، حتى نسوا الغايات الحقيقية، وعز عليهم التفريط والنفقة بهذه الوسائل، وزهدوا في دينهم وزين لهم الشيطان أعمالهم وأضلهم عن السبيل.

نسأل الله جل وعلا أن يعيننا على تحمل مسؤولياتنا وتجسيد بند النفقة في سبيل الله في اليسر والعسر، بأوقاتنا وأهلينا ومساكننا ومناصبنا وتجارتنا وأنفسنا، ويجعل كل هذا وسائل لخدمة ديننا، لا أهداف في حد ذاتها، كما نسأله عز وجل أن يعيننا على تطبيق قوله تعالى ﴿ **وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة : ٢٤].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- الحسبة

نواصل وقفاتنا التربوية مع أحد أهم الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ البشري على الإطلاق، ألا وهي بيعة العقبة الكبرى أو كما سميناها "بيعة العقبة الثالثة " نظراً لتجددها وفرض نفسها على كل مؤمن يبتغي نصرة هذا الدين، حتى وإن كان رسول الله ﷺ غائباً عنا بجسده، فمعجزة هذا الدين وتأثيره العجيب في النفوس يكمن في هذه النقطة بالذات، فغياب القيادات والرموز - حتى وإن كان في مستوى رسول الله ﷺ - لا يؤثر في مسار هذا الدين، ولا يكون سبباً في توقفه أو انحصاره أو زواله، وهذا ما يحيِّر عقول الأعداء قبل الأصدقاء، ويقذف في قلوب المؤمنين الأمل والصدق في العمل لإنجاز وعود الله تعالى في واقع الناس.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد حديثنا عن البندين الأولين وهما السمع والطاعة في النشاط والكسل ثم النفقة في العسر واليسر، نقف اليوم مع بند جديد وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا غرابة أن يأتي هذا البند مباشرة بعد السمع والطاعة وبعد النفقة، كأول عمل خارجي يزاوله المؤمن في الواقع الفعلي، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتمل على الدعوة وعلى الجهاد، فهو جامع لكثير من الأعمال التي ينبغي مزاولتها لنصرة هذا الدين.

ولا غرابة كذلك أن يتوافق مع قوله تعالى، وهو يذكر أهم سمات الأمة المختارة ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** ﴾، وهي الصفة التي ذُكر بها الرسول الخاتم ﷺ في التوراة والإنجيل ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾.

كما أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي السبب في انتزاع صفة القيادة من بني إسرائيل وتم استبدالهم بأمة الاسلام، وذلك بعدما تركوا هذه الفريضة و لم يقوموا بها كما أُمروا ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ** ﴾، والنصوص متواترة في هذا الباب ليست المناسبة مقام ذكرها. فالذي ينبغي أن نعلمه ونعيه هو أن هذه الفريضة تعتبر من أهم الواجبات في ديننا التي تترجم إيمان واعتقاد المرء، حيث أنها تعتبر عبادة جامعة للكثير من الفرائض والواجبات، وهي من جهة أخرى مقياس ودليل على صدق التزامنا بمبادئ هذا الدين، حيث لا يكفي أن يدّعي المرء الإيمان والصدق ما لم يطبق ذلك في الواقع حالاً وحركة وعملاً، وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شاقة على النفوس ومكلّفة قلّما يُوفق المسلم لأدائها وتحمل تبعاتها.

يقول رسول ﷺ في الحديث الصحيح: "**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**". وفي رواية: "**وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان**".

فـ "**مَنْ**" تفيد صيغة العموم، بمعنى أن كل واحد من الرعية مكلف ومطالب بالقيام بهذه الفريضة، وليس كما يدّعي بعض الجهلة والمبدّلين للكلم عن مواضعه، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص بأولي الأمر فقط.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدليل واضح في هذه البيعة التي أمر فيها الرسول ﷺ الأنصار - وكل المسلمين - بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يقيّدها بشروط، بل هو أمر عام ومفتوح للجميع.

ونحن نسأل هؤلاء المتفيقهين والمتعالمين: فكيف إذا كان أولوا الأمر قد عطّلوا هذه الفريضة - كما عطّلوا الكثير من الشرائع - بل تجدهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، بل وتراهم يقتلون ويحاربون الذين يأمرون بالقسط من الناس؟!

من خلال الحديث السابق يتبين لنا جلياً أن هذه الفريضة فيها درجات ومراتب، ومنوطة بالقدرة أو الاستطاعة (فمن لم يستطع) - كما هو شأن بقية الفرائض والواجبات - ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾، وقوله تعالى ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾. كما أنه ينبغي مراعاة تغليب المصلحة على المفسدة في كل عمل يقوم به المؤمن، حتى لا يضر من حيث يريد أن ينفع، وعليه أن يراعي الأولويات والأهم ثم المهم في حركته بهذا الدين.

فالحديث بدأ بالمرتبة العليا ألا وهي التغيير باليد، وهو المرادف لفريضة الجهاد في سبيل الله، وهو الأصل والأَوْلى، إذ أن هناك أموراً لا يمكن أن تتغيّر إلا باليد وهو استعمال القوة، وهذا أكبر دليل على أن العمل الجهادي هو الأصل والأحق بالاتباع والتزكية والمناصرة في العمل الإسلامي، وهو صفعة في وجوه كل من يدَّعي أو يبتغي سبلاً أخرى للتغيير غير سبيل الجهاد في سبيل الله وهو التغيير باليد.

ولا شك أن المنكرات مراتب ودرجات، كما أن المعروف أيضاً درجات ومراتب، وعليه فإنه ينبغي البدء في النهي عن المنكر الأكبر والأمر بالمعروف الأكبر، وما من شك أن المنكر الأكبر في هذه الأيام هو غلبة الكفر والردة وبسط قوانينها على مجتمعاتنا، وكل المنكرات الأخرى تنبثق منها وتعتبر فرع من هذا الأصل، وبالتالي فكل من يحاول إزالة الفروع دون التفكير في إزالة الأصل فهو يشبه الذي يطرد الذباب ويُبقي على الأوساخ والمزابل، وما من شك في أن الذباب سيعود ويتوالد مادامت الأوساخ موجودة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا ينبغي أن يُفهم هذا الكلام على أنه دعوة إلى ترك المنكرات الصغيرة تنتشر وتعشش في مجتمعاتنا وعقول أبناء أمتنا، بل بالعكس تماماً، فكل منكر - مهما كان نوعه - ينبغي تغييره وإزالته، ولكن همّنا الأكبر هو الإعداد لإزالة هذا المنكر الأكبر الذي يمثل النبع لكل المنكرات الأخرى دونه.

أما التغيير باللسان الذي يأتي في المرتبة الثانية، فإنه يتمثل في الدعوة إلى الله تعالى بكل الوسائل والأساليب المشروعة، كل حسب موقعه، فالدعوة تكون تارة بالحسنى والتلميح (ما بال أقوام..) وتكون بالقول البليغ والمباشر مع فئات وتكون بالقول الغليظ حينما يستدعي الأمر ذلك ﴿ **وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً غَلِيظًا** ﴾.

أما المرتبة الأخيرة وهي الإنكار بالقلب، فهي تخص أولئك الذين لا حول لهم ولا قوة، وهي حالة من الضعف التي لا ينبغي أن يتواجد فيها المؤمن، بل عليه دائماً أن يبحث عن عوامل القوة اللازمة ليرتقي إلى المرتبتين الأولى والثانية.

فالإنكار بالقلب لا يعني أن يقبل المؤمن هذه المنكرات أو يشارك فيها أو حتى يتواجد في أماكنها، بل عليه الانسحاب بعيداً وأن يقاطع ويتبرأ ويعادي كل من يقترف هذه المنكرات، كما فعل مؤمن آل فرعون أو امرأة فرعون قبل أن يصدعا بالحق فيغيرا باللسان .

كما أن الإنكار بالقلب ينبغي أن يدفع المؤمن إلى الإعداد والتشوق لبلوغ درجة التغيير باليد واللسان، فهو مقدمة لهما وليس نهاية المطاف كما يفعل أغلب المسلمين اليوم. حيث فهموا الحديث فهماً خاطئاً وظنوا أن الإنكار بالقلب قد يشفع لهم عند الله، فقصّروا وفرّطوا في الأسباب التي تبَلِّغُهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان، وبسبب هذا الفهم القاصر والمحرف للنصوص الشرعية صارت الأمة غثاء كغثاء السيل، وتمكنّ الأعداء منها، وصار المنكر معروفاً والمعروف منكراً، بل وأصبح أغلب الناس يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبعات وعقبات

لا شك أن السبب الرئيس الذي يمنع الناس من القيام بهذه الفريضة – وبقية الفرائض المكلّفة – هو تبعاتها، فطبيعة النفس البشرية أنها تميل إلى أيسر الأمور وأخفها سواء في الأوامر أو النواهي، وهذا ما يشير إليه قول رسول الله ﷺ: "**حُفّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات**".

فالذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر سيجد أمامه عدة عقبات مادية ومعنوية، لابد أن يتجاوزها أو على الأقل يقاومها ويصبر على أذاها، أهمها:

١ – **الشيطان الرجيم**، فهو صاحب المصلحة الأولى والكبرى في انتشار المنكرات وغياب المعروف، ليتمكن من تمرير وساوسه، وليصدق على الناس ظنه فيبعدهم عن طاعة ربهم. إن همَّ الشيطان الأكبر هو أن يرى غياب أهل المعروف من الساحة، فيأتي إلى هؤلاء ليُثبِّطهم عن أداء واجباتهم، وذلك بأن يكبّر ويضخّم هذه المهمات في أعينهم ويقذف في قلوبهم اليأس والوهن، ويحبب إليهم بعض المهمات الصغيرة، كأن يُشغل الدعاة في العبادات الشخصية من صلاة وقراءة قرآن وصدقة وغيرها من العبادات التي لا صلة لها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيظن الداعية أنه يحسن صنعاً فَيَمْنُنْ ويستكثر هذه الأعمال، وينشغل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتحقق للشيطان ما يريد. أو أنه (أي الشيطان) يوحي إلى هؤلاء الدعاة بأن الناس لا يستحقون أن يُضحى من أجلهم بالأوقات وبالأموال فضلاً عن الأرواح، والأولى أن ينشغل المرء بنفسه وبيته، وكل امرئ حسيب نفسه، وربما يؤول له قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ تأويلاً خاطئاً، أو أنه يقذف في قلبه الخوف من تبعات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الطريق، بذهاب المال والمنصب والأهل، وأن في هذا ضرر على دينه ودنياه، فيستسلم الداعية لمثل هذه التخويفات الشيطانية، فيحجم عن أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مكتفياً ببعض الطاعات الأخرى.

٢ – **أولياء الشيطان الذين يروِّجون هذه المنكرات** ولهم المصلحة المباشرة في بقاء المنكر وغياب المعروف ليُبعدوا الناس عن دينهم ويفرضوا عليهم الباطل، ويتمثلون في هذه الأنظمة المرتدة وكل أجهزتها ومؤسساتها وكل من يحوم حولهم من المنافقين والعملاء والخونة، وهؤلاء يقفون بالمرصاد لكل آمر بالمعروف وناه عن المنكر، ويدخلون في حرب طاحنة معهم، تبدأ بالترغيب ثم بالحرب النفسية لتشويه سمعة الداعية عن طريق نشر الإشاعات والأكاذيب وتنتهي بالترهيب عن طريق السجن أو التهجير أو القتل. وهنا ينبغي على الداعية أن يصمد ويصبر على تحمل تبعات هذه الفريضة، ويعتبرها قرباناً إلى الله تعالى وثمناً لنيل رضاه، فإن هذه الفريضة تحتاج إلى صبر ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان : ١٧]، كما ينبغي عليه أن لا يتردد في نسف كل مبادئ ومخططات الأعداء، بالحجة والبيان ونشر الحق أينما حلّ وارتحل. فالحرب طاحنة والتضحيات جسيمة، والعدو لن يتراجع أبداً ولن يستسلم، فحري بأهل الحق أن لا يضعوا أسلحتهم ولا ييأسوا ولا يملّوا من مواصلة الطريق، فالحرب سجال، ولكن العاقبة للمتقين، وحجة الحق هي الدامغة، ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾.

٣ – **اليهود والذين أشركوا** (ويتمثل اليوم في هذه الأحلاف والتجمعات الكفرية)، إنهم يمثلون الخط الأول في هذه الحرب المدمّرة، فهم الذين يخططون لنشر الباطل والفساد ومحاربة الحق والإصلاح، وبالتالي يصنعون كل المنكرات ويصدرونها إلى بلداننا لكي يجدوا هذه الأنظمة المرتدة وأعوانهم من الخونة والمنافقين– الذين يمثلون الخط الثاني –

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في أتم الاستعداد لتنفيذ هذه المخططات وترويج هذه البضاعة المسمومة وسط شعوبنا. ويكفي أن ننظر إلى تاريخنا لنكشف التلاحم والتعاون الوثيق بين اليهود والذين أشركوا من جهة وبين فئات النفاق داخل الصف الإسلامي من جهة أخرى، ثم هاهي اليوم تعود بقوة وبكل وضوح لتتعاون وتشكل تحالفات عجيبة وغريبة لضرب وقمع جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل هناك منكر أكبر من حكم الطاغوت وتمكين هؤلاء الكفار من بلاد المسلمين؟ وهل هناك معروف أكبر من تحكيم شرع الله وإخراج هؤلاء المشركين من بلاد المسلمين؟

٤ - **ضعاف النفوس وأتباع الهوى والشهوات**، وهم القاعدة العريضة التي تكثّر سواد هؤلاء الطغاة، وهم بمثابة التربة التي تنمو فيها هذه المنكرات والمختبر الذي يُجّرب فيه المفسدون اختراعاقم الجديدة، وهؤلاء الغثاء والهمج الرعاع يحرصون أشد الحرص على هذه الأجواء الموبوءة، لأنها تلبي رغباقم الصغيرة وشهواقم الحيوانية، فلا يقبلون من يريد تصفية هذه المياه العكرة، فيتحول البعض منهم إلى جنود للشيطان وأعوان للطاغوت، يقاومون أهل المعروف ويستسلمون لأهل المنكر، يرفضون الحق ويقبلون الباطل، هذا هو دأب أصحاب النفوس المريضة الضعيفة، لا يزالون وقوداً للفساد ومشاعل للمنكر، ولن ينفع معهم إلا التغيير باليد، المرتبة الأولى في هذه الفريضة المهجورة.

كانت تلك أهم التبعات لهذه الفريضة وأكبر العقبات التي تقف في طريق الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ينبغي معرفتها لنعلم كيف نتقبل التبعات ونصبر على ثقلها وما تسببه من مصاعب، ولكي نتعلم ونبحث عن السبل المناسبة لتخطي العقبات أو إزالتها، وتحتاج هذه الفريضة المنسية إلى عملية إحياء جديدة من قبل المسلمين، كونها تمثل خطوة متقدمة لهدم مشاريع الباطل، والإبقاء على شعلة الحق متقدة في نفوس أصحابها، وبها يمكن لهذه الأمة أن تعيد مركزها لقيادة البشرية كما أراد لها ربها عز وجل ﴿ **كُنتُمْ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾، وإلا فسوف تضع نفسها في موقع الاستبدال كما فعلت بنو إسرائيل من قبل، ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّـوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾[محمد : ٣٨].

كتبه الشيخ أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- قول الحق والنصرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

فبعد أن وقفنا عند بعض بنود بيعة عقبة القتال، ومنها السمع والطاعة في المنشط والمكره والنفقة في العسر واليسر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلنا بأن البندين الأولين يتعلقان بالتنظيم الداخلي للتجمع الإيماني حيث يساهم في تقوية الأواصر بين القيادة والقاعدة كما يساهم في تقوية علاقة المؤمن بربه، وهما بمثابة الدليل على حقيقة إيمانه وانتمائه لهذا الدين. أما البند الثالث الذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو التعبير الخارجي والتطبيق العملي خارج دائرة التجمع، ومحاولة تجسيد تعاليم الدين باليد واللسان بإزالة كل العقبات المادية والمعنوية.

ونقف اليوم مع البندين الأخيرين من هذه العقبة وهما:

أولاً: أن تقولوا في الله، لا تخافوا في الله لومة لائم

لا يكفي أن يدّعي المرء الإيمان بمبادئ معينة ثم يتوارى عن الأنظار ولا يساهم في نشر ما يؤمن به أو على الأقل يدفع كل الشبهات والاعتداءات التي من شأنها أن تطالها لتشويهها أو تمييعها أو القضاء عليها، ويظل المرء في صراع دائم مع الجهات المعادية لكي تبقى هذه المبادئ هي الغالبة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه القاعدة تنطبق – من باب أولى – على المؤمن، لأنه بالإضافة إلى حرصه على نشر دينه ومبادئه ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾[الصف :٩] فإنه يسعى إلى التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه والفوز بأعلى الدرجات يوم القيامة، ويتحقق ذلك بالجهر بهذا الحق الذي يحمله ولو أدى ذلك إلى استشهاده. "**سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فنهاه فقتله**".

فما أصعب قول كلمة الحق في محيط لا يكون لك فيه نصير، بل كل من حولك ضدك، فالمرء حريص على مكانته وسط الناس، ويحاول تفادي كل ما من شأنه أن يعكر صفاء الأجواء بينه وبين معارفه ومحبيه، فيدور مع أهواء القوم حيث دارت ولا يأبه أوافقت هذه الأهواء أم تصادمت مع مبادئه ودينه، حسبه أن يُبْقِيَ على هذه المودة والمكانة بين الناس حتى وإن كان الثمن هو التضحية بهذه المبادئ التي يحملها.

ولكن حينما يدرك المؤمن القيمة العظيمة التي ينالها حين يجهر بالحق، وحينما يمتزج هذا الحق بكل كيانه ويتمكن من قلبه وعقله وجوارحه، فإنه يستهين بكل العواقب ويستصغر كل العقبات، ويمضي قدماً في بيان هذا الحق ونشره.

ومن الأسباب التي تحجم المؤمن عن قول كلمة الحق هو خوفه من لومة اللائمين، مثل قولهم: ما شأنك أنت بما نفعل؟ من طلب منك أن تتدخل في شؤون غيرك؟ لماذا لا تهتم بشؤونك وتترك غيرك يفعل ما يشاء؟ هل تستطيع أن تغير الواقع وحدك؟ وغيرها من عبارات التثبيط والاستهزاء والتقعيد عن أداء واجب الجهر بالحق وقول كلمة الحق في المكان والزمان المناسبين.

والمؤمن حينما يقرر القيام بواجب قول الحق، فإنه لا يضع في حساباته ضرورة استجابة الناس أو كسب مدحهم ورضاهم أو الخوف من قدحهم وغضبهم، إنما يقوم بذلك إرضاء لله تعالى وحده وإيماناً منه بأنه واجب لابد أن يقوم به، ولا يخاف في ذلك لومة لائم. والله سبحانه هو الذي يبارك في وقفته وقولته فيفتح بها قلوب أناس ويغلق بها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلوب آخرين، فترى بعض الناس يسارعون إلى الاستجابة لداعي الحق بينما ترى آخرين يعقدون العزم على مواصلة العناد ومحاربة الحق.

فكم من كلمة حق قلبت موازين كثيرة وغيرت مجريات أحداث عديدة، فالمؤمن الصادق لا ينبغي له التردد بالجهر بالحق في الموقع والزمن المناسبين. كما أن الذي يجهر بالحق و لا يخاف في ذلك لومة اللائمين يجعل الله له مكانة سامية بين الناس ويكسب هيبة ورفعة حتى بين الأعداء، في حين تجد الذي يدهن أهل الباطل أو يخاف من الجهر بالحق لا قيمة له على الإطلاق ولا يُأبه لكلامه.

والواقع الذي نعيشه خير شاهد على هذا، فانظر إلى الفرق الكبير بين علماء وخطباء وقيادات الجماعات أو التنظيمات الإسلامية الذين يواجهون هذه الأنظمة المرتدة أو الكافرة في بلداننا، ويبوحون بالحق كاملاً غير ناقص، كلمات مدوية تزعزع عروش الطواغيت وتوقظ الغافلين من غفوتهم وتشحذ همم المخلصين للقيام بواجباتهم تجاه دينهم، فهؤلاء المجاهدون الصادقون تراهم مرهوبي الجانب من قبل الأعداء ويُحسب لكلامهم ألف حساب، يترقبون كلماتهم وتصريحاتهم ترقب الخائف الوجل، تحسباً لكل طارئ، بينما ترى أولئك الذين يترددون على عتبات القصور ويطمعون في الفتات وفي عرض من الدنيا قليل، فيخلطون عملاً صالحاً بآخر سيئاً، يحرِّفون الكلم عن مواضعه، يُدهنون في الحق، فلا تجد لهم أي قيمة تُذكر لا عند الناس ولا عند هؤلاء الطواغيت أنفسهم. وقد شبه الله تعالى هؤلاء بالكلاب في قوله تعالى ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا** ﴾[الأعراف : ١٧٦] إن الأمة بحاجة – أكثر من أي وقت مضى – إلى من يقول في الله كلمة الحق كاملة، دون مداراة ولا التواء، لأنها بحاجة إلى من يذكرها بدورها الريادي لقيادة البشرية، ولأن الأعداء قد ظنوا أنهم نجحوا في تخدير هذه الأمة وإسكات صوت الحق فيها، فليخرج الدعاة إلى الله فرادى وجماعات ليجهروا بالحق وليعلنوا براءتهم من الشرك ومن هؤلاء المرتدين وقوانينهم الكفرية، وليعلنوا ولاءهم لله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولرسوله وللمؤمنين المجاهدين في كل مكان، وليرفعوا راية التوحيد عالية خفاقة على كل الرايات الجاهلية في الساحة، ولا يداهنوا أو يدهنوا، ولا يركنوا إلى الذين ظلموا بحجة التدرج في تبليغ الحق، أو كسب عطف هؤلاء المجرمين ورضاهم على حساب الحق المبين.

فالإسلام لم يؤت إلا من قبل هؤلاء المنهزمين الجبناء، وما تمكن الطغاة من شعوبنا إلا بسبب تخلي علمائنا وخطبائنا عن قول كلمة الحق في وجوه هؤلاء الحكام وفي وجه كل الفاسدين، ولو أنهم فعلوا ذلك لقذفوا الرعب في قلوب الظالمين ولاقتدى بهم أبناء الأمة جميعاً ولتحولوا إلى حراس آمنين على هذه العقيدة التي عبث بها هؤلاء المجرمون، فحولوا أسود الأمة إلى أرانب.

إن الأمة – بجميع شرائحها – بحاجة إلى العمل بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً** ﴾[الأحزاب: ٣٩] وقول رسول الله ﷺ للأنصار يوم العقبة الثانية: "وأن تقولوا في الله، لا تخافوا في الله لومة لائم"، ومعلوم أن الخطاب عام لكل المسلمين، وليس لطائفة معينة فحسب، وبهذا تتميز أمة الإسلام عن سائر الأمم، كونها مكلّفة ومسؤولة كل على حسبه: "**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**".

ثانياً: أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد يقول قائل – لأول وهلة – هذا البند لا يعنينا ولا يمكن تطبيقه اليوم، وكيف يمكننا ذلك ورسول الله ﷺ قد غاب عنا بجسده وروحه، فكيف يا ترى نستطيع أن ننصره ونمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأهلينا؟

أقول: إن قيمة رسول الله ﷺ مرتبطة بالرسالة التي جاء من أجل تبليغها، وليست القيمة لشخصه وذاته، ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ﴾[آل عمران : ١٤٤]، ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾[الفتح : ٢٩]، فما دامت الرسالة ماضية وحاضرة في النفوس فإن صاحبها حي وحاضر كذلك، وعليه فإننا مطالبون بنصرة الدين الذي جاء به والذب عن سنته.

ولن يمكننا نصرة رسول الله إلا بنصرة دينه، وهذا بدوره لا يمكن تحقيقه إلا إذا كان رسول الله أعز علينا من أنفسنا وأزواجنا وأولادنا وأموالنا، أما إذا كان العكس فلا ينبغي أن نعتبر أنفسنا من أنصار الله وأنصار رسوله.

كما أن حبنا لرسول الله ﷺ ينبغي أن يتجلى في تقديم أقواله وأوامره على أهوائنا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** [الحجرات : ١، ٢].

وهذه هي النصرة الحقيقية التي ينبغي أن نفهمها ونعيها ونطبقها في واقعنا، لكي نجسد بنود هذه البيعة المتجددة، وهذا ما فعله بالضبط الأنصار الأوائل حينما انتقلوا من عالم الجاهلية إلى عالم الإسلام، فجسدوا هذه البنود خير تجسيد في حياقم الفردية والجماعية.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى نصرة دين الله وسنة نبيه ﷺ، وذلك لننسف كل مؤامرات الأعداء التي تسعى إلى إبعاد المسلمين عن هذا المثل الأعلى من حياقم، ويحاولون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إيجاد بدائل عنه - أشخاصاً ومناهج - لإبعادهم عن طريق الخلاص، أو تركهم هائمين تائهين، لا ديناً نصروا ولا دنيا أصابوا.

والنوع الآخر من النصرة التي ينبغي علينا إحياءها في نفوس المسلمين هي نصرة أتباع رسول الله ﷺ، من العلماء الربانيين والمجاهدين الصادقين والدعاة الصالحين، أفراداً كانوا أم جماعات، فهذا واجب يقع على عواتقنا جميعاً.

فالحرب الدائرة بين أهل الحق وأهل الباطل تعتبر من أشرس الحروب التي عرفتها البشرية على الإطلاق، ولم تجتمع كلمة الذين كفروا وأشركوا وارتدوا على ضرب الإسلام والمسلمين كما اجتمعت هذه الأيام، ونحن نرى أتباع رسول الله ﷺ محاربون ومطاردون في الشعاب وفي القفار، ومحاصرون من كل جانب، وهاهم يتنقلون ويبحثون عن النصرة - كما كان يفعل قدوتهم ومثلهم الأعلى ﷺ حينما كان يطوف على القبائل وكفار قريش يمنعونه من تبليغ رسالة ربه، بل يتتبعون آثاره لتشويه سمعته ومنع الناس من سماع الحق الذي يحمله.

فها هو التاريخ قد دار دورته وأعاد نفسه من جديد، وها نحن نرى هذه العصابات المجاهدة تطوف في البلدان، تقاتل بيد وتبسط اليد الأخرى تعرضها على القبائل -هنا وهناك- وهي ترجو أن تجد من يبايعها ويجدد معها بنود هذه البيعة لمقارعة أعداء الله ونشر دينه ليظهر على الأديان كلها ولو كره الكافرون.

وقد رأينا استجابة العديد لهذه العصابات المقاتلة، رخّصوا أنفسهم وأزواجهم وأولادهم وأموالهم في سبيل نصرتهم وإيوائهم، بالرغم من المصاعب والآلام التي يلاقونها بسبب هذه الوقفة الأنصارية، واستحقوا بذلك أن يكونوا أنصار عصرهم بكل ما في هذه الكلمة من معاني وأبعاد.

فغاظوا أعداء الله ووقفوا لهم بالمرصاد، سراً وعلانية، يرجون رحمة الله ويخشون عذابه، وهم يدركون أنهم يقومون بأعظم القربات إلى الله تعالى، في زمن قلّ فيه النصير،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوي فيه العدو وكثر، فلله درُّهم من أنصار جدد، ابتعثهم الله ليجسدوا هذه البيعة الخالدة المتجددة، فطوبى لهم وحسن مآب.

بيعة لا نبغي وراءها إلا الجنة

كل هذه البنود والالتزامات والتضحيات يقوم بها المؤمن ويجسدها خلال بيعته وهو لا يرجو أي جزاء دنيوي، فالمؤمن متعلق بربه ويعتبر هذه الدنيا دار ممر، يتزود بها لآخرته، وهو حينما يُقدم على هذه البيعة يعلم يقيناً أنه سيلاقي الصعاب والمتاعب، وهو موقن بأن الله ناصره وحاميه، ولكي يحافظ على نقاء هذه البيعة وصفائها، تراه يجرد قلبه من كل الأطماع المادية والدنيوية، سوى طمعه في رحمة ربه وابتغاء جنته.

كما أنه يجب على القيادات في التجمعات المؤمنة أن يضعوا الجنود والأنصار في المقام الصحيح، ويبينوا لهم تبعات هذه البيعة، فلا يطمعوهم في أجر دنيوي زهيد أو منصب زائل، بل عليهم أن يربطوهم بربهم وحده، فهذه البيعة إنما تتم بينهم وبينه، فلينتظروا الأجر من عنده سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[التوبة : ١١١]

كما أن ربط المجاهد بربه وابتغاء جنته، من شأنه أن يضمن عدم انحراف هذا لمجاهد، لأن الأجر الذي يبتغيه لن يجده عند أي جهة من الجهات، كما وأنه يحفزه على التضحية بما هو أرخص لنيل الأغلى، وكل شيء دون الجنة فهو رخيص حتى وإن كانت النفس التي بين جنبيك.

وهذه العقيدة والحب لنيل الجنة، هو بمثابة قوة دفع ورأس الحربة التي تحرك المؤمن اتجاه أهدافه، ولا يمكن للأعداء أن يوقفوه أو يحرفوا مساره، لأنهم عاجزون عن تقديم بديل لهذه الجنة، سواء في الدنيا أو في الآخرة، ولهذا يبقى المؤمن الصادق جواداً لا يمكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترويضه، وغصة في حلق الكافرين لا يمكن التخلص منها، وهذا ما ينبغي التركيز عليه في تربية الأجيال الصاعدة، وربط النفوس بها، في كل بيعة، وفي كل عقد.

وبعد، فقد كانت هذه بعض الوقفات الإيمانية مع بيعة العقبة الثانية في عهد رسول الله ﷺ، والثالثة في العهود التي تلته، والتي ستظل تتجدد ما بقي هذا الدين، وما بقي الصراع بين الحق والباطل، بقي أن نختم بمقال أخير حول تبعات هذه البيعة، والذي سيكون في الأيام المقبلة بحول الله.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً - قيادات وقواعد، أفراداً وجماعات - للالتزام ببنود هذه البيعة الخالدة، وييسر لنا بها طريقاً إلى الجنة، وقبل ذلك لنصرة دينه وسنة نبيه ﷺ وأوليائه المجاهدين في كل مكان، آمين والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- التبعات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

بعدما أتممنا وقفاتنا الإيمانية على بنود بيعة العقبة الثانية/الثالثة، وبعدما توصلنا إلى قناعة راسخة بضرورة تجديد هذه البيعة في حياة كل مسلم، سواء على مستوى الالتزام العام بالإسلام أو على مستوى التزامه بتنظيم أو تجمع إيماني معين، نقف اليوم في هذا المقال الأخير ، لنذكر أنفسنا بتبعات ومتطلبات هذه البيعة المتجددة، تبعات القيادة والقاعدة على حد سواء.

فبعدما عرض رسول الله ﷺ بنود هذه البيعة على الأنصار، جاء في رواية كعب التي رواها ابن إسحاق: "..فأخذ بيده البراء بن معرور ثم قال: والذي بعثك بالحق نبياً لَنَمْنَعَنَّكَ مما نمنع منه أزرنا (نساءنا) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب، وأبناء الحلقة ورثناها كابراً عن كابر. فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله.. ثم قال: **بل الدم الدم والهدم والهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم**" . [١]

وفي رواية جابر قال: فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين، فقال: رويداً يا أهل يثرب إنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فهو

[1] السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعذر لكم عند الله، فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك، فـوالله لا نـذر هـذه البيعـة ولا نستقيلها".[1]

كانت هذه هي الأجواء العامة لهذه البيعة، وأهم المشاهد التي كونت هذا الحدث العظيم، والذي يتكرر مرات ومرات في كل زمان ومكان يوجد فيه تجمع إيمـاني قـام لإحياء معالم هذا الدين من جديد في نفوس أعضائه وفي واقعه. وكم تزعزع هذه المشاهد كياني وتجعلني أقف مشدوهاً أقرأ معاني وعبر كثيرة، من حق كل مسلم أن يستـشعرها ويستحضرها في نفسه. فحينما أتخيل شخصيات هذا الحدث العظيم، أدرك عظمة هـذا الدين وعظمة مُنْزِله، فعظمته تتجلى في منهجه وفي الأشخاص الذين حملوا مشعله قـولاً وعملاً حتى وصل إلينا كالمحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتنكبها إلا ضال، وأتذكر قول رسول الله ﷺ: لقد اطلع الله على قلوب البشر فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاختاره لرسالته، ثم اطلع على قلوب البشر فوجد قلوب أصحابه خـير قلوب العباد فاختارهم لصحبته".

يمثل هؤلاء العظماء الركيزة الأساسية الثابتة التي قام عليهـا البنـاء الإسـلامي الشامخ، والبذرة التي سقاها الله برعايته ورحمته حتى قطفنا ثمارها اليوم وفي كل زمـان وحتى تقوم الساعة.

تبعات القيادة:

كما سبق الإشارة إليه، فإن هذه البيعة تعتبر بيعة مسؤوليات وتبعات، لا معنى لها إن لم يوفّ كل طرف من أطرافها بما تعاقدوا عليه، ويكونوا في مستوى تحمـل هـذه المسؤوليات الكبيرة إن على المستوى الفردي أو الجماعي.

[1] الرحيق المختوم ص١٦٧ و١٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقيادة التي تمثلت في رسول الله ﷺ يوم العقبة الثانيــة، وتتمثــل في قيـــادات التجمعات الإيمانية في كل عقبة ثالثة، عليها واجبات ثقيلة لا تقل عن واجبات القاعـــدة بالرغم من أن العكس هو الذي يمكن أن يتبادر إلى الأذهان، حيث يظن النـــاس أن رأس التجمع الإيماني في منأى عن كل المخاطر أو متربع عل عرشه في برجه العاجي بعيداً عـــن كل التبعات وعن غبار الحركة والميادين.

ولكن العكس هو الصحيح، فالقيادة في التجمع الإيماني وبخاصـــة في التجمـــع الجهادي تكون الأقرب إلى المخاطر، فيكفي أن ترى حرص الأعداء على تـــصفية هـــذه القيادات أو حبسها أو تهجيرها لعزلها عن قيادة الصراع والتفاعل مع القاعدة، وكم يبذل العدو من جهد وينفق من عتاد أملاً في تحقيق هذا المراد.

إن دور القيادة هو الحفاظ على قوة التجمع واستمرارية العمل وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالحفاظ على الجنود، فالعنصر البشري يعتبر من أندر وأغلى العناصر في التجمـــع على الإطلاق، حيث من الصعب إيجاد نماذج من البشر يبيعون كل ما لديهم لخدمة دين الله تعالى، ويؤثرون على أنفسهم في زمن غلبت فيه صفات الأنانية واللامبالاة والحـــرص على المال والمتاع الدنيوي الزائل، وأصبح التوفر على هذه النماذج الفريدة حلمـــاً بعيـــد المنال في جل التجمعات الإيمانية المعاصرة. فقوتهم تعني قوة التجمع وضعفهم يعني ضعف هذا الأخير وتفككه ثم اندثاره.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة الأنصاري أبو الهيثم بن التيهان خلال بيعـــة العقبـــة، حينما قال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

وكل الناس لديهم حبال وعلاقات مع فئات كثيرة في المجتمعات الـــتي يريـــدون تغييرها، ولديهم مصالح مادية يحرصون عليها، أهمها تأمين حيـــاة أهلـــيهم وأبنـــائهم، وانتماؤهم لجماعات الحق من شأنها أن تؤثر سلباً على هذه المصالح ويمكنهم أن يفقدوها كثمن لهذا الانتماء، والمؤمن مستعد أن يضحي بكل هذه المصالح في سبيل الله، وهو رغم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك يحاول أن يجد بديلاً عنها داخل تجمعه الإيماني، وهذا من طبيعة البشر وتعبير عن بعض الضعف الذي يعتريه: "فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فكان جواب القيادة تعبيراً على تحمل مسؤولية وتبعات هذه البيعة، قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم والهدم والهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم.

هكذا كالجسد الواحد، التحام متين وعلاقة وطيدة وتفاني في التضحية والدفاع عن هذا الجسد، لا مجال للتفريق بين عضو وآخر، والقيادة الصالحة تدرك هذا جيداً وتجسده في الواقع الفعلي وليس بمجرد الكلمات المعسولة والوعود الكاذبة، بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم، فمنذ انتماء العضو إلى التجمع الجهادي تصبح جميع همومه وواجباته ومعاهداته قاسماً مشتركاً بينه وبين جماعته، فهو يعتبر وريثاً من قبل هذه الأخيرة، مادام قد منحها ولاءه المطلق في حدود طاعة الله وطاعة رسوله، ويصبح من واجبات هذه الجماعة عليه محاربة من حارب ومسالمة من سالم.

كم هي ثقيلة وعظيمة ومكلّفة تبعات القيادات الصالحة الربانية، فهي تتبنى مشاكل كل الأفراد وتتحمل مسؤولياتهم، وتدخل في صراعات وعداءات لا ناقة لها فيها ولا جمل، سوى أنها صراعات وعداءات ورثتها وتبنتها من قبل أعضاء التجمع، لا لشيء سوى أنهم قبلوا أن يكونوا ضمن هذا التجمع ورضوا بهذه القيادات ومنحوها ولاءاتهم وأعلنوا العداء لكل الجهات المعادية للحق حتى وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشائرهم، فهذه النقلة النوعية في الانتماء من قبل أعضاء التجمع الإيماني ينبغي أن تُقابل بموقف نوعي من جهة القيادة على مستوى احتوائهم والتفاعل معهم وتهييء الأجواء البديلة والمناسبة لتفجير واستغلال طاقات وملكات هؤلاء القادمون الجدد، ثم الاستعداد للتضحية بكل غال ونفيس للدفاع عنهم واعتبارهم جزء لا يتجزأ من جسد الجماعة. ولقد رأينا الإيثار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكبير والحرص الشديد الذي كان يوليه رسول الله ﷺ لأتباعه وأصحابه وقد سجّل المولى جل وعلا هذه الخاصية في كتابه لتكون شعاراً ونموذجاً لكل القيادات من بعده حتى تقوم الساعة ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾.

تبعات القاعدة

سبق أن أسهبنا الحديث عن بنود هذه البيعة المتجددة في المقالات الأربعة الماضية، وأردت أن أخصص هذا المقال الأخير لتبعات هذه البيعة، وهي التي تكون عبارة عن تحصيل حاصل أو النتائج المترتبة على هذه البيعة، وقد لخصها الصحابي أسعد بن زرارة خلال تدخله قبل أن يقدم الأنصار على إبرام هذا العقد الثقيل مع رسول الله ﷺ ، وذلك في قوله: "رويداً يا أهل يثرب إنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، ونهكة الأموال والأعراض، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فهو أعذر لكم عند الله ".

مفارقة العرب (والعجم) كافة

لم يكن يخط ببال الصحابي الجليل ابن زرارة يوم العقبة، بأن هذه الدعوة المباركة ستبلغ ما بلغ الليل والنهار، وبأن الله تعالى سيظهر دينه ورسوله وعباده المؤمنين على الأديان كلها، وعلى الناس كافة (عربهم وعجمهم)، وكان يظن بأن أقصى ما سيبلغه هذا الدين هو جزيرة العرب، وبأن خصومهم سيتمثلون في العرب فقط دون سواهم، ولكنه فهم منذ الوهلة الأولى أنه سيكون هناك عداء ومفارقة من قبل هؤلاء، فالتوجهان مختلفان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومتضادان، الأول وجهته تحرير الناس وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، بينما الثاني يحرص على استعباد الإنسان وإبقائه عبداً للعباد، وشتان بينهما.

فكان لابد من توضيح هذه التبعة وبيانها حتى يكون جميع المتعاقدين على بصيرة من الأمر، ويهيئوا أنفسهم لها منذ البداية.

نعم، لقد أعاد التاريخ نفسه وهاهم الأنصار الجدد قد بايعوا من جديد، على القتال والموت، وهم يدركون يقيناً أنهم سيفارقون العرب والعجم، بل سيفارقون أقرب الأقربين من مال وتجارة وعشيرة وربما أزواج وأولاد، كونهم سيأخذون طريقاً مغايراً للجميع ومخالفاً لأهواء القوم واتجاهاتهم، ومن الطبيعي أن يصلوا إلى مفرق الطرق، كل على شاكلته وكل على طريقته.

وقتل خياركم

فأبواب الحرب مفتوحة على مصراعيها، وهي حرب شرسة لا هوادة فيها، وتستهدف أول من تستهدف خيار المؤمنين وقياداتهم، وهي سنة قديمة وهدف أولي لأصحاب الباطل في جميع معاركهم مع أهل الحق ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾[الأنفال : ٣٠]. والأخيار هم الذين يتقدمون الصفوف في الحروب، وهم الذين يكونون أقرب إلى المخاطر وإلى الأعداء كما سبق قوله في حديثنا عن تبعات القيادة.

والناظر إلى هذه الحرب القائمة بين أهل الحق وأهل الباطل يرى بأم عينيه كم يحرص الأعداء وكم يستعملون من وسائل خسيسة وكم ينفقون من أموال للوصول إلى تصفية خيارنا في ساحات القتال، وإذا أردنا أن نحسب هذه الأساليب ونعدّها لطال بنا المقام، لأنهم يدركون أهمية هؤلاء الأخيار وبأنهم النواة الأصلية والأساسية لاستمرار المعركة، وهم بمثابة النبع الذي يسقي بقية الفروع في التجمع الإيماني، فيسعون إلى إيقاف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا النبع ومحاولة اقتلاع جذور هذه البذرة ليتمكنوا من كسب المعركة تلو الأخرى، ولكنهم عبثاً يحاولون، ولن يستطيعوا بلوغ هذا المرام ما دامت السماوات والأرض، وما دام في أمتنا نماذج يحذون حذو البراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسعد بن زرارة رضي الله عنهم أجمعين.

ولئن نجحوا في تصفية بعض القيادات وقتلهم – وهم قادرون على ذلك ما دام أن ذلك من طبيعة الحرب وجزء من القربان الذي يقدمه المؤمنون لربهم، فضلاً عن أنه اصطفاء رباني لهؤلاء الشهداء – ولكن سرعان ما يتسلم راية القيادة أخيار جدد يضيفون تجارب أسلافهم إلى تجاربهم الشخصية فيصبحوا أكثر خطورة وأكثر فعالية من القيادات السابقة.

وهتكة الأموال والأعراض

وهي تأتي في الدرجة الثانية بعد التهديد البدني، وتستهدف إضعاف التجمع مادياً ومعنوياً، فالحصار المالي من شأنه أن يشل حركة التجمع فلا يستطيع تنفيذ مخططاته، خاصة ونحن نعلم أن عنصر المال هو بمثابة العمود الفقري لكل عمل دعوي وجهادي، والعدو يدرك هذا جيداً فيلجأ إلى محاصرة المجاهدين على المستوى الفردي والجماعي، حيث يحاول إيقاف الموارد المالية للفرد عن طريق طرده من العمل أو السيطرة على تجارته ونشاطاته المالية، وكذلك يفعل مع التجمع ككل حيث يتتبع نشاطاته المالية ويبادر إلى تجميد هذه أرصدته أو حل مؤسساته التجارية، كما فعل هذه الأيام مع تنظيم قاعدة الجهاد، تحت ذريعة محاربة المؤسسات التي تدعم الإرهاب حسب زعمه.

أما هتكة الأعراض فهو سلاح يستعمله الأعداء مع أهالي المجاهدين، سواء داخل السجون للضغط على أبنائهم من أجل تسليم أنفسهم، أو لمجرد الإذلال والمزيد من الحرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النفسية على المؤمنين. ناهيك عن أساليب الإفساد والتربية التي تؤدي في النهاية إلى انتهاك أعراض بنات المسلمين طوعاً ودون إكراه.

وأن تعضكم السيوف

وهذا هو نهاية المطاف وبيت القصيد عند الأعداء في تعاملهم مع أهل الحق، لا يمكن أن يصبروا على تحمل وجود الحق وأهله إلى جانبهم، فضلاً عن أن يزاحمهم في الساحة أو يسيطر على الأوضاع. فحينما يعلن التجمع الإيماني عن برامجه التغييرية ونيته في محاربة الفساد واستئصال شأفته، فإن أهل الباطل يسارعون إلى تأليب الأحزاب وجمع العتاد لمحاربتنا في كل مكان.

وعلى المجاهدين أن يعوا هذه الحقيقة جيداً – خاصة القادمون الجدد – ويوطدوا أنفسهم عليها، حتى لا يفاجأوا بما سيلاقونه في الطريق من عداء وتضييق وحصار وتقتيل.

لقد تحقق حدس الصحابي ابن زرارة، فما هي إلا سنوات حتى اجتمعت القبائل والأحزاب على صعيد واحد لمحاربة المسلمين في المدينة، التي طُوِّقت من كل جانب، طمعاً في إخماد صوت الحق بصورة نهائية، وهذا ما تصنعه قوى الباطل هذه الأيام قاطبة بقيادة رأس الكفر أمريكا، حينما جمعت الأحزاب على الإمارة الإسلامية بقيادة طالبان، وهاهي تطارد المجاهدين في كل مكان، وتألب عليهم حلفاءها من العرب والعجم، وهاهي سيوف الأقربين تعظهم قبل سيوف الأبعدين، وهاهي حبال المشانق معدّة لهم في كل بلد يدخلون إليها أو زنازين السجون المظلمة ليقضوا فيها بقية حياتهم.

إنها سنة التدافع، وإنها تبعات هذه البيعة الخالدة، تبعات ينبغي على المجاهدين (قيادة وقاعدة) أن يتحملوها بكل إخلاص وصبر، والذي يظهر من خلال مجريات المعارك، أنهم قد نجحوا في الامتحان وتجاوزوا كل العقبات التي وقفت في طريق هذه البيعة، لتمنعهم من إكمال الصفقة الرابحة مع ربهم، فقد باعوا النفوس والأموال لمليكهم،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهاهم أولاء ينتظرون الأجر والثواب ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من هؤلاء ويحشرنا معهم ويجمعنا مع الذين سبقونا بالإيمان في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والحمد لله رب العالمين.

أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أزمةُ قِيادة أم أزمةُ إرادة؟

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينْ** ﴾، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وسيد النبيين القائل: "**اسمعوا وأطيعوا وإن أُمّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**"، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

فمن سنن الله تعالى في خلقه أن جعل لكل تجمع رأساً وقائداً، حتى يتم التوازن في هذا الكون وتكون صيرورة الحياة لدى الخلائق (بشراً كانوا أم حيوانات) موافقة لصيرورة بقية الكون، ويتم أمر الله ومشيئته ﴿ **وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ أي وفق نظام دقيق وبديع، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا توفرت قيادات ورؤوس لكل جسد أو تجمع وفق قوانين وسنن إلهية كالتي يسير عليها هذا الكون الفسيح على هدى الله وأمره.

ومن باب أولى فإن كل تجمع يسعى إلى إقامة شرع الله في الأرض وتحقيق العبودية لله عز وجل لا بد أن يخضع هو الآخر لهذه السنن، ولابد بالتالي من وجود قيادة أو إمارة يكون دورها هو التنسيق والتسيير والتدبير لكي لا تبقى الأمور فوضى وتبعثر ومن ثم يؤدي بها الأمر إلى التصادم مع سنن الله تعالى في هذا الكون، ولا يحقق التجمع أهدافه التي قام من أجلها.

فالحديث عن ضرورة وجود قيادة صالحة تقود الجماعة المسلمة كالحديث عن ضرورة وجود رأس للجسد، فهي من البديهيات التي لا يمكن أن يختلف عليها أو ينكرها عاقل، فضلاً عن عامل لدين الله يبتغي ويسعى لإقامة شرع الله في الأرض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما ما ينبغي أن تتصف به هذه القيادة من صفات، فأقول على سبيل المثال لا الحصر – لأن هذا ليس موضوع مقالنا –:

ينبغي على القيادة المسلمة أن تكون على مستوى عال من الالتزام بالمبدأ، والثبات والاستقامة عليه حتى وإن بقيت وحدها في الصف في مواجهة الأعداء، وهذه هي الخاصية الأساسية التي لابد من توفرها ابتداء، وبها تتميز القيادة عن غيرها من الجنود.

بالإضافة إلى بقية الصفات الواجب توفرها، حتى تتمكن هذه القيادة من السير بالعمل نحو الأفضل وتوجيه الطاقات المجاهدة واستغلالها لخدمة الأهداف المسطرة[1].

بعد هذه المقدمة، أود أن أتطرق إلى موضوع مقالنا والذي سنحاول إزالة بعض الغبش حول مسألة القيادة في العمل الإسلامي، وهل حقاً نحن نعيش أزمة قيادة في هذا العصر، أم أن الخلل يوجد في القاعدة التي تشكل السواد الأعظم لهذه الأمة؟ وفي حال غياب هذه القيادات عن بعض الناس، كيف يا ترى السبيل للوصول إليها والانضواء تحت لواءها؟ ثم ما هي الشروط والضوابط التي ينبغي توفيرها والالتزام بها من قبل القاعدة حتى تستطيع هذه القيادة أن تمارس دورها الصحيح وتتمكن بالتالي من التقدم بدل التأخر؟

إذا أردنا أن ندرس العلاقة بين القيادة والقاعدة فإننا سنجد أنفسنا أمام أربع حالات وهي:

أولاً: قيادة صالحة وقاعدة صالحة.

ثانياً: قيادة فاسدة وقاعدة فاسدة.

ثالثاً: قيادة فاسدة وقاعدة صالحة،

رابعاً: قيادة صالحة وقاعدة فاسدة،

[1] قد نفرد مقالاً مستقلاً عن هذه الصفات مستقبلاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لندرس كل حالة على حدة، ونربطها بواقعنا المعاش لنخرج بالنتائج المتوخاة ونستطيع – بحول الله – الجواب على الأسئلة سالفة الذكر وإزالة الكثير من الغبش الذي ما فتئ ينخر عقول أبناء الأمة، ويثبطهم عن القيام بواجباتهم تجاه هذا الدين وتجاه أمتهم.

الحالة الأولى: قيادة صالحة وقاعدة صالحة:

وهي الحالة التي ينبغي الوصول إليها وتجسيدها في صراعنا مع الباطل، كونها تمثل المثل الأعلى لجماعات الحق على مر تاريخ الدعوات، وقد وُجدت فعلاً على أرض الواقع متمثلة في رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، حيث جسّدوا هذه الحالة في أجل صورها وأعلى مراتبها، وكانوا بحق خير قدوة لمن يأتي بعدهم ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾، ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾، وكما جاء في الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ: "**لقد اطلع الله على قلوب العباد فوجد قلب محمد خير القلوب فاختاره لرسالته، ثم اطلع بعد ذلك على قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير القلوب فاختارهم لرسالته**" أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ثم جاءت من بعدهم الطوائف المنصورة التي مدحها رسول الله ﷺ في أكثر من موضع، ونجدها حاضرة في كل زمان ومكان من عمر وجغرافية هذه الأمة الوسط، وبها استطاع الإسلام أن يصل إلينا اليوم، وسيستمر في الانتشار ونشر نوره حتى قيام الساعة.

فالذي تتميز به هذه الطوائف والجماعات هو ذلك الالتحام المتين بين القيادة والقاعدة على كل المستويات، فلا تكاد تلحظ الفرق بينهما، حيث أن الجميع منصهر في بوتقة العطاء والتضحية، لا همّ لهم سوى خدمة هذا الدين، سواء كانوا في موقع القيادة أو الجندية، لا فرق عندهم ما دام أن عملهم يصب في خدمة مبادئهم وليس في خدمة مصالحهم الشخصية، فالقيادة هي التي تضحي وتعطي أكثر، وهي التي تكون عرضة للمخاطر أكثر من غيرها، لذلك ترى الجنود يتهربون من تقليد مناصب القيادة حتى وإن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت لديهم الكفاءات اللازمة لذلك، بعكس التجمعات الجاهلية حيث نرى التنافس على أشده بين أفرادها للوصول إلى مناصب القيادة ما دام أن ذلك هدفاً في حد ذاته وليس وسيلة لخدمة المبادئ كما هو الشأن في التجمعات التي تسعى لخدمة الحق.

فجماعات الحق مستهدفة من قبل أعدائها، ويسعى هؤلاء إلى ترويضها واحتوائها في بادئ الأمر، ثم حينما يفشلون في ذلك يسعون إلى إبادتها بالكامل، والقيادة هي المستهدفة الأولى في هذه العملية، وهذا ما نشاهده اليوم في هذه الحرب الصليبية الجديدة ضد أهل الحق، سواء في أفغانستان والشيشان أو على أرض فلسطين والجزائر وباقي مواطن الجهاد والصمود في بلادنا الإسلامية.

والواجب على قواعد الأمة قاطبة أن تسعى إلى تجسيد هذا التلاحم المتين بينها وبين قياداتها والمحافظة عليه، حتى يستمر وتستمر معه عملية الجهاد والمقاومة لكل محاولات التمييع والطمس والتغريب.

الحالة الثانية: قيادة فاسدة وقاعدة فاسدة:

يتمثل أساساً في الجماعات البدعية التي ولدت بسبب انحرافها عن المنهج الصحيح، أو أن الطاغوت أوجدها لتكون له سياجاً يحتمي بها من ضربات جماعات الحق. فهذه الجماعات (قيادة وقاعدة) لا يمكننا اعتبار الكثير منها إلا امتداداً مباشراً لطوائف الردة والنفاق، الذين هم بدورهم يمثلون الوجه الآخر لأهل الكفر والطغيان في مواجهة الحق وأهله. وعليه فإن تعاملنا معهم سيكون في إطار تعاملنا مع الباطل ولو بأساليب مختلفة قد تكون أخف إرهاباً وأقل ضراوة من الأساليب التي نستعملها مع رؤوس الباطل.

فلا بد من الإبقاء على بصيص أمل للتأثير في هذه الطوائف عن طريق دعوتها إلى العودة إلى الحق، خاصة قواعدها التي قد يتواجد فيها الخير الكثير لو عرف دعاة الحق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كيفية الوصول إلى عقولها وقلوبها، ولا ننسى أبداً أن الكثير من أهل الحق كانوا يوماً ما في هذا المحيط أو قريباً منه ﴿ **كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ** ﴾.

وفي الوقت نفسه نجد السواد الأعظم من هذه القواعد راضية بما تمليه عليهم قياداتهم، وذلك لأنه يتوافق مع أهوائهم وأيضاً بسبب ما يجدونه من تحقيق لرغباتهم وشهواتهم الدنيوية، كما يجدون أنفسهم في ميادين الدعوة ويُحسبون عليها دون أن يُقدِّموا التبعات الحقيقية لهذه الدعوة، فيزين لهم الشيطان أعمالهم ويصدهم عن السبيل، فلا يرون للدعوة فرساناً غير أنفسهم، ولا مطية لها غير جماعاتهم، وهم أبعد الناس عنها وعن ميادينها.

الحالة الثالثة: قيادة فاسدة وقاعدة صالحة:

إنها حالة نادرة قلّما نجدها في الواقع الفعلي، فهي مرحلة مؤقتة قد تمر بها بعض جماعات الحق، وذلك حينما يتسرب بعض الخونة والعملاء إلى المناصب القيادية، إما على حين غرة من المخلصين، أو على حين غفلة منهم، أو في خضم حالات الرخاء والفراغ التي قد تمر بها الجماعة بسبب غياب المواجهة أو غياب الإعداد لهذه المواجهة. وهنا تنمو وتظهر أمثال هذه القيادات الزائفة، مستغلة هذه الظروف المناسبة، لتظهر إلى السطح وتتسلق منابر القيادة لتقود التجمع إلى ما لا يحمد عقباه، إلا إذا تنبه لها المخلصون في الوقت المناسب، فيعيدون الأمور إلى نصابها، بإزالة هذه الطفيليات وتنصيب قيادات صحيحة وصالحة.

وتعتبر المواجهة مع الأعداء أهم الوسائل التي تصفي هذا النوع من الخونة، فحينما تجد القيادة تتباطأ بدل أن تُقدم أو تثبِّط بدل أن تُشجِّع أو تتأخر بدل أن تزحف، فإنها تضع نفسها في مواطن الشبهة والريبة سرعان ما يكشف حقيقتها المخلصون في التجمع ، لأن القيادة – كما أسلفنا القول – تكون هي القدوة في العطاء والبذل والتضحية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإقدام، وكل قيادة لا تتوفر فيها هذه الخصال فهي مزيفة أو دخيلة على التجمع ينبغي استبدالها أو إزالتها والتخلص منها في أسرع الآجال.

وتبرز قصة السامري مع بني إسرائيل كنموذج لهذه الحالة، حيث تتكرر عبر تاريخ الدعوات كلها في صور مختلفة، فلكل عصر سامريه، ولكل سامري موسى الذي يعود ليعيد الأمور إلى نصابها، فيُفضح السامري ويُنسف منهجه و تُبطل خططه، وهي النهاية الطبيعية لكل حالة سامرية طال الزمن أم قصر.

﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً ﴾ [طه : ٩٧].

الحالة الرابعة: قيادة صالحة وقاعدة فاسدة:

وهي بيت قصيد مقالنا، لأنها الحالة الأكثر شيوعاً في مجتمعاتنا والتي يسعى الأعداء إلى ترسيخها والإبقاء عليها، وذلك بعزل القيادات الصادقة عن الجماهير، إما بالتهجير أو الطرد أو السجن أو التصفية الجسدية، وهذا ما نراه جلياً في هذه الحروب القائمة، سواء مع اليهود والنصارى مباشرة أو مع أعوانهم من الحكومات المرتدة والجيوش المنافقة والعميلة من أنصارها.

لابد أن نسعى ابتداء إلى إزالة هذه الغشاوات عن عيون الناس، وكسر كل الحواجز التي تقف بين هذه القيادات وبين القواعد الغافلة السائرة وراء سياسات الأعداء.

إن روح الانهزامية والانزواء واعتزال المعركة لدى جماهير أمتنا، قد أشربتها منذ عقود من الزمن، وبعد سلسلة من البرامج التربوية المتواصلة، أُنفقت فيها طاقات مادية هائلة، وكانت أنظمة الردة هي اليد المنفذة لهذه البرامج ولا تزال، للإبقاء على أبناء الأمة خارج حلبة الصراع، بل لا يدركون أن هناك صراعاً أصلاً بين الحق والباطل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي أحسن الحالات، ولدى الذين يحسبون أنفسهم أنهم على شيء، تجدهم يعيبون كل مبادرة ويرفضون كل عملية نهوض، ويهربون من كل المسؤوليات، بحجة أن القيادات ليست في مستوى تقليد المهام، ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ** ﴾ [البقرة ٢٤٧]، إنها والله السنن، "**لتتبعن سنن الذين من قبلكم حذو القذة بالقذة** " كما قال رسول الله ﷺ، ومن قبل كانوا يطلبون ويدعون الله أن يبعث من يقودهم ليتخلصوا مما هم فيه من الذل والهوان ﴿ **اِبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﴾ [البقرة ٢٤٦]، أو بلسان العصر: متى تظهر جماعات الحق لننتمي إليها ونكثّر سوادها ونكون من جنودها المخلصين، ولكن حينما تظهر هذه الجماعات وتتقدم الصفوف وتنادي الناس للانضمام إليها، يخرج علينا هؤلاء ليسلقوها بألسنة حداد: من خوَّلهم التحدث بأسمائنا؟ ومن أعطاهم الصلاحيات لتقدم الصفوف؟ وهل لديهم الكفاءات اللازمة لتقليد مناصب القيادة؟ وهل لديهم العلم الشرعي المطلوب لإصدار هذه الفتاوى والقيام بهذه الأعمال؟ وغيرها من الحجج الواهية والأعذار الشيطانية. تماماً كما قال بنو إسرائيل من قبل ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ** ﴾ ولكن بلغة مختلفة ومن زاوية أخرى.

وحينما يظهر صدق هذه القيادات في الساحة بالبذل والعطاء وصدق المواقف والثبات على المبادئ والابتعاد عن الشبهات وإغراءات الطاغوت ، لا تجد هذه القواعد – حينئذ – سوى اللجوء إلى أساليب التسويف والتماطل ﴿ **رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ** ﴾.

إنها أساليب الجبناء، ووسائل للهروب من المواجهة واستحباب للذل والهوان والحرص على أي حياة.

هذا هو المنطق الغالب في الساحة، حتى لدى الكثير من أبناء الحركات الإسلامية – مع كامل الأسى والأسف –، ويظل من يكذِّب الطوائف المنصورة أكثر ممن يصدّقهم، ومن يخذلهم أكثر ممن ينصرهم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، وتظل هذه الطوائف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه القيادات بالرغم من كل هذا، منصورة من قِبل الله عز وجل ثم من قِبل أنصارها بالرغم من قلة عددهم، ويشقون طرق النصر ويحفرون خنادق المواجهة ليتحقق النصر على أيديهم كما وعد بذلك رب العزة ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة ٢٤٧].

أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقفات تربوية مع سورة الكهف

١ - تمهيد .. (٢٣٣)

٢ – فتية الكهف .. (٢٤٠)

٣ – فتية الكهف وفتية الصف .. (٢٤٨)

٤ – قصة أصحاب الجنتين .. (٢٥٥)

٥ – وقفات تربوية مع قصة موسى والخضر .. (٢٦٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ – تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعد

تقديم:

سورة الكهف من أكبر السور التي تكاد تمتلئ بالقصص، فأغلب آياتها تغطي قصصاً رائعة تكاد تكون من أحسن ما ورد في كتاب الله. "ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ومعظم ما تبقى من الآيات هو تعليق أو تعقيب على هذه القصص"[١].

وبما أن السورة تعتبر مكية المكان والزمان، فهي تركز على مواضيع العقيدة – كما هي طبيعة القرآن المكي – خاصة موضوع التوحيد وتصحيح المفاهيم الجاهلية حول أهم وأكبر المسائل التي تتعلق بحياة الفرد المسلم.

وما دمنا نتواجد في وضع شبيه بوضع بداية الرسالة، حيث انغمس الناس في الجاهلية من جديد، وارتد عدد من المسلمين ونسوا دينهم واتخذوا أهواءهم آلهة من دون

[1] في ظلال القرآن ص ٢٢٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله، ومن بقي من المسلمين منتمياً أو مدّعياً لهذا الانتماء، فإنك تراه منغمساً في البدع، أو منحرفاً عن النهج القويم، بعيداً عن المفاهيم الصحيحة لهذا الدين العظيم.. من أجل كل هذا وغيره، نحن في أمس الحاجة للوقوف على القصص القرآني، نستقي منه ما ينفعنا في عملية الرجوع إلى الله أولاً، ثم في عملية التعرف على ديننا من جديد ثانياً، ثم في عملية التربية والإعداد للعمل بهذا الدين ونشره واستعماله سلاحاً لمواجهة الأعداء ثالثاً.

تلك هي أهداف القصة في القرآن الكريم، تربية وتذكير، تربية للنفوس وتأكيد على صدقية هذه الرسالة العظيمة وعلى صدقية هذا الرسول الكريم، ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَاب، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وُهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون** ﴾[يوسف ١١١].

"فأما تصحيح العقيدة فيقرره بدؤها وختامها.

في البدء: ﴿ **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً، قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً، وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً** ﴾

وفي الختام: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾

وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث.

ويلمس سياق السورة هذا الموضوع مرات كثيرة في صور شتى:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي قصة أصحاب الكهف يقول الفتية الذين آمنوا بربهم: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ﴾، وفي التعقيب عليها: ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾ .

وفي قصة الجنتين يقول الرجل المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾

وفي التعقيب عليها: ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً، هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾.

وفي مشهد من مشاهد القيامة: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً ﴾.

وفي التعقيب على مشهد آخر: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾.

أما تصحيح منهج الفكر والنظر فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به من علم، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان، وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله.

ففي مطلع السورة: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ، مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾

والفتية أصحاب الكهف يقولون: ﴿ هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما يتساءلون عن فترة لبثهم في الكهف يكلون علمها لله: ﴿ **قَالُوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ** ﴾.

وفي ثنايا القصة إنكار على من يتحدثون عن عددهم رجماً بالغيب: ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً** ﴾

وفي قصة موسى مع العبد الصالح عندما يكشف له عن سر تصرفاته التي أنكرها عليه موسى حيث يقول ﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ فيكل الأمر فيها لله.

فأما تصحيح القيم بميزان العقيدة، فيرد في مواضع متفرقة، حيث يرد القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار.

فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى فناء وزوال: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً** ﴾.

وحمى الله أوسع وأرحب، ولو أوى الإنسان إلى كهف خشن ضيق. والفتية المؤمنون أصحاب الكهف يقولون بعد اعتزالهم لقومهم: ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً** ﴾.

والخطاب موجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليصبر نفسه مع أهل الإيمان، غير مبال بزينة الحياة الدنيا وأهلها الغافلين عن الله ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ، وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾.

وقصة الجنتين تصور كيف يعتز المؤمن بإيمانه في وجه المال والجاه والزينة.. وكيف يجابه صاحبها المنتفش المنتفخ بالحق، ويؤنبه على نسيان الله ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً** ﴾.

وعقب القصة يضرب مثلاً للحياة الدنيا وسرعة زوالها بعه ازدهارها: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً** ﴾.

ويعقب عليه ببيان للقيم الزائلة والقيم الباقية: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾.

وذو القرنين لا يذكر لأنه ملك، ولكن يُذكر لأعماله الصالحة. وحين يعرض عليه القوم الذين وجدهم بين السدين أن يبني لهم سداً يحميهم من يأجوج ومأجوج في مقابل أن يعطوه مالاً، فإنه يرد عليهم ما عرضوه من المال، لأن تمكين الله له خير من أموالهم: ﴿ **قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ** ﴾. وحين يتم السد يرد الأمر لله لا لقوته وعلمه البشري: ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقاً** ﴾.[١]

سنحاول أن نسجل بعض الوقفات التربوية على هذه السورة، ونحن أحوج ما نكون إليها، خاصة في هذه الفترة التي تعيشها الأمة، التي تتميز بتكالب الأعداء علينا من كل جانب، والتي تتطلب منا – معشر المسلمين بعامة، ومعشر الشباب بخاصة – أن نعود

[1] في ظلال القرآن: ٢٢٥٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى كتاب الله تعالى، نستقي منه ما يلزمنا من سلاح التقوى، ومن سلاح تصحيح العقيدة، ومن سلاح الاقتداء بمن مضى من الصالحين والسلف الصالح في مواجهة الباطل.

ولاشك أن الباطل هو هو لم يتغير في جوهره، ولن يتغير سوى في الوسائل التي يستعملها ضدنا.

جدية الرسالة وقوتها:

تبدأ السورة ببيان جدية هذه الدعوة واستقامتها ونصاعتها، وبأنها من عند الله لا عوج فيها ولا تميع، كما تبين مهمة النبي عليه الصلاة والسلام ومهمة أتباعه من بعده، وهي الإنذار والتبشير، إنذار الكافرين والمعرضين عن الحق، وتبشير المؤمنين والتابعين للحق، فهذا هو محتوى كل الدعوات إلى الله عز وجل من لدن آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة.

﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أُفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾.

وهي تأكيد على شناعة جريمة تشويه الرسالة والاعتماد في ذلك على الجهل والظن والكذب، وهي أساليب يلجأ إليها أهل الباطل حينما يعجزون عن مواجهة أهل الحق بالحجة والبيان- وهم دائماً عاجزون -، وهو أيضاً أسلوب الضعفاء والجبناء، أسلوب الالتواء والتحريف في مواجهة نصاعة الحق واستقامته وقوته.

ثم ينتقل السياق القرآني بعد ذلك إلى تطمين رسول الله ﷺ ومواساته بسبب إعراض القوم عن دعوته، وهو الذي يكاد يذهب نفسه هماً وكمداً على هذا الإعراض والتكذيب، وكم ذا يحز في نفوس الدعاة أن يروا هروب الناس وإعراضهم من دعوتهم في الوقت الذي يسعون إلى إنقاذهم وهدايتهم، ويرون رفض الناس الخروج من الظلمات إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النور الذي يدعوهم إليه، ويرون إيثار القوم ملذات الدنيا الفانية وشهواتها الزائلة على ما عند الله من أجر وثواب في الآخرة وراحة بال وطمأنينة في الدنيا، فكل هذا وغيره يؤثر في نفوس الدعاة ويملأ قلوبهم حزناً وأسى ويتمنون لو كل الناس آمنت واتبعت الحق والهدى.

﴿ **فَلَعَلَّك بَاخِعٌ نَفْسَك عَلى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً إِنا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً** ﴾.

فهذه الدنيا وما فيها من زخرف ومتاع وأموال وأولاد، جعلها الله اختباراً وامتحاناً لأهلها، ﴿ **لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾، فيلاقوا جزاءهم العادل والأوفى يوم القيامة، أما في الدنيا فكل شيء إلى زوال مهما امتلك الإنسان ومهما علا وتجبر ﴿ **وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً** ﴾.

ذلك ما سنفصله في المقالات القادمة بحول الله تعالى، نسأله سبحانه أن يوفقنا ويلهمنا لخير الأعمال والأقوال، ويرينا عيوبنا ونقائصنا لنقومها ونصححها، فننصر ديننا ونحيي سنة نبينا، والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢– فتية الكهف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد...

بعد هذه المقدمة المستفيضة [1]، نُقبل على تفصيل مواضيع القصص الواردة في سورة الكهف، قصة قصة، نقف وقفات تربوية عند أهم المحطات فيها، ونحاول استخلاص الدروس والعبر لنصحبها معنا في مسيرة الدعوة والتحرك بهذا الدين، وتلك هي الأهداف المتوخاة وراء ذكر هذه القصص القرآني، ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾.

التميز والتحدي والمفاصلة والثبات والتضحية، تلك هي أهم الشعارات التي تميز القصة، ويتميز بها أبطالها في زمن قلَ فيه النصير، وكثر فيه الأعداء، سنقف عند كل عنوان على حدة، لأنها نفس الشارات والرايات التي يرفعها أصحاب الحق في مواجهة أهل الباطل في كل زمان ومكان..

التميز:

يتمثل في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾، لقد تميزوا عن قومهم بالإيمان بالله واعتناق عقيدة التوحيد المخالفة لدين قومهم، مهما كثر من حولهم

[1] انظر مقالنا؛ "وقفات تربوية مع سورة الكهف؛ قصة أصحاب الجنتين" في الصفحة (٢٥٥) من هذا الكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومهما قل عددهم هم في مواجهة ما يؤمن به المخالفون من حولهم، فالنفوس المؤمنة تكون قلة في بداية الأمر ثم ما تلبث أن تتكاثر وتتجذر في المحيط الذي تتحرك فيه.

حينما يلجأ المؤمن إلى ربه ويؤمن به وحده، وهو في موقف الضعف، فـإن الله تعالى يقف إلى جانب عبده ليقويه ويثبته وينير له الطريق، فيزيده هدى الثبات والاستقامة على هدى الإيمان.

لقد تميز الفتية عن قومهم بأن فارقوا دين آبائهم وأجدادهم، ودين قومهم بالرغم من أنهم كانوا من علية القوم، و لم يكن ينقصهم متاع الحياة الدنيا الذي يتنـافس عليـه الناس ويتصارعون من أجله.

تلك هي الخطوة الأولى في طريق التغيير، لابد من أن تتميز بعقيدتك وأخلاقـك وتعاملاتك، فذلك بمثابة تأسيس النواة التي سيحوم حولها المؤمنون معك وكل الأنـصار القادمين.

التحدي:

بعد التميز تأتي استفزازات المخالفين لك في العقيدة والانتماء، فتبـدأ سلـسلة مواجهات كلامية - في بداية الأمر - لكي تغير قناعاتك وتتنازل عن معتقداتك فتعود إلى ما عليه القوم، لأن في ذلك انتصار لمذهبهم وحفاظ على مكتسباتهم واستمرار لسلطتهم، ولكن المؤمن الصادق لا يسعه إلا أن يقابل هذه الاستفزازات بتحـد صـارخ لا يقبـل المساومة، ولا يترك مجالاً للعودة إلى الوراء، بل هو إعلان للبراءة مما يخالف عقيدته؛ ﴿ **إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد قالها فتية الكهف في مواجهة قومهم ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً** ﴾.

تثبيت لألوهية الله عز وجل وربوبيته في هذا الكون ووحدانيته، ونفي كل شريك معه، ويترتب على هذا التصريح بالكفر بما سواه، ويترجم هذا بالخروج عن القوانين الوضعية وعدم التحاكم إليها، والسعي الحثيث لإزالتها واستبدالها بشريعة الله عز وجل المترلة. وقد يتولد على هذا التحدي مجموعة تبعات لابد من تحملها والقيام بها على أحسن وجه، مهما كلف ذلك من تضحيات وخسائر.

إن الإيمان حينما يخالط بشاشته القلوب المؤمنة، فإن أصحابها لا يأبهون بما يتبع ذلك، فهم يستمدون قوتهم وثباتهم من الله عز وجل، ويتقدمون إلى الأمام للإعلان عن هذا الميلاد الجديد، وعن هذه الحياة الجديدة، ويحاولون نشر هذا النور ليعم في الآفاق، وهم يعلمون علم اليقين أن الناس من حولهم مجرد عبيد، ضعفاء لا يملكون أن يحجبوا هذا النور الساطع مهما أوتوا من قوة وبطش وبأس شديد.

بل إن صاحب الإيمان يستعلي بإيمانه عن كل الحواجز والعقبات، ويسعى جاهداً لإيصال هذا النور إلى الناس من حوله، وحينما يعترض طريقه معترض، فإنه سيحاول إزالته بكل الوسائل الممكنة، وفي حدود طاقته، لتعبيد طريق الدعوة لمن يأتي بعده.

الثبات:

لعل أهم ما يميز طريق المؤمن هو كثرة العقبات والأشواك و تنوعها، مما يحتم على المؤمن أن يكون ذو همة عالية وصبر قوي ونفس طويل، وهو ما يمكننا جمعه في كلمة واحدة ألا وهو الثبات أو الاستقامة على الأمر[١].

[1] انظر مقالنا: "آمن ثم استقم"، صفحة (٥) من هذا الكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالاستقامة درجة أعلى من درجة الإيمان، لأنها تطالب صاحبها أن يكون دائم الطاعة والإتباع، لما في ذلك من مخالفة للهوى والأعراف والقوانين، وما يتبع ذلك من حرمان وأذى وفوات لمصالح مادية عديدة، وهو أمر قاس على النفس، يحتاج صاحبها إلى امتلاك إرادة قوية، وتوفيق من الله وتسديد.

والمؤمن بحاجة إلى الاستقامة في اليسر والعسر، حيث أن كثيراً من الناس يستطيعون تحقيق الاستقامة على أمر الله في حالات الرخاء والسعة، بينما تراهم يتزعزعون ويرتبكون ويضعفون في حالات الشدة والضيق، وهي الأكثر حضوراً في هذا الزمان، حيث أن الإسلام وأهله يعيشون تحت حصار شامل ومتواصل من قبل أعداء الله، بغية ردهم عن دينهم وفتنتهم عن عقيدتهم، وهذا يحتاج منا معشر المسلمين والمؤمنين أن نتسلح بسلاح الاستقامة والثبات على ديننا مهما اشتد هذا الضيق واتسع هذا الحصار.

لقد ثبت الفتية من قبلنا على دينهم، وهم لنا في هذا المجال أسوة حسنة، بالرغم من قلة عددهم وضعف عدتهم، ولقد قاوموا إغراءات قومهم وتهديداتهم، فانتصروا بإيمانهم وعقيدتهم، ونحن مطالبون بأن نحذو حذوهم في هذا الزمان لنحقق ما حققوه، فنجمع صفات الإيمان والتميز والتحدي والثبات إلى جانب صفات الدعوة والجهاد [1].

المفاصلة:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ﴾.

وهي نوعان، مفاصلة معنوية شعورية ومفاصلة حركية مادية. فأما المفاصلة الشعورية فيحققها المؤمنون بمجرد انتمائهم لدين الله عز وجل، حيث يهجرون معتقدات

[1] انظرمقالنا: "فتية الكهف وفتية الصف"، في الصفحة (٢٤٨) من هذا الكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القوم وعاداتهم الباطلة، ويعكفون على عبادة الله وحده وطاعته في كل صغيرة وكبيرة، كما أنهم يغسلون أفكارهم من كل الشوائب الجاهلية فتصفو وترتقي إلى معالي الأمور، لا هم لها سوى السعي إلى تعبيد الناس لربهم والقضاء على عبودية البشر للبشر والأهواء.

أما المفاصلة المادية الحركية، فتكون بالانتقال من مكان المعصية أو الكفر إلى مكان الطاعة والإيمان، وهذا ما يصطلح عليه شرعاً بالهجرة. وتأتي الهجرة كآخر حل للمؤمنين للنجاة بدينهم والحفاظ على عقيدتهم، خوفاً من الفتنة والعودة إلى الكفر بعدما خرجوا منه.

وتكون الهجرة أولاً بالانتماء إلى التجمع الإيماني، والسعي إلى تقويض النظام الجاهلي لا المصالحة معه، وذلك بالعمل المتواصل الدءوب والمنظم داخل المجتمع المراد تغييره، حتى إذا أغلقت الأبواب وسدت كل الطرق في وجه التجمع الإيماني، فإنه حينئذ وحينئذ فقط، يلجأ إلى الهجرة، وهو الانتقال إلى مكان آمن يستطيع أن يواصل فيه إعداده لعملية التغيير داخل مجتمعه.

لقد هاجر فتية الكهف مجتمعهم بعدما أحسوا بعدم القدرة على مواجهة قومهم، حيث كان هناك عدم تكافؤ واضح في موازين القوة، فقد كانوا أفراداً معدودين لا يمكنهم مواجهة نظام قائم بعدته وعتاده. كما أن الله تعالى لم يكتب عليهم هذه المواجهة لحكمة يعلمها سبحانه. قد يكون من بينها تحقيق معجزات وكرامات لهؤلاء الفتية ما كانت لتتحقق لو أنهم دخلوا في مواجهة مباشرة مع قومهم.

كما أود أم أنبه على حقيقة مهمة في مفهوم النصر، ذلك أن الغلبة والتمكين يكون للمبادئ والقيم، أما انتصار الأشخاص فلا يكون هو الصورة الوحيدة للنصر، ذلك ليعلم المؤمنون أن ذهاب الأرواح في سبيل الله، وفي سبيل نصرة العقيدة هو قمة الانتصار والتمكين وليس العكس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المفاصلة ضرورة حتمية يحتاجها أصحاب الحق، لكي يتمكنوا من إعداد العدة في أجواء مناسبة، بعيداً عن أعين الأعداء. كما أن المفاصلة وسيلة فعالة لأصحاب الحق للتميز و من ثم استقطاب أعضاء جدد لدعوتهم.

تجمع جديد مستقل، وإعلان البراءة من المجتمع الجاهلي الذي يراد تغييره، ثم هو إعلان عن بدء عملية التغيير الشاملة والجذرية.

كما أن عملية المفاصلة تكون دائما مرافقة لمعية الله تعالى ومدده وحفظه؛ ﴿ **فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً** ﴾.

وكما سبق القول، فإن صورة الكهف تتغير من زمن لآخر بحيث يؤدي دوره المتمثل في الحفاظ على المؤمنين وحمايتهم من بطش أعدائهم. ففي يومنا هذا يتمثل في هذه الجماعات المجاهدة التي تتناثر عبر عالمنا الإسلامي العريض، فهي التي يأوي إليها المجاهدون، أو الفرارون بدينهم، في انتظار انبعاثهم لمقاومة أهل الباطل من حولهم.

كما أن كهف العصر يتمثل اليوم في هذه الجبهات الجهادية التي فتحت على أيدي المؤمنين، ولقد أوى إليها المئات إن لم يكن الآلاف من فتية العصر، بعدما انقطعت بهم السبل في أوطانهم وبين أقوامهم، آثروا اللجوء إلى هذه الكهوف الجهادية فراراً بدينهم وحفاظاً على عقيدتهم، ولكن أيضاً استجابة لنداء إخوانهم المستضعفين، الذين يرزحون تحت نير الاحتلال الكافر والمرتد.

إن الكهوف المعاصرة تعتبر أماكن مثالية للإعداد الشامل، قبل أن يبعث الله هؤلاء الفتية من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل في عقر ديارهم التي خرجوا منها.

وهي تشكل خطراً كبيراً وعظيماً على أهل الباطل، لذلك تراهم ينفقون الجهود المضنية والأموال الطائلة لمنع تدفق فتية الجهاد إليها، ووضع الحواجز المتنوعة في طريقها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن فترة الإعداد ضرورية وحتمية لمسيرة الجهاد، وقد تطول هذه الفترة أو تقصر بحسب نوعية الموطن ونوعية الفئة المجاهدة كذلك [1].

وخلال فترة الإعداد يحيط الله تعالى عباده بالرعاية اللازمة ويعمي عنهم الأبصار حتى تتم إرادته وقدره على أيدي هؤلاء الفتية. وكما حمى فتية الكهف لمدة ثلاثمائة وتسع سنين دون أن يكشف أمرهم أحد، فإنه سبحانه قادر على حفظ فتية الجهاد في كل وقت، بالرغم من محاصرتهم وتهجيرهم في الأرض على أيدي الطغاة الظالمين.

﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ، وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾.

يحيطهم سبحانه بعنايته الواسعة، إلى حين انبعاثهم من أجل إقامة الحجة على الناس بالجهر بالحق ومقاومة الباطل من حولهم.

وحينما تأتي ساعة الحسم ويأذن الله للفتية بالخروج، فإنه سبحانه يهيئ الظروف المناسبة - المعنوية والمادية - لكي يتحقق وعد الله تعالى لعباده بالنصر والتمكين.

إن مجرد الخروج وإعلان البراءة من القيم الجاهلية القائمة والكفر بالقوانين الوضعية السائدة، هو في حد ذاته نصر كبير للقيم الإسلامية وتمكين لشرع الله تعالى في نفوس أصحابه أولاً، ثم في نفوس العديد من الأنصار ثانياً.

لقد انتصر فتية الكهف على قومهم حينما تمسكوا وثبتوا على عقيدتهم، وانتصروا على النظام القائم حينما لم يخضعوا لقوانينه، وخضعوا لله وحده ولو في كهف مظلم منعزل، وهذا لعمري هو النصر الحقيقي الذي يقهر الطغاة والظالمين في كل زمان.

[1] انظر مقالنا: "ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة"، في الصفحة (١٠٧) من هذا الكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحينما يعجز الظالمون عن تركيع أهل الحق لأهوائهم وشرائعهم، فإنهم يلجأون إلى أساليب التخويف والترهيب من تهجير وسجن وتقتيل، عسى أن يحققوا أهـــدافهم، ولكن الله جل وعلا يأبى إلا أن يتم نوره ويعلي كلمته ويهلك عدوه بأيدي المؤمنين.

وهكذا ينتصر فتية الكهف على رجالات القصر، ولم تـنفعهم حـصونهم ولا عتادهم في مواجهة فتية آمنوا بربهم فزادهم تقوى وثباتاً وصبراً، ولا استطاعوا أن يوقفوا مسيرة الإيمان بالرغم من غياب أصحابها عن الساحة، ليعلم أهل الحق أن الله ناصـــرهم وناشر دعوته في النفوس لمجرد ثبات أصحابها عليها.

لقد طالت مدة غيابهم عن الساحة، وكانت هذه الغيبة بمثابة وفاة لهم، أو بالتعبير القرآني الدقيق، شهادة في سبيل الله، تركوا وراءهم مواقف إيمانية عالية، أثرت في النـــاس من بعدهم، وتدارسوا سيرتهم جيلاً بعد جيل، حتى تحولوا إلى رموز للحق، وبعـــث الله تعالى من حمل رسالتهم وسار على نهجهم حتى أحق الله الحق وأبطل الباطـــل. وهكـــذا يكون أمر الشهداء، أحياء بين الناس بسيرتهم ومواقفهم حتى وإن غابوا بأجسادهم، كما يكون أمر السجناء والمعتقلين كذلك، فالثبات على الحق والاستقامة على المنهج كفيلان بنشر الدعوة والتأثير في الناس ولو كان الداعية غائباً عن الساحة.

أسأل الله سبحانه وتعالى في ختام هذا المقال أن يوفقنا لتجسيد هذه الصفات في أنفسنا لكي نكون من فتية العصر، ويلهمنا الصواب لنهتدي إلى كهف العصر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو سعد العاملي

جمادى الآخر، ١٤٢٦ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- فتية الكهف و فتية الصف

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد؛

لقد خلق الله الخلق وبعث إليهم أنبياء ورسلاً للقيام بعبادته وتحقيق التوحيد ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات ٥٦]، وقوله عز من قائل: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فمدار الدعوة كلها منذ أن خلق الله آدم وإلى قيام الساعة هما هذان الأمران: عبادة الله عز وجل وتحقيق عقيدة التوحيد. وكل ما عارض أو وقف في سبيل تحقيقهما، وجب البراءة منه ومعاداته ثم محاربته، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ومن صفات فتية الحق استعلاء الإيمان والتضحية بكل ملذات الدنيا وشهواتها وترك الأهل والعشيرة والمناصب في سبيل الهجرة بالدين والحفاظ على العقيدة، والتحدي الكبير والواضح للجاهلية ولكل قوى الباطل، حتى وإن اضطر الأمر أن يلجأ الإنسان إلى كهف مظلم لا يوفر أبسط ضرورات الحياة، فالمؤمن لا يمكن أن يضحي برأس المال في مقابل الحفاظ على الربح، فضلاً عن أن يضحي برأس ماله في مقابل لا شيء فما عند الله خير وأبقى، وأحلى وأعظم قيمة مما يعده أهل الباطل به في مقابل التنازل عن عقيدته واتباع القوم على باطلهم.

فالدنيا في نظر المؤمن لا تعدو أن تكون مجرد ساعة من النهار، فهو يحرص على أن يجعلها طاعة لله، ليلقى الجزاء الأوفى في الحياة الأخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما حصل لفتية الكهف حيث آثروا الفرار إلى الله تعالى والزهد في دنياهم، فلجأوا إلى الكهف بعقيدهم ودينهم وتركوا الدنيا وملذاها وراء ظهورهم بعدما كانت في أيديهم، وهذا هو الزهد الحقيقي والإيمان المثالي الذي يستحق أن يخلده رب العزة في كتابه الحكيم، ليكون مثلاً أعلى للأجيال القادمة حتى قيام الساعة.

ولكل زمن فتيته، ولكل وقت كهفه، ويبقى الكهف رمزاً لأهل الحق وملجأ لهم في كل زمان ومكان، إنه يتغير شكلاً وحجماً ولكن يظل هو هو جوهراً وروحاً.

وحينما يشتد الضيق والحصار على أهل الحق من قبل أهل الباطل، فإن فتية الحق يضطرون إلى الفرار بدينهم والبحث عن كهف زماهم ليلجأوا إليه حتى يقضي الله بينهم وبين قومهم بالحق وهو أحكم الحاكمين.

وقد لا يكون كهف هذا الزمان مادياً، بحيث يمكن أن يتمثل اليوم في هذه الجماعات والتنظيمات الإسلامية التي تجتمع على عقيدة التوحيد، سعياً إلى إقامة الدين، ومحاربة الباطل بإزالة أنظمته وكسر شوكته. يهاجر إليها المخلصون من أبناء المسلمين لتحقيق عبودية الله عز وجل داخلها ابتداء، ثم السعي الحثيث نحو إعداد العدة لتحقيق هذه العبودية داخل المجتمعات. وتكون هذه الحركات والتنظيمات بمثابة السياج والحصن الذي يحفظ المؤمن من براثين الجاهلية التي تحيط به، والتربة التي يزرع فيها بذرته لتؤتي أكلها بعد حين بإذن ربها.

فتية الكهف في الزمن الأول لم يكونوا مطالبين شرعياً بإزالة دولة الباطل في زماهم، فكل مهمتهم كانت تتمثل في البراءة من هذا الباطل وإعلان كلمة التوحيد، فلم يكن الجهاد - يومئذ - فرضاً عليهم، فلجأوا إلى الكهف فارين بدينهم وعقيدهم وفراراً من بطش الملك الكافر وجنده حتى لا يفتنوهم ويردوهم عن دينهم ﴿ **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً** ﴾ [الكهف ٢٠].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما فتية العصر وهم فتية الصف، تيمناً بسورة الصف، فشأنهم يختلف قليلاً على مستوى الوسائل والسبل الواجب اتباعها لتحقيق عبودية الله عز وجل، نجد أهم سماتهم في سورة الصف.

- **الالتزام بالعهود مع الله تعالى وحمل مسؤولية التوحيد والانتماء إلى هذا الدين على مستوى تطبيق أوامره الانتهاء عن نواهيه؛** ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف ٢-٣].

- **التنظيم ورص الصفوف؛** ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف ٤]

- **أن فئة الحق والمنهج الذي يحملونه محاربون من قبل أهل الباطل في كل زمان ومكان؛** ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ [الصف ٥]، ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الصف ٦]، ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [الصف ٨].

إنها الحرب الشاملة والمستميتة لإبادة هذا الدين، ويأخذ ذلك أشكالاً مختلفة وشعارات متعددة، آخرها شعار "محاربة الإرهاب"، ويجسدونه بقتل قيادات ومجاهدي الأمة، ومحاصرتهم ومحاولة تجفيف منابع التوحيد ومحاربة منهج أهل السنة والجماعة واستبدالها بمناهج بدعية في دثار الإسلام أو بالتعبير القرآني "دين الملك".

لقد تكالبت قوى الباطل على فتية العصر، يريدون أن يفتنوهم ويردوهم عن دينهم، ويريدون أن يطفئوا نور الحق وكلمة التوحيد وعقيدة الجهاد في نفوس المسلمين، وكانت الوجهة أفغانستان، كهف المجاهدين والفارين بدينهم، ومن حكمة الله تعالى ورحمته أن جعل هذا البلد مليء بالكهوف الآمنة الحصينة والجبال الوعرة الصامدة ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتأوي إليها هذه العصابات المجاهدة وتحمي شوكة الإسلام وعقيدة التوحيد كما حمى الكهف أولئك الفتية في الدهر الأول، و لم يستطع خصومهم من أهل الباطل أن يصلوا إليهم، ولا أن يطفئوا نور الحق الذي استقر في قلوبهم، وعادت سنة الله تعالى من جديد، تسطر ملاحمها في هذا العصر، ولنشاهد نماذج أخرى من فتية الكهف، ولكن هذه المرة فتية وجدوا أمامهم حقائق سورة الكهف، تذكرهم بما لاقى إخوانهم الأوائل في سبيل هذه العقيدة، وتوجيهات سورة الصف لمواجهة كيد الكافرين، ليس بالفرار واللجوء إلى الكهف فحسب وإنما برص الصف وحد السيف.

والله سبحانه يعد عباده بالغلبة والنصر ولدينه بالظهور والرفعة ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف : ٣٣]، ويوضح لنا الطريق الموصل إلى تحقيق هذه الوعود، وذلك في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الصف ١٠ – ١٣].

وهذا أهم ما يميز فتية الصف عن فتية الكهف.

وإن كان الكهف يدخل ضمن العتاد الذي يستعمله فتية الصف في هذا العصر، إضافة إلى رأس الأمر وذروة سنام هذا الدين، وهو الجهاد بالمال والنفس، وهو ما يسميه الأعداء بالإرهاب، نظراً لما يمثله من مخاطر آنية ومستقبلية على مبادئه ومشاريعه وخططه.

فالجهاد يعتبر اليوم نقطة القوة في معترك الصراع بين الحق والباطل، ومفرق الطرق بين الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية وبين باقي الفرق المبتدعة، ولهذا نجد كل هذا الإصرار لدى الذين كفروا لينسخوه نسخاً وينزعونه نزعاً من قلوب المسلمين، ﴿ **وَدَّ الَّذِينَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [المائدة ١٠٢].

ولا غرابة أن يبدءوا بقلب الأسماء وإخراج الجهاد عن مفهومه الحقيقي، فيسمونه إرهاباً وعنفاً واعتداءاً، بينما القرآن الكريم يسميه بالتجارة التي لن تبور، وبالتجارة التي تنجي أصحابها من عذاب جهنم ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ** ﴾ [الصف ١٠-١١].

- **والسمة البارزة الأخرى التي يتميز بها فتية الصف عن فتية الكهف هي الأنصار**؛ ففتية الكهف لم يكن لديهم نصير سوى الله تعالى ﴿ **نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾، فكانت مهمتهم هو التميز عن قومهم بإعلان العبودية الحقيقية لله عز وجل واعتزال قومهم وإعلان العداء والبراءة من معبوداتهم ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً ، هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً** ﴾ [الكهف ١٣ - ١٥].

فكانت نصرة الله لهم ورحمته ومدده تتجلى في هدايتهم إلى الكهف، ليحافظوا عل عقيدتهم وينتصروا على قومهم ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً** ﴾ [الكهف ١٦]. وضرب الله على آذانهم فلم يستطع قومهم أن يفتنوهم عن دينهم، فكان هذا هو النصر الأكبر والفوز الأعظم ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ، فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً** ﴾ [الكهف ١٠-١١].

أما فتية الصف فلهم أنصار من البشر وآخرون من الملائكة إلى جانب الناصر والنصير الأعظم ﴿ **وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً** ﴾. فنجد النداء الرباني في آخر السورة ﴿

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾ [الصف ١٤]. فوجود الأنصار إلى جانب الرسل والدعاة هو بمثابة الحجة عل الخلق، وهم الذين يحقق الله بهم النصر والتمكين لدينه ﴿ **هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾، وهي سنة الله في الدعوات من قبل ﴿ **كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾ [الصف ١٤].

ومن دواعي وجود الأنصار للدعوات، كون المعركة تتخذ أشكالاً مختلفة ومتشعبة، وتتمثل في جبهات عديدة ومعقدة ، تتطلب الكثير من الاختصاصات، والعديد من الكفاءات. ففتية الصف اليوم يواجهون العالم بأسره، بكل ما فيه ومن فيه، جبهات عديدة ومتنوعة، ومعارك نوعية تتطلب جنوداً وأنصاراً مؤهلين كيفاً وكماً، وهو ما يدعو إليه الأمر الرباني الخالد ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال ٦٠].

ولو أننا آثرنا القعود وانتظار ما ستسفر عنه الحرب الدائرة بين فتية الصف وأهل الباطل، فلسوف نحكم على أنفسنا بالهزيمة والدمار في الدنيا، وبالخسارة والبوار يوم القيامة ، إذ لا عذر لنا – شرعياً كان أم عقلياً – باعتزال المعركة واجتناب الصدام مع أهل الباطل، ولن نرضى لأنفسنا أن نكون أقل من حواريي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، والله تعالى يمدحنا في قوله تعالى ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** ﴾، فهل هناك معروف أكبر وأعظم من محاربة الباطل والوقوف إلى جانب هؤلاء الفتية؟! وهل هناك منكر أكبر من وجود الباطل والكفر في عقر دارنا ومن قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ومن إخراج المؤمنين وفتنتهم عن دينهم؟!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ماذا سنربح – في ميزان الدنيا – يا ترى لو وقفنا موقف المتفرج القاعد المترقب لنتيجة المعركة؟ وماذا سنخسر – في ميزان الله – لو دخلنا المعركة كأنصار لهذه الفئة المنصورة، وهم فتية الصف السائرين على درب فتية الكهف؟!

لن نخسر أكثر مما خسرنا، وسوف نربح ما لا يمكن أن نربحه ولو عمّرنا عمر نوح ﴿ **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الصف ١٢-١٣].

نسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من فتية الصف، الذين جسدوا فضائل سورة الكهف وطبقوا تعاليم سورة الصف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- قصة أصحاب الجنتين

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عبده المصطفى وعلى آله وصحبه الذين اصطفى ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه واكتفى.

وبعد...

في هذه القصة سنقف مع عناصر جديدة من شأنها أن تثبط الإنسان وتكبله، فيقعد عن أداء الواجبات الشرعية أو يتحول إلى عنصر هدم وإفساد في الأرض، كما من شأنها أن تحوله إلى عنصر بناء وتدفعه إلى أداء الواجبات المنوطة به بكل إخلاص وصدق.

من هذه العناصر نجد التواضع والقناعة والشكر وابتغاء ما عند الله كعناصر بناء وقوة، بإمكانها أن تؤدي إلى النجاح والنصر والتمكين، في مقابل التكبر والجشع والطمع والجحود والاعتماد على القوة المادية وعلى الذات كعناصر هدم وضعف والتي بإمكانها أن تؤدي إلى الفشل والهزيمة والحرمان.

أهمية هذه العناصر تكمن في كونها تعتبر من الأساسيات في بناء الشخصية المسلمة المستقيمة المجاهدة، وعكسها تعتبر من أساسيات الشخصية الفاشلة المنحرفة عن السنن الشرعية والقدرية، والتي تؤدي بالتالي إلى ترسيخ ثقافة الهزيمة والتواكل والسلبية في الأفراد والجماعات.

نريد أن نقدم هذه الوقفات التربوية بشيء من التفصيل والتأصيل، لعلها تساهم في إعادة بناء الشخصية المسلمة المأمولة، التي ستنهض بأعباء التغيير بدءاً من نفسها ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾، ثم انتقالاً إلى المحيط الخارجي لزرع هذه العناصر البناءة في الطليعة المجاهدة، وانتهاء بتحقيق النصر والتمكين والاستخلاف المنتظر في هذه الأرض والتمكين لهذا الدين العظيم، وفق الوعد الرباني الذي لا يتخلف، ﴿ **وَعَدَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾.

فكل العناصر سالفة الذكر في شقها الإيجابي تعتبر عنواناً للتوحيد والخضوع لله عز وجل، وتحقيق لشروط التمكين والاستخلاف، بينما تعتبر العناصر السلبية المذكورة سالفاً، عنواناً للشرك والخضوع لغير الله في العبودية والإتباع، وبالتالي تؤدي إلى الهزيمة والتيه وإلى عذاب الله وعقابه في الدنيا قبل الآخرة.

أسأل الله تعالى أن يفتح علينا بالفهم والحكمة لكي نستخلص تلك الدروس النفيسة من كتاب الله تعالى، ونحن نقف على هذه الآيات الكريمات، لتكون لنا عوناً ونبراساً في طريق التغيير، طريق الدعوة والحسبة والجهاد، وكلنا أمل في أن تجد الآذان الصاغية والقلوب الواعية والسواعد الرامية، والله ولي التوفيق وهو يهدي السبيل.

ونبلوكم بالشر والخير فتنة:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً ﴾.

إن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بالعطاء كما يبتليهم بالمنع، يبتليهم بالسراء كما يبتليهم بالضراء، يبتليهم بالرخاء كما يبتليهم بالشدة، وذلك ليعلم من يصبر ممن يضجر، حكمة الله البالغة. ولكي نعلم نحن العبيد الفقراء أن هذه الدنيا دار امتحان وبلاء وليست دار نعيم وعطاء، يأخذ منها المؤمن والكافر، والعاصي والمطيع، والموحد والمشرك، دار من لا دار له، وممر سرعان ما ينقضي لنمر عبره إلى دار البقاء، و تلك هي الدار الحقيقية والأبدية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ضرب الله سبحانه أمثلة عديدة في كتابه العزيز، يبين فيها هذه الحقيقة، ومنها هذه القصة التي بين أيدينا، قصة صاحب الجنتين، كما ضرب مثلاً آخر في قصة أصحاب الجنة ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾، فهو في حقيقة الأمر ابتلاء وفتنة وليس نعمة ومحنة كما قد يعتقد الكثير من الناس.

إن أكثر الناس قد أصبحوا مسخَّرين للمال والمتاع الذي رزقهم الله إياه، ويكون همهم هو حفظ هذا المال خوفاً من الفقر والحاجة، والقليل من ينجح في قلب هذه المعادلة، حيث المطلوب أن يكون هذا المتاع وسيلة للتقوية على عبادة الله ونفع عباده، فهذا الصنف قليل ونادر، لذا وجب التذكير والوقوف على هذه القصة لاستخلاص ما يمكن من عبر ومفاهيم إيمانية ووقفات تربوية، لعلها تؤثر في النفوس، فتؤتي الأكل المرغوب بإذن ربها.

هذه قصة رجل آتاه الله كل ألوان المتاع وكل أنواع المال الذي يحلم به المرء في هذه الحياة الدنيا، وبدلاً من أن يشكر ربه على هذه النعم، وينفق منه سراً وجهراً، ويدفعه إلى معرفة حقيقته وضعفه وفقره أمام قوة الله وغناه، نراه يتصف بكل الصفات التي يستحق صاحبها غضب الله وعقابه، وبالتالي تودي به إلى زوال النعمة، وإلى حرمانه منها والعودة إلى سابق عهده، لا يملك شيئاً، بل إن الله تعالى قادر على أن يسلبه صحته وعقله لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً، فهو المعطي وهو المانع، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، وهذه حقيقة لا ينبغي أن نغفل عنها قيد أنملة ما دمنا في هذه الحياة الدنيا.

﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾، وهو استعلاء وتكبر على الخلق بما آتاه الله من فضله، وهو – سبحانه – إذا شاء حرمه فيتساوى مع صاحبه في متاع الدنيا.

إنه الجهل بحقيقة هذه الحياة الدنيا، كونها زائلة ولا تدوم لأحد مهما أوتي من علم وقوة وحكمة، وبأنها مجرد فتنة ومحنة ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾، وليست

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اصطفاء ومنحة كما قد يظن الكثير من الغافلين. إن الله تعالى يمتحننا بالقليل كما يمتحننا بالكثير، والذي ينفق من القليل مؤهل بأن ينفق من الكثير أيضاً، والذي يبخل بالكثير سوف يبخل بالقليل حتماً.

كفر بالنعمة واستكبار في الأرض:

إن الذي يستعلي على الناس بما آتاه الله ويفتخر بما لديه من متاع الدنيا يظن بأن الله تعالى قد خصه من دون العباد، وبأن ملكه باق إلى قيام الساعة، وهذا ما يقوله صاحبنا لصاحبه ﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً** ﴾، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن حب الدنيا قد أعمى بصيرته، و لم يعد يميز بين الحقيقة والخيال، ولا بين الواقع والمثال.

والكثير من الناس يقولونها بواقع الحال وليس بواقع اللسان، حيث تراهم يعقدون كل آمالهم على ثرواتهم وجاههم ونفوذهم، ويظنون بأن هذا هو السند الحقيقي لهم في هذه الحياة الدنيا، بل إنهم يعتقدون بأن هذا السند باق لن يزول ما داموا أحياء يرزقون.

والخطير في الأمر أن هذا الاعتقاد يجعلهم يتملصون من واجباتهم، فلا ينفقون إلا قليلاً، ولا يقومون إلى عباداتهم إلا وهم كارهون.

فأمثال هؤلاء لا يمكن أن يجاهدوا بأوقاتهم وأموالهم فضلاً عن أنفسهم ﴿ **وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً** ﴾، فالذي يريد الجهاد لابد أن يعود نفسه على النفقة بالوقت والمال[1].

[1] أنظر مقالنا: "ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة" صفحة (١٠٧) ، ومقال: "وقفات تربوية مع بيعة العقبة الثانية" صفحة (١٨٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكبر واستعلاء وطول أمل وجحود لنعم الله تعالى واعتماد على القوة المادية، كل هذه الصفات نراها تجسدت في هذا الرجل، وهو يتباهى أمام صاحبه، بينما في الطرف الآخر نرى نموذجاً مخالفاً بل ومناقضاً للنموذج الأول.

الإيمان والرضا:

رجل مؤمن راض وقانع بما قسمه الله له، شاكر لأنعم الله متواضع له، واضع يقينه التام وثقته المطلقة في ربه، على أنه هو الرزاق ذو القوة المتين، ﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾، وهو تذكير بأصل الإنسان المهين البسيط، لعله يفيق من غفوة التكبر والاستعلاء على ربه وخلقه، من هذا التراب الذي نطأه ونسير عليه في كل لحظة، ومن نطفة حقيرة أصلها من ماء مهين خرجت من مجرى البول، وهي زيادة في الاحتقار ليعلم هذا الإنسان أصله ومبتدأه، لكي تظل دوماً صورة أمام عينيه تذكره وتحجمه عن التكبر والاستعلاء.

﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾؛ خضوع تام لربه وعبودية مطلقة لخالقه، وهي في مقابل قول الرجل الأول ﴿ **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً** ﴾، كفر بالساعة وتمني على الله بأن يرزقه في الآخرة أفضل مما رزقه في الدنيا.

﴿ **وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾؛ وهو الدعاء الذي يرمز إلى التواضع والشكر والاعتراف بنعم الله وفضله وقوته، فكل ما عند الإنسان أصله من الله تعالى، وإن كان قد حصل عليه بعمل يديه وعرق جبينه، لأن القوة التي سخرناها للحصول على النتائج إنما هي من الله، كما أن هذه النتائج تحتاج إلى توفيق الله أولاً وأخيراً، ففي النهاية كل نجاح وكل نعمة من الله وحده.

﴿ **إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ، فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ، أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴾، فالرزق غير ثابت وغير دائم، فالله سبحانه قادر على أن يقلب الصورة، فيصبح الغني فقيراً والفقير غنياً، كما يصبح القوي ضعيفاً والضعيف قوياً، يحرم هذا بأسباب وبغير أسباب، ويمنح ذاك بأسباب وبغير أسباب كذلك. فكم من غني افتقر بعد غناه بين عشية وضحاها وكذلك العكس، والأمثلة في هذا أكثر من أن تحصى، ولكن الإنسان يغفل وينسى بل ينسيه الشيطان هذه الحقيقة القرآنية والسننية وسط متاهات الحياة وملذاتها ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾.

أما المؤمن الواثق بربه، المتوكل عليه حقيقة يعلم يقيناً بأن ما فاته من الدنيا لن ينقص من قيمته عند الله، وما يكسبه المرء من حظ الدنيا لن يرفع شأنه عند الله إلا بمقدار ما ينفق من هذا المال في سبيل الله وفي سبيل عمارة الأرض في الخير والإحسان لعباد الله، أما ما عدا ذلك فسيكون مجرد لذة عابرة في الحياة الدنيا ووزر وندامة يوم القيامة.

كما أن المؤمن يعلم بأن الله تعالى يرزق من يشاء بحساب وبغير حساب، وحينما يرزقك فلحكمة بالغة، وقد يكون هذا الرزق سلاح ذو حدين، قد ينفعك وقد يضرك، وحين يحرمك فلحكمة بالغة كذلك، وقد يكون هذا الفقر والحرمان خيراً لك في دينك ودنياك وإن كان ظاهره عكس ذلك. فقد يكون العطاء والغنى استدراجاً للكثير من الناس، كما يكون نعمة لآخرين، وهكذا تتفاوت الأرزاق وتختلف الحكم الربانية في ذلك من شخص لآخر ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾.

لئن كفرتم إن عذابي لشديد:

أما صاحبنا فظاهر الأمر أن الله قد حرمه من هذا المتاع بسبب بطر النعمة وتكبره على الله، وكان هذا الجزاء الدنيوي؛ ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً** ﴾ وكم من نعم يؤتاها الإنسان فلا يعير لها كبير اهتمام، بل قد يستعملها في الشر ومنع الخير، حتى إذا فقدها أفاق وندم على ما فات، ويتمنى لو تعود إليه لكي يحسن صنعاً، ولات حين مندم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الله تعالى حكيم في فعله وحكيم في حكمه وقضائه، والقاعدة الثابتة هي ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾، سنة لا تحابي أحداً، جزاء من جنس العمل، قطعت فقطع الله عليك، منعت فمنع الله عنك. وهذا الحكم يشمل كل النعم التي يتمتع بها الإنسان، خاصة المؤمن بما لديه من إيمان وفهم لدين الله وقوة جوارح، لابد أن يسخر هذا في خدمة دينه ونصرته بما أوتي من نعم الله، ومن يمتنع ويبخل فإنه لا يستحق هذه النعم والأجدر أن لا تدوم له، وإذا دامت فلن تنفعه، بل ستكون عليه وزراً في الدنيا ووبالاً في والآخرة.

وهنا يرجع المرء إلى أصله وحقيقته، على أنه لا شيء ولا يملك شيئاً ولا حول له ولا قوة إلا بالله، فإن شاء رفعه وأعطاه وإن شاء وضعه وحرمه ﴿ **وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً** ﴾ ومن يستطيع أن ينصره على الله، أو يحاول أن يرد إليه ما فاته؟ ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً** ﴾، هذه هي الحقيقية، وهذه هي النهاية التي نغفل عنها ونتناساها وسط زحمة الأحداث والفتن المحيطة بنا، حتى كأننا نظن أن ما نملكه من متاع الدنيا قادر على أن ينقذنا من بأس الله إن جاءنا، بل من قضائه وعدله سبحانه.

﴿ **وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾، فضلاً عن أن المؤمن لابد أن يستسلم لأمر الله ويعتبر ما أصابه من سيئة ومن سوء بسبب ما كسبت يداه، وقد يكون فيه الخير الكثير، والدعوة إلى تغيير مساره وسلوكه مع ربه، وهو أفضل من الاستدراج الذي ينتهي بصاحبه إلى الهلاك النهائي وإلى نقطة اللا رجوع.

نسأل الله تعالى في ختام هذه الوقفات أن يبصرنا بعيوبنا ويجعلنا وقافين عند حدوده، مستسلمين لقضائه وقدره وإن كان شديد الوقع على النفوس، وأن يلهمنا الصبر والسلوان على ما أصابنا في سبيل الله، وأن يجعلنا من الشاكرين لنعمه لكي تدوم وتستمر، ويوفقنا لاستعمالها في خدمة دينه والذب عن سنة نبيه.

والحمد لله أولاً وآخراً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكتبه الفقير إلى عفو ربه؛ أبو سعد العاملي

جمادى الآخر، ١٤٢٦ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- وقفات تربوية مع قصة موسى والخضر

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

كم أقف مشدوهاً أمام هذه القصة، ففي كل مرة أجد نفسي في مواجهة كم هائل وزخم من المواقف والعبر مدفونا في خبايا هذه القصة الفريدة العجيبة، وأقول في نفسي تلك هي الحكمة وذلك هو مربط الفرس، فلابد أن يجد المؤمن وكل باحث عن الحق ضالته في القصص القرآني بعامة، وفي هذه القصة بخاصة، مما يدفعني دوماً إلى اختزال هذه الوقفات وجمعها إلى حين، ووفقني الله لتسطيرها في هذه الورقات، لعل الله يكتب لي عليها أجراً ومغنماً، وينتفع بها من يقرأها، خاصة ونحن نعيش غربة الإسلام الثانية، وسط واقع غريب وأناس غرباء، في أشد الحاجة إلى زاد قرآني يكون لنا بمثابة الرفيق على الطريق، والزاد الجسدي والروحي على المسير، لمسيرتنا إلى الله، وما أطولها وما أوحشها بدون كتاب الله وتوجيهاته النورانية، لعل الله يجتبينا وينتقينا ويهدينا إلى سواء السبيل.

قصة موسى مع بني إسرائيل

لعلها من أطول وأهم القصص القرآني على الإطلاق، وهو دليل على ثقل الرسالة التي حملها موسى إلى بني إسرائيل وأهمية الدور المنوط بها في سلسلة الدعوات، ودليل على أهمية التجربة الدعوية لموسى عليه السلام، وكثرة الدروس والعبر الكامنة في طياتها.

سنقف في هذه السورة المباركة على جانب من هذه التجربة التي لم تُذكر في مواضع أخرى من كتاب الله تعالى، وهي جانب من تجربة موسى عليه السلام مع العبد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصالح، وما فيها من وقفات عظيمة المنفعة للدعاة وطلبة العلم، سواء في مسائل العقيدة أو مسائل التعامل مع المدعوين بصفة عامة ومع المقربين والصفوة من الأتباع بصفة خاصة.

وفوق كل ذي علم عليم

بعد إلقاء خطبة بليغة الأثر على النفوس، سئل موسى عليه السلام عن أعلم أهـل الأرض، فقال: أنا، وهي إجابة حسبها موسى صائبة نظراً للقرائن والميزات المتوفرة فيـه، حيث كان رسولاً من أولي العزم، وكليم الله تعالى، وصاحب معجزات عديدة لم تكـن للرسل والأنبياء من قبله، وصاحب كتاب مترل فيه الكثير من التوجيهات الربانية والعلم الذي لم يكن لمن قبله.

ولكن هذا لا يحق لأحد مهما كانت درجته ونوعية شخصيته، لأن العلـم نـسبي ويتفاوت فيه الناس، كما أن لكل واحد نوع من العلم قد يتميز به عن الآخرين، ولا ضير في هذا ما دام أن هناك تكامل وتعاون وملء للثغرات من قبل هؤلاء العلماء، وليس التضاد والاختلاف والعياذ بالله .

التواضع في طلب العلم

وهي من الصفات الضرورية لكي تتحقق الاستفادة ويتم التحصيل، إلى جانـب عدم الاستحياء في مقابل التكبر والحياء وهما الصفتان اللتان تكبلان المرء عن التعلم وتجعله دوماً مغروراً بنفسه يحسب أنه على شيء وهو أبعد ما يكون عن طالب العلم الحقيقـي فضلاً عن أن يكون ذلك العالم الموهوم.

والعالم الحقيقي يكون متواضعاً بطبعه ويكون أخشى الناس وأبعدهم عـن الريـاء والزهو وحب الظهور، ومهما بلغ المرء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من درجة العلم فإنه يبقى محدوداً وغير ذي قيمة مقارنة مع علم الله الواسع ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾، والله تعالى أراد لعبده موسى عليه السلام أن يتعلم من خلال ما أودعه الله في قلوب عباده، والعلم مثله مثل الرزق، هناك ما يحصل عليه المرء بالكدح واتخاذ الأسباب، وهناك نوع يهبه الله لمن يشاء من عباده لكي يكون حجة على بقية عباده، ولحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، ومنه ما آتاه عبده الصالح الخضر، الذي طلب من موسى أن يذهب للقائه، فكان منه ما كان.

فما كان من موسى إلا أن يستجيب لأمر ربه، وينطلق للبحث عن العبد الصالح، من أجل تحصيل ما خفي عنه من علم والاستفادة من غيره.

من هنا ينبغي على العلماء وطلبة العلم أن يقتدوا بموسى عليه السلام في تعاملهم مع غيرهم بعدم ادعاء العلم المطلق والتواضع في طلب ما خفي عنهم من أوجه العلم المختلفة، ولن يستطيعوا إدراك ذلك ولو حرصوا، لأن العلم أوسع من أن يُدرك كله، ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله، بل ينبغي الاجتهاد في التحصيل مع التواضع، واعتقاد أن ما عند الآخرين من علم ومعرفة يعتبر تكملة لما عندك ووجه آخر من أوجه العلم الواسع. فالله تعالى يفرق هذا العلم على عباده كل حسب طاقته ومدى تجاوبه وانتفاعه بهذا العلم وكذلك حسب مدى خشيته لله تعالى وتقواه ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾. فالعلم متكامل، ولا يمكن لبشر أن يحيط بكل العلوم والمعارف، ومن ادعى هذا فهو جاهل ومنكر لحقيقة قرآنية ثابتة، وسنة ربانية جارية ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾.

التضحية في طلب العلم

لقد تهيأ موسى عليه السلام وأخذ ما يلزمه من زاد ومتاع لرحلة طويلة وشاقة، وكان عليه أن يترك أهله وقومه ومكانته بين قومه – رسولاً ومعلماً – لينطلق في هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرحلة المجهولة –تابعاً ومتعلماً– ، وهو أمر قاس على النفس. ولا شك ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً** ﴾[٦٠].

فخرج موسى مع فتاه في رحلة مجهولة الأمد ولكنها معلومة الوجهة (مجمع البحرين)، هكذا هو طلب العلم يأخذ من الإنسان كل وقته ولا يعطيه إلا بعضه، فالعلم غير محدود ومتشعب الاختصاصات لا يكاد يحصل المرء على جزء منه حتى يكتشف أنه لم يدرك شيئاً وبأن عليه أن يطلب أكثر فأكثر، فكلما تعلم الإنسان أدرك انه يجهل أموراً كثيرة، وهكذا يظل المرء في هذه الحياة حتى يلقى ربه، ولعل هذا جزء من مفهوم قول رسول الله ﷺ : " **أُطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**".

والتضحية تكون أولاً بالوقت حيث ينبغي أن يفرغ المرء نفسه لطلب العلم وعدم الاهتمام بأي شيء آخر معه، وذلك حتى تتم عملية التركيز والتحصيل على أتم وجه.

وتكون التضحية بالمال، ذلك أن العلم يحتاج إلى عمليات الانتقال والتنقل والوسائل اللازمة تحتاج إلى مال كاف لتغطية كل هذه المصاريف. فالعلم لابد أن تسعى إليه لكي تكون الفائدة المرجوة ويبارك الله فيه وليس العكس.

وتكون التضحية بالاستقرار الذي اعتاد عليه المرء في محيطه الذي يعيش فيه، من معارف يضطر عند قراره التنقل لطلب العلم إلى تركها والابتعاد عنها، وارتباطات ومصالح مادية إلى حين، وهذه عملية قاسية على النفس لا يتجاوزها إلا ذوو الهمم العالية والإرادات القوية

الصبر في طلب العلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكاد تكون من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم، وهي بمثابة السلاح الأمضى الذي يشق به بحور العلم الواسعة والغامضة ﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً** ﴾[الكهف ٦٧- ٦٨]

إن صبرنا محدود، ولابد أن ينفذ في لحظة من لحظات رحلة العلم الطويلة، وهاهو موسى عليه السلام، وهو كليم الله ورسول من أولي العزم يحتاج إلى هذا الصبر الواسع والطويل لكي تتم عملية الاستفادة من ذلك العبد الصالح المجهول، فكيف بنا ونحن المهازيل الضعفاء، لا نريد أن نصبر لكي نحصل على ما نريد، بل ترانا نشترط على أساتذتنا وشيوخنا ولا نعير لهم الاهتمام والاحترام اللازمين والمطلوبين في حقهم، بل في حق العلم الذي يحملونه.

والصبر المطلوب هو الذي لا يحرمنا من التعلم والتحصيل، ويجعلنا نتحمل المشاق والصعاب في ذلك، كما يجعلنا نتحمل شيوخنا وأساتذتنا ونتأدب معهم ونصبر على تصرفاتهم غير العادية بالنسبة لنا.

فالصبر مطلوب في العلم العادي المعروف ، فكيف بالعلم الذي يتطلب تفسيراً وتأويلاً خاصاً ؟! ومن ضعف الإنسان ونقصه أنه عجول، ويرغب في كشف الأشياء ومعرفتها قبل وقتها، وفي قطف الثمار قبل ينعها، وهذا من شأنه أن يضيع عليه كل شيء ويحرمه من كل شيء كذلك.

أصحاب السفينة :

ما يهمنا هنا هو الوقوف على بعض الدروس والعبر في هذه القصة ومثيلاتها وليس سرد القصة ذاتها، أقول وبالله التوفيق:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد انطلق موسى مع العبد الصالح في رحلة مجهولة الوجهة بالنسبة لموسى عليه السلام، وكذلك تكون رحلة العلم، قد يتحتم على المرء أن يجول بحثاً عن الحكمة وعن العلم النافع وهو لا يدري شيئاً عن الوجهة ولا عما يمكن أن يلاقيه في الطريق من عقبات ومصاعب، فلابد أن يتهيأ منذ البدء، حتى لا يصطدم.

كان اللقاء الأول مع أصحاب السفينة، وهو الدرس الأول في العلم الجديد، معروف من أصحاب السفينة يقابله العبد الصالح بخرق السفينة، يتبعه تعجب واستنكار من موسى عليه السلام، وهو موقف طبيعي سيتخذه كل امرئ في مكان موسى عليه السلام.

لا ينبغي السرعة في الحكم على شيء لم تظهر بوادره بعد، فكم من كلمة تخرج من أفواهنا في حالات التعجب والغضب ، سرعان ما نندم عليها حينما تظهر لنا نتائج عكسية لظنوننا فالظاهر لا يعبر عن الحقيقة دائماً، وإن عبر عنها فيكون بشكل ناقص وغير كامل ، مما ينبغي أن يدفعنا للتريث والبحث عن الصورة كاملة، وذلك بقراءة ما وراء الخبر أو ما بين السطور، وعدم التسرع على إطلاق الأحكام تحت أي مبرر، فالتأخير في إدراك الحقيقة خير من التسرع في الخطأ.

فكانت المفاجأة بالنسبة لموسى عليه السلام، وكان الدرس الأول الذي يتلقاه في هذه الرحلة، كما كان السقوط الأول في سلسلة الامتحانات التي سيتعرض لها في هذه الرحلة العجيبة الغريبة ﴿ **قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً** ﴾ . فكان الجواب مباشرة ودون إبطاء ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً** ﴾.

وهنا أدرك موسى أنه قد أخلف وعده و لم يف بالشرط، لقد كان الأمر أكثر مما يطيق، وهو دافع نبيل بلا شك، دافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جُبل عليه موسى عليه السلام، والذي من أجله حمل الرسالة ولقي ما لقيه من عنت وتكذيب وعداوة..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن المرء عند شرطه، وليس له مبرر لمخالفة ما اتفق عليه مع الطرف الآخر ﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً** ﴾[الكهف ٦٩].

شرط صعب التنفيذ، وهو ربما من حكمة الله تعالى البالغة، درس لموسى على أن علمه محدود، بسبب صبره المحدود، وبأن الناس متفاوتون في العلم بسبب تفاوتهم في الصبر، فالمرء يُعطى من الرزق والعلم على قدر صبره، فالعلم والرزق فتنة، لا يُؤتى منهما المرء إلا بقدر ما يستطيع الاستفادة والصبر على تحملهما وأداء حقهما.

كما أنه درس لنا جميعاً وللعلماء بوجه خاص، على أن العلم اختصاص، وبأن كل عالم له ملكاته التي يتفوق فيها على الآخرين، وله ميدانه الذي يحسنه دون الميادين الأخرى، وعليه فإنه ينبغي احترام الآخر وعدم الادعاء بامتلاك جميع العلوم والاختصاصات، وعدم الخوض والإفتاء في غير الاختصاص الذي يحسنه العالم، وترك المجال لذوي الاختصاص حتى لا تتميع الأمور، وتعم الفتنة ، ويسترخص العلم وتسقط قيمة العلماء .

وهنا اعترف موسى بعجزه وسقوطه في هذا الامتحان الأول ﴿ **قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً** ﴾، إنه النسيان وسط هول الموقف، وصدمة لم يكن ينتظرها أحد، في مقابل ذلك الموقف الطيب والنبيل لأصحاب السفينة.

ولكن حينما يعرف المرء السبب والدافع النبيل والرحيم للعبد الصالح، سيدرك الحكمة وسيندم على تفاعله وغضبته حتى وإن كانت من أجل نصرة الحق .

﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً** ﴾

إنه حفظ لرزق هؤلاء المساكين، سفينة لا يملكون غيرها من أجل العيش، فأرسل الله تعالى العبد الصالح ليخرقها، وليرفضها جنود الملك الظالم – بسبب عيبها – لتبقى بين أيديهم ويبقى الرزق مضموناً ومحفوظاً من الله عز وجل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألا يحصل لنا هذا في كثير من المواقف في حياتنا ؟ كم من مصيبة – صغيرة كانت أو كبيرة – نتعرض لها فنسارع إلى الضجر والتذمر والحزن والأسى، بل كم من أمر يخالف أهواءنا وعقولنا يمر أمامنا – علينا أو على غيرنا – لا نرى سوى جانبه السلبي الآني والظاهر، ولكن مع مرور الوقت تنجلي الحكمة والنتائج ونقف مشدوهين ومندهشين ، وقد اعترانا الندم والخجل من الله ومن أنفسنا، فلا نملك بعد ذلك إلا التسبيح والتحميد لعالم الغيب والشهادة ، الحكيم العليم .

علينا أن نتعلم من هذه القصة كيف نتمالك أنفسنا عند الصدمة الأولى، وكيف نتسلح بالصبر على المجهول والمخبوء فالحياة مليئة بالمفاجآت والغيبيات، وليست دائماً موافقة لأهوائنا ورغباتنا، بل بالعكس تماماً، فنادراً ما تأتي الأمور بما نشتهيه، والحياة في آخر المطاف كلها كدح وتضحية وعطاء بصفة عامة، وحياة المسلم المطيع لربه، والمخالف لأهواء الناس على وجه الخصوص.

حدث في ظاهره مضرة ومفسدة، ولكن في باطنه منفعة ومصلحة، حفظ لأرزاق هؤلاء المساكين، وكم من مسكين ومستضعف يحميه رب العزة، بطرق نحسبها ابتلاء أو عقوبة لهؤلاء، فالعبرة بالخواتيم و ﴿ **عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** ﴾.

قصة الفتى وقتله

ويأتي الموقف الثاني والمشهد التالي من هذه الرحلة العجيبة، والدرس الثاني من الدروس الغريبة التي تجهز موسى لتعلمها ، وهاهو بعد أن أخفق في الامتحان الأول، في مواجهة الامتحان الثاني من هذه الرحلة التعليمية، هاهما يواصلان الرحلة ويلتقيان بغلام بريء، سرعان ما انقض عليه العبد الصالح فقتله دون سابق إنذار..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كيف سيكون موقف موسى وهو يرى مقتل غلام صغير لا حول له ولا قوة، ولم يقترف – على الأقل في علمه عليه السلام – ما يستحق به عقوبة القتل على حين غرة ؟. كيف سيقبل هذه الجريمة وهو الذي أرسله الله تعالى برسالة الحق لإحياء البشرية والدفاع عن النفس وحمايتها من الاعتداء والظلم – مهما كان نوعه – ، هاهو يرى هذه الجريمة الشنعاء أمام عينيه، كيف يمكنه السكوت يا ترى؟

وكيف يا ترى سيبرر العبد الصالح لموسى هذه الجريمة الشنعاء – في ظاهرها–، وهل سيقبل موسى هذا التبرير ؟

أما موسى فلم يتمالك نفسه، كما لم يتمالكها في الموقف الأول وهو أقل شأنا وجرماً من هذا الموقف، حيث صاح في وجه العبد الصالح قائلاً ﴿ **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً** ﴾[٧٤]، وكلمة نكراً أعظم من كلمة إمراً في حادثة خرق السفينة.

فكان جواب المعلم هو تذكيره بشرط المتابعة ﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً** ﴾[٧٥]، لكن المسألة أكبر من أن تتذكر الشرط، المسألة أعظم وأكبر من هذا، لكنه اعترف بنسيانه وإخفاقه في الامتحان الثاني، وهاهو يضع شرطاً فرضه على نفسه لكي يحاول تغطية هذا الإخفاق والنسيان، لعله يشفع له عند العبد الصالح فيواصل معه المسير ﴿ **قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً** ﴾[٧٦].

ولكننا نقف ونسبق الأحداث لنعلم سبب هذه الجريمة والحكمة الكامنة وراءها، ﴿ **وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾[٨٠]. لقد سبق في علم الله الواسع أن هذا الغلام – لو عاش – فلسوف يملأ حياة أبويه طغياناً وكفراً، وسيكون عاقاً لهما ومصدر إزعاج دائم. فكان أمر الله تعالى للعبد الصالح أن يقتله ليريحهما ويستريح هو الآخر، فكان في هذا الأمر خير للأبوين الصالحين المؤمنين وللغلام نفسه، فسبحان الله الخلاق العليم الرحيم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هنا تتجلى حكمة الله الواسعة في الكثير من الأحداث، نعيشها أو نراها أمام أعيننا في الواقع المعيش، وعليه ينبغي أن نستسلم لقدر الله وحكمه في كل الأمور، وخاصة ما يتعلق بالمصائب التي تصيبنا .

إن أمر المؤمن كله خير ، فإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، فالله سبحانه لا يفعل إلا خيراً وإن كان ظاهر هذا الأمر شراً أو مضرة في أعيننا القاصرة. فهؤلاء الأطفال الذين نراهم في المقابر وقد وارت أجسادهم التراب ورحلوا عن هذه الدنيا وهم بعد في أعمار الزهور، قد نتساءل عن الحكمة وراء هذا الغياب المبكر، ونجد في هذه القصة جواباً على هذا التساؤل وإزالة لهذا اللبس.

وقد يكون المرء حريصاً على بلوغ مقام ما ويتحسر على فوات هذا الأمر عنه، ولكن حينما يمر الزمن يكتشف أنه لو بلغه لحصل له مكروه لن يستطيع الصبر عليه أو تحمله، وهكذا في أمور كثيرة، يتحسر المرء على فقدانها ولكن في ذلك الحرمان الخير العميم.

وهذا ما حصل لهذين الأبوين المؤمنين ، حيث أبدلهما الله خيراً من هذا الغلام، وبصرف النظر عن صحة الروايات التي وردت في تفسير هذه الآية، فقد رزقهما الله غلاماً خرج من صلبه العديد من الأنبياء، كانوا دعاة إلى الحق والخير بدلاً من الدعوة إلى الطغيان والكفر.

﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾[٨١].

قصة الغلامين والكنز المدفون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نواصل مع آخر محطة من محطات هذه الرحلة العجيبة الغريبة، حيث نتلقى مع موسى عليه السلام نوعاً جديداً من العلم، تمنينا لو طالت هذه الرحلة حتى لا تنقضي هذه الحلقات، وهذه العبر والعظات.

ولكن موسى عليه السلام حكم على نفسه بذلك الشرط المتعجل ﴿ **قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً** ﴾ فليته سكت كما قال رسول الله ﷺ، لنتعلم أكثر.

﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا** ﴾، رحلة طويلة ومتعبة، تنتهي بهم في قرية، فطلبا من أهل القرية أن يضيفوهما لأخذ قسط من الراحة، قبل مواصلة المسير.

لقد طافا على كل البيوت في القرية، و لم يستضفهما أحد، فأهلها – كما يبدو- من أبخل الخلق وأكثرهم شحاً ، غريبين في القرية، قد بلغ بهما الإعياء والجوع مبلغهما، لم يجدا سوى الرفض والجفاء من أهل هذه القرية.

وحينما يئسا من كرم القوم، لجئا إلى جدار قديم يكاد يتهدم، ليستريحا قبل مواصلة الرحلة، ولكن العبد الصالح قام على وجه السرعة وفي هذه الحالة من الإعياء والإحباط النفسي من تعامل سكان القرية معهما، فبدأ في إعادة بناء هذا الجدار.

فكان موقف موسى عليه السلام هو الآخر سريعاً أنساه كل شروط الاتباع وحتى الشرط الذي وضعه بنفسه بعد حادث قتل الغلام: ﴿ **قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾[٧٧]، وهو يقول بلسان حاله: كيف تبني هذا الجدار لهؤلاء القوم، وهم رفضوا ضيافتنا وإكرامنا، وهم لم يطلبوا منك ذلك، وحتى لو فعلت ذلك فعليك أن تطلب عليه أجراً، وهذا أقل الواجب.

وجاء الرد حاسماً وصارماً من قبل العبد الصالح ﴿ **قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾[٧٨]، هنا تنتهي الرحلة، وتنتهي معها مرحلة التعليم والتحصيل من هذا العلم الجديد،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هنا سنفترق، وقبلها لابد من تأويل وتفسير ما خفي عنك، فهذا حقك ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾[٧٨].

﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ [٨٢].

كان في القرية البخيلة غلامين يتيمين، وكان أبوهما (الجد السابع كما ورد في التفاسير) صالحاً، فأراد الله تعالى أن يكرمهما ويحفظ لهما رزقاً مدفوناً تحت ذلك الجدار، وقد ورد في التفاسير أنه عبارة عن لوح من الذهب كتب عليه حكم وعلم نافع إلى جانب مال وفير، فالعلم رزق سيرثه الغلامان ويجعلهما صالحين مثل أبيهما، وأما المال فهو رزق آخر يمكنهما من تغطية مصاريفهما دون الرجوع إلى مساعدة الآخرين، وتكون أيديهما عالية.

فالعلم والمال وجهان لعملة واحدة، فكلاهما رزق، ونعم المال الصالح للرجل الصالح، فالعلم بدون مال يكون ناقصاً، وكذلك مال بدون علم من شأنه أن يقود صاحبه إلى التبذير وسوء التصرف، وربما إلى المعاصي وإلى الكفر والعياذ بالله.

هنا أيضاً تجلت رحمة الله تعالى بهذين الغلامين، وحفظ لهما رزقهما كما حفظه من قبل لأصحاب السفينة وللأبوين المؤمنين الصالحين، فالرزق قد يكون مالاً حلالاً وقد يكون علماً نافعاً وقد يكون ذرية صالحة، وفي كل الأحوال فهو محفوظ من قبل الله عز وجل ومضمون حينما يتوفر شرط الصلاح.

﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾[٨٢]، فالعبد الصالح كان مأموراً ومسيراً من صاحب الخلق والأمر، ما كان له أن يعلم الغيب، ولا أن يفرق الأرزاق ويضمنها، ولا أن يمنع هذا ويعطي ذاك، فكل شيء بيد الله، وكل شيء بأمره وقضائه، وحكمته البالغة تبهر الخلق،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورحمته الواسعة وسعت كل شيء، ﴿ **فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾.

تلك بعض الوقفات التربوية والإيمانية أردت أن أسجلها، لنذكر بها أنفسنا القاصرة، لتعلم قدر ربها المتعال، وتعود إلى نهجه القويم، راضية وقانعة بما قسم الله لها في هذه الحياة الفانية، فلا تتزعج ولا تتذمر ولا تتحسر على ما يصيبها من بلاء، فليس وراءه سوى الخير والفرج ، ولا يتبعه سوى النصر والتمكين ، ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً** ﴾، ولا يغلب عسر يسرين كما أخبر الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

﴿ **وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾.

وكتبه إيماناً واحتساباً: الفقير إلى رحمة ربه: أبو سعد العاملي – صفر ١٤٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه هي أمريكا، أمريكتهم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عبده المصطفى وعلى آله وصحبه الذين اكتفى وعلى من سار على هديهم واكتفى، وبعد

أمريكا، هذا الصنم الذي أصبح اليوم يرعب ويرهب العالم ، والذي أمسى قبلة لكثير من الشعوب (خاصة شعوبنا مع الأسف الشديد) وأصبح بالتالي رمزاً " للحرية " و" التقدم الحضاري" وما إلى ذلك من مصطلحات " الرقي والنماء ". هكذا يحاول البعض أو الكثير تصوير هذه الدولة الطاغية ، والتي دخلت في دائرة العد العكسي لزوالها الحتمي .

سنقف لنلقي نظرة ربانية بميزان الله على هذا الغول اللغز الذي انبهر به الجميع ، لعلنا نكتشف ونكشف زيف هذه الحقائق والوجه الصحيح لهذا المسمى " أمريكا " ، أمريكتهم المعبودة . ونترك المجال للشهيد سيد قطب رحمة الله عليه ، الذي ألهمه الله الحكمة لكي يكشف لنا حقيقة هذا اللغز ، فقد دخل إلى ذلك الغار المظلم لفترة من الزمن ، ليعود لنا بالحقيقة كاملة ، وبالصورة ناصعة عن هذا الوحش الكاسر الذي يراه الكثيرون بعين مخدوعة ، طاووساً جميلاً وحملاً وديعاً. سيكون هذا المقال مجموعة من أقوال الشهيد سيد، يبين لنا فيها حقيقة ما خفي علينا وعلى الكثيرين من أبناء أمتنا البائسة ، حتى يزداد بغضنا لأمريكا (رمز الكفر والفساد)، وتشحذ هممنا من أجل جهادها وكل أذنابها.

الأصل :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول واصفاً لنا أصل الأمريكان وكيف استطاعوا بناء ما يسمى بأمريكا : ((ويحسن أن لا ننسى الحالة النفسية التي وفد بها الأمريكي إلى هذه الأرض فوجاً بعد فوج وجيلاً بعد جيل ، فهي مزيج من السخط على الحياة في العالم القديم (ويقصد أوروبا) والرغبة في التحرر من قيوده وتقاليده، ومن هذه القيود والتقاليد الثقيل الفاسد والضروري السليم ، ومن الرغبة الملحة في الثراء بأي جهد وبأية وسيلة والحصول على أكبر قسط من المتاع تعويضاً عما يبذله من الجهد والثراء.

ويحسن أن لا ننسى كذلك الحالة الاجتماعية والفكرية لغالبية الأفواج الأولى التي تألفت منها نواة هذا الشعب الجديد، فهذه الأفواج هي مجموعات من المغامرين ومجموعات من المجرمين ، فالمغامرون جاءوا طلاب ثراء ومتاع ومغامرات ، والمجرمون جيء بهم من بلاد الإمبراطورية الانجليزية لتشغيلهم في البناء الخارجي)).

البدائية وحب الحرب :

يقول وهو يصف بأن الأمريكان بدائيون في كل شيء تقريباً رغم مظهرهم الخادع الذي يوحي بعكس ذلك ، وحبهم الشديد والفطري للحرب والدمار وهدر كرامات الغير وأكل حقوقهم، إنه قانون الغاب. ((يبدو الأمريكي – على الرغم من العلم المتقدم والعمل المتقن – بدائياً في نظره إلى الحياة ومقوماتها الإنسانية الأخرى بشكل يدعو إلى الدهشة ، ولعل لهذا التناقض الواضح أثره في ظهور الأمريكان بمظهر الشعب الغريب الأطوار في نظر الأجانب، الذين يراقبون حياة الشعب الأمريكي من بعيد ، ويعجزهم التوفيق بين هذه الحضارة الصناعية الفائقة وذلك النظام الدقيق في إدارة الأعمال وإدارة الحياة ، وبين هذه البدائية في الشعور والسلوك، تلك البدائية التي تذكر بعهود الغابات والكهوف)). أما في شهوة هذا الشعب للحرب والدمار فيقول: ((إن الأمريكي بفطرته محب للصراع، وفكرة الحرب والصراع قوية في دمه، بارزة في سلوكه وهذا هو الذي يتفق مع تاريخه كذلك، فقد خرجت الأفواج الأولى من أوطانها قاصدة أمريكا بفكرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستعمار والمنافسة والصراع، وهناك قاتل بعضهم بعضاً وهم جماعات وأفواج ثم قاتلوا جميعاً سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) ولا يزالون يحاربونهم حرب إفناء حتى اللحظة الأخيرة، ثم قاتل العنصر الأنجلوسكسوني (العنصر اللاتيني هناك) وطرده من الشمال إلى الجنوب في أمريكا الوسطى والجنوبية ثم حارب المتأمركون أمهم الأولى إنجلترا في حرب التدمير بقيادة " جورج واشنطن " حتى نالوا استقلالهم عن التاج البريطاني)).

وعن قصة تحرير العبيد التي يفخر بها الأمريكان ، يحكي سيد قطب الحقيقة فيقول : ((ثم حارب الشمال الجنوب بقيادة " أبراهام لنكولن " تلك الحرب التي اتسمت بسمة " تحرير العبيد " وإن كانت دوافعها الحقيقية هي المنافسة الاقتصادية ، ذلك أن العبيد المستجلبين من أواسط إفريقيا ليعملوا في الأرض رقيقاً، لم يستطيعوا مقاومة الطقس البارد في الشمال فنزحوا إلى الجنوب ، وكان معنى هذا أن يجد المستعمرون في الولايات الجنوبية الأيدي العاملة الرخيصة ، على حين لا يجدها الشماليون ، فيتم لهم التفوق الاقتصادي ، لذلك أعلن الشماليون الحرب لتحرير العبيد)).

عن ماديتهم وحيوانيتهم وكذلك عن حياتهم الآلية التي تعبد العمل والإنتاج ولا شيء غير العمل والإنتاج، يقول الشهيد : ((جميل أن يكون في الحياة عمل وكدح، جميل أن يكون في الحياة لذة ومتاع، ولكن على أن لا يستغرق كلاهما الحياة ، على أن تبقى فترة للتأمل الهادئ والتطلع إلى آفاق أعلى من اللذة والمتاع..ولكن " العالم الجديد " (ويقصد أمريكا) لا يعرف الحياة ، إلا كدحاً في العمل المادي حتى اللغوب ، وارتشافاً للذة الحسية حتى الهمود، حتى التفكير يكاد يكون جهداً عضلياً ، فهو جهد غايته تحسين المصنع وترقية المعمل ، وإدارة العمل ، وتنظيم الأشغا والحب ، الحب الذي يطلق الطاقات الإنسانية جميعاً..إنه هنا في أمريكا جسد يتشهى جسداً ، وحيوان جائع يتشهى حيواناً ، ولا وقت للأشواق الروحية التي ترف بها النفوس ، ولا للأماني المرفرفة المجنحة ..كل شيء هنا ككل شيء هناك في الغابة ، إلا أن الغابة لم تزدحم بعد بالمصانع والمعامل ، وبالمدارس والحانات، ذلك هو الفارق البارز الوحيد..أجمل جسد هو الذي يمثل الحيوان الفاره ، وأجمل نظرة هنا هي التي يطلّ منها التحرّق والجوع وليس وراء ذلك شيء مما يميز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو يتميز به الإنسان عن الحيوان..وحينما يقضي الإنسان ساعات حياته كلها في عمل مضن شاق، وجهته الدولار ، وحينما تضيق آفاق الحياة كلها فلا تتسع إلا لوجه الدولار ، عندئذ لا يبقى للأشواق الروحية مجال ، ولا للأحاسيس الشاعرة المجنحة مكان ، فماذا يبقى من الحب بعد ذلك إلا الأجسام وما يتعلق بالأجسام)).

أمريكا وقضايانا:

بعض المخدوعين من – لا أقول من حكامنا لأن هؤلاء لا يملكون حولاً ولا قوة ولأنهم مجرد بيادق في يد الاستعمار – بل من أبناء الأمة يظنون بأن لأمريكا ضمير حي يهتز كما هي عادة وطبيعة بعض الضمائر، وخاصة حينما يتعلق الأمر بقضايانا وبمصائرنا ، وبقضية جوهرية كقضية فلسطين ، يقول سيد : ((أخيراً يتكشف ضمير الولايات المتحدة ، الذي تعلقت به أنظار كثيرة في الشرق وحسبته شيئاً آخر غير الضمير الانجليزي والضمير الفرنسي وسائر الضمائر الأوروبية المعروفة ، أخيراً يتكشف ضمير " الولايات الأمريكية " هذا ، فإذا هو – ككل شيء أمريكي آخر – " ضمير أمريكاني " والكلام دائماً لسيد : ((ولقد كان الكثيرون مخدوعين في هذا الضمير، لأن الشرق لم يحتك طويلاً بأمريكا كما احتك بانجلترا وفرنسا وهولندا ، فلما بدأ الاحتكاك في مسألة فلسطين ، تكشف هذا الخداع عن ذلك الضمير المدخول ، الذي يقامر بمصائر الشعوب ، وبحقوق بني الإنسان ، ليشتري بضعة أصوات في الانتخاب، وكلهم سواء أولئك الغربيون ، ضمير متعفن وحضارة زائفة وخدعة ضخمة إسمها " الديموقراطية " يؤمن بها المخدوعون .

تلك كانت عقيدتي في الجميع ، في الوقت الذي كان بعض الناس يحسن الظن بفريق ويسيء الظن بفريق وكانت أمريكا في الغالب هي التي تتمتع بحسن الظن من الكثيرين، فها هي ذي أمريكا تتكشف للجميع ، هذا هو "ترومان" (ومن بعده روزفلت وإيزنهاور وكندي ونكسون وفورد وكارتر وريغان وبوش وأخيراً وليس آخراً كلينتون) يكشف عن "الضمير الأمريكاني" في حقيقته فإذا هو نفسه ضمير كل غربي، ضمير متعفن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يثق به إلا المخدوعون..إنهم جميعاً يصدرون عن مصدر واحد، هو تلك الحضارة المادية التي لا قلب لها ولا ضمير، تلك الحضارة التي لا تسمع إلا صوت الآلات، ولا تتحدث إلا بلسان التجارة ولا تنظر إلا بعين المرابي ، والتي تقيس الإنسانية كلها بهذه المقاييس)).

ولا يخفي سيد كراهيته لهذا الغرب كله ، ومن ثم يكب سخطه على أولئك الذين يُخدعون بأمريكا وبالغرب كله من ولاة أمورنا وغيرهم فيقول : ((كم ذا أكره أولئك الغربيين وأحتقرهم كلهم بلا استثناء : الإنجليز، الفرنسيون، الهولنديون وأخيراً الأمريكان الذين كانوا موضع ثقة الكثيرين ، ولكني لا أكره هؤلاء وحدهم ، ولا أحتقر هؤلاء وحدهم ، إنما أكره وأحتقر أولئك العرب الذين لا يزالون يثقون بالضمير الغربي عامة وضمير الاستعمار على وجه الخصوص. إنها الجريمة ، تلك التي يقترفونها كل يوم في حق شعوبهم المسكينة ، جريمة التخدير والتغفيل، وإنامة الأعصاب على الأذى وهدهدة الآمال الباطلة والأماني الخادعة في ذلك الضمير المأفون)).

ويبين أسباب كرهه هذا ويقول : ((من الذي يسمع عن وحشية الفرنسيين في شمال إفريقيا ثم لا يمزق كل ما هو فرنسي إن لم يكن بيديه وقدميه فعلى الأقل بمشاعره وقلمه ولسانه، من الذي لا يحتقر أمريكا ويحتقر معها آدمية الأمريكان وهو يجد المعدات الأمريكية والدولارات الأمريكية تشد أزر الاستعمار الأوروبي في كل مكان ، لقاء مساومات اقتصادية أو إستراتيجية أو عسكرية ، من الذي يملك أن يقف على الحياد في معركة الحرية بين الاستعمار الغربي وبين البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها، ثم لا يكتفي بموقف الحياد بل يمد يده بالمصافحة والمحالفة لهذا الاستعمار القذر ، الذي تلعنه الأرض والسماء)). يواصل سيد – رحمه الله – كلامه مبيناً وناصحا ، وهو يحذر الأمة الإسلامية وأصحاب العقيدة الربانية أن يحترسوا من لدغ الحية فيقول : ((يقول نبي الإسلام الكريم ﷺ : "**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**" وها نحن أولاء نلدغ من الجحر الواحد مرات ثم نعود في كل مرة إلى هذا الجحر نفسه، مغمضي الأعين نتطلب الشهد من جحور الأفاعي، ولا نجرب مرة واحدة أن نحطم هذه الجحور ، وأن ندوس هذه الأفاعي وأن ننفض عن أنفسنا هذا الوهم الذي يقودنا المرة بعد المرة إلى تلك الجحور ، إنها الجريمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، تلك التي نعاودها مرة بعد المرة ، الجريمة في حق النفس ، والجريمة في حق الوطن والجريمة في حق العقيدة ، إنها الغفلة التي لا يستحق صاحبها الاحترام، وهو يشهد على نفسه بالتغفيل)). وعن غفلة الحكام يقول : ((ولكن من الحق أن لا نصم الشعوب العربية بهذه الوصمة ، إن هذه الشعوب لأذكى وأشد حمية من أن ترضى لنفسها بالهوان ولكنها تلك الحفنة من ساسة الجيل الماضي في البلاد العربية ، تلك الحفنة الرخوة المسنة الضعيفة المتهالكة ، المهدودة الأعصاب لا تقدر على الكفاح ، ولا تدع الشعوب تكافح ، لأن أنانيتها الأثرة تمسكها عن الانسحاب من الميدان وتركه لقادرين)).

ويكشف لنا سيد عن لعبة المفاوضات التي ما هي إلا عملية تنويم وتعتيم وذر الرماد في العيون ، فيقول ((هذه الحفنة من ساسة الجيل الماضي هي التي اخترعت كلمات المفاوضات والمحادثات والمؤتمرات ..لماذا ؟ لأنها وسيلة سهلة لا تكلف شيئاً ، وتضمن كراسي الحكم والسلطة فترة من الزمان ، وكلما همت الشعوب (ولكن شعوبنا مع الأسف لا تهم) أن تسلك طريقها وأن تواجه المستعمرين بذاتها حال هؤلاء بينها وبين المستعمرين ، ووقفوا من دونهم يصارعون الشعوب وتصارعهم الشعوب ، فإذا أتعبهم الصراع مع شعوبهم راحوا يبثون في الأمة روح الثقة بالمستعمرين ، وراحوا يشيعون الآمال الخادعة في هذا الضمير المدخول ، تلك هي قصة الجحور والأفاعي وقصة اللدغ المتكرر من هذه الجحور ، وإنها لمأساة ولكن من العدل أن نبرئ منها الشعوب العربية ، فلا تؤخذ بجريرة حفنة من الساسة الضعفاء المرضى المتهالكين)). يزيد ويؤكد على عدم انتظار شيء من هذه الحضارة المادية الأنانية فيقول ((كلهم أبناء حضارة واحدة ، حضارة مادية بغيضة لا قلب لها ولا ضمير حضارة تأخذ ولا تعطي وتجرح ولا تأسو ، حضارة أنانية صغيرة مهما بدت من الخارج ضخمة ذات بريق وضجيج ، إنها حضارة زائفة لم تقدم للإنسانية زاداً من الروحية و لم تحاول رفع الآدمية عن قانون الوحوش ، وهل تطبيق هذه الحضارة مع شعوب الأرض المنكوبة إلا قانون الوحوش؟ ثم يوجد بين أمم الشرق غافلون أو خادعون يثقون بأصحاب هذه الحضارة ويراودون شعوبهم على الثقة بذلك الضمير ويثبطون عزائمهم عن الجهاد الحاسم والكفاح المثمر في أنسب الظروف)). ثم يخاطب الجماهير ويقترح الحل وينير الطريق طريق الخلاص ويحذر من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريق الهلاك، لعلها تستجيب وتلبي النداء: ((والآن أيها الشرق ، ماذا تريد؟ فأما إذا كنت تبغي الخلاص من براثن الوحش الغربي، فهناك طريق واحد لا تتشعب فيه المسالك ، فهو أقرب طريق ، اعرف نفسك وراجع قواك واستعد للصراع ، وابدأ الكفاح ولا تستمع إلى صوت خادع يوسوس لك بالثقة في ضمير الغرب المدخول، وأما إذا كنت تبغي الراحة مع ذلك الجيل المكدود المهدود من الساسة المترفين الناعمين ، فأمامك طرق كثيرة ذات شعب ومسالك ، وذات منعرجات ودروب ، هناك المفاوضة والمحادثة، وجس النبض واستطلاع الآراء، وهناك الدبلوماسية الناعمة الرقيقة، والكلمات الظريفة، وهناك الانتظار الذي لا ينتهي والاستجداء الذي لا يغني وهناك المؤتمرات الحافلة، والموائد المستديرة، وهناك الكتب البيض والكتب الزرق والكتب الخضر وما لا ينتهي من الطرق والمنعرجات والدروب)). ويقذف الأمل مع العمل في نفوس هؤلاء ((والحمد لله أيها الشرق، لقد تكشف لك القناع عن آخر ضمير " الضمير الأمريكاني" الذي كانت تتعلق به الأنظار ، أنظار الغافلين والخادعين، والحمد لله أيها الشرق ، إن شمسك الجديدة في شروق وشمس هذا الغرب الفاجر في غروب ، وإنك تملك من الرصيد الروحي ، ومن ميراثك القديم ما لا يملكه هذا الغرب المتطاحن الذي يأكل بعضه بعضاً كالوحوش ، لأنه يحكم قانون الغابة فيما يشجر بينه من شقاق قد لا ينتهي ، وهل ينتهي الشقاق في الغابة بين الوحوش ؟ إنها الفرصة السانحة أيها الشرق للخلاص فانفض عنك رجال الماضي الضعفاء المنهوكين وأبرز نفسك للميدان ، فقضايا الشعوب في هذه الأيام لا بد أن تعالجها الشعوب ، وما قضية فلسطين إلا قضية كل شعب عربي ، بل كل شعب شرقي ومسلم ، إنها الصراع بين الشرق الناهض والغرب المتوحش ، وبين شريعة الله للإنسان وشريعة الغاب للوحوش)).

الإسلام الأمريكاني :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن الإسلام الرطب والمتميع الذي تريده أمريكا وتحبذه لشعوبنا ، الإسلام الذي صنعته بأيديها وتريد أن يكون بديلاً عن إسلام الله الذي نعرف والذي يجب أن يكون ، عن هذا الإسلام الأمريكاني يحدثنا سيد فيقول : ((الإسلام الذي تريده أمريكا وحلفاؤها في الشرق الأوسط ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان ، ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم ، لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرى ، وسيعلّم لشعوب أن إعداد القوة فريضة ، وأن طرد المستعمر فريضة ، وأنم الشيوعية كالاستعمار وباء فكلاهما عدو ، وكلاهما اعتداء)). ويبين لنا كيف أنهم يجزءون الإسلام ويروّجون فقط ما يتلاءم وسياساتهم أو مصالحهم في المنطقة : ((أما الإسلام الذي يكافح الاستعمار – كما يكافح الشيوعية – فلا يجد أحداً يتحدث عنه من هؤلاء جميعاً (ويقصد كتاب الاستعمار من أبناء جلدتنا) وأما الإسلام الذي يحكم الحياة ويصرفها ف يشير إليه أحد من هؤلاء جميعاً . إن الإسلام يجوز أن يستفتى في نواقض الوضوء ولكنه لا يستفتى أبداً في أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالي ،ولا يستفتى أبداً في أوضاعنا السياسية وفيما يرتبط بالاستعمار من صلات)). ويعرض لنا بعض سمات هؤلاء العبيد الذين يسبحون بحمد أمريكا ولا يزالون يمجدونها :((كل رجل غمس قلم ليمجد فرنسا أو إنجلترا أو يمجد أمريكا ، هو رجل منخوب الروح ، مستعمر القلب ، لا يؤتمن على النهضة القومية، ولا يجوز أن يكون له مكان في هذه البلاد بعد نهضتها. إنني لا أكاد أتصور أن هناك إنساناً له مشاعر الإنسان يرى " الرجل الأبيض " يدوس بأقدامه على أعناقنا في كل مكان ، ثم يجد نفسه قادراً على تمجيد هذا الرجل أو حتى مصادقته ، إنني أشك في آدميتهم لأن أول مميزات الإنسان أن يحس بكرامة الإنسان.

أفهم أن تكون هناك ظروف اضطرارية تلجئنا إلى تبادل التمثيل السياسي والقنصلي وإلى المبادلات التجارية والصلات الاقتصادية مع هؤلاء المستعمرين القذرين ، أما أن نتبادل العواطف والمشاعر وأما أن نتحدث عن المآثر والمفاخر وأما أن نفتح قلوبنا وصدورنا فدون هذا ويعجز خيالي عن تصور المهانة وتصور المذلة وتصور المسخ الشعوري الذي يصيب الفئة البشرية ، فيهدي بها إلى ذلك الدرك السحيق من الهوان)).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سمـــــــات جيل الأمل :

وفي نفس الوقت يبين لنا سمات جنود الإسلام الأمل : ((إنها مهزلــة بــل إنهــا لمأساة..ولكن العزاء عنها أن للإسلام أولياؤه ، أولياؤه الذين يعملون له وحده ويواجهون به الاستعمار والطغيان والشيوعية سواء أولياؤه الذين يعرفون أن الإسلام يجب أن يحكــم كي يؤتي ثماره كاملة ، أولياؤه الذين لا تخدعهم صداقة الصليبيين المدخولة للإسلام وقد كانوا حرباً عليه تسعمائة عام.

إن أولياء الإسلام لا يطلبون باسمه براً ولا إحساناً، ولكن يطلبون باسمه عدالــة اجتماعية شاملة كاملة ولا يجعلون منه أداة لخدمة الاستعمار والطغيان ، ولكن يريدون به عدلاً وعزة وكرامة ، ولا يتخذون منه ستاراً للدعاية، ولكن يتخذونه درعاً للكفــاح في ربوع الشرق الأوسط ، أما الذين يسترزقون من اللعب على طريقة الحواة ، أما هــؤلاء جميعاً فهم الزبد الذي يذهب جفاء عندما يأخذ المد طريقه ، وسيأخذ المد طريقه سريعاً ، أسرع مما يظن الكثيرون ، إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا)).

وعن أمله الكبير في هذا الجيل الجديد الذي سيقلب المعادلة ، يقول مستنهضاً همم هذا الجيل لكي يحطم كبرياء أمريكا والغرب كله ، ولكي يمرغ أنوفهم في وحل الهزيمة : ((وأنا لا أطمع في الجيل الذي شاخ أن يصنع شيئاً ، هذا جيل قد انتهى ، جيل منخوب مهما بدا كالطود الشامخ ، جيل مزيف لأنه لا يؤمن بنفسه ، ولا يأنف من تقبيل الأرجل التي تركل قومه ووطنه وإنسانيته أيضاً ، جيل لا بأس أن تكرمه فرنسا وأن تكرمه إنجلترا وأن تكرمه أمريكا ، لأنه يعمل لحسابها، ويؤدي لها خدمات لا يؤديها جــيش مــسلح كامل، كلا لست أطمع في هذا الجيل الذي شاخ إنما أطمع في جيل الشباب المتحرر الذي يحترم رجولته ويحترم إنسانيته ، أطمع في هذا الجيل أن يخرس كل صوت يرتفع في مدرسة أو معهد أو كلية بتمجيد الرجل الأبيض الذي خان أمانة الإنسانية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أطمع في جيل الشباب أن يحطم كل قلم ينغمس في مداد الذل والعار ليمجدوا الرجل الأبيض الذي يدوس أعناقنا بحذائه ، أطمع في هذا الجيل أن يحتقر كل رجل يصادق الرجل الأبيض طائعاً مختاراً بدون ضرورة ملحة تحتمها الأوضاع الدبلوماسية ، ويوم ننفض الاستعمار على هذا النحو من أرواحنا وعقولنا ، ويوم تغلي دماؤنا بالحقد المقدس على ما هو أوروبي أو أمريكي ، يوم نسحق تحت أقدامنا كل من يربطنا بعجلة الاستعمار، عندئذ فقط سننال استقلالنا كاملاً ، لأننا نلنا الاستقلال من داخلنا ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾)). انتهى .

وبعد ،

فهذه هي حقيقة أمريكا ، وهذه هي المكائد التي تنسجها لنا دون كل ولا ملل ولا حياء ولا خوف من أحد ﴿ **كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ ، إنها أيضاً حقيقة الغرب المستكبر ، لأن الإنسان على دين خليله ، وما دامت أمريكا معبودة الجميع ، فلا بد للجميع أن يتخذها أسوة وقدوة في كل شيء ، هذا فضلاً عن الحقيقة القرآنية الخالدة :﴿ **وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ** ﴾.

كل ما سبق ذكره يبقى نوعاً ما معلوماً ولا يهتز له ضمير المسلم كثيراً لأنه يعلم بأن أهل الباطل لابد أن يكيدوا لأهل الحق ، فهي معركة دائمة لا تنتهي إلا بانتهاء أحد الطرفين ، ولكن الحقيقة التي يصعب ابتلاعها هي أنه لا يزال من أبناء أمتنا من يؤمن في هذا الغول ويتخذه قدوة ورباً وإلهاً من دون الله.

﴿ **وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾

أبو سعد العاملي – ١٤١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الديموقراطية ؛ وسيلة لاحتواء التيار الإسلامي

الحمد لله الذي أنزل الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، القائل ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، وهادياً بإذنه وسراجاً منيراً، الذي خاطبه رب العزة بقوله ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾، وبعد

كثيرة هي البحوث والمقالات والكتب التي كتبت عن الديموقراطية، سواء لتزكيتها أو ذمها، والمجمع عليه هو أن الديموقراطية قد أصبحت ديناً جديداً، لها شرائعها وحدودها من حلال وحرام وشروط الانتماء إليها، مثلها مثل بقية الديانات الأخرى.

كما أن للديموقراطية – شأنها شأن باقي المذاهب والطرائق الوضعية أو المحرفة – سلبياتها وإيجابياتها، بعيداً عن كل الأهواء والحزازات، يكفي أن تكون من صنع البشر ليطالها النقص والعجز. فلكل شيء في هذا الوجود منافع ومفاسد، والحكم الشرعي يُغَلِّبُ دائماً المصلحة على المفسدة، وهو الأساس والمنطلق لتحريم الأشياء أو تحليلها، فمتى غلبت مفسدة الشيء على مصلحته صار حراماً، والعكس صحيح.

فحتى الخمر والميسر – اللذان يبدو ضررها وفسادهما واضحاً للعيان – ذكر الله سبحانه وتعالى السبب الحقيقي لتحريمها و لم ينكر أن فيهما منافع للناس ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا** ﴾[البقرة].

لا أريد أن أعيد ما قيل وكُتب عن الديموقراطية انطلاقاً من ميزان الشرع الحنيف، فقد أجاد الكثير من علمائنا العاملين، وبينوا المفاسد والآثام الكبيرة لهذا "الدين الجديد" إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جانب منافعه المعدودة والمحدودة، التي استغلها الناس في مجالات الإفساد أكثر مما استعملوها في مجالات الإصلاح.[1]

صلب الديموقراطية وجوهرها ؛

تقوم الديموقراطية أساساً على فصل الدين عن الدولة وتأليه الإنسان وجعله رباً من دون الله، يشرع ويسن القوانين وفق ما يراه موافقاً لأهواء للناس.

ويُعتبر الدين بالنسبة للديموقراطية العدو الأول والأكبر، كونه يحجم من صلاحياتها ويحاول منافستها في مجال الحكم ثم في المجال الاجتماعي والثقافي بصفة خاصة، حيث تعطي الديموقراطية الحرية المطلقة غير المحدودة - للفرد والجماعة — لممارسة ما يحلو لهم من عادات، واعتقاد ونشر كل ما يرونه موافقاً لأهوائهم حتى وإن كان ذلك مناقضاً ومهدماً للأخلاق والقيم.

كما أن الديموقراطية تسعى إلى هدم كل الحواجر والفوارق الفطرية بين الجنسين، ليتحول المجتمع الإنساني إلى مجتمع بهيمي، تنتشر فيه الفوضى والإباحية وتنخره من الداخل فيصبح قاعاً صفصفاً وخراباً بعد عمار.

هذه أهم الأسس التي يقوم عليها هذا الدين الجديد، المناقض - أصلاً وفصلاً — لدين الله تعالى، وهي الأهداف التي يتوخى أعداؤنا ترسيخها في مجتمعاتنا لكي يبعدوا العباد عن ربهم ويهدموا عقيدتهم ويستبدلوها بعقيدة اللذة والشهوة والهوى، واتخاذ مجموعة من السفلة والسفهاء أرباباً من دون الله، يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[الشورى ٢١].

[1] انظر على سبيل المثال لا الحصر: " الديموقراطية دين" الشيخ أبو محمد عاصم المقدسي ، "هذه هي الديموقراطية، فهل أنتم منتهون" للشيخ أبي بصير عبد المنعم حليمة...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ديموقراطية الكفار وديموقراطية المرتدين ؛

وإن كنا لا نريد أن نصل إلى هذا التقسيم، لأن الديموقراطية كفر، والكفر ملة واحدة، وإن تعددت أشكاله وألوانه، ولكن لابد من الإشارة إلى أن هناك ما هو كفر وما هو زيادة في الكفر، لنبين خطورة الديموقراطية المطبقة في بلداننا والفرق الشاسع بينها وبين الديموقراطية الكفرية في بلاد الغرب.

ففي الجانب السياسي مثلاً، تجد بعض النزاهة والشفافية في اختيار الممثلين عن الشعب في المؤسسات التشريعية، ثم تتشكل الحكومة – وفقاً لنصوص الديموقراطية – من الحزب الحاصل على الأغلبية المطلقة أو بتشكيل حكومة ائتلافية من طرف الأحزاب الأكثر تمثيلاً في المؤسسة التشريعية، ثم يكون لهذه الحكومة بعض الصلاحيات الواضحة والاستقلالية في اتخاذ القرارات والآليات اللازمة لتنفيذ برامجها السياسية على مدى فترة حكمها، دون أن يكون لرئيس الدولة أو الملك أي سلطة على هذه الحكومة، إلا إذا ارتأت هي أن تنسحب وتقدم استقالتها قبل انتهاء مدة حكمها، أو يقدم بعض أعضائها على الانسحاب بسبب بعض الفضائح السياسية أو الأخطاء الفادحة، ليـعوَّضوا بأعضاء جدد.

أما في بلداننا، فالديموقراطية تعتبر زيادة في الكفر، كونها جاءت بعد ترك حكم الله تعالى، الذي يعتبر كفراً في حد ذاته ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة ٤٤]، واتخاذ دين جديد مكانه، هذا على مستوى تغليظ العقوبة من الوجهة الشرعية. أما من ناحية التطبيق العملي لهذه الديموقراطية، فهناك تحريف لها وتشويه كبير، حيث أنه منذ بداية العملية الانتخابية، ترى التزوير والخداع والغش والتلبيس على الناس، لتنصيب أشخاص أو اتجاهات سياسية معينة سلفاً من قبل السلطة العليا في البلاد (هذه السلطة العليا لا تتبدل ولا تتغير، وتتمثل أساساً في الملك أو الأمير أو الرئيس ومستشاريه بالإضافة إلى المؤسسات العسكرية والقمعية والمخابراتية التي تبقى في أيدي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه السلطة العليا تتحكم فيها وتضمن ولاءها المطلق في كل حين). أما من يفوز بالمقاعد المعدودة للمؤسسة التشريعية، فيكون خليطاً من التوجهات السياسية المتناقضة، يصعب عليهم الاتفاق على موضوع واحد فضلاً عن المشاركة في تسيير حكومة موحدة، ولكن في بلداننا هناك ديموقراطية من نوع آخر، وتسمى الديموقراطية الملكية أو الرئيسية أو الأميرية، بمعنى أن هؤلاء الثلاثة هم الذين يقسمون المقاعد على كل حزب وفق ما يرونه مناسباً لمصالحهم هم، ثم يختارون رئيس الحكومة بأنفسهم، ويختارون بعد ذلك بقية أعضاء الحكومة، لتكون حكومة مشلولة وعاجزة عن تنفيذ أدنى برنامج نظري، وتظل السيادة الحقيقية بأيدي هذه السلطة العليا، التي تشكل حكومة الظل المتنفذة في البلاد، أحب من أحب وكره من كره، وما زوبعة الانتخابات التي تقام في بلداننا إلا ذر للرماد في عيون الغافلين.

أما في بلدان الكفر الأصلي فهي لا تعدو أن تكون هي الأخرى ألعوبة تتلهى بها الشعوب ويستغلها الساسة لتحقيق مآربهم وترسيخ نوع من الديكتاتورية أو رأي الحزب أو ما يسمى برأي بالأغلبية باسم الديموقراطية. ذلك أن الحزب الغالب هو الذي يفرض سياسته ومذهبه رغماً على أنف الجميع، على الأقل خلال فترة حكمه.

إن الديموقراطية لا تعدو أن تكون غطاء وقفازاً من حرير يخفي قبضة حديدية، يمارس بها النظام الحاكم شتى أنواع البطش والاستغلال والإفساد، ولا يجرؤ أحد من عبيد هذا الدين الجديد أن ينقدها أو يثور عليها حتى وإن لقي في سبيل ذلك الضرر والعنت، فالديموقراطية في نظرهم خيار لا رجعة فيه، ودين يستحق التضحية والفداء، ولا بأس من تفويت مصالح ما دام ذلك يرضي أهواء الأغلبية.

هذا بوجه عام الصورة الحقيقية للديموقراطية في بلداننا وبلدانهم، وهذه هي بعض الأسس التي تقوم عليها وبعض المقدسات التي لا يجوز الخروج عليها بأي حال من الأحوال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الديموقراطية والتيارات الإسلامية ؛

لقد انقسم التيار الإسلامي – فيما يخص الموقف من الديموقراطية – إلى قسمين رئيسيين:

الأول: اعتبرها وسيلة "حضارية" لتحقيق مصالح الدعوة عن طريق الدخول في الميدان السياسي، ولا تتناقض مع الدين في نظره، ما دام ممارسوها يحترمون قواعد اللعبة، ولا يقودهم ذلك إلى التبرؤ علنياً من دينهم، فبالنسبة لهذا التيار، تعتبر الديموقراطية وسيلة فعالة لنشر الدين ومعالم الدعوة في المجتمع، ومزاحمة الأطراف المعادية للوصول إلى قلوب الناس والتأثير فيهم عبر القنوات السياسية والمنابر الاجتماعية، خاصة المنبر العاجي: "مجلس التشريع"، و لم لا بالنسبة لهم، محاولة الفوز ببعض المناصب الحكومية. ولقد راجت هذه النظرية ولاقت إعجاباً وقبولاً واسعاً في بعض الأقطار التي صارت تحت حكم المرتدين وأهلها مسلمون – وكل بلداننا تدخل تحت هذا المسمى - ، قلت: لقد دخل هذا التيار بقوة في ساحة العمل السياسي، تحت عباءات مختلفة، خاصة عبر جسر ما أسموه بالتحالف السياسي مع بعض الأحزاب المعترف بها من قبل الأنظمة الحاكمة.[١]

والبعض الآخر اضطر إلى تغيير اسمه، وإزالة كل ما هو إسلامي – ظاهراً وباطناً – ليلقى القبول من لدن الأنظمة الحاكمة، وليشارك في هذه اللعبة السياسية إلى جانب بقية الأحزاب القائمة – وأغلبها مرتدة -.[٢]

والبعض الآخر أراد أن يبقي على جوهر الإسلام ويرفع شعاراته وادعاء الخضوع لتعاليمه فيما يتعلق بالمجالات الأخرى غير السياسية، وفي الوقت ذاته يرضى بحكم الطاغوت فيما يتعلق بالجانب السياسي، وهي معادلة يستحيل على المرء تحقيقها، إذ كيف يمكن للمسلم أن يجمع بين النقيضين في آن واحد، خاصة إذا تعلق الأمر بمسائل الحكم

---

[1] تبرز حركة "الإخوان المسلمون" في مصر، كأهم مثال في هذا المجال.

[2] انظر على سبيل المثال ما حصل في تونس وتركيا والجزائر والمغرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتشريع. فإما حكم الله وإما حكم الطاغوت، فليس بينهما التقاء ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَل ﴾.

وفي نهاية المطاف نرى تورط هذه الجماعات وسقوطها في فخ العدو، الذي يريد أن يصل إلى ضبط الساحة والتحكم في كل الخيوط، حتى تكون جميع الأطراف المتحركة في ساحة العمل السياسي بعامة وفي ساحة العمل الإسلامي بخاصة، تحت مجهره، لكي يضبط كل حركاتها وسكناتها، هذا بالإضافة إلى المكاسب الكبيرة التي تحصل عليها الأنظمة الحاكمة من جراء التنازلات المتواصلة لهذه الجماعات، حتى لقد أصبح الكثير منها جزء من الكيان السياسي، وطرفا مباشر في الحكم والتشريع ، – وفق أسس الديموقراطية – حتى وإن كانت في موقع المعارضة الصورية – كما يزعمون– .

فنحن نعلم أن الديموقراطية لا قيمة لها ولا معنى بدون ما يسمى بالمعارضة، فسواء كانت هذه الجماعات طرفاً مباشراً في الحكم أو طرفاً من المعارضة، فهي من الناحية الشرعية آثمة بمشاركتها في الحكم والتشريع. بمجرد جلوسها في هذه المجالس التشريعية حيث الأغلبية تكون دائماً للمرتدين وكلمة الفصل لهم في جميع القرارات والتشريعات ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً** ﴾[النساء ١٤٠].

إن الديموقراطية وسيلة ناجعة لهذه الأنظمة الحاكمة ولأسيادهم الكفار، لإدخال هذه الجماعات في حظيرة الجمود أو التيه، وتجريدها من كل عناصر المقاومة والقوة، بل توريطها في مسلسل الحكم لتغرق في متاهات لا أول لها ولا آخر، وتتحول إلى مجموعة من الدجالين السياسيين، يقولون فلا يفعلون، ويَعِدُون فلا يُوفُون، لا لشيء إلا بسبب غياب الوسائل وعدم امتلاك زمام الأمور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا تتحول الديموقراطية إلى ورطة حقيقية ومأزق محرج لهذه الجماعات، فينقلب سحرها عليها، وتؤتى من الجهة التي كانت تظن أنها الوسيلة الأنجع والأسلم والأسرع لتحقيق مآربها وأهدافها الشرعية. ويأبى الله إلا أن يبين لهؤلاء أن طريق الحق أرفع وأشرف وأسمى من هذه السفاسف، طريق لابد فيه من بلاء وعنت وتضحية وفداء، بالغالي والنفيس، بل بأغلى ما يملكه البشر ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[التوبة ١١١].

والأغرب من هذا كله، أننا نجد بعضاً من هذه الجماعات تقاتل في سبيل هذه الديموقراطية وفي سبيل ترسيخها وجعلها الحَكَمُ بينها وبين الشعوب، بدلاً من القتال في سبيل الله وإحقاق الحق عن طريق الجهـــاد.[1]

كما رأينا بعض الجماعات التي كانت تُحسب على التيار الثاني الرافض للديموقراطية، يغازل الأنظمة المرتدة ويراجع مبادئه ومناهجه، فيلمح بضرورة المشاركة في المسار السياسي، وتغيير الموقف من أركان هذا النظام المرتد، بدءاً من عدم تكفير الحكام الذي يشرعون ويحكمون بغير ما أنزل الله، وضرورة المشاركة معهم بل واعتبارهم ولاة أمور شرعيين للمسلمين، ينبغي طاعتهم والتعاون معهم.[2]

أما التيـــار الإسلامي الثاني : فهو الذي يعتبر الديموقراطية ديناً مناقضاً ومحارباً لدين الله تعالى، وفَهِمَ أبعاد هذه اللعبة القذرة، فلم يلهث وراء سرابها، وسلك الطريق الأصوب في بلوغ الغاية وتحقيق الأهداف الشرعية، طريق الكفر بالطـــاغوت وبألاعيبه،

[1] هذا ما فعلته بعض الفصائل في "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" في الجزائر، بعد إجهاض المسلسل الانتخابي عام ١٩٩١، متمثلاً فيما يسمى بالجيش الإسلامي للإنقاذ، الذي ما فتئ يعلن بأن قتاله إنما هو من أجل إعادة المسار الديموقراطي والاحتكام إلى الشعب.

[2] هذا ما حصل لبعض القيادات التاريخية للجماعة الإسلامية في مصر داخل السجن، والتي نجحت في إقناع قاعدة عريضة من أتباع هذه الجماعة خارج السجن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإيمان بالله تعـــالى وبأوامره المقـــدسة ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾[الأنفال ٣٩].

فلم تنطل عليه اللعبة، و لم يعط الفرصة لهؤلاء الطواغيت لمعرفة مكامن قوته ومواطن ضعفه، بل عمد إلى أسلوب الكر والفر، وإلى الإعداد الحقيقي بعيداً عن أعين هؤلاء الأعداء، ونجح في كبح جماح هواه للحصول على فتات السلطة وأوهامها مقابل التنازل ولو عن مثقال ذرة من مبادئه، ففهم قوله تعالى في شأن هؤلاء الأعداء ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون** ﴾[القلم ٩]، بل إنه سارع إلى قطع كل الحبال الشيطانية التي ستؤدي به يوماً ما أو في لحظة من اللحظات إلى مجرد القعود معهم لمناقشة هذا الأمر فضلاً عن المشاركة فيه والانغماس في فتنه حتى النخاع. و﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم** ﴾[الجمعة ٤].

أبو سعد العاملي – ١٤١٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

العمليات الاستشهادية؛ ذروة سنام الاستشهاد

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

كثر الحديث عن العمليات الاستشهادية، أو إلقاء النفس إلى التهلكة وإلى الموت المحقق من أجل نصرة الحق أو النكاية في العدو أو بمجرد إظهار الحق دون أن يتيقن من أنه سينصره.

فهل هذا العمل مقبول من الناحية الشرعية؟ أم أنه عمل انتحاري وقتل للنفس بغير حق؟ وبالتالي يستحق عليه فاعله الخلود في النار كما توعد بذلك رب العزة في قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً ﴾؟

قبل الإجابة على هذا السؤال والخوض فيه بالتفصيل، أود أن أذكر بأن العمل الجهادي قد عرف في السنوات الأخيرة تقدماً ملحوظاً، واكتسح ساحات عديدة والتفّ حوله الآلاف من الشباب، مما قذف في قلوب الذين كفروا وفي قلوب المنافقين وضعاف النفوس الرعب والخوف والهلع، وهذا بدوره أدى إلى تكثيف جهود هؤلاء من أجل تمييع مفهوم الجهاد أو محاصرته أو احتوائه كي لا يستمر في هذا التقدم، فسخروا في سبيل ذلك شتى الوسائل المادية والفكرية والمعنوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك فرق أخرى تفعل ذلك جهلاً أو إيماناً بأن طريق الاستشهاد هو طريق خطأ أو سابق لأوانه، وهذه الفئة يبقى ضررها محدوداً طالما لم تبن عليه أصولاً ومواقف شرعية لإيقاف هذا النوع من الجهاد، أو تعلق صواب الجهاد عليه.

نسأل الله لهم الهداية ولا نعتبرهم أعداء مباشرين يجب قتالهم، طالما لم ينصروا أو يناصروا أعداء الله باليد واللسان.

أما الأدلة على جواز هذا العمل الجهادي، فكثيرة ومستفيضة، نسرد البعض منها مع التعليقات اللازمة:

النموذج الأول : قصة الغلام مع الملك، وقد وردت في الصحيحين، حيث ضحى بنفسه من أجل إظهار الحق وألقى بنفسه إلى التهلكة، فكانت النتيجة أن آمن الناس برب الغلام وكفروا بالملك ودينه، فقادهم هذا إلى التضحية بأنفسهم بأن أُلقوا في النار جميعاً.

النموذج الثاني : قصة المرأة مع رضيعها الذي أنطقه الله فثبّت أمه، وقال لها: لا تخافي يا أماه وألقي بنفسك في النار فإنك على الحق.

النموذج الثالث : ما حدث في عهد رسول الله ﷺ في معركة بدر، وهي قصة عمير بن الحمام.

فعن عمير بن الحمام رضي الله عنه كان يجلس في جماعة من الصحابة حول رسول الله ﷺ في أحد وكان في يده تمرات لكنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**)، فقال عمير بن الحمام: (جنة عرضها السماوات والأرض؟!)، قال رسول الله ﷺ: (**نعم**)، قال عمير بن الحمام: (بخ! بخ! لا والله يا رسول الله لابد أن أكون من أهلها)، فقال رسول الله ﷺ: (**فإنك من أهلها**).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمير بن الحمام كان عنده تمرات يريد أن يأكلها شرع في أكلها، ثم قال: (إن حييت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة)، ثم رمى بتلك التمرات وتقدم إلى المعركة وقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

من خلال القصة يتبين لنا أن الصحابي الجليل كان متأكداً أنه سيّقتل في المعركة، فقد دخل وسط العدو بسيفه، و لم يكن بإمكانه أن يقتل كل من يحيط به من الكفار، كما أنه تعمّد وقرّر أن يستشهد، ومع ذلك أقرّ رسول الله عمله هذا و لم يقل كما يقول الناس اليوم: ألقى بنفسه إلى التهلكة أو انتحر.

النموذج الرابع : عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: (**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**)، فقام رجل رث الهيئة فقال: (يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله يقول هذا؟)، قال: (نعم)، قال: فرجع إلى أصحابه فقال: (أقرأ عليكم السلام)، ثم كسر سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل[1].

وهنا أيضاً يتبين لنا عزم الرجل الأكيد على الاستشهاد، و لم يقل أحد من الصحابة بأنه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، و لم يكن بإمكان الصحابي أن يقتل جميع الكفار بسيفه المكسور، إنما كانت نيته هي الفوز بالشهادة، وهي كافية لكي يكون عمله هذا مقبولاً وشرعياً.

النموذج الخامس : وقال أبو بكر ابن عياش عن أبي إسحاق السبيعي، قال: قال رجل للبراء بن عازب: إن حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة؟ قال: (لا، قال الله لرسوله ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ** ﴾ وإنما هذه في النفقة)[2].

---

[1] رواه مسلم

[2] رواه ابن مردويه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النموذج السادس : روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، عن أسلم أبي عمران، قال حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: (نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما، فتزل فينا ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد)[1].

أما أقوال السلف في تجويز هذا الأمر؛

فما قاله صاحب المغني – ابن قدامة المقدسي – حين سئل: (لو أن رجلاً من المسلمين اقتحم في صفوف الكفار وأيقن الهلكة مع يقينه بعدم حدوث النكاية في العدو، هل يجوز هذا؟).

فأجاب: (نعم يجوز، وهذا حتى يعلم الكفار أن في أمتنا من يحب الموت أكثر من الحياة).

بمعنى آخر؛ هو ترسيخ لمفهوم الاستشهاد في نفوس الأمة، وإشعار العدو بأن في أمتنا من يحرص على الموت أكثر مما يحرص هو على الحياة، وهو دون شك سلاح من شأنه أن يقذف الرعب في قلوب العدو.

وعلّق شيخ الإسلام ابن تيمية على قصة المرأة التي ألقت بنفسها ورضيعها في النار، بقوله: (وفي هذا يُعلم أنه يجوز للمرء أن يلقي بنفسه إلى التهلكة لِيُظهر الحق أو ليعرّف الناس الحق).

---
[1] رواه أبو داود والترمذي والنسائي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سلفنا الصالح الكثير من العلماء الذين "ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة"، في مواجهة بعض الحكام أو الولاة الظالمين، فكان مصيرهم الموت المحقق، وعلى رأسهم سعيد بن جبير مع الحجاج، و لم يقل أحد من السلف أنهم ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة أو أبخسوا أو عابوا عنهم عملهم هذا، بل بالعكس، فهؤلاء ينطبق عليهم حديث رسول الله ﷺ: (**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله**).

والعلة في هذا هو مجرد إظهار الحق، وما كان يغلب على ظن هؤلاء العلماء الشهداء، أن مواقفهم ستغير من واقع هؤلاء الحكام شيئاً أو أنها ستزيل ظلمهم، إنما كانت نيتهم هو مجرد إظهار كلمة الحق لا غير، فاستحقوا بذلك لقب سيد الشهداء.

من المعاصرين؛

نجد ما قاله الشيخ سليمان بن ناصر العلوان:

(وأدلة جواز هذه العمليات الاستشهادية كثيرة وقد ذكرت في غير هذا الموضع بضعة عشر دليلاً على مشروعية الإقدام على هذه العمليات وذكرت ثمارها والإيجابيات في تطبيقها..

قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾.

وفي المنقول عن الصحابة وأئمة التابعين في معنى هذه الآية دليل قوي على أن من باع نفسه لله وانغمس في صفوف العدو مقبلاً غير مدبر ولو تيقن أنهم سيقتلونه أنه محسن في ذلك مدرك أجر ربه في الصابرين والشهداء المحتسبين وفي صحيح مسلم[1] من طريق حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ في قصة؛ "الملك والساحر والراهب والغلام... الحديث"، وفيه فقال الغلام الموّحد للملك

[1] (٣٠٠٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكافر؛ "إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به"، قال: وما هو؟ قال: "تجمع الناس في صعيد واحد. وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني"، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صُدْغه فوضع يده في صُدْغه في موضع السهم فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام. فأتي الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرُك. قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخُدّت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق.

ففي هذا دليل على صحة هذه العمليات الاستشهادية التي يقوم بها المجاهدون في سبيل الله القائمون على حرب اليهود والنصارى والمفسدين في الأرض.. فإن الغلام قد دل الملك على كيفية قتله حين عجز الملك عن ذلك بعد المحاولات والاستعانة بالجنود والأعوان. ففعلُ الغلام فيه تسبب في قتل النفس والمشاركة في ذلك والجامع بين عمل الغلام والعمليات الاستشهادية واضح فإن التسبب في قتل النفس والمشاركة في ذلك حكمه حكم المباشرة لقتلها. والغاية من الأمرين ظهور الحق ونصرته والنكاية باليهود والنصارى والمشركين وأعوانهم وإضعاف قوتهم وزرع الخوف في نفوسهم.

والمصلحة تقتضي تضحية المسلمين المجاهدين برجل منهم أو رجالات في سبيل النكاية في الكفار وإرهابهم وإضعاف قوتهم قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ..** ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد رخص أكثر أهل العلم أن ينغمس المسلم في صفوف الكفار ولو تيقن أنهم يقتلونه والأدلة على ذلك كثيرة) انتهى[1].

ومن المعاصرين أيضاً، ذهب إلى تجويزه الشيخ حسن أيوب في كتابه "الفدائية في الاسلام"، وكذلك الشيخ المجاهد "أبو قتادة الفلسطيني" وآخرون.

والآن نقف مع فتوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في هذا الأمر، لأنه كان – ولا يزال – يمثل موقف الفئات المناهضة للعمل الجهادي ضد الأنظمة المرتدة أصلاً – باستثناء جهاد اليهود أو الروس أو الهندوس، فهذا الجهاد بالنسبة لهم جهاد مشروع ومقبول – ويعتبرون أن قتال المرتدين – خاصة حكوماتنا وأنصارهم من جنود وأعوان ومخبرين – هو غير شرعي، بل محرم عندهم ولا يمت إلى الإسلام بصلة، ويعتبرون كل من يجاهد هؤلاء المرتدين مجرد خوارج جاهلون بأمور الدين ومتطرفون، أو على أخف التقادير متسرعون... إلى آخر الصفات والاتهامات المعروفة.

أنقل نص الفتوى للشيخ ابن عثيمين، ثم أعقب عليها بما تستحق.

❋ ❋ ❋

<u>قال الشيخ رحمه الله لمجلة الفرقان الكويتية رداً على السؤال التالي:</u>

س: (ما هو الحكم الشرعي فيمن يضع المتفجرات في جسده ويفجر نفسه بين جموع الكفار نكاية بهم؟ وهل يصح الاستدلال بقصة الغلام الذي أمر الملك بقتله؟).

جواب الشيخ:

[1] نقلاً عن صفحة التوحيد الإسلامية – ميدان الحوار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(الذي يجعل المتفجرات في جسمه من أجل أن يضع نفسه في مجتمع من مجتمعات العدو قاتلٌ لنفسه، وسيُعذب بما قتل به نفسه في نار جهنم خالداً فيها مخلداً، كما ثبت ذلك عن النبي عليه السلام فيمن قتل نفسه في شيء يعذب به في نار جهنم، وعجباً من هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه العمليات وهم يقرؤون قول الله تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾، ثم فعلوا ذلك هل يحصدون شيئاً؟ هل ينهزم العدو؟! أم يزداد العدو شدة على هؤلاء الذين يقومون بهذه التفجيرات كما هو مشاهد الآن في دولة اليهود، حيث لم يزدادوا بمثل هذه الأفعال إلا تمسكاً بعنجهيتهم بل إنا نجد أن الدولة اليهودية في الاستفتاء الأخير نجح فيها اليمينيون الذي يريدون القضاء على العرب، ولكن من فعل هذا مجتهداً ظاناً أنه قربة إلى الله عز وجل فنسأل الله تعالى أن لا يؤاخذه لأنه متأول جاهل، وأما الاستدلال بقصة الغلام فقصة الغلام حصل فيها دخول في الإسلام لا نكاية في العدو ولذلك لما جمع الملك الناس وأخذ سهماً من كنانة الغلام وقال باسم رب الغلام صاح الناس كلهم الرب رب الغلام، فحصل فيه إسلام أمة عظيمة فلو حصل مثل هذه القصة لقنا إن هناك مجال لاستدلال، وأن النبي عليه السلام قصها علينا لنعتبر بها، لكن هؤلاء الذين يرون تفجير أنفسهم إذا قتلوا عشرة أو مائة من العدو فإن العدو لا يزداد إلا حنقاً عليهم وتمسكاً بما هو عليه) انتهى.

* * *

<u>أقول :</u>

بداية؛ إن العمليات الاستشهادية لا تتمثل فقط في لبس المتفجرات والدخول في صف العدو، إنما تأخذ صوراً شتى يقدّم فيها المجاهد نفسه في سبيل الله، كأن يركب سيارة مفخخة بالمتفجرات، أو يهجم بنفسه بدون متفجرات لكي يفجر موقعاً للعدو توجد فيه متفجرات، ولا يمكن أن تتفجر إلا بوجوده، وصوراً أخرى لا يمكن عدّها في هذا المقام، والذي يضحي بنفسه سواء كان ذلك بالنار أو بالتفجير أو غيرها من الوسائل، فالحكم واحد والنتيجة واحدة، تعددت الأسباب والموت واحد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المهم أنه في نهاية العملية، يتم النكاية في العدو، وإعلامه بأن في الأمة من يؤثر الموت على الحياة، ثم هي من أجل إظهار الحق وإزهاق الباطل. فهل بعد هذه الإنجازات يمكننا القول بأن هذا العمل هو انتحاري ويخلد صاحبه في جهنم؟!

ويستشهد بالآية الكريمة: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** ﴾، وهي ليست في موضعها المناسب، لأنها تخاطب الذي يقتل نفسه بلا هدف ويحاول أن يضع حداً لأجله ضجراً وكرهاً للحياة، أما من يقتل نفسه في سبيل الله، ومن أجل تحقيق كل ما سبق ذكره من غايات وأهداف، فهو قمة الاستشهاد، وابتغاء رضوان الله تعالى والشوق إلى الجنة وما وعده الله للشهداء. وشتان بين هذه الصورة المشرقة وتلك الصورة المظلمة.

أما قول الشيخ رحمه الله وغفر له : (الذين فعلوا ذلك هل يحصدون شيئاً؟ هل ينهزم العدو؟! أم يزداد العدو شدة على هؤلاء الذين يقومون بهذه التفجيرات) انتهى.

فأقول : وهل في النماذج التي ذكرت سابقاً، استطاع أولئك المجاهدون هزم العدو بأعمالهم تلك؟ لكن العدو ازداد ارتباكاً، وتزعزع صفه أمام شجاعة أولئك المجاهدين وبسالتهم، وهو ما يحدث اليوم أيضاً في صفوف أعداء الله من المرتدين والكفار الأصليين، سواء كانوا يهوداً أو ملحدين أو هندوس أو وثنيين، فالله سبحانه يقذف في قلوبهم الرعب من حيث لا يشعرون.

وإحداث النكاية في العدو ليس هو الهدف الوحيد، وليس غاية في حد ذاته، بل الغاية الأهم هو إظهار الحق، وهي غاية كافية للإقدام على هذا العمل الاستشهادي، وأما غاية المجاهد فهو – كما قلنا – نيل رضى الله عز وجل والفوز بالجنة، وعمله هذا يعتبر بحق ذروة سنام الاستشهاد كما أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام.

هذا والله تعالى أعلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل في سبيله
وأن يختم لنا بشهادة نبلغ بها منازل الشهداء، آمين
والحمد لله رب العالمين

[أبو سعد العاملي – مجلة الأنصار، العدد السابع]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجوب نصرة الجماعات الجهادية ومشايخ الجهاد

(الجماعة السلفية للدعوة والقتال والشيخ أبو قتادة الفلسطيني نموذجاً)

بسم الله الرحمن الرحيم، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

مواصلة للحديث عن وجوب نصرة الجماعات الجهادية بصفة عامة ونصرة الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر بصفة خاصة، ومناقشة لفتوى الشيخ أبي قتادة الشهيرة عن "جواز قتل ذرية المرتدين لرفع الأذى عن ذرية المجاهدين" أقدم هذا المقال لأبين وجهة نظري وما أعتقده في المواضيع التالية، وهي على الترتيب كما يلي :

§ ضرورة التعرف وتبين حقيقة الجماعات الإسلامية الجهادية، قبل نصرتها أو الانضمام إليها أو التعاون معها، ومن بينها الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر .

§ موقف العلماء العاملين والمجاهدين، الواجب اتخاذه تجاه هذه الحركات، ودورهم في تفعيل دور هذه الجماعات وما يترتب عليه من نصرة وتأييد، وهو في الأخير نصرة للحق ولخط الجهاد بصفة خاصة .

§ موقف الشيخ أبو قتادة الفلسطيني من هذه الجماعة ومن جماعات الجهاد بصفة عامة، ومناقشة فتواه الشهيرة في جواز قتل أو التهديد بقتل ذرية ونساء المرتدين، الذين يقتلون ذراري ونساء المجاهدين في الجزائر، وتسليط الضوء الشرعي على هذه الفتوى، والآثار التي ترتبت عليها بعد ذلك .

النقطة الأولى:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا شك في أن المسلم يتحرك في تعامله مع الناس وفق عقيدة الولاء والبراء، فتراه يعادي في الله ويحب في الله، ولا يسمح لنفسه في الدخول في متاهات وتضييع الجهد والوقت في أمور لا تعود عليه بالأجر والثواب، بل قد يجني من ورائها الإثم والأذى لدينه ولنفسه. ومن باب أولى حينما يتعلق الأمر بالعمل الإسلامي بعامة وبالعمل الجهادي بخاصة، فلابد من التحري ولابد من التبين، حتى يعلم المرء أين يضع قدميه وبمعية من سيُقدّم ماله ودمه فداء لدين الله.

المسألة تكون أخف حينما يتعلق الأمر بنصرة وتأييد عن بعد، أو عن تعاطف قلبي مع هذه الجماعة أو تلك، إلا أن المؤمن لابد أن يتحرى حقيقة هذه الجماعة جيداً قبل الإقدام على أي من هذه الأعمال.

وجماعات الجهاد المنتشرة هنا وهناك – في عالمنا الإسلامي – يغلب عليها الصدق والإخلاص، فمجرد نهوضها وسلكها لطريق الجهاد في هذا العصر يعتبر من أجلّ الأعمال عند الله تعالى ومن أصعبها وأخطرها على النفوس، فحينما تقف وحدك متحدياً العالم كله من حولك، ومتحدياً كل الأعراف والقوانين الجاهلية التي تحيط بك، فلا تنتظر سوى الحرب والكيد والمكر من قبل الجميع، وهو موقف لا يوفق إليه إلا من أراد الله به الخير، ولا يمكن أن يستمر فيه إلا من باع نفسه لله و لم يأبه بما عند الناس من متاع الدنيا وملذاتها.

والجماعة السلفية للدعوة والقتال هي واحدة من هذه الجماعات التي وقفت بإيمانها وبيقينها في ربها متحدية قوى الباطل من حولها، بالرغم من جمع الناس لها ومن توحيد صفوفهم لحربها واستئصال شأفتها، فقد أخذت على نفسها عهد نصرة دين الله ومحاربة الباطل بكل حذافيره لإحقاق الحق.

وهذه الجماعة تعتبر الوريث الشرعي والسليم للجماعة الإسلامية المسلحة، هذه الأخيرة التي سقطت في مستنقع التكفير وانحرفت عن نهج السلف الصالح في كثير من القضايا الأساسية في دين الله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولاشك أن كل من يوجد في الجماعة السلفية كانوا من قبل في الجماعة الإسلامية المسلحة، ثم خرجوا منها بعدما تبين لهم انحراف هذه الأخيرة وسقوطها ثم إصرارها على هذه البدع المخالفة لدين الله عز وجل.

ومن خلال الأحداث في الساحة الفعلية، يبدو أن الجماعة السلفية للدعوة والقتال هي التي تسيطر على مجريات الأحداث، وهي التي تقود عمليات الجهاد ضد قوى الردة في البلاد، كما يبدو من خلال نشراتها وكتاباتها الفكرية أنها الأقرب والأصوب منهجاً وعقيدة وفكراً وتخطيطاً، وتأييد علماء الجهاد البارزين في الساحة لها، دليل قاطع على هذه الحقيقة. فهؤلاء العلماء يعتبرون المرجعيات النظرية والشرعية لجميع حركات الجهاد اليوم، وإجماعهم على نقاء هذا الجهاد وصفاء الجماعة السلفية لهو خير دليل على صحة ما ذهبت إليه.

النقطة الثانية:

وهي تتلخص في ضرورة وقوف العلماء إلى جانب الحركات الجهادية بالنصيحة والتأييد والإرشاد، فالعلماء يعتبرون رأس الرمح وقطب الرحى في حركة الإسلام اليوم، خاصة فيما يرتبط بحركة الجهاد التي أصبحت محاربة من قبل الطغاة وجماعات الذل والهوان ومهجورة من قبل فئات واسعة من الأمة.

المطلوب من العلماء اليوم – ليس فقط التأييد والنصرة – بل عليهم أن يقودوا هذه الجماعات الجهادية ويتحولوا إلى مرشدين لها، كما كان علماء السلف يفعلون وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية ومحدث المجاهدين ابن المبارك رحمهم الله.

ما ينقص جماعات الجهاد اليوم هو رأس الحربة هذه، والتي تتمثل في التحام العلماء الربانيين بالجماعات الجهادية في الساحة، والسعي نحو تأصيل وترشيد العمل الجهادي حتى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا تبقى هناك ثمة شبهة حول مدى شرعية هذه الجماعات أو حول شرعية جهادها للأنظمة المرتدة.

هذا ما يجب أن يقوم به هؤلاء العلماء تجاه الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر، نظراً لخطورة الوضع هناك وللظرف الحساس والهام الذي يعيشه الطرح الجهادي في الجزائر، ونظراً أيضاً للوضعية الاستراتيجية الهامة لبلاد كالجزائر وسط شمال إفريقيا ولقربها من أوروبا. ولكون المعركة هناك تمثل نموذجاً لما يجب أن يحصل في كل البلدان العربية الأخرى، حيث أن المعركة قد بدأت بين المجاهدين من جهة وبين حكومات مرتدة تدعي أنها على الحق وتمثل الإسلام.

ولاشك أيضاً أن وجود علماء ربانيين صادقين في هذه الجماعات الجهادية من شأنه أن يعطي المصداقية الشرعية لهذه الجماعات، مما سيشجع الناس على الانضمام إليها والجهاد في صفوفها أو على الأقل تأييدها ونصرتها.

وهذا ما يخشى منه الطغاة على مر التاريخ كله، إذ دأبوا دوماً على تصفية قيادات ورموز جماعات الحق، واتهام هذه الجماعات على أنها قاصرة وجاهلة ولا ينتمي إليها إلا أراذل القوم وضعفائهم، وهي المقاييس الجاهلية التي لابد من محاربتها والقضاء عليها، وذلك بامتلاك القوة المادية اللازمة من عدة وعتاد ثم بامتلاك القوة المعنوية أو قوة الحق وهو ما يمثله العلماء الربانيين بعلمهم وتقواهم وتوجيهاتهم.

النقطة الثالثة:

تتعلق بموقف الشيخ أبو قتادة الفلسطيني من الجماعات الجهادية بصفة عامة وبالجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر بصفة خاصة، ثم أتحدث عن فتواه الشهيرة بشأن جواز قتل ذراري المرتدين وما أحدثته من ردود سلبية أو إيجابية وكذا تأثيراتها على مجريات الجهاد في الجزائر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما أعرفه عن الشيخ أبو قتادة – حفظه الله – وهو ما تشهد به سيرته ومواقفه الفعلية في الساحة، هو أن الرجل قد تفرغ لخدمة دين الله عز وجل، ويعد من أبرز مجددي عقيدة السلف الصالح في عصرنا الراهن، وهي عقيدة التوحيد والدعوة والجهاد انطلاقاً من مفاهيم السلف الصالح، فهو امتداد طبيعي لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته ثم لشيوخ الدعوة النجدية بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذلك .

فالشيخ يعتبر من أبرز الموجهين ومن أهم المراجع الشرعية والفكرية لحركات الجهاد اليوم، أو لنقل للحركات التجديدية بالمفهوم السلفي للتجديد. فهو موضع ثقة جل هذه الحركات الجهادية ويلجأون إليه في فتاواهم ويطلبون منه التوجيهات والنصائح العامة، مما يجعل الشيخ في موقع مسؤولية كبرى وخطيرة لا يحسده عليها إلا الجهال أو الذين يبتغون الشهرة والمكانة الرفيعة في دنيا الناس.

فالشيخ مبتلى، بحيث أنه هو المقصود من قبل الناس و لم يطلب و لم يحرص يوماً أن يكون في هذا الموقع، ومن الطبيعي أن الذي يكثر عمله يكثر نقاده وخصومه، أما القاعدون فلا تكاد تجد لهم خصوماً ولا زلات ولا أخطاء وذلك لبعدهم عن المواجهة والعمل.

والعالم الذي يجتهد فيخطئ له أجر الاجتهاد، وأما الذي يجتهد فيصيب فله أجران: أجر الصواب وأجر الاجتهاد.

وأهم شروط الاجتهاد أمران: العلم بالشرع والعلم بالواقع، فلابد من توفرهما مجتمعين لدى المجتهد لكي يُوفّق في اجتهاده.

مناقشة الفتوى:

قبل التطرق إلى الفتوى مباشرة أود أن أقدم هذا التمهيد:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعلم أن التحريم نوعان: تحريم الشيء لذاته وتحريم الشيء لغيره، فالأول هو الذي لم يجزه الشرع و لم يحلله مطلقاً، أما الثاني فهو الذي أجازه وحلله الشرع في بعض الأحيان إما لضرورة أو لدخول مصلحة راجحة.

والمصلحة الراجحة بإمكانها أن تدخل على النص الشرعي القاطع لإيقافه أو تقييده، كما فعل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة إيقاف زكاة المؤلفة قلوبهم، أو في منع المسلمين من التزوج بالكتابيات أو حينما منع توزيع أراضي سواد العراق على المقاتلين، وهذا كله لتحقيق مصالح راجحة لعامة المسلمين.

والمصلحة الراجحة تدخل دائما على الأمر المحرم لغيره وليس على الأمر المحرم لذاته، ما عدا في حالة الإكراه أو الضرورة، كأن ينطق المرء بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أو يأكل لحم الميتة أو يشرب الخمر لإنقاذ حياته من الموت.

أما مسألة قتل نساء وأطفال الكفار فهي محرمة لغيرها وليس لذاتها، إذ أنه يجوز قتل المرتدة حداً ويجوز قتل المقاتلة منهم للمسلمين، وقد اختلف الفقهاء في هذه المسائل فمنهم من جوز ذلك ومنهم من لم يجوز، ويُنظر في ذلك للمصلحة. وعليه فمسألة قتل نساء وأطفال المرتدين أو الكفار هي محرمة لغيرها وبالتالي يجوز أن تدخل عليها المصلحة الراجحة كما أسلفنا القول.

أما الفتوى فقد جاءت في ظروف كانت عائلات المجاهدين تُقتّل وتذبح بالجملة على أيدي قوات المرتدين، انتقاماً من ضربات المجاهدين لهم ولإثخانهم في جنودهم وعساكرهم، فكان رد المرتدين هو الإثخان في عائلات المجاهدين وفي كل من يناصرهم ويؤيدهم، كما أن هؤلاء المرتدين كانوا يستعملون عائلات المجاهدين كورقة ضغط عليهم من أجل الاستسلام أو إيقاف الجهاد والتعاون معهم ضد إخوانهم المجاهدين.

فكانت مشكلة كبيرة يعاني منها المجاهدون ومن شأنها أن تسبب الكثير من الحرج والعراقيل لحركة الجهاد، فكان أمامهم خياران لا ثالث لهما :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخيار الأول: الصبر على هذا البلاء والتضحية بذرياتهم والوقوف موقف المتفرج مع مواصلة الجهاد، وهو أمر شاق على النفوس ولا يمكن أن يلتزم به المجاهدون، لأن من أهداف جهادهم الدفاع عن حرمات المسلمين وإنقاذ حياتهم وأعراضهم التي ينتهكها هؤلاء الطغاة، بل وأخطر من هذا إنقاذ عقيدتهم من الفساد والتميع ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾، فكان التفكير **في الخيار الثاني** الذي يتمثل في إيجاد سبل لإيقاف هذه المجازر، كالتعامل بالمثل مع هؤلاء المرتدين، وذلك بتهديدهم بخطف أو قتل ذراريهم، وهذا ما طرحه الإخوة على الشيخ أبو قتادة للإفتاء فيه، فكان جوابه باختصار: هو الإيجاب، أي يجوز للإخوة المجاهدين أن يهددوا بالخطف أو القتل ويباشروا ذلك في حق ذراري المرتدين، إذا غلب على ظنهم أن هذا من شأنه أن يوقف جرائم المرتدين في حق ذراري المسلمين، وعلى أن يكون هذا العمل دفاعاً ودفعاً للضرر ولا يقوم به المجاهدون ابتداء أي طلباً لذراري المرتدين.

فمن الناحية الشرعية يجوز قتل ذرية الكفار والمرتدين لمصلحة راجحة ومن بينهم نساؤهم، فقتل هؤلاء ليس محرماً لذاته بل محرم لغيره، وهذا مذهب أبي حنيفة وابن تيمية رحمهما الله، ومن باب أولى إذا كان قتل هذه الذرية أو التهديد بقتلهم من شأنه أن يحقق مصلحة كبرى للمجاهدين وهي إيقاف قتل ذرياتهم، وهنا يجب أن ننبه على نقطة هامة، وهي أن ذرية المسلمين أفضل وأعظم قيمة عند الله من ذريات المرتدين والكفار، وعليه فالتضحية بذرية الكفار والمرتدين أولى بالتضحية بذرية المسلمين، وهذا في ميزان الله وفي ميزان الدنيا أيضاً. فمن يكون منبعاً للرحمة والعدل والخير أفضل وأجل ممن يكون مصدراً للضلال والفساد والظلم بكل المقاييس.

فكانت هذه الفتوى بالفعل سبباً في الحد من جرائم المرتدين، وآتت أكلها في الساحة، ولكن سوء تطبيقها وفهمها من قبل بعض الجهات أدى إلى تجاوز حدود هذه الفتوى والبدء في قصد ذراري المرتدين ابتداء وليس دفاعاً، وقد استغلها الطغاة لكي يشوهوا سمعة المجاهدين فكونوا "جماعات الموت" تقوم بقتل فئات من الشعب وتنسب هذه الجرائم للمجاهدين، فكان ما كان من انتشار هذه التهمة في أوساط الناس بعامة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتى في أوساط الحركات الإسلامية بصفة خاصة، مما دفعهم إلى مقت الجماعة الإسلامية المسلحة وقتئذ ووصفها بالإجرام والخروج عن الدين بسبب هذه الجرائم – في زعمهم- . فهؤلاء الذين يُحسبون على الإسلام، وأغلبهم من القاعدين ومن الذين يسلكون طرقاً ووسائل أخرى غير سبيل الجهاد، لم يفهموا الفتوى من أصلها وأنى لهم أن يفهموها وهم بعيدون عن ميادين القتال والدماء والأشلاء، بالإضافة إلى أميتهم في فقه الجهاد وفي السياسة الشرعية.

فالمطلوب من المسلم اليوم أن يتعلم دينه جيداً، خاصة ما يتعلق بفقه الجهاد، فهذا الفقه مهجور بل محارب من قبل الطغاة، ومن الطبيعي أن نجد مثل هذه الردود السلبية الجاهلة الظالمة على فتوى الشيخ أبي قتادة وعلى الفتاوى الأخرى في هذا المجال، وتحضرني هنا مسألة جواز قتل أسرى الكفار أو المرتدين المحاربين، وقد عايشها الإخوة المجاهدون في الشيشان أثناء جهادهم مؤخراً، حينما أقدموا على قتل بعض أسرى جنود الروس الملحدين، فارتفعت أصوات التنديد – في أوساط العدو كما في أوساط الكثير من أبناء الحركة الإسلامية – بسبب جهلهم بالأحكام الشرعية في هذا المجال، فاضطر الإخوة إلى تأليف بحث شرعي شامل وشاف لرفع الشبهات وتقديم الأدلة الشرعية في هذه المسألة، وهو بحث يمكن الحصول عليه في موقع صوت القوقاز للمجاهدين الشيشان نصرهم الله أيدهم.

أما في موضوعنا هذا المتعلق بجواز قتل ذرية ونساء المرتدين أو الكفار المحاربين، فقد كتب الشيخ رفاعي طه وهو من قيادات الجماعة الإسلامية في مصر بحثاُ مقتضباً سماه : "إماطة اللثام.. عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام "

في الختام أسأل الله تعالى أن ينصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، خاصة في الجزائر وفي الشيشان وفلسطين على أعدائهم أعداء الدين، وينصر الدعاة المخلصين ويثبتهم على تبيان الحق المبين وفصل الأحكام الشرعية لكل الغافلين من أبناء الأمة، حتى لا يبقى هناك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثمة جهل من شأنه أن يسبب في إيذاء إخوانهم المجاهدين وعدم نصرتهم ولو بالدعاء الذي هم بحاجة إليه، وذلك أضعف الإيمان.

هذا والله تعالى أعلم ، والحمد لله أولاً وآخراً.

أبو سعد العاملي – رجب ١٤٢١

ملحق:

صدر عن المرصد الإعلامي الإسلامي كتاب تحت عنوان :
إماطة اللثام.. عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام لرفاعي أحمد طه

محتويات الكتاب

المبحث الأول : حكم قتل الكفار وقتالهم وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الكفر يبيح الدم والعقد يعصمه وفيه :

أولاً : حكم قتال الكفار غير المعاهدين وقتلهم :

ثانياً : منع قتل الكفار المعاهدين :

الفصل الثاني : أحكام نساء الكفار وصبيانهم ومن في حكمهم وفيه :

القسم الأول : الذين يصابون من غير تعمد :

القسم الثاني : جواز رمي من يجب قتالهم من المشركين وإن ترسوا بنسائهم وصبيانهم أومن في حكمهم :

القسم الثالث : تعمد قتل النساء والصبيان والشيوخ ومن في حكمهم إذا كانوا ممن يعينون على القتال بالتحريض أو الرأي أو أي نوع من أنواع العون :

خاتمة هذا الفصل: الأسباب المانعة من قتل نساء أهل الحرب والصبيان ومن في حكمهم :

الفصل الثالث: حكم إتلاف ما يؤثر إتلافه في قوة أهل الحرب أو من يجب قتالهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : المرتدون والممتنعون عن إقامة الشرائع وفيه فصلان :
الفصل الأول : المرتدون والممتـــنعون لغة واصطلاحاً وفيه :
أولاً : الشروط التي يصبح بها المسلم مرتدا :
ثانياً : الممتنعون عن إقامة الشرائع ..
الفصل الثاني : حكم قتال المرتدين ومانعي أحكام الشريعة وفيه :
أولاً : حكم قتل المرتدين نساءً ورجالا ..
ثانياً : حكم قتال مانعي الزكاة ومن في حكمهم ..
ثالثاً : العلاقة بين المرتدين ومانعي أحكام الشريعة ..
رابعاً : الغاية من قتال المرتدين والممتنعين والبغاة .
خامساً : حكم اتباع المدبر والتذفيف على الجرحى ..
سادساً : حكم المنفرد وغير المقدور علــــــيه ..
المبحث الثالث : في الدور وفيه فصلان :
الفصل الأول : في الدور التي يجب قتالها وهي ثلاثة أنواع :
الأول : دور الكفر والشرك .
الثاني : الدور المرتدة والممتنعة عن إقامة الشرائع .
الثالث : دور البغي .
الفصل الثاني : الدور التي يحرم قتالها وهي ثلاثة أنواع :
النوع الأول : دار الإسلام والعدل .
النوع الثاني : دار الموادعة أو الصلح .
النوع الثالث : دار الذمة .
المبحث الرابع : التفاوض والصلح وعقد العقود مع من يجب قتالهم وفيه فصلان :
الفصل الأول : في جواز التفاوض والصلح وعقد العقود وفيه قسمان :
القسم الأول : التفاوض كمقدمة لعقد العقود .
القسم الثاني : عقد العقود .
الفصل الثاني : أنواع العقود وما يترتب عليها من آثار وفيه ثلاثة أقسام :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسم الأول : من له عقد هذه العقود .

القسم الثاني : أنواع العقود: عقد الصلح أو الموادعة –عقد الذمة–عقد الأمان .

القسم الثالث : الآثار التي تترتب على عقد هذه العقود .

المبحث الخامس : الديار المصرية اليوم وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : حكم هذه الديار اليوم .

الفصل الثاني : حكم المقيمين في الديار المصرية من مسلمين وغيرهم .

الفصل الثالث : حكم الطوائف المسلمة التي تجاهد " الطوائف الممتنعة أو المرتدة أو غيرهم في الديار المصرية ."

الفصل الرابع : أحكام متعلقة ببعض العمليات الجهادية في مصر .

وفضيلة الشيخ أبو قتادة حفظه الله قد زكى الكتاب ومن أراد شراء الكتاب ، فليراسل المرصد الإعلامي الإسلامي ... وشكرا ...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحركات الجهادية والحصاد الحلو

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

تعقيباً على مقالات نشرت في إحدى المنتديات الحوارية على الأنترنت بعنوان " الحركات الجهادية.. والحصاد المر" – حسب زعم الكاتب – كتبت هذا المقال الذي سميته "الحركات الجهادية والحصاد الحلو"، كون هذا الموضوع خطير وحساس ويمسنا جميعاً من قريب، كما يمس العمل الإسلامي وخاصة العمل الجهادي المبارك، الذي ظُلم من طرف أبناء جلدتنا أكثر مما ظُلم من قبل أعدائنا.

فصاحب كتاب "الحصاد المر" أيمن ظواهري، الذي اقتبس منه صاحبنا هذا العنوان، لم يقصد من عنوانه حصاد الحركات الجهادية، بل قصد حصاد حركة الإخوان المسلمون، وهو الخط المضاد والمناهض لخط الجهاد.

قبل التطرق إلى الموضوع مباشرة لابد من البدء بهذه المقدمة كتمهيد، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

الحديث عن الحركة الإسلامية حديث ذو شجون، ولابد من الوقوف في البداية إجلالاً واحتراماً لهذه الحركة بسبب ما قدمته من مجهودات وتضحيات جسيمة في سبيل العودة بالأمة إلى أصلها المتمثل في تحكيم شرع الله عز وجل.

بالرغم من غياب مرجعية سياسية تناسب واقع هذه الحركة الفتية، فقد قامت ووجدت أمامها مستجدات لم تعشها الأمة من قبل:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- غياب الخلافة الإسلامية لأول مرة في تاريخ الأمة،

- دخول الاستعمار الكافر والاستيلاء على أراضي وثروات الأمة،

- تنصيب حكومات عميلة موالية لهذا الاستعمار على بلداننا طبقت قوانين مقتبسة من قوانين الاستعمار الكفرية مع رفع شعار الإسلام دين الدولة،

- انتشار الفكر الإرجائي في الأمة على المستوى العقيدي، وانتشار ثقافة التبعية والتغريب على المستوى الثقافي والاجتماعي،

- التحام الحكام والعلماء -لأول مرة في التاريخ الإسلامي - على محاربة وتمييع مبادئ الإسلام، وإخراج دين مزيف للناس على غرار "ما لله لله وما لقيصر لقيصر" وهو فصل الدين عن الدولة والاكتفاء بالطقوس التعبدية.

- سيطرة العلمانيين والمستغربين على مراكز الحكم في بلداننا وعلى كل وسائل الإعلام والتربية والتوجيه.

أمام هذا الواقع الجديد، حاولت الحركة الإسلامية - في بداية مسيرتها - استعمال أسلوب الدعوة ونشر الإسلام بوسائل الوعظ والإرشاد، بواسطة علمائها ودعاتها، فكانت النتيجة وخيمة للغاية بالرغم من انتشار المفاهيم الإسلامية في أوساط الشعوب، تلخصت في اعتقال الآلاف من أبناء الحركة الإسلامية وقتل المئات بل الآلاف من قياداتها في سجون الأنظمة المرتدة، هذا فضلاً عن تشريد وتهجير الآلاف منهم خارج أوطانهم من أجل قطع الصلة بينهم وبين الناس.

وفي أواخر الستينيات من هذا القرن، وبعد إقدام النظام المرتد في مصر على قتل الشهيد سيد قطب ومن كان معه، تولد التوجه الجديد في الحركة الإسلامية المعاصرة، وهو ما اصطلح عليه فيما بعد بالعمل الإسلامي الجهادي أو التوجه الجهادي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كان هذا التوجه تحصيل حاصل في البداية، لأنه كان رد فعل مباشر على تعامل الأنظمة العنيف والدامي مع الحركة الإسلامية وكل رموزها، يمكننا تسميته برد الفعل الدفاعي أو محاولة الثأر.

لم تكن الرؤية الشرعية قد توضحت واكتملت بعد لدى هذه الحركات الجهادية، لكنها كانت تمتلك القناعة التامة بأنه السبيل الشرعي الوحيد للقضاء على هذه الحكومات الكافرة وتطبيق شرع الله في الأرض. وفيما بعد اكتملت هذه الرؤية وتوضحت وأنتجت هذه الجماعات الجهادية بحوثاً قيمة شرعية تبين بوضوح مدى شرعية التوجه الجهادي القتالي ضد الحكومات المرتدة لإقامة الدين.

في الجهة المقابلة واصل التيار الإصلاحي الدعوي - إذا صح التعبير - عمله في الساحة معتمداً أسلوب الوعظ والإرشاد ومحاولة الانغماس في المجتمعات من أجل تربية الناس واستقطابهم لصفوفه، أدى به الأمر إلى تبني العمل السياسي والمشاركة إلى جانب الأحزاب العلمانية المرتدة للدخول إلى البرلمانات التشريعية ثم - لم لا - أعضاء في الحكومات المرتدة.

شبهات داحضة :

أبدأ بالتعقيب مباشرة على ردود صاحب مقالات "الحركات الجهادية.. والحصاد المر" وهو في الحقيقة رد على أصحاب اتجاه محدد في ساحة العمل الإسلامي المعاصر، اتجاه يؤمن بأن العمل الجهادي القتالي سابق لأوانه في هذه المرحلة من عمر الأمة ومن عمر الصحوة الإسلامية المباركة، وهم ينطلقون من إشفاقهم على جهود الحركة الإسلامية من الضياع، وحرصاً منهم على إهدار دماء أبنائها وأعمارهم فيما لا طائل من ورائه، سوى حصاد الخسائر والهزائم والسجون والمعتقلات والتهجيرات والمزيد من الحصار على هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدعوة من قبل أعدائها..، وهو حصاد مر في نظرهم. هذه هي بعض مبرراتهم التي يواجهون بها أصحاب الاتجاه الجهادي وكل من يتعاطف معهم أو يؤيدهم.

طرح كاتب المقال "سؤاله الأول: "هل من الحكمة رفع السلاح في مثل هذه الظروف...؟ وضد من؟ " ثم أجاب بسرعة فائقة:

الجواب: حمل السلاح في مثل هذا الوقت يعد من وجهة نظر سياسية (انتحار سياسي). وذلك للأسباب التالية:

١- قلة الوعي بين معظم أبناء الأمة." انتهى.

أقول: بادئ ذي بدء، يبدو أن الأخ الكاتب لا يزال يفرق بين ما هو سياسي وما هو ديني - على طريقة العلمانيين اللادينيين وقد تكون فلتة لسان منه أو ربما ضغوط الواقع المعيش - وهو الشيء الذي لا وجود له في القاموس الشرعي الإسلامي، فالسياسي والديني شيئان متداخلان لا تكاد تفرق بينهما البتة. السياسة عندنا لا معنى لها إذا لم تصبغ باللون الشرعي، لهذا سماها فقهاؤنا بالسياسة الشرعية وليس السياسة فحسب.

فقول الكاتب بأن "حمل السلاح في مثل هذا الوقت يعد من وجهة نظر سياسية (انتحار سياسي)". أقول: أي وجهة سياسية يقصد يا ترى؟ هل هي الوجهة العلمانية أم الوجهة الإسلامية؟ فإن كانت الأولى، فالأمر ليس فيه إجماع عندهم بأن العمل المسلح يعتبر انتحار سياسي، إذ أن الكثير من الحركات التحررية في البلدان الغربية العلمانية تتبنى العمل المسلح كاستراتيجية وكمبدأ لا يمكن الحياد عنه بحال، وعليه تبني مواقفها السياسية وتكسب شعبيتها وقيمتها على جميع المستويات، فهي ورقة قوية لا يمكن الاستغناء عنها بحال، وقد بينت التجارب صحة ومدى جدوائية هذا الاتجاه، في الضغط على حكوماتها واكتساب الكثير من حقوقها بالإضافة إلى اكتساب الشعبية والتجذر في المجتمع كلما صعّدت من عملها المسلح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(يمكن الإشارة هنا على سبيل المثال لا الحصر إلى كل من حركة إيتا الباسكية في إسبانيا وحركة إيرا أو الجيش الإيرلندي الجمهوري في إيرلندا الشمالية وبعض الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية).

أما من ناحية الوجهة الإسلامية فالعمل المسلح هو الجهاد في سبيل الله بالمصطلح الشرعي، وهو ذروة سنام الإسلام وأعلى مراتب العمل والحركة بهذا الدين، فكيف يمكننا تسميته بالانتحار السياسي جزافاً وجهلاً ؟؟!!

قديماً وحديثاً أثيرت شبهة إلقاء النفس إلى التهلكة وهو المرادف الشرعي للانتحار السياسي هذه، ولكن الإسلام بيّن لنا حقيقة من يلقي بنفسه إلى التهلكة، وهو الذي يمتنع عن النفقة في سبيل الله وعن الجهاد. ذلك ما ورد في الحديث الذي جاء عن أبي أيوب الأنصاري حيث فسر لنا المفهوم الحقيقي لكلمة إلقاء الأيدي إلى التهلكة وهي بعدم الإنفاق في سبيل الله واعتزال الجهاد في سبيل الله، وليس التضحية بالنفس وإلقائها وسط العدو وهو موقن بالموت (فهذا قمة الاستشهاد) بدليل إقرار رسول الله ﷺ لعمل الصحابي الذي رمى التمرات التي كان يقتات بها في معركة بدر ودخل وسط العدو يقاتل بسيفه حتى قتل، و لم يقل عنه أنه ألقى بنفسه إلى التهلكة أو كما يحلو للبعض اليوم أن يصفوا ذلك بالانتحار أو التهور أو ما أشبه من عبارات التثبيط والجهل بدين الله.

ما ينطبق على الفرد ينطبق كذلك على الجماعة، فالانتحار السياسي الذي تحدث عنه الكاتب لا وجود له في قاموسنا الشرعي ولله الحمد، فالمسلم لا يرتبط بالنصر إلا بحدود ارتباطه بالشرع، فالشرع هو الهدف الأسمى الذي يجاهد من أجله المسلم، حتى وإن أدى ذلك إلى التضحية بنفسه، "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " الحديث.

كما أن العمل المسلح يكون أحياناً مفروضاً على الجماعة الإسلامية من قبل أعدائها فلا تملك والحالة هذه إلا الدخول في معمعة المعارك دون أن تلقي بثقلها الكلي فيها، رفعاً لبعض الظلم أو تحقيقاً لبعض المكاسب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي كثير من الأحيان تكون النتائج على عكس ما تتمناه الجماعات الإسلامية، وفي هذا حكمة بل حكم لا يعلمها إلا الله، فهو ينصر عباده كيفما ومتى شاء، ويؤخر عنهم النصر أيضاً لأسباب لا نعلمها، لكن الله يعلمها.

فأمام هذه الظواهر لا يملك المؤمن إلا أن يتقبل إرادة الله عز وجل وسنته الشرعية والقدرية، ويرضى بهذه النتائج ثم يحاول قدر الإمكان البحث عن أسباب النصر التي تتوافق وإرادة الله عز وجل، والبحث عن أسباب الهزيمة والفشل ومواطن الضعف لملئها والارتفاع بمستوى التجمع نحو الأفضل.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة في سيرة النبي ﷺ نجده قد بقي ثلاثة عشر سنة في المجتمع المكي، يحاول أن يدعو قومه بالتي هي أحسن و لم يلمح و لم يرفع شعار القوة ضدهم على طول الفترة المكية، رغم ذلك قوبل بالتكذيب والاستهزاء ثم بالتعذيب والتهجير ومحاولات القتل، حينما علموا وأدركوا مدى خطورة ما يرفعه من مبادئ التوحيد في مواجهة معتقداتهم ومصالحهم المادية. فأعداء الإسلام لا يتوانون عن محاربة أهل الإسلام والتوحيد حتى وإن لم نحاربهم نحن، فمجرد وجودنا معهم يزعجهم ويقذف في قلوبهم الرعب والخوف وهذا يدفعهم إلى محاربتنا ومحاولة استئصال شأفتنا كما يبين ذلك رب العزة: ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ** ﴾ وقوله عز من قائل: ﴿ **كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ التوبة.

فحتى لو لم ننهج نهج الجهاد والعمل المسلح فإن أعداءنا سوف يحاولون القضاء علينا وعلى دعوتنا، اللهم إلا إذا داهناهم وتنازلنا عن جوهر دعوتنا ورضينا أن نكون طرفاً في اللعبة السياسية، فإنهم سيغضون عنا الطرف بحذر، ولن نجني حينئذ سوى الذل والصغار وهو الحصاد المر الحقيقي.

أما قول الكاتب : ١- قلة الوعي بين معظم أبناء الأمة."

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول: أي وعي يقصد يا ترى؟ أهو الوعي بدين الله؟ أم هو الوعي بضرورة العمل المسلح (الجهاد في سبيل الله)؟ أم هو الوعي بأن الواقع الذي نعيش فيه هو واقع مرتد جاهلي وكافر؟ أم ماذا؟

مهما يكن الجواب، فالفئة المجاهدة لا تسيّرها الأمة، بل يسيرها شرع الله عز وجل، فالأمة كما تعلمون غارقة في جهلها وبعدها عن دين الله وعن الكثير من المفاهيم الصحيحة في هذا الدين، وعلى رأس هذه المفاهيم: مفهوم الجهاد في سبيل الله، ولكي تستطيع الحركات الجهادية رفع هذا الجهل عن الأمة لابد من امتلاك إمكانيات الدولة لا إمكانيات الحركة أو الجماعة، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بعد التمكين في الأرض، لأن الحكومات الطاغوتية بما تملكه من إمكانات الفساد والتمييع الهائلة تحول بين هذه الحركات وبين الأمة وتقف حجر عثرة بينهما.

بينما الجهاد أو العمل المسلح، يعتبر في حد ذاته وسيلة لتوعية هذه الأمة وإيقاظها من غفوتها ومن ثم الالتحاق بصفوف الحركات الجهادية حينما تلمس مدى صدق وثبات هذه الحركات في ساحة المعركة ضد الحكومات المرتدة، بالرغم من قلة عددها وعددها وبالرغم من كثرة خسائرها المادية والبشرية في هذه المعارك.

فقلة الوعي ليس مبرراً لإيقاف العمل الجهادي، بالعكس هو مبرر لتصعيد هذا العمل قصد توعية الأمة ومحاول إنقاذها من هذا الجهل المفروض عليها فرضاً من قبل الحكومات الطاغوتية وطوابير العلماء المنافقين والمرتدين.

فحينما ترتفع وتيرة الجهاد في الساحة، يتساءل الكثير من الناس عن ماهية هذا الجهاد وأهدافه ومراميه، وحينئذ تخرج الحركة المجاهدة بإعلامها وفعالياتها في الساحة لتشرح للناس أهدافها وغاياتها، بأن هذا الجهاد هو من أجل تحريرهم من براثن الحكام المرتدين، ونقلهم من دائرة الجاهلية حيث الذلة والصغار إلى دائرة الإسلام حيث العزة والكرامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قول الكاتب :

٢- (عدم وجود علماء معتبرين بين أفراد الأمة يتبنون مثل هذا الطرح.)

أقول: هذا دليل على أن كاتبنا الموقر لا يدري ما يجري في الساحة، ولو أعطى لنفسه مهملة تفكير قصيرة لما تجرأ على قوله هذا، أم ربما لا يقرأ ما يكتب هؤلاء العلماء ولا ما يلقونه من محاضرات ودروس قد امتلأت بها الساحة طولاً وعرضاً.

عدد العلماء المعتبرين الذين يتبنون وينادون بهذا الطرح في ازدياد مستمر ولله الحمد والمنة، و لم يعودوا يُعدّون على رؤوس الأصابع كما كان الحال في بداية السبعينيات مثلاً أو لنقل حتى بداية أو أواسط الثمانينيات، فهم اليوم كثر ومنتشرون داخل بلداننا وخارجها، لا أظنك تحتاج إلى سرد أسمائهم، يمكنك الاكتفاء بمن فرض حضوره على صفحات الإنترنت، فجهلهم وجهل ما يطرحونه من فكر سلفي جهادي يعدّ وصمة عار، فلا تكن منهم أرجوك.

أما الحركات الجهادية العاملة في الساحة فما من واحدة منها إلا ولها قيادات شرعية وعلماء ترجع إليهم في الفتوى وفي الاستشارة معهم في كل ما يتعلق بأعمالها الجهادية وعلى جميع المستويات، سواء علماء في داخل هذه الحركات أو خارجها، فكل الجماعات الجهادية تمثل في الأخير جسداً واحداً بالرغم من أنها تعمل في مناطق متعددة.

٣- (رفض هذا الطرح من قبل شريحة واسعة من أبناء الأمة.)

أقول: ما دليلك على هذا الكلام يا رجل؟ هل قمت باستطلاعات الرأي في بلداننا؟ أم أنه مجرد ترديد لما تنشره أبواق الطواغيت من علماء السوء والصحافيين العملاء والعلمانيين الحاقدين على ديننا وأمتنا؟ ثم لنفرض أن هذا الطرح ترفضه بالفعل شريحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واسعة من الأمة، فهل أمام هذا الواقع تقف الحركة المجاهدة مكتوفة الأيدي في انتظار أن تقتنع هذه الشريحة الواسعة بالطرح الجهادي أو بالطرح الإسلامي بصفة عامة؟ في هذه الحالة لن يكون أمام الحركة الإسلامية إلا أن تلجأ إلى العمل السياسي وإلى صناديق الاقتراع لكي تتحاكم إلى هذه الأمة الجاهلة، هل ستقبل الإسلام أم لا؟

هل تعطي الشرعية لهذه الحركات المجاهدة لكي تمارس عبادة الجهاد من أجل تطبيق الإسلام أم لا؟

ما هذا الغباء وما هذا الاستهزاء بدين الله!! وما هذا الصغار يا عبد الله !! فمنذ متى كان يلجأ الأنبياء والمرسلون والدعاة إلى الله إلى أممهم لكي يفتوا لهم بشرعية أعمالهم؟؟ منذ متى كان الراعي يقاد من طرف القطيع؟؟ ليس هذا استهتار بقيمة هذه الأمة، ولكنها السنة يا أخي، السنة أن يكون المحق هو الذي يهدي المخطئ وليس العكس، أن يكون العالم هو الذي يبين للجاهل وليس العكس، أن يكون البصير هو الذي يقود الأعمى وليس العكس. فما الذي تبدل في سنن الله يا ترى؟ أم أنها زلة وكبوة أخرى؟

٤- (عدم وجود إمكانيات لدى القلة التي تتبنى هذا الطرح لأحداث تغيير سريع كيلا يتأذى المسلمون بحرب أهلية طويلة الأمد تقضي على مقدرات الأمة السياسية والاقتصادية.)اهـ.

أقول: يقول الله عز وجل وهو يحض المؤمنين على بدء عبادة الجهاد ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال : ٦٠].

فشرط الدخول في المعركة هو الاستعداد في حدود الاستطاعة، ثم إن الحركة تكسب قوتها وتنمي كفاءاتها خلال المعركة مع أعدائها، فهذه المعارك هي التي تبين لها مواطن ضعفها، كما أنها تصفي صفوف هذه الحركات من المنافقين وضعاف النفوس قبل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذهاب بعيداً في المسيرة الجهادية، وهذه كلها مكتسبات لا يمكن أن تحصل عليها هذه الحركات لو أنها بقيت في بروجها العاجية مكتفية بالدعوة والوعظ الأعرج المنكسر الجناح.

ثم ألم تقرأ قوله تعالى ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنفال ٦٥]. ثم بعد التخفيف يقول ربنا عز وجل ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال ٦٦].

أما قوله: (ثم أن غالبية الشعوب المسلمة ترفض توجيه سلاحها ضد أبنائهم وإخوانهم في جيوش الأنظمة... فهل تم حساب ذلك عندما أعلن البعض الجهاد المسلح ضد حكومات العمالة في البلاد العربية؟)

فالجواب عليه مثل ما سبق، بحيث أن هذا كلام يردده الأعداء ويحاولون ترسيخه كحقيقة داخل مجتمعاتنا، من أجل تغليب رابطة القرابة الجاهلية على قرابة الدين والعقيدة، والحقيقة أن من ينتمي إلى هذه الجماعات الجهادية قد تجاوز هذه الروابط الجاهلية وكسرها وكفر بها، واستبدلها برابطة العقيدة القوية التي تفوق كل الروابط الأخرى الجاهلية.

ثم اعلم أخي الكريم أن شعوبنا المقهورة قد ذاقت الأمرين على أيدي هذه الجيوش العميلة من مخابرات وشرطة وعسكر، وهي تتمنى اليوم الذي تنطلق فيه شرارة الجهاد في بلدانها لكي – على الأقل – تنتقم لنفسها ولذويها ولأعراضها، ثم من قال لك بأن هذه الحركات الجهادية لا تمتلك الأنصار والمعاونين من أبناء الشعب وهم ينتظرون أوامر هذه الأخيرة لكي ينفذوها، أم أنه لابد من الإعلان على رؤوس الأشهاد بأنك تنتمي إلى حركة جهادية لكي لا توصف بأنك متقاعس أو غير متفق مع الطرح الجهادي؟!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قول الكاتب :

(هل للجماعات الجهادية وجود قوي ومؤثر بين أبنـاء الـشعب المـسلم...؟ الجواب بطبيعة الحال وللأسف الشديد... لا.)

وفسر أكثر فقال: (فجميع الحركات الجهادية أفرادها موزعون شذر مذر في دول العالم – الأوروبية منها خصوصا – بالإضافة إلى أفغانستان وباكستان وغيرها من الدول. لكن للأسف وجودهم السياسي والإعلامي في دولهم يكاد يكون معدوما تماما. والحقيقة أن هذا نذير فشل... بل هو الفشل بحد ذاته. فالسمك إن خرج من البحـر يمـوت... والشجرة إذا قلعت من جذورها تذبل وتفنى. ونفس الشيء ينطبق على أي حركة شعبية كانت أم سرية تسعى لإسقاط النظام في بلد المنشأ.) اهـ.

أقول : كلام فيه الكثير من الجهل بحال هذه الحركات، وإن كان في طياته بعض الصدق، لكنه نسبي لأنه لا ينطبق على جميع هذه الحركات بل ربما على بعـضها فقـط وبشكل جزئي لا كلي.

اعلم أن العمل الجهادي يمر بعدة مراحل، مرحلة التأسيس ثم مرحلـة التوسـع الموزون وهذه يتم في مرحلة سرية تامة، بعدها تمر الحركة إلى تأسيس البنيـات التحتيـة وتسطير برامج العمل من منهج وتكوين خلايا العمل على جميع المستويات، وهذا كله يتم كما قلت في سرية، بعيداً عن الضوضاء الإعلامية.

أما الجانب العلني في العمل الجهادي فهو الدعوة والاستقطاب ونـشر الفكـر والمنهج في أوساط الناس، قصد التأثير في هذا المجتمع ومحاولة توظيف طاقات الناس المبعثرة داخل التنظيم. وربما تنتقل الحركة الجهادية إلى تصعيد بعض أعمالها خلال فترة الإعـداد هاته دون أن تكون هي الهدف الأكبر والرئيسي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عن حجم شعبية هذه الحركات داخل مجتمعاتنا فالأمر ليس بهذه السهولة، إذ أن جل الأفراد المنتمون يظلون غير معروفين لأسباب أمنية وتنظيمية، اللهم إلا بعض الأفراد الذين يقتضي عملهم الظهور بمزاولة بعض الأعمال الدعوية الظاهرة، أما الغالبية فموجودون لكنهم غير معروفين، وهذا هو الفرق بين الحركة الجهادية والحركات الدعوية الإصلاحية التي تعتمد على الأعمال البارزة وعلى الكم دون الاهتمام بالكيف.

كما أود أن أذكر هنا في هذا المقام، أن قيمة حركة ما لا توزن بعدد أعضائها بقدر ما توزن بميزة هؤلاء الأعضاء، وهذه طبيعة هذا الدين أصلاً، إذ أن القلة دائماً هي التي تحمل هذا الدين في البداية فتضحي في سبيله وتمتحن وتبتلى فتصبر وبعد ذلك يأتي الأنصار فيمكّن الله لها في الأرض وعندئذ، وعندئذ فقط يدخل الناس في دين الله أفواجاً.

أما عن تواجد أفراد هذه الحركات الجهادية خارج بلدانها فهذه ليس عيباً، لا من الناحية الشرعية ولا العقلية – حتى من وجهة نظر سياسية حسب تعبير العصر– يعتبر عملاً فاعلاً ونافعاً لهذه الحركات، بحيث يمكن لهؤلاء الأعضاء أن يتحركوا في مأمن وينشروا قضيتهم من داخل هذه البلدان الآمنة، ما دام أنه ليس هناك أي تنازل عن المبادئ وعن المنهج.

فهذه يعتبر هجرة وهي داخلة في مرحلة الإعداد، وقد سبقنا إليها رسول الله ﷺ حينما أرسل ما يقارب من ثلثي أصحابه إلى الحبشة بحثاً عن المكان الآمن للدعوة، وبعدها بثماني سنوات انتقل هو بنفسه مع باقي أصحابه إلى المدينة المنورة لكي يقيم فيها دولته. لا يجب أن يفهم من كلامي أن على الحركات الجهادية أن تنتقل إلى الخارج لكي تقيم دولتها الإسلامية هناك، ولكن عملية الانتقال والهجرة لابد منها كوسيلة للإعداد ونشر المنهج والمحافظة على بعض الأفراد من بطش الأعداء .

أما مسألة نقل المعركة إلى الخارج فهي مسألة تخص الحركة وهي وحدها التي تعلم إيجابيات وأسباب هذا النقل للمعركة، إلا أنه يجب أن يّعرف أن الأنظمة المرتدة في بلداننا لها ارتباطات وطيدة مع هذه الدول التي نّقلت المعركة إليها، ولها مصالح وأنشطة لا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمكن أن تستغني عنها داخل هذه البلدان الموالية، وضرب هذه المصالح يعد إضراراً بالغاً وتحد سافر لهذه الدول مجتمعة، ويعتبر تعطيل لهذه المصالح وإضعاف للعدو. على أن تتحمل الحركات الجهادية مسؤولية أعمالها هذه وتستطيع أن تسخرها لخدمة أهدافها العامة.

وضرب الكاتب مثلاً للقدوة التي يجب على الحركات الجهادية الاقتداء بها في جهادها، وهي "الجيش الجمهوري الإيرلندي" وكونها لم تنقل المعركة إلى الخارج، وهو قياس مع الفارق للأسف الشديد، بحيث أن واقع إيرلندا يختلف عن واقع بلداننا على جميع الأصعدة، بالإضافة إلى اختلاف المعتقد الذي تنطلق منه هذه الحركة الكافرة مقارنة مع معتقدات الحركات الجهادية عندنا، ثم كيف حكم الكاتب على أن المعركة قد انتقلت إلى الخارج بمجرد أن بعض العمليات العسكرية قد نفذت خارج بلداننا والتي لها ارتباط مباشر بالمعركة في الداخل، فهذا يعتبر امتداد للمعركة وليس نقلا لها.

ثم قال فيما بعد –وهو يعيب على هذه الحركات ما قامت به من عمليات عسكرية سواء في الداخل أو الخارج –:

(لكن الحركات الجهادية قامت بأعمال غير مدروسة بل وغير مفهومة على الإطلاق.

١ – تفجير السفارة المصرية في إسلام آباد في باكستان...؟

٢ – تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي وتنزانيا...؟

٣ – محاولة اغتيال كلينتون في الفلبين...؟

٤ – قتل ستين سائح في الأقصر...؟

إذا كانت الحرب هي مع النظام... فلماذا يتم إقحام أطراف أخرى في المعركة ؟
) اهـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقول: اعلم أخي أن من أهداف الجهاد في الإسلام هو قذف الرعب في قلوب الأعداء ومحاولة تقويض أعمدته وأوتاده وأجنحته أينما كانت، والدليل على أن هذه العمليات قد قضّت مضاجع الطغاة، هو ردود فعلهم وإصابتهم بالحيرة والخوف والهلع، كما أنها تبين وتفضح العلاقة والولاء الموجود بين هذه الأنظمة الطاغوتية وبين هؤلاء الكفار في الخارج، بل ليعلم الناس أن كل سياسات القمع والتكفير والإفساد التي تنفذها هذه الحكومات المرتدة إنما تطبخ من قبل أوليائهم في الخارج.

أما قولك الزائد :

(وإذا كان الهدف مثلا تحرير السعودية من الأمريكان ... هل يتم ذلك بمحاربتهم في كينيا وتنزانيا ؟ وهل إذا احتلت فرنسا تونس... هل يكون التحرير عن طريق تفجير المكتب الثقافي الأرجنتيني في موزمبيق؟؟؟.)

فهو استهزاء أكثر مما هو تساؤل بريء، ولا يستحق الرد سوى أن أقول لك، اتق الله في جهد إخوانك ودمائهم التي يقدموها في سبيل الله، وليس عدم فهمك وإدراكك لما يفعله هؤلاء المجاهدون هو الذي سيدفعنا إلى إحباط هذه الأعمال الجهادية واعتبارها غير ذي جدوى!!

وختمت مقالك بهذا الاستنتاج الغريب:

(كل ما ذكرت سابقا أدى إلى عدم قبول الشعوب المسلمة لطرح الحركات الجهادية.. بل أوجد تياراً معارضاً.)

والرد على هذا هو ما قاله الأخ أبو الحسين من قبل: أين دليلك على صحة هذا؟ أما نحن فلا نرى سوى عكس ما ذهبت إليه، إذ أن شعوبنا متعطشة إلى العمل الثوري الجهادي بعدما يئست من الحلول الأخرى، وهي الحلول السياسية والتسابق إلى كسب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقاعد في البرلمانات الكفرية، وخير دليل على هذا ما حدث مؤخراً – من خيبة أمل عارمة – في تركيا والأردن وقبل ذلك في الجزائر، حيث لم تحقق الحركة الإصلاحية هناك سوى حصد المزيد من الهزائم والسراب والتهميش، ولا زالت قناعة الشعوب بالحل الجذري والتصعيد الجهادي في تصاعد مستمر.

وكل من ينكر هذا أو يحاول إقناع نفسه بعكسه فهو بحاجة إلى نظارات خاصة أو إلى رفع الغبار عن عينيه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وإلى اللقاء الثالث بحول الله مع دحض شبهات جديدة.

شبهة :" ضرورة إعداد برنامج دولة مسبقاً "

قبل التطرق إلى مسألة إعداد برامج تسيير الدولة المرتقبة، وإعداد الكوادر المختصة التي ستقوم على تطبيق هذه البرامج، نقف عند مسألة البديل المطلوب: العلماء أو الحركات؟ هذه ما طرحه الأخ الكاتب ويطرحه الكثير من الناس اليوم.

والجواب على هذا السؤال يدفعنا إلى الجواب على السؤال المماثل: ما الفرق بين العلماء والحركات؟ أو بعبارة أخرى ما هي العلاقة بين العلماء والحركات؟ كمن يسأل عن العلاقة بين الرأس والجسد، أو الفرق بينهما. العلماء هم الرأس والحركة هي الجسد، هذا باختصار شديد.

أما قيمة هؤلاء العلماء ومدى قدرتهم على تسيير العمل الجهادي وتوجيهه، فهذا أمر نسبي ومتفاوت بين عالم وآخر، والحركة الجهادية لا يشترط فيها أن تحوز على علماء من طراز خيالي حتى تبدأ جهادها ضد الأنظمة المرتدة، بمعنى آخر: إذا لم يوجد هذا النوع من العلماء في صفوفها أو من يؤيدونها في عملها الجهادي، فلن توقف عملية الجهاد لانتظار هؤلاء العلماء بل تبدأ عملها وحركتها بما تملكه من علم ومن رصيد ومراجع حتى وإن كانت غير منتمية إلى صفها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالجهاد لا يوقفه أحد، كما أن الجهاد هو الذي يكوّن مثل هـذا النـوع مـن العلماء، أو ما سماه سيد قطب رحمه الله – فقه الحركة – بدلاً من فقـه الأوراق، وأنـا أسميهم: علماء الحركة بدلاً من علماء الورقة.

فهذا هو الطراز المطلوب، علماء ربانيون يتقدمون الصفوف في التضحية والبذل والعطاء، وفي الزهد والشجاعة والإقدام، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا همّ لهم سـوى إرضاء ربهم جل وعلا، حتى وإن كلفهم ذلك حياتهم.

وهؤلاء لا يمكن لهم أن يتربوا في أجواء الرخاء والترف والبعد عن غبار المعـارك ومتطلبات الحركة ومخاطرها، بل هم نتاج الحركة الجهادية الدائمة، فلا يمكننا التحدث عن علماء قياديون غير هؤلاء، حتى وإن كان زادهم العلمي متواضعا، فإن الله عـز وجـل سيفتح عليهم من عنده ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ وقد فسر السلف الصالح هذه الآية ومنهم الإمام أحمد على أن المقصودين في الآية هم أهل الثغور، أي المجاهدون في سبيل الله.

ما ينطبق على العلماء ينطبق من باب أولى على البرامج والمناهج التي ستسير بهـا الدولة الإسلامية المرتقبة، وكذلك الأطر والفعاليات المختصة التي ستسهر على تنفيذ هذه البرامج وعلى تسيير الدولة القادمة، وقد أحسن الشهيد سيد قطب الحديث عن هذا الأمر حينما تطرق إلى فقه الأوراق وفقه الحركة، وليراجع في تفسيره "في ظلال القرآن" أو في ما جمعه أحمد فائز في كتابه "طريق الدعوة في ظلال القرآن".

وهذا يعتبر جواباً لما طرحة الأخ من شروطه الخمسة التي لابد أن تتوفر في الحركة الجهادية البديلة للأنظمة الحالية:

وجود برنامج سياسي – وجود برنامج اقتصادي – وجود برنـامج تربـوي – وجود برنامج دفاعي وأمني – وجود قاعدة شعبية عريضة مؤيدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صحيح أن هذه الشروط لم تتوفر بعد في جل هذه الحركات الجهادية، وهي لم تدّع العكس ولا ادّعت أنها جاهزة من الآن لاستلام الحكم في بلداننا، إنها في مرحلة الإعداد وفي مرحلة الجهاد من أجل إيجاد هذه البرامج والأطر التي ستقوم على تنفيذ هذه البرامج، وليس من العدل الحكم على هذه الحركات الجهادية بالنقص، وكأن حكوماتنا القائمة تمتلك برامج ناجحة في جميع هذه الميادين!! فالناظر إلى واقعنا يلحظ أن هذه الحكومات لا زالت تتخبط خبط عشواء، ولا زالت تنتقل من فشل إلى فشل ومن سيء إلى أسوأ بالرغم من الإمكانيات المادية والبشرية الهائلة التي في حوزتها، ولكن وبسبب بعدها عن النهج الرباني ومحاربتها له، فإن الله عز وجل يعميها عن الحق والصواب، ويجعل كل ما تقوم به من جهد وتخطيط يذهب سدى ولا يزيدهم إلا ضلالاً وتيهاً وعمياً وشقاءً مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾، أما عباده المجاهدين المؤمنين فإن الله عز وجل سيهديهم ويصلح بالهم، وسوف يبارك في جهدهم حتى وإن كان متواضعاً، كما سيسخّر لهم جنوده الأخفياء الأتقياء ليكونوا خدماً لهم ولدينه ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾.

وقد كبّ الكاتب في ختام مقاله هذا جام غضبه على الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر[1]، مقلداً في ذلك ما يروجه أعداء الجهاد في إعلامهم الفاسق من أن المجاهدين يقتلون الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال، وهم ما قاموا إلا ليحموا هؤلاء وينقذوهم من بطش الكفار والمرتدين استجابة لنداء ربهم جل وعلا ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً** ﴾، ثم إن كاتبنا الموقر نسي أو تناسى أن القاصي والداني يعلم أن النظام العسكري في الجزائر هو الذي قام ولا يزال بهذه المجازر الجماعية في حق الشعب الجزائري المسكين، خاصة أهالي

[1] الجماعة الإسلامية المسلحة هي التي كانت يومها تنشط في الساحة، وذكرناها هنا لأنها كانت الممثل الشرعي الوحيد للجهاد الجزائري قبل أن تنحرف عن النهج السلفي الصحيح، ويقوم مقامها الجماعة السلفية للدعوة والقتال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجاهدين وكل من يتعاطف معهم، بهدف استئصال كل جذر من جذور الإسلام في أرض الجزائر المجاهدة، إنها حرب إبادة تشهدها أرض الجزائر، فبعد أن عجزت الجيوش العلمانية منذ أكثر من ثلاثين عاماً من التغريب وفرض ثقافة الكفر والفسق والفجور على تذويب هوية الشعب المسلم وتغييب عقيدته، ها هي جيوشه قد عادت هذه المرة بالدبابات والقنابل والطائرات وبالأسلحة الكيميائية أيضاً قصد محو هذا الشعب الأبي من الخارطة الجغرافية، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره فسخّر أولياءه من الجماعات المجاهدة هناك، وعلى رأسها الجماعة السلفية للدعوة والقتال التي تميزت بتوجهها السلفي الجهادي، وعادت تسطر ملامح العز وتعيد إلى الجزائر أيام الجهاد المبارك، من على جبال الأوراس، ولا زال الحبل على الجرار، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾.

شبهة : تعدد الدول = تعدد الخلفاء

سؤال لا يمكن الإجابة عليه بسبب بسيط وهو أنه سابق لأوانه، فربما لن يطرح أصلاً في الواقع الفعلي.

فقد يبدأ الجهاد في عدة دول، ولكن قد ينتصر في واحدة، مما سيجعل هذه الأخيرة مضطرة لإعلان الجهاد على الدول المجاورة لفتحها بمساعدة الجماعات المجاهدة هناك، هذه الأخيرة سوف تقدم البيعة للخليفة الأول وسوف يعين الخليفة هذه الدولة الجديدة ولاية تابعة للخلافة الأم، وهكذا...

هذا جزء من سيناريو محتمل الوقوع، وقد وقع بالفعل في تاريخنا الإسلامي يوم كانت الخلافة منحصرة في الجزيرة العربية لكن سرعان ما اتسعت دائرتها، وكان الخليفة يعين على كل ولاية من الولايات الإسلامية الجديدة عاملاً له تابع للسياسة العامة التي تطبقها دولة الخلافة الأم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرق بين واقعنا اليوم وبين واقع الأمس هو أن بالأمس كان هناك دولاً كـــافرة كفراً أصلياً واليوم لدينا دولاً كافرة كفراً طارئاً أو مرتدة، وفي نهاية المطـــاف حكمهـــا واحد، وهو الجهاد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

أما كون الحل في الرجوع إلى العلماء المخلصين من علماء الأمة الأثبات، فهـــذا حل لا يقبله عقل ولا نقل، إذ كيف يمكن لهؤلاء – رغم إخلاصهم وعلمهم – بتحويل مجتمعاتنا الجاهلية وأنظمتها المرتدة من حالة ردة وكفر إلى حالة إسلام وإيمان، بدون قوة مرافقة لهم تحمي الحق الذي يحملونه. فأهل الحديث هم أهل العلم الجهاد وهما الـــصفتين الرئيستين التي تتحلى بهما الطائفة المنصورة التي مدحها رسول الله ﷺ، والتي بـــشرنا أن النصر والخلاص سيكون على أيديها .

وليعلم الذين يدّعون أن دماء وجهود المسلمين تذهب سدى في خـــضم هـــذه المعارك التي يخوضونها اليوم، ألا فليعلم هؤلاء أنهم لم يفهموا من دين الله شيئاً، و لم يفهموا معنى الجهاد في الإسلام، فالإسلام لا ينتصر بمجرد الدعوة والوعظ والإرشاد أو بمجـــرد جمع الجموع المجهولة لنبني عليها بناء أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنه من ثقل ما فيه من تبعات، فلا بد من عملية الجهاد لتصفية الصفوف، ولابد من تقديم الـــشهداء لتعبيد الطريق، ولابد من إسالة دماء زكية طاهرة لسقي شجرة الإسلام السامقة الضاربة الأطناب، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وليعلموا أن هناك شيء اسمه الشهادة في سبيل الله، وهي أسمى ما يتمناه المؤمن في هذه الحياة، وهذه المنة لا يمكن الحصول عليها إلا في عالم الجهاد والقتال، فـــأنى لهـــؤلاء الوعاظ المسالمون أن يؤتوها؟ أم أنهم يريدون أن ينسخوها من قاموسنا الإسلامي يا ترى؟ الشهادة اصطفاء من الله، لمن يريد، ولمن يحب ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ آل عمران ١٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا والله تعالى أعلم، إن أحسنت وأصبت فمن الله وحده فله الحمد والمنة، وإن زغت وأخطأت فمن نفسي القاصرة ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والباب مفتوح على مصراعيه لأخوتي الأحبة للتعقيب والإضافات وللتوسع والله الموفق وهو يهدي السبيل.

هذا ما سمح المقام بمناقشته وعرضه من بين شبهات القوم التي يثيرونها حول فريضة الجهاد، ذروة سنام هذا الدين وحاميها، قد نعود يوماً إلى عرض المزيد من الشبهات ودحضها بالأدلة الشرعية والعقلية، حتى لا يبقى هناك ثمة شكوك ولا غموض حول فرضية هذه الفريضة الغائبة الحاضرة العائدة بقوة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، والحمد لله رب العالمين .

- أبو سعد العاملي – رمضان ١٤٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى لا ننسى أسرانا

بسم الله الرحمن الرحيم، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

ثم أما بعد :

لاشك أن أعين المخلصين من أبناء الأمة وكذا قلوبهم، مشدودة ومأسورة بهذه الحرب الصليبية الجديدة، فمن هؤلاء المخلصين من يقاتل مباشرة في صفوف أهل الحق وأعطى المثل الأعلى في الصمود والتضحية والفداء، ومنهم من يساند بالمال والعتاد والإيواء والنصرة، ومنهم من ينصر بلسانه وقلمه، ومنهم من يساند بقلبه ودعواته، فالله سبحانه لن يضيع أجر من أحسن عملاً وسيجازي كل واحد على صدقه وإخلاصه.

وفي الطرف الآخر يستعمل الأعداء شتى أنواع الأسلحة المشروعة وغير المشروعة ليس لكسب الحرب فحسب، بل لاستئصال شأفة الإسلام واقتلاعه من جذوره، وبه يصرحون في كل محفل (اقتلاع جذور الإرهاب، استئصال شأفة الإرهاب، وغيرها من التعابير)، وما الإرهاب إلا ذريعة، والكل يتذكر تصريح رئيس الكفر بوش ووصفه هذه الحرب بأنها حرب صليبية جديدة، وقد أنطقه الله بما يُسِرُّ في قلبه ﴿ **وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر** ﴾.

ومن أساليب استئصال شأفة هذا الدين، التركيز على تصفية قيادات وأمراء الإسلام وكل المجاهدين الصابرين الثابتين على دينهم، الزاهدين في هذه الدنيا الفانية وفي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل الإغراءات الزهيدة التي يعرضها العدو لكسب رضاهم وردهم عن دينهم إن استطاعوا.

وحينما تفشل هذه المحاولات، يلجأون إلى أسلوب آخر لا يقل خطورة عن الأسلوبين سالفي الذكر ألا وهو الأسر أو السجن، حيث يعتبر بمثابة فصل الرأس (القيادة والأمراء) عن الجسد (الجماهير أو القاعدة)، وبهذا يتحقق للعدو هدف إضعاف الصف الإسلامي، وترك القافلة بلا دليل سرعان ما تتيه ثم تهلك في صحاري وقفار الجهل والبدعة أو الشرك والكفر والردة.

نرى ذلك اليوم جلياً في هذه الحرب الصليبية الجديدة، حيث أعطت أمريكا أمرها لأذنابها من حكومات الكفر والردة، بأن تسجن كل العلماء الربانيين والمجاهدين العاملين وهم من يمثل ضمير الأمة والسراج الذي ينير لها الطريق في ظلام هذه الجاهلية العمياء، ثم بادرت هي بنفسها إلى نقل بعض المجاهدين في أفغانستان إلى جزيرة نائية، كل هذا من أجل فصلهم عن القواعد وميادين الدعوة والجهاد وإبعاد خطرهم الذي يهددهم في كل لحظة كأنه كابوس يزعجهم بالليل والنهار.

يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني – حفظه الله – : "فالسجن أحد أساليب الطغاة في ردع الدعاة والمصلحين، والسجون الآن تعج بكثرة الموحدين فيها، وقد تبجح الكفر الآن وعربد بما لم يكن له مثيل في يوم من الأيام، فما هو السبيل الشرعي والكوني لردع هؤلاء المجرمين عن غيهم؟! وما هو الطريق الشرعي والكوني لإخراج هؤلاء المساجين من معاقل الطغاة؟ إنه ولا شك الجهاد في سبيل الله تعالى." [1] اهـ.

نعم، بالجهاد فقط يمكننا اليوم وفي هذه الظروف العصيبة التي تعيشها الأمة، فك أسارانا وإفراغ سجون المرتدين والكفار من إخواننا الموحدين، فالطغاة لا يمكن أن يتنازلوا

[1] الجهاد والاجتهاد – تأملات في المنهج.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن شروطهم الكفرية إلا بقوة السلاح، وإذا ما أطلقوا سراح بعض إخواننا في ظروف خاصة فإنما هو سراح رجعي سرعان ما يعيدونهم إلى السجن والأسر، وهكذا دواليك.

ويقول الشيخ أبو قتادة متحدثاً عن واجب المسلمين الشرعي في فك أسراهم: " وفك العاني واجب شرعي على المسلمين حيث وقع لقوله ﷺ: ((**فكوا العاني وأطعموا الجائع، وعودوا المريض**))[1]. قال ابن حجر: قال ابن البطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور.[2] ا.هـ. ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لأن أستنقذ رجلا من أيدي الكافرين أحب إلي من جزيرة العرب). وروي أن الحجاج بن يوسف الثقفي غضب على واليه في السند غضبا شديدا، وذلك بسبب امرأة أسرت من المسلمين وأدخلت إلى بلاد السند فجهز الجيوش المتواصلة، وأنفق بيوت الأموال حتى استنقذ المرأة وردها إلى أهلها ومدينتها.[3]

وفك العاني المسلم صورة من صور الولاء بين المسلم وأخيه المسلم.

وليعلم أن ما يعانيه المسلم السجين هو شيء يفوق الوصف والخيال، حتى أنهم قديما كانوا يعدون السجين كأنه منفي من الأرض، وأنه خارج الحياة. يقول الشاعر:

إذا جاءنا السجين يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

[1] رواه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه.
[2] فتح الباري (٦/١٩٣).
[3] عن الموالاة والمعاداة (١/٣٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحضارة الشيطانية المعاصرة ابتكرت من الأساليب الوحشية لتعذيب خصومها شيئا يفوق الخيال، وليس سجين اليوم مجرد رجل محبوس في جب فقط، مع أن مجرد هذا الحبس عذاب شديد، ولكنهم يمارسون على هذا السجين ألوان العذاب وصنوف القهر ما الله به عليم، فإذا علمنا هذا تبين لنا الواجب الشرعي الملقى على عاتق الأمة في تخليص هؤلاء الأسارى، جاء في "القوانين" لابن الجوزي: يجب استنقاذهم (أي الأسارى) من يد الكفار بالقتال، فإن عجز المسلمون عنه وجب عليهم الفداء بالمال. "[1] اهـ. (المرجع السابق)

أما أهمية السجن وضرورة استغلال فترة الأسر والاعتقال، فهي دون شك من المسلّمات ومن أولويات المسلم داخل سجنه، فكل دقيقة أو لحظة تمر على الأسير لابد أن يسخّرها لدعوته ولتقوية ملكاته وتربية نفسه وتعويدها على التحمل والصبر، وللمزيد من الاستعداد للعطاء ولمواصلة الدرب إلى أن يلقى الله شهيداً. ويمكننا القول إن مرحلة السجن بالنسبة للمجاهد تعتبر فترة استراحة وتأمل ومراجعة، كما يكون فيها المجاهد مغلوباً على أمره على مستوى التكليف الشرعي، لا يمكن أن يقوم بأعمال على أرض الواقع كما كان يفعل قبل الأسر، ويمكننا القول أنه مرفوع عنه القلم على مستوى التكليف.

والكثير من الدعاة والعاملين في سبيل الله يتخيلون بأن مرحلة السجن أو الأسر تعتبر في حد ذاتها نقطة سوداء وفترة ضياع للجهد وإيقاف لمسيرة المجاهد، وحينما يقعون في الأسر يحكمون على أنفسهم بالموت والجمود، ويعتبرون أن مسيرة جهادهم قد انتهت بأسرهم، فينفصلون عن دعوتهم معنوياً وروحياً كما انفصلوا عنها جسدياً ومادياً. بينما الحقيقة ينبغي أن تكون غير هذا.

يقول الشيخ أبو قتادة: "هل السجن مرحلة ضرورية للداعي؟ وهل هي مرتبة ممدوحة، الداخل فيها خير من غيره بدخول هذه المرحلة؟.

---

[1] (ص ١٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مما لا شك فيه أن طريق الدعوة محفوف بالمخاطر والابتلاءات، قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٢-٣]. ذلك لأن الداعي يأتي للناس بالجديد من الأمر، ويدعوهم لترك عوائدهم وإيلافهم، بل ويسفه ما هم عليه من نهج وطريق، وهذا أمر كبير على الناس، لأنه يطعن في مسلماتهم وعظائم عقائدهم، ولهذا فإن الداعي يجابه بقوة وعنف، وبسبب هذا الابتلاء تتميز الصفوف، ويفيء الناس إلى مقاماتهم الحقيقية دون لبس أو تزوير، فالابتلاء يعرف مقامات الناس، والبقاء للصابر، قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٤]. قال ابن تيمية - رحمه الله - في تفسيرها: بالصبر واليقين تنال الإمامة.ا.هـ. فالصبر يمنع التهور، واليقين يمنع اليأس والقنوط، فالداعي له قوتان تحصنانه من الخطأ، قوة تدفعه وهي اليقين، وقوة تريثه وهي الصبر، يقين على الموعود القادم، وصبر على البلاء الواقع، والبلاء والامتحان ظاهرة في كل الدعوات، وهي تكتنف المتمردين، سواء كان تمردهم بحق أم بباطل، فليس الأنبياء أو أتباع الأنبياء هم فقط من لقي العنت في سبيل دعوته، بل كل من أتى للناس بجديد، ولكن ما يميز أهل الحق من غيرهم في هذا الباب هو أن تعب الأنبياء وأتباعهم هو في سبيل الله ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ** ﴾، وأما غيرهم فتعبهم وبال عليهم كما قال تعالى: ﴿ **عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً** ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٣٦] ، فالابتلاء ظاهرة في مسيرة الدعوات لأن وجود الأعداء من مظاهر نصرة الله لأوليائه، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ** ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، ومظهر من مظاهر اسم الله تعالى: المنتقم. واختلاف الناس سنة كونية، وكذلك تدافعهم ليتحقق لكل واحد أهدافه التي يسعى إليها، والمعادلة بين الطرفين بحصول النصر والهزيمة مبسوطة في القرآن،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما من أمر إلهي إلا وهو عامل من عوامل النصر، وما من مخالفة للشريعة إلا عامل من عوامل الهزيمة.

والسجن إحدى مظاهر الابتلاء، وصورة من صور العذاب التي يهدد بها كل طرف الآخر، كما قال فرعون مهددا موسى عليه السلام: ﴿ **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** ﴾ [الشعراء : ٢٩]. وقد كان إحدى اختيارات قريش في عذابها لرسول الله ﷺ: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ** ﴾ [الأنفال : ٣٠]. لأن السجن صورة من صور العذاب النفسي والبدني، فهو تقييد لإرادة الإنسان، ومانع له من ممارسة مدنيته وإنسانيته، ثم هو بالنسبة للداعي أشق وأتعب لأنه يفصل بين الداعي والمحيط الذي يحتاجه لدعوته، فعمل الداعي هو النور في الناس، وتعليمهم الخير، وكسب أتباع لدعوته، وترقية لأفراد دعوته في الطريق، فالسجن حرمان من هذا كله، إذ أنه يعزل الداعي عن محيطه ليمنعه من التأثير والكسب.

وفي هذه الغربة المعاصرة حيث بدأ الدعاة يدعون إلى الله، وتمت سنة المدافعة بين فريق الحق وفريق الباطل، وملأ الطاغوت السجون بالدعاة، وتكررت صور الابتلاء وإلى الآن، كانت التجربة الأولى أن دخلت مجموعات السجون، فماذا صنع فيهم السجن؟.

كان السجن وعاء تشكل لونه بلون الداخل فيه، فبعضهم انتكس ووقع، وهؤلاء على الأغلب قلة لا يؤبه بها، ولكن الأغلب خرج من السجن وهو يحمل ذكريات الألم والعذاب، وخرج ليكتب للناس مذكرات كربلائية مليئة بالبكاء والنواح حاول كل واصف فيها أن يستدر عواطف القراء نحوه، وأن يكسب شفقتهم عليه، وقد وجد أدب داخل المكتبة الإسلامية يمثل هذا النوع من الفنون، من البكاء والنواح الكربلائي، وكان القصد من هذا هو تعليق النياشين (الأوسمة) على الصدور بأن هذا قد عذب وضرب، و لم يخرج من الآن من هذا الصف المبتلى دراسة أو دراسات تكون زادا للجيل القادم من هذه التجربة، فالسجن بلاء: إما أن يكسر، أو يعصر، أو يثمر فيخرج صاحبه منه منقى من كل الشوائب، شوائب الأفكار، وشوائب النفس، فترقى مدارك المرء، وتنصقل نفسه في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تطورها وتربيتها، فالممتحن لا يمدح إلا بمقدار استفادة المرء منه، لا من حيث هو في نفسه ممدوحا مرغوبا، فقد ينتكس المرء فيه، وقد يخرج منه كما دخل جهلا وعماء وسوء خلق، وقد يرتقي فيه، وكل هذا بحسب المرء ونظره إلى ما تمر به الحياة من مظـاهر وظـواهر، فليس السجن مرتبة مدحية، ولا هو بالذي يطلبه المرء ليكون الأفضل بين أقاربه، ولكـن ينظر إلى مقدار اكتساب المرء من هذه التجربة." اهـ. (المصدر السابق).

وبعد، فإن ظاهرة الأسر باقية ما بقي الجهاد والدعوة إلى الله والـولاء والـبراء والكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده، وهي ظاهرة لابد أن يتقبلها المؤمن بصدر رحب – إن لم يكن له بد من تفاديها–، ويحاول اعتبارها منحة في صورة محنة، وفترة ابـتلاء لا ينبغي أن تنكسر فيها عزيمته أو يفتر إيمانه، مع أن الأصل في المسألة هو مقاومـة هـذه الظاهرة والهروب منها ما أمكن، كونها تشكل عائقاً للداعية وللمجاهد على التقدم، كما أنها تخلق ثغرات في الصف المجاهد وتعطّل الكثير من الوظائف داخل هذا الصف.

أما الواجبات الملقاة على أعناقنا تجاه أسرانا ومعتقلينا، فهو:

أولاً: تذكير الأمة بهم والدعوة لهم.

ثانياً: تذكير دعوتهم وسيرتهم ومواصلة ما بدأوه من دعوة وجهاد.

ثالثاً: مواصلة الإعداد والجهاد لفك أسرهم أو البحث عن وسائل لفـدائهم أو استبدالهم بأسرى الأعداء.

رابعاً: القيام على إعالة أُسَرهم وذويهم وتربية أبنائهم حتى يواصلوا السير علـى درب آبائهم.

هذه بعض الواجبات التي ينبغي علينا القيام بها وأداؤها في حق هؤلاء الأسـرى والمعتقلين ريثما يأتي فرج الله ومدده.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا ونسأل الله جل وعلا أن يعجل فرج أسرانا ومعتقلينا من سجون الكفار والمرتدين، وأن يربط على قلوبهم ويثبتهم على الحق المبين، وينصرهم على إغراءات أعدائهم، آمين.

والحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معركتنا مع الشيطان

تقديم وإعداد وتعقيب : أبو سعد العاملي

قراءة لكتاب "عندما ترعى الذئاب الغنم"– رفاعي سرور

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

لاشك أن الإيمان بالغيب يعتبر من أصعب الأشياء على الإنسان، وإن كان يرى أو يحس آثاره كل يوم وليلة، وهو من أجل هذا جعله الله علامة من علامات صدق المرء في إيمانه، ﴿ **الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾، فجعل الله سبحانه الإيمان بالغيب من أهم سمات المؤمن الصادق.

ومن الغيب، الإيمان بالجن، مسلمهم وكافرهم، مطيعهم وعاصيهم، كما جاء تفصيل ذلك في سورة الجن وسورة الأحقاف وغيرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. والشيطان أو إبليس يعتبر أبو الجن ورأس الشر فيهم، منذ خلق الله آدم وحتى تقوم الساعة.

لا همّ لهذا المخلوق سوى التعرض لطريق الهداية بالغواية، وسد طرق الخير بعقبات الشر ﴿ **لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾،

﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أفتك الأسلحة التي يستعملها الشيطان في مواجهة الإنسان، سلاح الكيـــد. يقول العلامة ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان): "ومن كيد عدو الله تعالى، أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَـــافُونِ إِن كُنـــتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾(آل عمران ١٧٥).

ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيّل له أنه يضره، فلا إله إلا الله.

كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمـــان والإحسان؟ وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟ وكم بهرج من الزُّيوف على الناقدين وكم روّج من الزغل على العارفين؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهـــم في سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزيّن لهم عبـــادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مـــع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الـــرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التتريه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ (المائدة ١٠٥) والإعراض عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام في قالب التقليد، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيـــشي الـــذي يندرج به العبد بين الناس.

فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل حين قتل أخـــاه، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم، وصـــاحب قـــوم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صالح حين أهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خسف بهم وأتبعوا بالرجم بالحجارة، وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الرابية، وصاحب عباد العجل حين جرى عليهم ما جرى، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر، وصاحب كل هالك ومفتون." اهـ.

هذا هو الشيطان، وتلك هي مكائده وحباله التي يتربص للعباد بها الدوائر، ويقعد لنا بها كل مرصد، فمعركتنا معه أبدية، لا نملك معها إلا اليقظة والحيطة والحذر ثم الإعداد وجمع ما يلزم من عتاد للدخول فيها لنبحث عن أسباب النصر فنحققها في أنفسنا، ونتعرف عن أسباب الوهن والهزيمة فنتجنبها، كي يُكتب لنا النصر على هذا المخلوق العجيب والخطير، أو على الأقل نقاوم أسلحته ونرد هجماته حتى لا نسقط صرعى في وحل إغراءاته وشهواته، فنكون من الخاسرين والهالكين، ونكون سبباً لتعطل واجبات الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، التي من أجلها كرّمنا الله تعالى لنتميز عن باقي الخلائق وعلى بقية الأمم، فنفوز برضوانه وجناته، ﴿ **وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾.

أبو سعد العاملي – شوال ١٤٢٢ هـ

مقدمة

كم أنا فخور ومعتز بتقديم هذا الكتاب الرائع للأخ الشيخ رفاعي سرور، الذي لم أقابله ولا أظن أنه يعرفني، ولكنني متأكد من أن أرواحنا جنود مجندة في عالم الغيب، وبأن الله تعالى كفيل وقادر على جمعهما.

حسبي أني وقفت على هذا الثغر الخطير، أحاول فيه إظهار ما خفي على الكثير من أبناء الأمة، تتجلى هذه الخفايا في مخاطر وعقبات ومكائد هي أقرب إلينا من أنفسنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي بين جنبينا، ولا نعير لها كبير اهتمام، بسبب غفلتنا وتأثير الشيطان علينا- كل على حسب ما تجرع من هذا التخدير الحلو والمر في آن واحد-.

فالشيطان يحاول أن يجرنا إلى حزبه وصفه لكي نرافقه إلى مصيره المحتوم، ويستعمل في سبيل تحقيق ذلك كل الأساليب الممكنة التي لا يمكن أن تخطر على بالنا، وبضحي في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، ويستميت ويصر ويعاود الكرّة تلو الكرّة، في الوقت الذي نقف فيه موقف اللامبالاة والغفلة والاستهانة بهذا المخلوق العجيب والخطير، فنظن أن مجرد لعنه وتحقيره من شأنه أن يحسم المعركة لصالحنا ويرتد كيده إلى نحره. بينما المطلوب منا أكثر من ذلك بكثير، فلابد من معرفته والاطلاع على أساليبه وحيله، ثم لا بد من الاستفادة من وسائله وأساليبه، وأخيراً – وليس آخراً- لابد من امتلاك أسلحة مضادة والدخول معه في معركة فاصلة متواصلة، لا نيأس ولا نغفل ولا نتراجع ولا نضع السلاح حتى يحكم الله بيننا وبينه، أو حتى نلقى الله ونحن مسلمون ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾.

حرص الكاتب على إبراز خصائص وسمات الشيطان خلال معركته الفاصلة والدائمة معنا، كفرد ثم كجماعة، وأدرك جيداً خبايا هذه المعركة وسماتها وعتادها ومختلف مراحلها، ثم بيّن لنا بعد ذلك تأثير الشيطان على مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية حاضراً ومستقبلاً، ومدى الحضور القوي والدائم للشيطان في كل هذه الأحداث ثم مدى تأثيره على أوليائه وتسخيرهم لحرب أصحاب الحق ومحاولة وأد كل عمل صالح، وشحذ همم أوليائه لمحاربة الحق وأهله، وإن كانت الضرورة تقتضي منه تدخله الشخصي في بعض المواقف الصعبة والحاسمة.

ووقف الكاتب على حقيقة هامة يجدر بنا التنبه لها وعدم غفلتها لكي نستطيع فهم هذا الواقع ونكون أهلاً للدخول في الصراع مع الباطل، وأهم من هذا كله، نستطيع امتلاك عقيدة سليمة صحيحة تجاه التجمعات التي تحيط بنا وأخص بالذكر هذه الأنظمة الحاكمة في العالم (الكافرة منها أو المرتدة)، وهي كونها – أي هذه الأنظمة - تستمد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرعيتها من الشيطان، وهو الذي يقوم على تسييرها والوحي لها والتأثير فيها، ليتحقق عليهم قول الله عز وجل ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ** ﴾، فأصبحوا أولياءه المخلصين، يأتمرون بأمره ويقدمونه في كل شيء.

ونرى ذلك جلياً في آثارهم وأفعالهم اليومية، حيث يفسدون ولا يصلحون، ويهدمون ولا يبنون، ويحاربون الحق وأهله وينصرون الباطل وأهله.

تلك هي أهم المحطات التي وقف عندها الكاتب وحاول أن يعالجها بالنص الشرعي وبتقديم برنامج نبوي لمقاومة هذا المشروع الإبليسي، ومحاولة إبطاله ومواجهته.

نسأل الله جل وعلا أن يتقبل منه ومنا، ويجزيه خير الجزاء على عمله القيم هذا، ويرزقنا وإياه حياة في طاعته وتوفيقاً لنيل رضاه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو سعد العاملي – شوال ١٤٢٢ هـ.

مقدمة الكاتب:

لمعالجة قضية الشيطان ثلاث فوائد أساسية.. شرعية ونفسية وحركية.

الفائدة الشرعية: هي حماية القضية من طابع الخرافة والشعوذة لتبرز كقضية واقعية علمية محددة وثابتة بنصوص الكتاب والسنة، بحيث ينضبط التصور الغيبي عنها بالتأصيل الشرعي له .

والفائدة النفسية: هي معالجة الشعور الإسلامي المتجهة دائماً نحو باطن الجاهلية لكشف أسراره المجهولة ومعرفة علله الخفية كمحاولة لتفسير ظواهرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعل ظاهرة الوحدة الجاهلية على المستوى العالمي هي الظاهرة التي استحوذت على هذه المحاولة الشعورية ولذلك تعاملت الجاهلية مع الشعور الإسلامي تعاملاً خطيراً فقدمت بنفسها لهذه الظاهرة وجواباً لهذه التساؤلات.. من الذي يحكم العالم؟ وكيف؟

ومكمن الخبث في هذه التفسيرات (وأشهر هذه التفسيرات هي فكرة الحكومة العالمية السرية التي يحكم بها اليهود العالم عن طريق المجامع الماسونية المنتشرة في كل أنحائه)، أنها وضعت أمام الشعور الإسلامي أهدافاً وهمية وغرست الإحساس بالسيطرة الجاهلية على العالم وذلك في غيبة الإحساس بإحاطة الله لهذه السيطرة فانطبع في الأذهان أنه ليس هناك شيء في حياتنا إلا وقد أخذ وضعه ضمن المخطط المرسوم للعالم ونشأ إحساس بالتضاؤل أمام الجاهلية كمخطط لا يمكن مواجهته بل ولا معرفة غموضه، ومن هنا فإن معالجة قضية الشيطان كتفسير شرعي لباطن الجاهلية وظاهرها هي الغذاء الصحيح للشعور الإسلامي المتلهف نحو كشف هذا الغموض، كذلك فإن هذه المعالجة ستكون حرزاً حقيقياً من إحساس التضاؤل الناشئ عن هذا الغموض.

والفائدة الحركية: تبدأ بتقرير أن الاستضعاف هو المرحلة التي تعيشها الجماعة المسلمة وأن هذا التقرير يقتضي ارتباط الفكر الإسلامي بالمرحلة التي تعيشها الجماعة والارتباط بين الفكر والمرحلة ليس مجرد التركيز على القضايا المكية التي عايشتها الدعوة قبل التمكين.

ولكنه يكون بتصور كل قضايا الإسلام من خلال التحديد المنهجي للدعوة، وذلك باعتبار أن هذا التحديد هو الإطار الأساسي لفكر المرحلة الذي يعالج آثارها ويحقق الخلاص منها.

وفي هذا الارتباط حياة للقضايا وصواب للمنهج. وقضية الشيطان دليل على حتمية هذا الارتباط.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعندما خرجت هذه القضية من إطار التحديد المنهجي للدعوة، تضاءلت وصارت محدودة بغرض التحرز الفردي منه.

وكذلك عندما افتقدت مهمة التحديد المنهجي للدعوة هذه القضية، ضعف التصور الاعتقادي للعوامل الغيبية المؤثرة بصورة مضادة على واقع الحركة الإسلامية.

وارتباط قضية الشيطان بمنهج الدعوة يعني توجيهها توجيهاً حركياً تتحدد به مفاهيم فكرية وأساليب عملية في واقع الحركة الإسلامية وذلك بتأصيل شرعي تأخذ به هذه المفاهيم وتلك الأساليب الصفة الشرعية لمنهج الدعوة.

الفصل الأول

صورة قتالية

نعلم أن العداء هو العلاقة بيننا وبين الشيطان، والحرب نتيجة طبيعية لكل عداء، فإذا تأكد شعورنا بالحرب القائمة بيننا وبين الشيطان فإن هذا بالطبع سيعمق إحساسنا بقيام هذا العداء.

ولكي لا يكون شعورنا بتلك الحرب ضعيفاً أو سطحياً فإننا سنبدأ بصورة قتالية لتلك العلاقة، لأن القتال فيه من الضراوة والعنف ما يعمق الإحساس بتلك الحرب في ضمير المسلم وبهذا نعطي للعداء والحرب بيننا وبين الشيطان إحساس اليقظة والانتباه والحذر.

وإذا أخذت الحرب التي بيننا وبين الشيطان هذه الصورة القتالية رأيناها أمامنا حقيقة لها كل صفات ووسائل وتقاليد الحرب المعروفة لنا في واقعنا البشري.. فالشياطين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هم جنود إبليس سواء أكانوا من الجن أو الإنس، والله سبحانه يقول: ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** ﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥].

والعلاقة بين إبليس وجنوده علاقة ولاء وطاعة وهما أول الضرورات التنظيمية في أي حرب، والله يقول ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ [النساء: ٧٦].

وبهذا الولاء تكون الحزبية ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المجادلة : ١٩].

وحينما ينطلق هؤلاء الجنود لإضلال الناس يخرجون في سرايا بدليل قول رسول الله ﷺ: "**إن لإبليس كرسياً فوق الماء يبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم مكانة أعظمهم فتنة**" (رواه مسلم وأحمد).

ولعلنا نلاحظ أن كون الكرسي فوق الماء تحقيق لأهم تقاليد الحروب وهي إنشاء مركز القيادة بعيداً عن واقع القتال ليتحقق لهذه القيادة التركيز والنظرة الشاملة.

ولهؤلاء الجنود الخيل وهي أداة أساسية في الحروب وفي هذا يقول الله سبحانه ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ (الإسراء: ٦٤).

وفي هذه الحرب السهام، وهي كذلك أهم أداة الحروب، والنبي ﷺ يقول: "**النظرة سهم من سهام إبليس يصيب بها قلب المؤمن**". ولعلنا نلاحظ أن هذه السهام تصيب وأن إصابتها قاتلة لأنها تصيب القلوب وأنها بتوجيه القائد نفسه إذ أن الرسول ﷺ أضاف السهام إلى إبليس ذاته فقال: "**من سهام إبليس**" (رواه الحاكم وأحمد).

وفي هذه الحرب تقاليد النصر والهزيمة، فكما أن المنتصرين في الحرب يرفعون راية النصر فإننا نجد ذلك في حرب الشياطين إذ يقول الرسول ﷺ: "**ما من خارج يخرج من**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيته إلا ببابه رايتان، راية بيد ملك وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله عز وجل اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ومن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته" [١].

وكما ترفع الراية في موقع الانتصار فإنها تبقى مرفوعة في مواقع الاحتلال المستمر، ويقول النبي ﷺ: " **لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته"** [٢].

فدلّ ذلك على أن السوق موقع احتلال الشيطان ولذلك يقول النبي ﷺ في حديث آخر: " **أشر الأماكن الأسواق"** [٣].

وفي هذه الحرب العنف والشدة، والله سبحانه يقول: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ (مريم ٨٣)، والأز هو الحركة العنيفة للماء عند الغليان).

وفي هذه الحرب التربص والترصد لقول النبي ﷺ: " **إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه"** [٤].

ثم يكون الحصار بعد الترصد بدليل الآية ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ (الأعراف: ١٦-١٧).

وفي هذه الحرب الشراك بدليل قول رسول الله ﷺ: " أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه" [١].

---

[1] رواه أحمد والبيهقي والطبراني في الأوسط بسند جيد – الدين الخالص ج ٩ ص ٦

[2] رواه مسلم

[3] رواه مسلم وأحمد

[4] رواه مسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الحرب الحراسة المشددة وهذا ما واجهته الشياطين لما صعدت إلى السماء لاستراق السمع فقالوا: ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً** ﴾ (الجن: ٨-٩).

فلا تكون هناك ثغرة من خلال فراغ، ولا من خلال حارس ضعيف لأنها ﴿ **مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً** ﴾، بل إن مجرد الاقتراب من السماء من أي جانب أصبح أمراً مستحيلاً لأنهم ﴿ **لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ** ﴾ (الصافات: ٨).

ولكن الشياطين في تلك الحرب لا تيأس، بل هي تواجه هذا الموقف الخطير بالأسلوب الانتحاري الذي يقدم به الفرد على مهمة معروفة النتيجة فيقول النبي ﷺ في الشياطين التي تسترق السمع هكذا واحد فوق آخر – ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض – فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه" [٢].

وفي هذه الحرب يكون الأسر، وهذا ما حدث لما قبض رسول الله ﷺ على أحد الشياطين الذين تسللوا إلى المدينة فأخذه وأراد أن يربطه في سارية المسجد، كما جاء في مسند أحمد: " أن رسول الله ﷺ صلى صلاة مكتوبة فضم يده فلما صلى قالوا: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ فقال: لا، إلا أن الشيطان أراد أن يمر بين يدي فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وأيم الله لولا ما سبقني إليه أخي سليمان (يعني دعاء سليمان "رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي") لارتبط إلى سارية من سواري

---

[1] بفتح الشين والراء في رواية، وفي الأخرى بكسر فَسُكون، والحديث رواه الترمذي

[2] رواه البخاري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسجد (والربط في سارية المسجد كان من تقاليد أسر زعماء الكفار حتى أمر رسول الله بربط ثمامة بن آثال سيد أهل اليمامة) يطيف به ولدان أهل المدينة"[1].

ولذلك كان رسول الله يقول لأبي هريرة عندما أتاه الشيطان وهو يحرس بيت المال: "... **ماذا فعل أسيرك الليلة؟**".

ولما حرم الله سبحانه وتعالى على الشياطين التحرك في رمضان لم يكن ذلك بإلزام شرعي طبعاً لأن الشياطين لا تخضع لأي إلزام شرعي، وإنما كان بتعجيزهم عن الحركة وذلك بأسرهم كما قال رسول الله: "**إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين فلا تستطيع أن تصل إلى ما كانت تصل إليه غيره**" وفي رواية: "**صفدت الشياطين**".

وكما يقع الأسر على الشيطان فإنه يقع أيضاً منه على الإنسان ودليل ذلك حديث عائشة إذ قالت: "حدث رسول الله ﷺ نساءً ذات ليلة حديثاً، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله كأن الحديث حديث خرافة. فقال: **أتدرون ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهراً طويلاً ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس: حديث خرافة**"[2].

وفي هذه الحرب فكرة السحق الشامل وفي ذلك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: "**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**"[3].

وهذا ما ظنه إبليس ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** ﴾ (سبأ ٢٠)، ذلك لأن إبليس قال في البداية: ﴿ **لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (الإسراء ٦٢)، ومعناها: لأستأصلن.

---

[1] رواه البخاري والنسائي.
[2] رواه أحمد
[3] رواه مسلم وأحمد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الحرب أسلوب الاغتيال بدليل قول رسول الله ﷺ: " **اللهم إني أسألك العافية في الدنيا، احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**"[1].

وذلك في تفسير قول الله على لسان إبليس: ﴿ **لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ (الأعراف: ١٧).

وفي هذه الحرب الحصون التي يلجأ إليها الجنود حماية لأنفسهم. ففي حديث الأشعري أن النبي ﷺ قال: "**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها**... " فكان مما قال لهم: "**وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم.. كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**"[2].

وفي هذه الحرب.. الجوار، وقد أراد الله سبحانه أن يحفظ عبداً من عباده من ضراوة تلك الحرب فأجاره من الشيطان بدليل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ألم يكن فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ – يعني عمار بن ياسر" [3].

وإجارة الله سبحانه وتعالى تؤكد شدة الخطر الذي يحيط بهذا العبد حتى اقتضى الأمر هذا الجوار الإلهي.

[1] رواه النسائي وابن ماجه
[2] الترمذي
[3] البخاري وأحمد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقييم عــــــام:

بعد تحديد الصورة القتالية للحرب بيننا وبين الشياطين يحسن أن نقيم هذه الحرب لتحقيق مزيد من العمق للإحساس بالعداء بيننا وبين الشيطان ونبدأ حقائق التقييم بالنتيجة النهائية لتلك الحرب لترى أن خسائر البشر فيها من كل ألف: تسعمائة وتسع وتسعون..

ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ عن الله عز وجل: "**يقول الله لآدم يوم القيامة: يا آدم ابعث بعث النار، فيقول يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألــف تــسعمائة وتسع وتسعون في النار وواحد في الجنة**" [1]. وهذه النتيجة الرهيبة هي تفسير قول الله عز وجل: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ** ﴾. (الأنعام: ١٢٨).

وقوله عز وجل على لسان إبليس: ﴿ **لاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـــاكِرِين** (الأعــراف: ١٨).

ومما يزيد هذه النتيجة رهبة هو علمنا بأن هذا الواحد من الألف الذي نجـــا، لم تتحقق له النجاة إلا بفضل الله ورحمته بدليل قول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْـــشَاء وَالْمُنكَـــرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (النور: ٢١).

ومن هنا كان من حقائق تقييم هذه الحرب، فرح الله عز وجل بعباده النـــاجين منها بدليل قول رسول الله ﷺ: " **لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجـــل في أرض دوية – مهلكة – معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده طعامه وشرابه، فـــالله**

[1] البخاري ومسلم والترمذي وأحمد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده" [1]. وفي رواية: **"فقال من شـــدة فرحه: اللهم أنت عبدي وأنا ربك"..**

هذه هي الحرب، وهذا هو الخطر الذي يفرح الله بالناجين منها كما فرح هذا الرجل الذي ضلت ناقته بل أشد.

[1] رواه الجماعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقفات تربوية مع غزوة نيويورك وواشنطن

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ** ﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله الفرد الصمد، الجبار المتكبر، الفعال لما يريد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: "**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**" [مسلم]، والقائل: "**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز أو ذل ذليل، عزاً يعز به الله الاسلام وذلاً يذل به الكفار**" [رواه أحمد والطبراني]، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فإنه مما لا شك فيه أن الأيام دول بين الحق وأنصاره من جهة وبين الباطل وأعوانه من جهة أخرى، وبأن الباطل مهما علت رايته ومهما شع نجمه، فإنه لابد إلى زوال على أيدي معاول أصحاب الحق ﴿ **وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾[الإسراء]، ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾[الأنبياء ١٨].

ومن سنن الله تعالى في هذا الكون أن يسلط أعداءه – في بعض الأحيان– على أصحاب الحق تسليطاً قدرياً، وذلك بسبب تخلف أسباب القوة والتمكين لدى هؤلاء وبعدهم عن المنهج الحق، وامتلاك هذه الأسباب المادية القدرية من قبل أعدائهم، فيتحقق لهم النصر والتمكين على أصحاب الحق.

ولكن في نفس الوقت، لا يمكننا القول أن هذه الفترات شر كلها بل قد يكون فيها الخير الكثير لأصحاب الحق، باعتبار أنها تجعلهم يتعرفون على حقيقة الباطل ويذوقون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من بطشه وذله، وهذا بدوره يدفعهم إلى البحث عن تجاوز مرحلة الهزيمة والرجـــوع إلى وضعهم الطبيعي والشرعي ﴿ **وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾[النساء].

لقد مرت الأمة الإسلامية بفترات حالكة، تميزت ببعدها عن منهج ربها وتمكُّـــنِ الأعداء منها، ولكن سرعان ما كانت تتدارك الأمر فتعود الأوضاع إلى سابق عهدها ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّـــهِ** ﴾[آل عمران]. فكانت الحلقة الأخيرة من سلسلة الكبوات تلك التي تعيشها الأمة منذ إســـقاط الخلافة العثمانية في الربع الأول من القرن الماضي، والتي تميزت بالسيطرة المطلقة لقـــوى الكفر والردة على مناصب الحكم، بعدما قسّموا الأمة الإســـلامية إلى أجـــزاء متنـــاثرة، ووضعوا الحدود والسدود لعزل الشعوب ومنعها من العودة إلى دينها لتغيير الأوضـــاع. ولكن رغم كل هذا خرجت جماعات الحق من تحت ركام الذل والـــصغار، جماعـــات متناثرة هنا وهناك، قدمت الغالي والنفيس وسبحت ضد التيار وخالفت كل الأعـــراف والقوانين الوضعية، فأحيت فريضة الجهاد في النفوس، وأعادت الأمل للشعوب بإمكانيـــة الرجوع إلى موقع الريادة وإزالة هذا الركام من التبعية والذل والهوان. فتحقق لها ما عملت لـــه وما أراد الله لها أن يكون، وفق قضائه وقدره، وتبعا لحكمته، وبالقدر الذي يكـــون فيه المصلحة لدينه ومنهجه.

وقد كان تنظيم القاعدة رأس الحربة في قافلة التغيير هذه، والضمير الحـــي لهـــذه الأمة وقلبها النابض في مقاومة هذه السلبيات ومحاولة النهوض بالأمة للعودة إلى دورهـــا ومكانتها الريادية.

إن تنظيم "قاعدة الجهاد" يمثل مَصبا للتجارب الجهادية الـــتي عرفتـــها العقـــود الأخيرة، سواء في داخل بلداننا أو داخل أفغانستان والبوسنة ثم الشيشان، حيث التقـــت هناك جماعات الطائفة المنصورة من كل لون وجهة، أتوا من كل فج عميـــق، لنـــصرة المسلمين على هذه الأراضي أولاً ﴿ **وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاق** ﴾[الأنفال]، وأداء فريضة الجهاد ثانياً ﴿ **انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَـــالاً**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾[التوبة]، وتطبيقاً لواجب الإعداد ثالثاً ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾[الأنفال].

فهذا التنظيم عصارة نادرة وثمينة ترعرعت على يد الله وتحت عينه، كأن الله تعالى كان يُعدِّها لهذه الأيام التي لها ما بعدها ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ ... ﴿ **ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى** ﴾[طه]، فموسى عليه السلام ترعرع في كنف فرعون الذي كانت نهايته على يد موسى بقدر من الله وإرادته بعد بضع سنين، فنبي الله موسى لم يتربَّ على يد فرعون بل على يد الله عز وجل وتحت عينه ولكن داخل قصر فرعون ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾[طه]، حيث سخَّر الله تعالى فرعون وما يملك كأداة ووسائل قدرية ساعدت على تنشئة موسى بدنياً وعقلياً وحتى علمياً، وهي كفاءات يحتاج إليها كل قائد فضلاً عن نبي مرتقب. أما الشطر الأهم الذي يتعلق بالجانب الروحي والإيماني فقد تلقاه موسى خارج القصر وبعيداً عن التلوث الفرعوني وفساده النموذجي ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[القصص]، وكذلك صنعت وريثته أمريكا وهاماناته وجنودهما في هذا العصر، فما تركوا فساداً إلا ونشروه في الأرض، وما تركوا صلاحاً إلا وحاربوه وحاولوا إزالته.

تلقى موسى هذه التربية الإيمانية تحت عين الله وبصره، في أجواء نقية صافية من كل الشوائب ﴿ **فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى** ﴾[طه].

وها نحن نرى هذه الآية تتكرر اليوم حيث كان مجاهدو القاعدة قد تربوا وكسبوا الخبرات العسكرية والأمنية على مرأى ومسمع من القوات الصليبية والمرتدة خلال الجهاد الأفغاني ضد القوات الشيوعية، بل أحياناً كانت تأتيهم بعض المساعدات المادية واللوجستية من قبلهم، فكان هؤلاء الصليبيين والمرتدين كمن يحفر قبره أو يخرب بيته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيديه. فأرسل الله تعالى على فرعون العصر/ أمريكا وحلفائها، الآيات العظيمة وهي عبارة عن آلام عديدة ومتنوعة .[1]

ولا زالت هذه الآلام مستمرة وقائمة على جميع الأصعدة، وآخرها هذه الحرائق والفيضانات والأعاصير التي أرسلها الله تعالى وأشغل بها فرعون العصر/أمريكا، والقادم أعظم وأدهى وأمر.

ما يمكننا تسجيله بمناسبة الضربة الجهادية العظيمة في قلب أمريكا وما اصطلح عليه إسلامياً بغزوة نيويورك وواشنطن (نيويورك مثّلت غزواً ونصراً اقتصادياً عميقاً، وواشنطن مثّلت غزواً ونصراً عسكرياً وسياسياً).

قبل الغزوة المباركة كانت أمريكا تظن نفسها إلهاً ورباً أعلى وذلك بسبب خضوع الناس وطاعتهم لها، ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾[النازعات]، ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾[القصص]. فكانت تظن أنها ستبقى تتحكم في رقاب البلاد والعباد إلى ما لا نهاية، خاصة بعدما انهار النظام الشيوعي- سياسياً واقتصادياً - وخلت لها الساحة لتنشر دينها دون رقيب ولا حسيب، وبالرغم من تواجد بعض الحركات الإسلامية هنا وهناك ومباشرتها لبعض الأعمال في بعض البلدان، فقد كانت تحسبها أمريكا مجرد فقاعات صابون سرعان ما ستختفي بسبب غياب القيادة القادرة عل جمع هذه الفلول الشاردة، والدليل أنها لم تراع الاهتمام اللازم والكافي لجماعات الجهاد التي شاركت وساهمت في هدم النظام الشيوعي البائد، وكانت تنظر إليها على أنها مجموعة من المرتزقة جاءوا ليأخذوا نصيبهم من الغنائم في هذه الحرب الطاحنة ثم يخدمون مصالحها بالقضاء على النظام الشيوعي البائد، وسرعان ما سيسيحون في الأرض بحثاً عن مواقع جديدة يشفون فيها غليلهم، فانتقلوا - بالفعل - إلى أراضي جديدة مثل بلاد البلقان خاصة البوسنة والهرسك وكوسوفا ثم إلى الصومال وأخيراً إلى بلاد القوقاز خاصة داغستان والشيشان،

[1] انظر مقالنا "إنهم يألمون كما تألمون" – صفحة (٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تحولت إلى أفغانستان ثانية. ثم أخيراً وليس آخراً ها هي عصابات الجهاد تبدأ بمقارعة أنظمة الردة في بلداننا المحتلة .[1]

فلم يكن يخطر ببال هؤلاء الأمريكان وحلفائهم أن يأتي اليوم الذي تلتحم فيه هذه العصابات المقاتلة في شكل تجمع محكم التنظيم قادر على مواصلة مغامرة الجهاد فضلاً عن مواجهتهم وتهديد وجودهم كما هو حاصل اليوم.

لاشك أن الدروس المستفادة من هذه الغزوة عديدة ومتنوعة، بحسب مواقف الناس منها، ولكن المجمع عليه أن هذه الغزوة، قد نجحت في التأثير على مجريات الأحداث على جميع الأصعدة، بدءاً بالجانب السياسي مروراً بالصعيد الاقتصادي والعسكري وانتهاءً بالصعيد الاجتماعي، سواء داخل كيانات الأعداء أو على مستوى الأمة ذاتها، فقد كانت بداية الألفية الثالثة مطبوعة ببصمات جهادية وضربات مفاجئة ستكون بحول الله بداية النهاية لأعداء الله ونهاية الانتكاسات والذل والصغار لعباد الله وأوليائه المجاهدين.

فالزلزال كبير والتصدعات عميقة والتشققات واسعة، يصعب لملمتها وإعادة البناء كما كان من قبل، فالضربة جاءت مفاجئة للجميع، وهذه هي عين الحكمة والتطبيق السليم لأمر رسولنا الكريم: "**الحرب خدعة**". وقوله عليه الصلاة والسلام: "**اليوم نغزوهم ولا يغزوننا**".

سأقف على بعض الجوانب التربوية لهذه الغزوة المباركة، على أن يغطي الإخوة الأحبة الجوانب المتبقية من الصورة وأقصد الجوانب الإيمانية والاستراتيجية والسياسية.

سنذكر أهم مميزات الغزوة عن باقي الغزوات أو بالأحرى المعارك التي دخلت فيها جماعات الجهاد مع طوائف الكفر والردة؟ ثم نبين أهم مميزات رجال الغزوة؟ ثم ما هي التأثيرات العميقة التي أحدثتها في النفوس، نفوس مختلف الطوائف المشاركة أو المحيطة بحلبة الصراع؟ وأخيراً ما هي الواجبات المطلوب أداؤها من قبل هذه الطوائف، لكي يأخذ

[1] تبرز الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر وتنظيم أبو سياف في الفلبيين كأبرز مثال على هذا النوع من الجهاد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الصراع منحاه الطبيعي أو السني؟ هذا ما سأحاول الإجابة عليه في الصفحات القادمة من هذا المقال.

أولاً: أهم مميزات الغزوة

- أنها غزوة ذات طابع ديني بحت، حيث أن الأهداف المعلنة من قبل المجاهدين هي ضرب العدو من أجل إخراجه من جزيرة العرب، تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ: "**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**" وهو شعار مهجور ومن شأنه أن يجمع شتات المسلمين والمجاهدين تحت قيادة واحدة، لإعادة مفهوم الخلافة والأمة الواحدة، ولا شك أن العدو نفسه قد أدرك هذه الخاصية وأعلن هو الآخر عن الصبغة الدينية لهذه الغزوة حينما أعلنها حرباً صليبية على المجاهدين بخاصة وعلى الأمة بعامة.

- أنها غزوة شاملة، بحيث غطت جميع الميادين الحيوية، و لم تعد عسكريةً أو تقليدية كما هو شأن المعارك السابقة، حيث طالت الميدان الثقافي والإعلامي والاقتصادي بدرجة كبيرة. وعليه فقد أصبحت الحرب من التعقيد بمكان، كما أنها باتت تتطلب جنوداً يتوفرون على كفاءات متميزة وفعالية عالية في الأداء، بالإضافة إلى السمات الإيمانية والجهادية التي تميزهم عن جنود الأعداء. وبالتالي فإن هذه الغزوة قد أججت مشاعر المجاهدين وأنصارهم وشحذت هممهم من أجل تطوير هذه الكفاءات والخبرات والبحث عن مواطن الضعف في بنيات العدو، الشيء الذي لم يكن متوفراً من قبل، حيث كان هناك نوع من الإحجام والتخوف والإحساس بالدونية والضعف لدى المجاهدين.

لقد تعقدت المعركة وتشعبت سبلها، مما أدى إلى تشتت قوات العدو وتبعثرها ومن ثم ضعفها في مواجهة المجاهدين فضلاً عن القضاء عليهم - كما كان يحلم ويدّعي قبل بدء الحرب -، وكلّما استطاع المجاهدون أن يوسعوا رقعة وقطر المعركة، كلّما نجحوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في إضعاف العدو وإرباكه أكثر، وكلّما اقتربوا من تحقيق الانتصار وقلب السحر على الساحر.

- أنها غزوة ميدانها عقر دار العدو.

كل المعارك السابقة كانت تدور رحاها في أراضي بعيدة عن أمريكا، وبالتالي فالخسارة كانت قليلة إن لم أقل منعدمة على مستوى البنيات التحتية (عسكرياً واقتصادياً) أو على المستوى الأمني بصفة خاصة، ولكن الأمر يختلف هذه الأيام، حيث تحولت الأراضي الأمريكية إلى الساحة الرئيسية للحرب الدائرة، وبالتالي فوقودها هو مؤسساتها الاقتصادية والعسكرية وحتى البشرية، وهو شيء جديد بالنسبة للأمريكان لا يمكن أن يتحملوه لحظة واحدة فضلاً عن تحمله لسنوات. وهذا في حد ذاته يعتبر أكبر نصر عليهم، وأعظم خطر على مستقبلهم.

- أنها غزوة مباغتة في بدايتها، وخفية ففي استمراريتها " إنهم (أي المجاهدون) يروهم من حيث لا يروهم (أي أعداء الله)"

وهذا هو الفهم السليم والعميق لقول رسول الله ﷺ: "**الحرب خدعة**" وقوله ﷺ: "**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**"، فالعدو ينبغي ضربه على حين غرة، فهي من سنن نبينا الكريم في الحروب، وهي نقطة قوة ترجح كفة الجيش في الحرب، وتربك العدو أيما إرباك.

فالمجاهدون باغتوا العدو مرتين في هذه الغزوة المباركة، الأولى حينما ضربوه في عقر داره في الوقت الذي كان ينتظر فيه الضربة في الخارج، والثانية أن الضربة جاءت في وقت غير منتظر ودون سابق إنذار، بالرغم من تشدق العدو - فيما بعد - أنه كان على علم بالضربة ولكنه لم يكترث لها. والجميع يعلم أنه مجرد كذب لتبرير عجزه وضعف أجهزته المخابراتية في حماية كيانه.

وخفية في استمراريتها، بحيث أن الأعداء - بالرغم من كثرتهم وحسن عتادهم وامتلاكهم لكل الأسباب المادية الظاهرة - لم يستطيعوا إلى الآن أن يتوصلوا إلى القوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقية للمجاهدين، فضلاً عن معرفة أعدادهم بالتحديد أو أماكن تواجدهم، ناهيك عن القضاء عليهم، فهم يحاربون قوماً لا يرونهم ولا يمكن لهم التصدي لضرباتهم، وهذا هو رأس الرمح لدى العصابات المجاهدة، والسلاح الجديد في هذه الحرب، واللغز الذي ما زال يحير الأعداء ويرجح كفة المجاهدين في ساحات القتال إلى ما شاء الله.

الحرب مستمرة، ويستمر معه نزيف العدو على جميع المستويات، خاصة في الجانب الاقتصادي، الذي يمثل نقطة قوته وعموده الفقري، وكل المؤشرات الراهنة تشير - من الآن - إلى أن المجاهدين سيحتاجون إلى وقت غير طويل للإجهاز على العدو بصفة نهائية وهدم ما تبقى من رصيده الاقتصادي الذي ما فتئ يفخر به ويتخذه عصا سحرية لتأديب من يخرج عن فلكه أو إغراء من يدور معه حيث دار، وها هي بوادر هذا الانهيار تلوح في الأفق، وكل يوم نسمع عن فضائح جديدة في المؤسسات الاقتصادية للعدو، ولائحة الشركات المفلسة في تصاعد، وتصعد معها أمريكا كل يوم إلى الهاوية .[١]

وسوف تستمر المفاجئات السارة للمؤمنين والمفجعة لأعداء الله، مباغتة في إصابة الأهداف وخفاء في التحرك والتخطيط والتنفيذ.

ثانياً: مميزات رجال الغزوة

في البداية نود أن نسجل بأن هذه الغزوة المباركة استطاعت أن تخرج للأمة نماذج نادرة، كانت بحاجة إليها لتخرج من مرحلة الاستضعاف والجمود والصغار الذي كانت تتواجد فيها منذ عشرات السنين، وهذه النماذج - قيادة وقاعدة - أصبحت اليوم قدوة للأمة، يدعو معها شيبها ويتعلق بها شبابها ويسعون إلى تقليدهم واتخاذهم مثلاً أعلى في حياتهم. وكيف لا وهم قد تميزوا بصفات سامية تجعلهم كذلك، منها:

[1] راجع في هذا مقال "صعود أمريكا إلى اللهاوية" - في موقع النداء لمركز البحوث والدراسات الإسلامية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ – التضحية

لقد ضحى هؤلاء الأبطال بكل ما يملكون في سبيل نصرة هذا الدين، ومنذ اليوم الأول لالتحاقهم بجبهة الحق، كانوا يعلمون أن هذه البيعة ستأخذ منهم الكثير ،[1] ولقد استرخصوا كل شيء في سبيل الفوز برضا الله تعالى، فآمنوا وخالفوا بذلك كل الأعراف والقوانين، فوضحوا بمصالح مادية كثيرة وبمعارف عديدة، ثم حينما سمعوا منادي الجهاد، هاجروا ليعدوا العدة ويشاركوا بأنفسهم في هذا الجهاد المبارك – على كل أرض يوجد فيه جهاد ومجاهدون – يتنقلون بين أرض وأخرى، يبتغون الشهادة ولا شيء غيرها، ثم هاهم قد وصلوا إلى المحطة الأخيرة، حيث اختارهم الله تعالى ليكونوا من زمرة الشهداء، ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [آل عمران]، وليكونوا قرباناً لهذه الأمة ليخرجوها من هذا الهوان والاستضعاف، فقدموا أنفسهم رخيصة في هذه الغزوة المباركة وهم يعلمون أن لا رجعة بعدها إلى هذه الدنيا الفانية، بل هو تقدم وولوج إلى جنات الخلد – إن شاء الله –. فكانت هذه آخر حلقة من سلسلة التضحيات الجسام في رحلة الإيمان والهجرة والجهاد.

٢ – الانضباط

إنه من أهم العناصر التي يتميز بها التنظيم الجهادي عن التجمعات الإسلامية العادية، حيث أن تحركات الأفراد ينبغي أن تكون دقيقة ومحسوبة، ولا يُترك شيء سدى.

وقد رأينا هذا العنصر أكثر حضوراً وأعمق تجذراً في هؤلاء الأبطال الذين قضوا نحبهم في الغزوة، وفي الذين ينتظرون داخل التنظيم، لإيقاع المزيد من الأذى والألم والنكاية في الأعداء.

---

[1] انظر سلسلة مقالاتنا: "بيعة العقبة اللثالثة" من الصفحة (١٨٤) وحتى (٢٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما كان لهم أن يحققوا ما حققوه من نجاح في هذه الدنيا وينالوا ما نالوه من شهادة عليا – عند ربهم –، بغير الانضباط والطاعة لقياداتهم.

٣ – الشجاعة

كثيرون هم الذين يدّعون الجهاد ويتمنون لقاء الأعداء للإثخان فيهم، ولكن القليل من هذا الكثير من لـه الشجاعة الكافية في تخطي كل العقبات – المادية والمعنوية – لتنفيذ ادعاءاته. فالمسلم يتمنى أن يلتحق بجماعة أو تنظيم جهادي، خاصة إذا كان على مستوى تنظيم قاعدة الجهاد، ولكنه حينما تتاح لـه الفرصة لذلك، تجده يراجع حساباته وارتباطاته مع الدنيا، فيحجم في آخر لحظة ولا يستطيع اختراق هذا الحاجز الأول. ثم إذا ما نجح في تجاوزه، فإنه يجد نفسه أمام الحاجز الثاني، ألا وهو حاجز الهجرة، حيث يتحتم عليه – في كثير من الأحيان – أن يترك منصبه أو تجارته و أهله وعشيرته ليلتحق بصفوف المجاهدين، وقليل من هذا القليل يملك الشجاعة اللازمة لتجاوز هذا الحاجز الثاني.

ثم إذا ما تجاوزه بنجاح، فسيجد نفسه أمام حاجز ثالث، وهو الالتحاق بصفوف القتال فعلاً وحالاً لا ادعاءاً وقولاً، وهذا هو ذروة سنام الإسلام. وحينما يتجاوزون هذه الحواجز الثلاثة – وقد تجاوزها أبطال الغزوة بكل نجاح – فإنهم وجدوا أنفسهم أمام الحاجز الأخير، وهو تقديم هذه النفس لبارئهم ووضع أرواحهم على أكفهم وتسابقوا إلى خالقهم وهم يهتفون: " عجلنا إليك ربنا لترضى"، فسَمَوْا إلى ذروة سنام الجهاد وهو الاستشهاد في سبيل الله تعالى، نصرة لدينه وإثخاناً في عدوه وعدهم. و لم يكن بإمكانهم تجاوز كل هذه العقبات بغير الشجاعة الفريدة التي تميزوا بها، وهي قوة الدفع الربانية، التي لا يقف في وجهها حاجز.

٤ – التناسب بين العلم والعمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من بين الشبهات التي يحاول الطغاة ترويجها في حق المجاهدين – ويحذو حذوهم بعض المخذِلين والمتقاعسين الجبناء من دعاة العمل الإسلامي – هو وصف المجاهدين بقلة العلم والفقه، وبأنهم ينجرون وراء قياداتهم بدافع العاطفة أو الإكراه أو غيرها من الدوافع، وهي تهمة قديمة وُوجه بها الأنبياء وأتباعهم، ﴿ **مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ أَرَاذِلُنا بَادِيَ الـرَّأْيِ** ﴾[هود]، وقوله تعالى ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾[الكهف].

فشباب جماعات الجهاد – ومنهم أبطال الغزوة المباركة –لم يسلموا من هـذه التهم، ولكنهم كانوا فوق الشبهات، فقد فقهوا مبادئ وأصول هذا الدين، وفقهوا مبادئ الكفر والردة، وانطلقوا يعملون بما عَلِمُوا، على بصيرة ووفق ما شرعه الله تعالى وسـنَّه رسوله ﷺ وما كان عليه أصحابه وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعـين، فكانـت أعمالهم مطابقة لعلمهم، وتنفيذاً لأوامر ربهم، وليس بدافع الجهل أو العصبية أو الانتقام أو الهروب من هذه الحياة، كما يردده الأعداء والكثير من الجبناء والقاعدين من دعاة التغيير المزيف. [1]

فالمنهج الجهادي هو الذي أخرج هذه النماذج الفريدة، التي تذكرنا بأصـحاب رسول الله ﷺ، جيل قرآني فريد، يقول ما يفعل ويفعل ما يقول، يتقيد بـأوامر الـشرع الحنيف، وينضبط بها، ويملك الشجاعة الكبيرة على تنفيذ هذه الأوامر، ويضحي بكل غال ونفيس من أجل إرضاء الله وحده، دون سواه.

ثالثاً: تأثيرات الغزوة على النفوس

[1] لعلنا سنعود إلى تفصيل هذه العناصر في مقالات مستقلة – بحول الله تعالى – في أعداد لاحقة من مجلة الأنصار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبل الحديث على هذه التأثيرات، يجدر بنا أن نعدد الطوائف التي تأثرت - سلباً أو إيجاباً أو عدماً - بهذه الغزوة، وأود أن أشير إلى أن هذه النقطة تشكل صلب هذا الموضوع، كونها تمثل المادة الأساسية لهذا الصراع الدائر بين الحق والباطل، وبإمكانها - حسب موقفها وموضعها في ساحة الصراع - أن ترجح كفة هذا الطرف أو ذاك ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾[الأنفال]، فلا يمكننا أن ننكر الدور الكبير وربما الحاسم للعنصر البشري في كل معركة، وهذا ما سنحاول بيانه في السطور القادمة بحول الله، كوننا نريد أن نركز على الجانب التربوي لغزوة نيويورك وواشنطن، وهو ما سيتيح الفرصة للكثير من الناس لمراجعة موقفهم أو التمسك به تجاه مستقبل هذه الحرب الصليبية الجديدة على أمة الإسلام بعامة وعلى مجاهديها بخاصة.

يمكننا تصنيف هذه الجماعات حسب أهميتها وارتباطها بالصراع القائم كالتالي:

جماعات الأنصار

منهم من يقف إلى جانب المجاهدين في خنادق الصراع، بالنفس والمال وبكل ما يملك، فارتبط مصيرياً بالمجاهدين والجهاد، ولم يعد لديه ما يخسره أو يخاف على ذهابه من المتاع أو المناصب الدنيوية، فهو جزء لا يتجزأ من التجمع الجهادي، يأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه، يدور مع مصلحة الجهاد حيث دارت. يتمثل اليوم في الآلاف من الشباب الذين هاجروا إلى أرض الجهاد والتحقوا بصفوف المجاهدين هناك، فمنهم من يخوض المعارك مباشرة ومنهم من لا يزال في مرحلة الإعداد، ومنهم من تفرق في الأمصار في انتظار أداء دوره في هذه الحرب، في الوقت والمكان المناسبين، إنه في رباط مستمر، أينما وضع جهده فثم أجر الله إن شاء الله تعالى.

هذه الطائفة تتسم بصفات عالية من الانضباط والتنظيم، وتعتبر اليد الطولى للتجمع الجهادي، فالعدو يسميها "خلايا نائمة" بينما الحقيقة أنها خلايا يقظة وحذرة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولهذا لم يستطع العدو كشفها ولن يستطيع بإذن الله، حتى تقوم بمهامها على أحسن ما يرام في حفظ الله ورعايته.

هناك نوع آخر من الأنصار، لم يلتحقوا بعد بساحات القتال، سواء من أجل ممارسة عبادة جهاد الطلب على أراضي العدو أو ممارسة عبادة جهاد الدفع والقيام بواجب النصرة عل أراضي المسلمين المحتلة من قبل الكفار الأصليين كأفغانستان والبلقان والقوقاز وغيرها من البلدان، وذلك نظراً للقيود التي تمنعهم وللحدود التي تحول بينهم وبين تحقيق هذه المهام، هؤلاء يتواجدون في كل مكان وبالأخص في البلاد الاسلامية تحت حكم أنظمة الردة، وهم في أشد الشوق إلى ممارسة عبادة الجهاد، ولكن ينقصهم الإعداد الجيد والمطلوب، وفي انتظار تحصيل هذا، نجدهم يقومون بأعمال كثيرة تصب في نصرة المجاهدين، سواء في ميادين الدعوة أو الإعلام أو الميدان الاقتصادي والأمني ويسعون في الوقت ذاته إلى الإعداد لجهاد الدفع داخل بلدانهم المحتلة من قبل المرتدين، وقد فهموا جيداً أن لا فرق بين الكفار الأصليين وبين الحكام المرتدين على مستوى ضرورة جهادهم، فهم وجهان لعملة واحدة، بل إنهم فقهوا أن قتال المرتد الأقرب أولى من قتال الكافر الأبعد.

فغزوة نيويورك قد علمتهم أن يكونوا في الصف الثاني وفي أهبة دائمة لمواجهة الحرب الصليبية، وغرست فيهم الإحساس بالعلو والقوة مع الحذر والحيطة، وذلك حينما رأوا انبطاح الأعداء وتوليهم وعجزهم المخزي في تتبع المجاهدين أو إيقاف تحركاتهم، فقد دفعهم هذا إلى المزيد من العمل والتوكل على الله لمواصلة الطريق من أجل النكاية في العدو. ولسان حالهم يقول ﴿ **وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً** ﴾[الأحزاب ٢٢].

إنهم جنود أخفياء لهم قدرة كبيرة على تغيير مجريات الأحداث، وصبر كبير وطويل على الرباط في مواقعهم انتظاراً للأوامر وتحيناً للفرص قبل تنفيذ المهام الموكلة لهم، يكتفون بأزهد الزاد وأقل العتاد، إنهم جنود من نوع جديد لم يعهده العدو من قبل ولا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستطيع كشفه، فضلاً عن القضاء عليه، وإذا ما سقطوا في أيدي الأعداء فلا يستطيع أن يُخرج من صدورهم سوى السراب، ويجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم.

هذه النماذج تذكرنا بأنصار رسول الله ﷺ يوم العقبة ويوم بدر ويوم بيعة الرضوان ويوم غزوة الأحزاب وغيرها من المواقع الخالدة، بيعة على الموت وغاية البذل والعطاء والفداء، وبهذه النماذج يمكننا تحقيق النصر ودحر الأعداء ولا معنى لجهاد بدون أنصار، الظاهرون منهم والأخفياء.

طائفة النفاق والخذلان

لا تخلو ساحة الصراع منها عبر التاريخ كله، وقد كانت السند الرئيس لفسطاط الباطل، حتى مع وجود الأنبياء والمرسلين، فتواجدهم يكاد أن يكون جزءاً لا يتجزأ من بنية هذا الصراع وهيكله، وطرفاً أساسياً يعتمد عليه الباطل، وبدونه لا يمكن أن يثبت كثيراً في وجه الحق. لذا وجب على أصحاب الحق أن لا يغفلوا عن هذا الصنف و يتحركوا في ساحات المعارك وقد أخذوهم بعين الاعتبار، وعليهم أن يوجدوا ويجددوا الأسلحة المناسبة للتعامل معهم وكبح جماحهم.

هي التي تشتهر بالقيل والقال وطلب المعركة والنزال في أيام الرخاء ﴿ **قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾[البقرة]، ويا ليتهم وقفوا عند حد التقاعس والفرار من القتال، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وهو أنهم راحوا يسلقون المجاهدين بألسنة حداد، ويتهمونهم بصفات صنعها لهم الأعداء لتشويههم وإبعاد الناس عنهم، ولكي يحافظوا هم على مواقعهم ومناصبهم في ساحات القيل والقال البعيدة عن التطبيق والأفعال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبل غزوة نيويورك المباركة، كانت لدى هؤلاء المنافقين والمتخاذلين بعض أوراق التوت التي تستر عوراتهم وحقيقة خبثهم، حيث كانوا يملئون الدنيا بخطبهم الرنانة وبفتاواهم العجيبة، وكان الناس يقصدونهم للتوجيه وإيجاد الحلول لمشاكلهم – وهي في الغالب مشاكل تتعلق بالحفاظ على الدنيا ومتاعها –، ولكن بعد الغزوة سقطت كل هذه الأوراق، وظهرت عورات هؤلاء الأدعياء وانكمشوا ثم أزبدوا وحملوا سلاح الفتوى والبيان للتنديد بالعمليات الجهادية المباركة، واعتبارها أعمالاً وحشية لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة ولا يمكن أن يكون أصحابها سوى وحوشاً لا تعرف الرحمة، فقدموا أصدق التعازي للأعداء، ومنهم من كاد يحسب قتلاهم شهداء من فرط تأثره بما حدث ورحمته على هؤلاء "الأبرياء".

إنهم يندفعون بدافع الحسد والبغضاء للدعاة المخلصين والمجاهدين الأخيار، لأن هذا الجهاد يفضحهم ويبين حقيقتهم للناس، على أنهم مجرد جبناء مستسلمون لضغوط الواقع، يرضون بالفتات ويعملون في الإطار الضيق من الحرية الذي تعطيهم إياه هذه الأنظمة المرتدة، دين مجزأ ومشوه، يوافق أهواء وسياسات الحكام ولا يوقظ همم المسلمين ويوجهها نحو أوجب الواجبات المنوطة بأعناقهم، من دعوة وحسبة وجهاد.

لم تكتف هذه الطائفة بالتقاعس عن الجهاد وخذلان المجاهدين، بل راحت تثبِّط الناس عن ذلك وتنشر الأباطيل والإشاعات المغرضة لصد الناس عن طريق الجهاد أو نصرة المجاهدين [١]، ومن هنا يكمن خطرهم ويتعين على جماعات الحق أن تتنبه لدورهم الخبيث والمخزي وتسعى إلى التعامل معهم بكل حزم وشدة، لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولن يكون من الحكمة ترك الفرصة لهؤلاء الخبثاء أن يلعبوا هذا الدور الخطير في مأمن وفي منأى من رد الفعل الصارم الذي يُقزِّمهم ويفضحهم أمام الملأ، ويقلب سحرهم عليهم.

[1] انظر مقال سيف الدين الأنصاري " فلعرفقتهم بسيماهم" – العدد ١٢ من الأنصار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طائفة الوسط: السمَّاعون لهم

هم الذين يمسكون العصا من الوسط، أو يقفون موقفاً وسطاً بين طائفة الحق وأنصارهم وبين طائفة النفاق والخذلان، وهم الذين يحتاجون دوماً وفي كل لحظة إلى من يذكِّرهم بواجباتهم تجاه دينهم، وبمجرد أن تغفل عنهم لفترة ولو قصيرة فإنك ستجدهم قد غيروا مسارهم وتخلَّوا عن الصف والتحقوا بالمُخذِلين ﴿ **وفيكم سَمَّاعُونَ لَهُمْ** ﴾[التوبة]، وتجدهم يرددون شبهات هؤلاء بغير فهم ولا وعي، بعيداً عن سنن الله في الدعوات والصراعات مع الباطل.

لسان حالهم يقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ **قالوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا** ﴾[الأعراف]، إنه موقف متشابه ومتكرر وكأن هذا النوع من النفوس قد شربت من نفس النبع وجبلت على التذمر والشكوى وعدم التحمل في سبيل الله، تود لو أن الله تعالى يمنحها الجنة في الدنيا وفي الآخرة دون أن تقدّم أدنى ثمن في سبيلها.

قبل الغزوة المباركة كان هؤلاء القوم يلقون بعض الأذى من طرف الطغاة من المرتدين والكفار الأصليين، سواء داخل بلداننا المحتلة أو داخل بلدان الكفر الأصلية، ويتمثل هذا الأذى في المضايقات المتكررة والمتواصلة على بعض الأنشطة والأعمال التي يريدون أن يتميزوا بها على الأعداء خاصة على مستوى الهدي الظاهر، وبعد الغزوة تضاعف هذا الأذى وتنوعت هذه المضايقات حتى طالت هذه الفئات في بعض مصالحهم الدنيوية، وعندئذ ثار غضبهم وألقوا اللوم على المجاهدين الأبرار واعتبروهم السبب المباشر والوحيد فيما يلاقونه.

لقد أوذينا من قبل الغزوة وها نحن نلقى أذى أكبر ومضايقات أوسع بعد الغزوة، ها نحن نخسر مواقع كثيرة ومكاسب عديدة وتُسد في وجوهنا أبواب للخير متعددة، فلا بارك الله في هذه الغزوة ومن كان وراءها. وهكذا تظل هذه الفئات تردد هذه اللعنات ما دامت الابتلاءات والمحن تنزل عليها، وهي مرشحة للمزيد والتصعيد والاستمرارية ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دامت الحرب دائرة بين معسكر المجاهدين وبين أعدائهم من حلف الصليبيين واليهود والمرتدين.

ستظل هذه الفئة مستاءة من الوضع القائم، حتى تغير ما بداخلها، وتقرر الانتقال إلى مستوى أعلى من الالتزام وتَحَمُّلِ المسؤوليات، وستظل ظاهرة الوسطية أو "السمَّاعون لهم" موجودة في الساحة ولا يمكننا القضاء عليها بصورة نهائية، ولكنه باستطاعتنا تحويل أسماعهم إلى خطابات وبيانات الحق ليتحولوا إلى "سمَّاعون لنا" ريثما يلتحقوا بالصف المجاهد ولو في موقع النصرة والتأييد بدلاً من هذا الموقف المعادي والمثبط.

ولاشك أن المجاهدين (سواء في تنظيم قاعدة الجهاد أو من يناصرهم) قد أصبح لخطاباتهم دويٌّ وتأثير حسن لدى الكثيرين، وأصبح باستطاعتهم أن يؤثروا إيجاباً ويصنعوا لأنفسهم مكانة مرموقة ومحترمة حتى بشهادة الأعداء أنفسهم، وخير دليل على صدق هذا الكلام هو الخوف الكبير الذي أحدثته خطابات وبيانات المجاهدين في أوساط العدو ومسارعة هذا الأخير إلى إغلاق كل المنابر الإعلامية للمجاهدين ومناصريهم لمنع هذا التأثير الخطير على نفوس الناس، وتحولت أسماع هذه الطائفة/ الوسط - شيئاً فشيئاً - إلى خطاب المجاهدين بعد أن ظلت حبيسة الخطاب الطاغوتي ردحاً من الزمن.

طائفة المتفرجين

يشكلون نسبة لا بأس بها في الساحة، لا ينتمون للطوائف سالفة الذكر، أهم سماهم أن لديهم القابلية للانتماء لطائفة الحق أكثر من غيرها، ويفضلون - خلال فترة الحرب - أن يبقوا بعيدين عن الخنادق ينتظرون النتائج، وربما يصفقون ويفرحون لانتصارات المجاهدين، لكنهم لا يشاركون أبداً باليد أو اللسان، إما خوفاً من الأعداء أو لعدم قناعتهم الكاملة بخط المواجهة، يكتفون بالتفرج، لا يخذلون الباطل ولا ينصرون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحق، ينطبق عليهم قول ربنا عز وجل ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ** ﴾[النساء]

فما دامت حرارة المعارك لا تمسهم فإنهم يقفون هذا الموقف المحايد، والذي يعتبر إيجابياً نوعاً ما بالنسبة للمجاهدين ، وهو خير من أن يكونوا مع جبهة الباطل يكثِّرون سوادها وينصرونها، فيسقطون في دائرة: "السَّمَّاعُونَ لَهُمْ".

إن موقع هؤلاء وموقفهم من الصراع مرتبط بموقف الأعداء منهم، بمعنى أنه غير ثابت، فكلما زاد ضغط العدو عليهم كلما زاد اقترابهم منهم وأدى بهم هذا إلى الدخول في معسكر هذا الأخير وأصبحوا طرفاً غير مباشر في الصراع الدائر.

وفي الجهة المقابلة،كلما حقق المجاهدون انتصاراً أو تقدماً واقتربوا من النصر النهائي،كلما رأينا هؤلاء يلتفون حولهم ويعبِّرون عن فرحهم والكثير منهم ينضم إلى الصف الإسلامي ويوسع دائرة الإسلام، كما يشير إلى ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** ﴾[النصر].

والناظر إلى الصراع القائم اليوم بين أهل الحق والإيمان بقيادة تنظيم "قاعدة الجهاد" وحركة "طالبان" وبين أهل الباطل والكفر بقيادة أمريكا، يجد نماذج كثيرة من هذه الطائفة تتمثل في أفراد وجماعات محسوبة على الإسلام ويدّعي الكثير منهم أنه من أقطاب العمل الإسلامي، نراهم في قاعة الانتظار يتفرجون على المعركة ولا يقومون بأي شيء في سبيل نصرة الحق، رغم وضوح طبيعة المعركة وتميز الصفوف، وتراهم أحياناً يقومون بدور التثبيط وتشويه سمعة المجاهدين، بحجة أن الوقت غير مناسب للدخول في معارك مع العدو، أو أن هذا من شأنه أن يعرقل مسيرة الدعوة ويشوهها في عيون غير المسلمين. ويا ليتهم وقفوا موقف الحياد واكتفوا بالتفرج لكان خيراً لهم، ولكفوا المجاهدين عناء الرد عليهم وكشف شبهاتهم وفتح معارك هامشية ستهدر فيها الكثير من الجهود نحن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في حاجة إليها لمقارعة شبهات الأعداء والإعداد لهدم ما تبقى من كياناتهم وهالاتهم المنتفشة.

وكأني بلسان حال هؤلاء المتفرجين يقول: " قلوبنا من الآن معكم، أما ألْسِنَتُنَا فَتنتظر ما ستسفر عنها المعارك لتقول كلمتها، وأما جوارحنا فهي مكبلة فاعذرونا"، وهذا هو حال غالبية المسلمين اليوم تجاه الأحداث.

صمت وترقب، لامبالاة وجمود، حسرة وأسى، ولا شيء يُتَرجَمُ فعلاً على أرض الواقع، بل إن الكثير من هؤلاء قد فقَدَ حتى ذلك التفاعل السلبي، و لم يعد يملك الوقت للتفرج أو الترقب، فتراه لاهياً يحرق ساعاته في اللهو واللعب أو في الركض وراء لقمة العيش الملوثة بالذل والصغار في ظل أنظمة الكفر والردة.

إن تأثير الغزوة المباركة على نفوس هؤلاء كبير، لكنهم وضعوا رؤوسهم في رمال اللامبالاة، يحاولون إشغال أنفسهم في متطلبات الحياة اليومية للابتعاد عن متطلبات النصرة والتأييد للمجاهدين الأخيار.

إن الموقف الواجب اتخاذه تجاه هؤلاء هو المحافظة على بصيص الأمل لضمهم إلى صفوف الأنصار، والحفاظ على رابط العلاقة الطيبة بيننا وبينهم بالتعامل الحسن والكلمة الطيبة والعمل الدؤوب والتضحية المستمرة أمام أعينهم لعلَّ هذا سيؤدي في آخر المطاف إلى كسب قلوبهم واستمالتها إلى صف الحق من أجل البذل والعطاء، وهذا لعمري من أفضل الوسائل وأحكمها بدلاً من إعلان الحرب عليهم.

وبعد؛

فكانت هذه أهم الطوائف الموجودة داخل ساحة الصراع أو حولها، منها من يشارك مباشرة في هذه الحرب الصليبية، ومنها من يساهم بطريقة غير مباشرة، ومنها من يقف موقف الحياد يتفرج على المعركة وينتظر نتائجها، والقاسم المشترك بين هذه الطوائف هو تأثرها المتفاوت بهذه الغزوة المباركة، حيث تغيرت أوضاعها ووسائل عملها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل طالت حتى طرق تفكيرها ومناهجها، فكانت هذه الغزوة بمثابة زلزال عنيف أحدث تغييرات جذرية في النفوس والأفكار ومناهج العمل على حد سواء، وإذا صحَّ لنا أن نطلق عليها اسما فإن هذه الحرب الجديدة - مع انطلاقتها الموفقة في نيويورك وواشنطن - تستحق أن توصف بالحرب العالمية الثالثة، نظراً للتغييرات الكبيرة والتشققات العظيمة التي أحدثتها في جميع بنيات العدو ولا تزال مرشحة للارتفاع.

فالذي ينبغي أن نخلص إليه في نهاية هذا البحث هو أن هذه الغزوة قد أيقظت الأمة وبصَّرتها بالمخاطر والمكائد التي كانت تحاك من أجل تركيعها واستغلالها وإفسادها وهي لا تعلم، كما أن تنظيم "قاعدة الجهاد" بقيادة الشيخ المبارك أسامة بن لادن وحركة طالبان بقيادة أمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد، قد أحيوا فريضة الجهاد وأعادوا فقه الجهاد إلى ساحة التطبيق، كما واستطاعوا أن يجمعوا شتات المجاهدين في تنظيمات محكمة ووفق تخطيط موفق ودقيق، يراعي مصالح الإسلام أولاً ويضحي في سبيل ذلك بالملك والجاه والسلطان. وعاد المسلمون - بفضل هذه الغزوة المباركة - إلى فهم نصوص الكتاب والسنة وكأنها تتنزل عليهم من جديد، كما وعادت الكثير من المفاهيم الشرعية المغيبة إلى واقع الناس لتحل محل المصطلحات الجاهلية والدخيلة على الأمة، وبدأ المسلمون يسترجعون شيئاً من عزتهم - وإن كانت مصاحبة لبعض الأذى والبطش من قبل الكفار والمرتدين - وأصبحوا مرهوبي الجانب، يحسب لهم العدو ألف حساب.

لقد تحقق قسط كبير من وعد الله تعالى بالنصر والتمكين لعباده، ولم يبق سوى القليل، ولكنه يتطلب منا - معشر المؤمنين ، مجاهدين وأنصار، - أن نواصل تشبثنا بديننا وقيمنا، ونواصل طاعتنا وانقيادنا لقياداتنا الرشيدة، ونواصل صبرنا وثباتنا على طريق الجهاد والاستشهاد، فإنه طريق النجاة والسؤدد لنا، والاندحار والهزيمة لأعدائنا.

وإن غداً لناظره قريب، ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً** ﴾.

أبو سعد العاملي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقفات تربوية مع الحرب الصليبية الجديدة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس وشاهدة على باقي الأمم، وجعل فيها من يحمل راية الحق إلى يوم الدين، رغم كيد الكائدين، القائل ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾(البقرة: ٢١٧)، والصلاة والسلام على رسوله الأمي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، القائل

لقد كتب الله على هذه الأمة أن تكون شاهدة على الأمم وخاتمة للرسالات السماوية، ومن تبعات هذه المهمة العظمى أن تلقى العنت والتكذيب بل وتواجه بالكيد والمكر والمحاربة من قبل أعدائها، وفي مقدمتهم رأس الحربة "التحالف الصليبي اليهودي"، ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾(المائدة: ٨٢).

ولقد عرفت هذه الأمة هجمات عديدة من قبل هؤلاء الأعداء، على مر العصور، أو مِنْ قِبَلِ مَن ألَّبه هؤلاء، فكانت الحرب بيننا وبينهم سجال، يوم لنا ويوم علينا، تكونت من حلقات وجولات عديدة، ما زالت رحاها تدور إلى اليوم، وقد استطاعت هذه الأمة أن تقاوم هذه المكائد كلها وتواصل سيرها في أداء رسالتها وترفع الحصار المضروب عليها لخنقها وتكبيلها عن أداء هذه الأمانة الكبرى، أمانة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أجل هذا فقط تكالبت أحزاب الكفر والنفاق وتحالفت لضرب كيان هذه الأمة وزعزعة صرحها، ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[البروج: ٨].

أولاً: معالم هذه الحرب الصليبية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ – شاملة في شكلها

حيث أنها تشمل جميع المجالات بدون استثناء، ففي المجال السياسي، نصَّب الأعداء عملاءهم من الحكام المرتدين على مناصب الحكم في بلداننا، وذلك غداة انتهاء مدة احتلالهم لكل البلاد الإسلامية، فأرادوا أن يضمنوا استمرارية هذا الاحتلال بأقل الخسائر الممكنة، ولكونهم أدركوا أهمية الحكم ومدى تأثيره على باقي الميادين الحيوية. ولا زالوا يقفون إلى جانب هذه الأنظمة بالتأييد والتوجيه في كل حين.

أما اقتصادياً فلا يخفى على كل عاقل الحضور الكبير والواسع لمؤسسات العدو الاقتصادية في بلداننا، ومدى تأثيرها على مجريات اقتصادنا، خاصة وأنهم قد وجدوا أنظمة سياسية تفتح لهم الأبواب على مصراعيها وتسهل لهم كل الإجراءات القانونية للسيطرة على ثروات البلاد وخيراتها المادية والبشرية، هذا من الداخل، أما من الخارج فلا زالت صادرات العدو تستحوذ على أسواقنا وتلقى الرواج الكبير بالرغم من وجود بضائع محلية منافسة لها في الجودة والسعر، إلا أن الأنظمة الحاكمة تفرض قيوداً وشروطاً عديدة وتعجيزية على الشركات المحلية لتظل الشركات الصليبية واليهودية هي المسيطرة في الساحة، أحب من أحب وكره من كره.

أما ثقافياً فلا زلنا نرزح تحت الغزو الصليبي – يهودي، وذلك عبر تدفق القنوات الفضائية المتعددة، التي تلقى الرواج بين أبناء الأمة في السر والعلن، وما زالت برامجنا الدراسية والتربوية مستوحاة من هؤلاء الأعداء، فنشأت بذلك أجيال خنوعة فاقدة لتراثها ودينها وهويتها، تتخذ من هذا الغرب المثل الأعلى في كل شيء، بدءاً بطريقة اللباس وانتهاء بطريقة التفكير.

أما من الناحية العسكرية، فهناك ارتباط وثيق بالصليبيين وتبعية عمياء لمؤسساتهم العسكرية، حيث أن جيوشنا تبقى مكتوفة ومشلولة في خوض أي صراع حتى تحصل على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضوء الأخضر من الخبراء العسكريين الصليبيين أو اليهود، بـل إن القـرارات الحاسمـة والمصيرية في حروبنا (ضد بعضنا البعض أو في تدخلات جيوشـنا المكبلـة في مواجهـة الشعوب الغاضبة) تُتخذ وتُدبَّر بليل في غرف عمليات الأعداء، بالمزيـد مـن القمـع والاضطهاد لهذه الشعوب. كما أن أسلحتنا هي الأخرى تبقى سجينة في الثكنات، تكدّس لسنوات حتى يعتريها الصدأ، أو نحصل على فتاتها وأحط الأنواع وأقلها كفاءة بـأغلى الأسعار وأعلى التكاليف.

هذه هي بعض الميادين التي تظهر فيها سيطرة العدو علينا، وتبين بالتالي شمولية هذه الحرب الصليبية الجديدة.

٢ – شرسة في مضمونها

حينما تكون الأمة منصاعة للأعداء، مؤتمرة بأوامرهم ومنتهية عن نواهيهم، يكون هناك الرضا والود التامين من قبلهم ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾(البقرة: ١٢٠)، ذلك ما كنا نلحظه في العقود السابقة، حيث كان يبدو لنا هذا العدو حميماً ووديعاً (شعوباً وحكومات)، وكان الكثير منا يعتبره قدوة ومثلاً أعلـى في الأخلاق والتعامل، لكن وجهاً قبيحا وخبيثاً كان يتوارى وراء هذه الهالة المزيفة، وبمجرد أن بدأنا نعصي أوامره ونحاول أن نفكر بعقولنا ونحدد مصائرنا بأيدينا ونعود إلى ديننا، بدأ يظهر هذا الوجه الحقيقي، وبرزت مخالبه ليعيدنا إلى حظيرة عبوديته وتبعيته، نبقى دوماً في موقف المنتظر لرحمته وعفوه وكرمه، وحينما قررنا الكفر به وبقوانينه، وبدأنا العـزم في الإعداد لمقاومته ومحاولة طرده من أراضينا ومحاولة استرجاع حقوقنا والدفاع عن ديننـا، رأينا ردود فعله شرسة إلى أقصى حد، و لم يستطع أن يصبر على تضييع هذه المكاسـب، فبادر إلى استعمال كل أساليب البطش والمكر والتنكيل المتوفرة لديه ﴿ **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ (التوبة: ٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاصة بعدما قامت إمارة الإسلام في أفغانستان، وتحدَّت معالم الكفر وتعاليمه، رأينا كيف ساهم الصليبيون واليهود في ضرب هذه الإمارة الفتية بكل قوة وهمجية، يقودهم فرعون العصر "أمريكا"، وكيف نكلوا بالمجاهدين وأنصارهم في عقر ديار هذه الإمارة وفي عقر ديار هؤلاء الأنصار، وبعدها سارعوا إلى ضرب حصار محكم ومتواصل على المجاهدين في كل مكان، ثم سجنوا من سقط في أيديهم بغير تهمة سوى الانتماء إلى معسكر الإيمان (الذي سموه بالإرهاب)، فلقي المؤمنون على أيدي هؤلاء الصليبيين وأحلافهم اليهود في فلسطين وفي كل بلاد الصليب أشد أنواع التعذيب والتنكيل، أمثال ما يلقاه المجاهدون في بلدانهم الأصلية على أيدي الأنظمة المرتدة. واختفت كل الشعارات الزائفة المتعلقة بما سمَّوه "بحقوق الإنسان"،كما خفتت أصوات كل المنظمات الحقوقية التي تدافع عن حقوق إنسانهم وغضت الطرف عما يعانيه مجاهدونا وأطفالنا ونسائنا وشيوخنا من تعذيب وتشريد وتقتيل وكأننا – في نظرهم – جراثيم ينبغي أن تزول من الوجود.

من يطّلع على حالة الحقد الدفين الذي يكنونه لنا، يدرك حقيقتهم، ويدرك بالتالي كم كنا مغبونين ومخدوعين في هؤلاء الكفار، ﴿ **يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ** ﴾.

ألم نر آلاف الأطنان من القنابل المحرمة (وفيها اليورانيوم المنضب) التي سقطت على بلاد الرافدين منذ عقد من الزمن – ولا تزال – ثم على الإمارة الإسلامية مؤخراً، ولا زالت الأرض والإنسان والنبات والحيوان يعانون من نتائج هذا القصف العشوائي المشين والبغيض؟!

ألم نر الدعم اللامحدود – سياسياً وعسكرياً واقتصادياً– الذي يقدمه هذا الغرب الصليبي الحاقد للكيان الصهيوني في فلسطين، ليدمّر كل ما له علاقة بالتواجد الإسلامي على هذه الأرض المباركة؟! ولا زالت هذه الجرائم تُرتكب هناك على مرأى ومسمع من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالم، بل وبمباركة من هذا العالم الصليبي البغيض ﴿ **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً** ﴾.

٣ – تجميع للأحزاب

من أهم سمات هذه الحرب أنها جمعت كل الأطراف المعادية للحق في جبهة واحدة، بالرغم من الاختلاف الظاهر بينهم في المناهج السياسية، إلا أنهم أبوا إلا أن يجمعوا كيدهم ويأتونا صفاً واحداً من كل حدب وصوب، ليرموننا عن قوس واحدة، وكأن التاريخ يعيد نفسه ليتكرر يوم الأحزاب بقيادة أمريكا، وقد استطاع المجاهدون بقيادة "تنظيم قاعدة الجهاد " أن يحفروا خنادق عديدة، ليحتموا من هجمات هذه الأحزاب، وسلموا من بطشهم وضرباتهم العشوائية، وهاهم اليوم يتواجدون في موقع المهاجم، وتنقلب الصورة، لنجد هذه الأحزاب في موقع المدافع، وفي موقع الخائف الوجل الذي يترقب الضربة في كل لحظة، ويترقب الموت في كل مكان.

إن الأحزاب قد اجتمعت على صعيد واحد، وتناست كل خلافاتها لتحاربنا كافة، وتحقق قول الله تعالى ﴿ **وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (التوبة: ٣٦)، ولم يعد هناك ما يخفيه هؤلاء من إعلان العداء لنا وجمع للصفوف وتكاثف للجهود – سياسياً وعسكرياً –، وتحدوا كل أعرافهم وقوانينهم في احترام المواثيق والعهود مع المسلمين، وضحوا بالكثير من المصالح المادية الآنية مقابل القضاء على الخطر الإسلامي لكي يضمنوا المصالح الآجلة. لقد تحقق قول رسول الله r: "الكفر ملة واحدة"، فمهما تعددت ألوان هذا الكفر واختلفت وجهاته السياسية، فإنه في الأخير يبقى كياناً واحداً لونه الطاغي هو الكفر والباطل في مواجهة الإسلام والحق.

٤ – خبيثة في أهدافها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم تعد أهداف هذا التحالف الصليبي اليهودي مجرد أهداف اقتصادية أو سياسية فحسب، هذا على الأقل ما كان يبدو لنا في العقود السابقة، وفيما عُرف بمرحلة الاحتلال لبلداننا الإسلامية، بل تعدّتها إلى أهداف أخرى خفية، بدأت تنجلي خلال هذه الحرب الأخيرة، موافقة لقول الله عز وجل ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ (البقرة: ٢١٧)، وقوله سبحانه ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾(النساء: ٨٩). وأكبر دليل على هذا هو مبادرتهم العاجلة وحرصهم المستميت على ضرب الإمارة الإسلامية وإبادة معالمها وأسسها وعزلها عن أنصارها، بالرغم من أن هذه الإمارة لم تبد أي نية في مهاجمتهم أو بدئهم بالحرب، وكانت جل أطوار هذه الحرب هجومية ﴿ **أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (التوبة: ١٣).

فكما هو معلوم أن كل بلداننا محتلة – من إخمصها إلى قدميها – من قبل التحالف الصليبي اليهودي، وكل الأهداف المادية التي كانوا يحلمون بها قد نالوها وزيادة، ولكن لن يشبعوا ولن يوقفوا حملتهم الشرسة هذه إلا بتحقيق أكبر وأخبث الأهداف على الإطلاق ﴿ **حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾(البقرة ٢١٧).

ومن أجل تحقيق ذلك جندوا جيوشاً جرارة من العسكر والقساوسة والمثقفين، وأرسلوهم إلى بلداننا لتنخر فيها كما ينخر السوس في الخشب، تحت غطاءات ناعمة وخادعة، وكل هذا من أجل إخراج العباد من عبادة الله وحده إلى عبادة أوثانهم ومذاهبهم وأهوائهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥ – طويلة في أجلها

هي حرب طويلة في أجلها ومدتها ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾، وقد تعلمنا من تاريخ الصراع الدائر بيننا وبينهم أن أعداءنا لا يفترون عن قتالنا ومحاربة إطفاء نور الله في الأرض ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [الصف: ٨]، خاصة وأن طبيعة المعركة هي معركة وجود بين الحق والباطل، إذ لا يمكن أن يتعايشا جنباً إلى جنب.

كما أن لهذه الحرب حلقات متعددة، قد تهدأ لبعض الوقت لكنها لا تنقضي حتى يتم القضاء على الطرف المقابل بصفة نهائية. وبين هذه الحلقات فترات ترصُّد وإعداد لا تقل أهمية وحماسة من فترة الحرب نفسها. والعدو شأنه شأن إبليس، لا يفتر ولا يمل ولا ييئس في حربه لأصحاب الحق، وهو لا يخفي هذه النية ويعلنها صراحة ودون تلميح بأن الحرب ستكون طويلة الأمد حتى يتم القضاء نهائياً على الإرهاب وجذوره وروافده.

ونحن نعتقد أنه لن يغير من هذه الاستراتيجية قيد أنملة، حيث يحس بالخطر يداهمه من كل جانب وفي كل لحظة، ويعمل بالقاعدة المعروفة: "خير وسيلة للدفاع الهجوم"، ولكننا على يقين بأنه لن يستطيع فتح جبهات عديدة في نفس الوقت، ولن تكون لديه القدرة على تحمل تبعات هذه الحرب أطول مما يخطط ويحاول أن يوحي لنا.

ستكون حرباً طويلة الأمد على جميع الجبهات، ولا ينبغي التفكير في عكس هذا، حتى لا نتقاعس، بل يجب أن نعد للأمر عدته ونكون في مستوى الصراع، ولا ننخدع بشعارات العدو الزائفة، من قبيل التعايش أو ما يسمونه بحوار أو التقاء الحضارات.

٦ – حرب كاشفة وفاضحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الحرب شر مطلق لا خير فيها، وبأنها أضـرار ولا نفع فيها، لكن الحقيقة غير ذلك، فكل أمر لابد أن تجد فيه الخير والشر ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: ٢١٦)، ومن أجل هذا فنحن مطالبون بالوقوف طويلاً وبكل تـأنٍّ وروِيَّة أمام تأثيرات هذه الحرب، لنعرف كيف نحوِّل سلبياتها إلى إيجابيات ونتمكن بالتالي من كسب معاركها المتعددة بأقل الخسائر الممكنة وفي أقرب الآجال.

أولاً: أظهرت حقيقة العدو للأمة بعامة، وللعوام بخاصة، حيث كنا نرى نوعاً من التخدير لدى الكثير من أبناء الأمة اتجاه الصورة الحقيقية للعدو. سواء علـى مـستوى الأخلاق والتعامل، حيث أنه كان قدوة للبعض في العديد من المجالات، وموضع احتـرام للبعض الآخر، ذلك أنه

في السنوات الماضية، كان هناك نوع من التخفي والمداراة لدى العدو في حربـه لنا، أما اليوم فقد كُشفت أوراقه وظهرت نواياه جلية لكل ذي عينين.

ومن جانب آخر، كشفت لنا هذه الحرب العديد من الهفوات والثغرات في كيان هذا العدو، والكثير من الضعف الناتج عن المتناقضات المتواجدة في مؤسـساته ومختلـف شرائحه.

وبأن هناك أماكن حساسة في كيانه لا يستطيع أن يحميها، وبنيات تحتية تبـدو صلبة في الظاهر لكنها أوهن مما نتصور بكثير. ومهما ادعى هذا العـدو عكـس ذلـك وحاول أن يواري سوءاته، فلن ينفعه ذلك في شيء، لأن شباب الأمة قد أفلحوا في إدراك حقيقته واطلعوا على مواطن ضعفه، وسلكوا طريق التحرر والجهاد، غير عـابئين بهـذا العدو، بل إنه يبدو لهم أوهن وأصغر وأضعف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: تكشفت فرق النفاق وطوائف البدعة، وهي الطرف المساعد للعدو الأول، وكُشف دورها الخبيث والخطير في دعم الأحزاب الكافرة بصورة مباشرة وغير مباشرة، وأقصد هنا رؤوس هذه الطوائف أساساً، وأستثني قواعدهم التي نأمل فيها الخير الكثير، فقد رأينا الكثير منهم يتعاطفون بل يتمنون أن يكونوا في صفوف المجاهدين ويساهموا بأموالهم وأوقاتهم وأيديهم في هذه الحرب الجديدة.

وأخطر هذه الطوائف تتمثل اليوم في هذه الأنظمة المرتدة التي تسلطت على رقاب العباد وسيطرت على خيرات البلاد، ومعها جيوشها من العسكر والمخابرات والمفكرين والخونة، وأعوانهم من أصحاب المصالح المادية، كلهم يقفون في صف الأعداء، ويعلنون عداءهم ومحاربتهم للفئات المجاهدة ولكل من ينصرهم في السر والعلن، ويتم هذا بطرق مباشرة، تحت غطاء محاربة الإرهاب والتطرف، وأحياناً بدون أي غطاء.

يليهم من حيث الخطورة بعض رؤوس الفرق المبتدعة من الجماعات والأحزاب المنهزمة، تلك التي تقف في مواجهة أصحاب الحق وتساند أصحاب الباطل بطرق غير مباشرة، بحجة محاربة التطرف ومحاولة نشر الإسلام الصحيح والمسالم في نظرهم. ثم يليهم بعض علماء السلطان اللاهثين وراء فتات الأنظمة المرتدة من مناصب اجتماعية ملوثة أو سياسية ملغومة.

ويأتي في الدرجة الأخيرة بعض الفئات المتقاعسة التي لا تجيد سوى البكاء على الأطلال، وتقضي جل وقتها في الحنين إلى أمجاد الأمة بالأحلام والأماني، وتتمنى ظهور أو عودة صلاح الدين الجديد الذي سيخلص الأمة مما هي فيه من ذل وصغار واستعباد، ونحن نقول لهذه الفئات وننبهها إلى أن العيب والنقص فيها هي، فها هي جماعات الجهاد قائمة لمن أراد حقا الدفاع عن دينه وكرامة أمته، وها هو صلاح الدين العصر موجود بينها، إنه الإمام "أسامة بن لادن" — حفظه الله —، بكل جدارة واستحقاق، فقد تجمعت فيه كل مواصفات القيادة والريادة، عسكرياً وسياسياً، فماذا ينتظر هؤلاء المتقاعسون يا ترى لكي ينضموا إلى قافلة الجهاد المباركة تحت إمرة هذا القائد الإمام الفذ؟!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كل هؤلاء المثبطين (حكاماً ورؤوس طوائف وأحزاب وعلماء سوء ومتقاعسين) أصبحوا اليوم في عزلة مشينة، وهاهي بضاعتهم قد كسدت حتى تعفنت. و لم يعد يثق فيهم أحد من أبناء الأمة، وصار هؤلاء الشباب يعتمدون – بعد الله تعالى - على العلماء العاملين بعلمهم، الصابرين المحتسبين، الذين يخشون الله وحده ويقفون إلى جانب المجاهدين.

وعلى ضوء ما سبق ذكره، يمكننا تسمية هذه الحرب بالفاضحة أو الكاشفة، فكما كشفت سورة براءة فئات المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، فإن هذه الحرب قد كشفت فئات من المنافقين والمخذلين والمتقاعسين لم يكونوا لينكشفوا بغير هذه الحرب، فرب ضارة نافعة.

ثانياً: مكتسبات تربوية والدور المطلوب

نصل الآن إلى أهم نقطة في هذا الموضوع، وهي التي تتعلق بالجانب التربوي لأصحاب الحق ولأنصارهم، لنقف على أهم المكتسبات التربوية لهذه الحرب الصليبية الجديدة، ونختم بالدور المطلوب من شباب الأمة بخاصة وكل الفرقاء والشرائح الأخرى.

أولاً: كشفت حقيقة الطائفة المنصورة وأبرزت خصائصها، لتظهر جلية للأمة. وهذه الخصائص لا يمكن أن تبرز – بالشكل الواضح – إلا خلال المواجهة مع الأعداء، وفي زمن تيه هذه الأمة وتقاعسها وقعودها عن الجهاد. ومن أهمها:

١ – " قائمون بأمر الله: أي ملتزمون بشرعه وأمره، وذلك بالجهاد والقتال وإعلان الحق والتزامه والأمر والنهي به، والدفع عن أهله إذا دخل عليهم الصائل فهذا أوجب الفرائض بعد الإيمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ – مُكذّبون من الغالبية: أي أنهم في غربة من الناس لما درس من أمور الدين، فإن مجيبهم قليل ومعارضهم كثير، كما جاء في كثير من أحاديث الغربة.

٣ – مُخذَلون من العموم: أي غير منصورين فعلياً حتى ممن وافقهم في الرأي فإنه لا ينضم إليهم عملياً إلا القليل.

٤ – ماضون ثابتون لا يضرهم التخذيل والتكذيب: أي أنهم أصحاب همة وثبات وعناد في الحق يدْعون فيُكذّبون إلا من القليل، ويعملون فيخذلون إلا من النادر، ومع ذلك فهم معلنون للحق ثابتون عليه.

٥ – يقاتلون إلى قيام الساعة: وهذه من أخص خصائصهم، والنصوص طافحة في ذلك بشكل علني ثابت يصعب معه التمحك لنفي صفة القتال عنهم وجعلهم من أهل المناظرة أو العلم بلا قتال كما قال البعض.

٦ – قاهرون لعدوهم: إما أنهم قاهرون لهم بالنصر الحقيقي والظفر في نهاية الصراع – كما بشر بذلك الله سبحانه وتعالى ورسوله الله e في كثير من الآيات والأحاديث – بالرغم من أنهم قد يُهزمون في بعض معاركهم ومواقعهم، وإما أنهم قاهرون لهم بعدم تراجعهم عن الحق رغم هزائمهم المؤقتة، فهم ثابتون ثباتاً يقهر العدو.

٧ – منصورون من الله تعالى: بوعده سبحانه ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (غافر:٥١) فهم منصورون حقيقة في الدنيا أو منصورون بالمعنى بنجاتهم عند الله وقبول أعمالهم وحسن خاتمتهم.

٨ – ظاهرون على الحق: أي منصورون، وهو من الظهور أي العلو والغلبة، وقد يكون من ثنايا المعنى ظاهرون من الظهور وهو الاستعلاء بالدعوة ورفع الراية علناً لا خفاء، والله أعلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩ – فقههم الله في الدين: وجاء إشارة إلى هذا في مقدمة بعض الروايات، ودليل فقههم هو القتال والجهاد كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وقد فسرها بعض السلف كابن المبارك وأحمد رحمهما الله بأن الفقه والفتح في الفهم هو في علماء الثغور.

١٠ – رزقهم الغنيمة: كما في رواية سلمة بن نفيل – وهي في أحمد والنسائي- ذكر أن رزقهم في أيدي من أضل الله قلوبهم، وهذا دليل على صفة الرزق وأمر غير مباشر بالسعي له وهو الغنيمة.

١١ – يقاتلون باستمرار ولا ينقطع وجودهم: إلى قتال الدجال ونزول عيسى بن مريم حيث يكون آخرهم مع الإمام المهدي عليه السلام وتحت قيادة نبي الله عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام"[1] .

ثانياً: تفجير طاقات الأمة لمساندة هذه الطائفة على الأقل عاطفياً، وإن كنا نرى دعماً مالياً ولوجستياً بل وحتى عملياً عن طريق الانضمام إلى صفوف هذه الطائفة وتكثير سوادها.

فحينما يرى شباب الأمة نماذج فريدة من أمثال كوكبة الشهداء الماضين على درب الجهاد والاستشهاد، وأخص بالذكر هنا، شهداء غزوتي نيويورك وواشنطن، ومن سبقهم أو من لحق بهم في معارك الجهاد والاستشهاد، سواء على أرض أفغانستان أو الشيشان أو فلسطين أو غيرها من بلاد الإسلام، وبلاد الإسلام أصبحت اليوم كلها أرض لهذه الحرب الصليبية الجديدة، قلت: حينما يرون مثل هذه النماذج فإنهم يتسابقون للانضمام إلى صفوف المجاهدين، ليسطروا بدمائهم ملامح جديدة، ويقرِّبوا الأمة يوماً بعد يوم من النصر الموعود. فكَم من طاقات قد أهدرت - ولا تزال - في الباطل أو في سفاسف الأمور، وكم من جهد يُبذل في غير محله، وهاهي قوافل الشهداء الماضية وقوافل

[1] عن نشرة الظاهرون على الحق – العدد الأول - للشيخ أبي مصعب السوري بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجاهدين الآتية، تحت إشراف جماعات الحق والجهاد، وعلى رأسها تنظيم قاعدة الجهاد، تستقطب هذه الطاقات وتستوعبها ثم توظفها في مواجهة جموع الكفر وجنود الصليب لزعزعة أركانه وهدم كيانه.

ثالثاً: إحياء فريضة الجهاد وفهم سليم وشرعي لحقيقة الصراع بين الحق والباطل بكل أبعاده، والإعداد لتحمل تداعيات وتبعات هذا الصراع. بحيث أن مفهوم الجهاد كان قد انتابته شوائب كثيرة، وكان الناس يحصرونه في جانبه الدفاعي فقط، ناسخين لمفهوم جهاد الطلب، طلب العدو في عقر داره أو في عقر قواعده العسكرية بالتحديد.

أو إحياء التعامل بالمثل مع هذا العدو، سواء بالتهديد أو بالمباشرة الفعلية، سواء في استهداف ما يسمى بالمدنيين أو بهدم مؤسساته وبنياته التحتية، أو بحرق ونسف موارده المعيشية، وهي أساليب مهجورة، لها أصول شرعية في شرعنا الحنيف [1]، هجرها المسلمون وتوقفوا عن العمل بها بسبب ما دخل على ديننا من شوائب وهجمات صليبية يهودية منذ عقود من الزمن، حاولوا فيها طمس معالم هذه الفريضة المقدسة، وتغييبها من عقول المسلمين، لكي يتسنى لهم امتلاكنا والسيطرة علينا حينئذ.

رابعاً: كسر حواجز الخوف والتهيب لمواجهة مخططات الأعداء، وهي العقبة الكبرى التي ظلت لعقود من الزمن تكبل طاقات المسلمين، وتجعلهم يظلون في موقع الانهزام وانتظار رحمة العدو.

فكانت هذه الحرب الصليبية الجديدة فرصة لتجاوز هذه العقبة بنجاح كبير، والتحرر من قيد الضعف والهزيمة، وذلك بفضل ضربات قاعدة الجهاد الأخيرة، التي عبّدت الطريق لباقي المجاهدين في العالم، وبيّنت لهم أن هذا العدو الغاشم أضعف مما نتصور.

فاستطاع جيل الجهاد والاستشهاد أن يحيي المفهوم الصحيح للجهاد في الإسلام، الموافق لما جاء به رسول الله ﷺ: "**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**"(الحديث)، أو كما جاء في

[1] انظر بتفصيل تأصيل هذه المسألة في كتاب" حقيقة الحرب الصليبية الجديدة" لكاتبه (صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتاب الله تعالى: ﴿ **ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (المائدة: ٢٣).

فرأينا كيف انقلبت معادلة الصراع بيننا وبينهم، وصاروا يترقبون ضربات وهجمات المجاهدين في كل حين، فانقلبت حياتهم إلى جحيم لا يُطاق، وقذف الله في قلوبهم الرعب، مما أدى إلى إرباك حساباتهم وإضعاف استراتيجية هجومهم، وضيعوا جهودهم وأموالهم في إيجاد وسائل للدفاع بدلاً من تطوير وسائل الهجوم، فتحقق بفضل الله تعالى للمسلمين شيء مما كانوا يتمنونه، وهو إرعاب العدو وإرهابه في عقر داره، وتحويل ديار هذا الأخير إلى ساحة للمعركة بدلاً من أن تظل بلداننا هي وحدها أرض لها.

خامساً: تجسيد هذا التجاوب والتعاطف من قبل المسلمين عامة وشباب الإسلام خاصة، بإنشاء تنظيمات وتجمعات جهادية محلية ولو في معزل عن تنظيم قاعدة الجهاد أو حركة طالبان، اللذان يشكلان رأس الرمح في مواجهة هذه الحملة الصليبية القائمة.

فقد رأينا – بحمد الله تعالى – ظهور العديد من التجمعات الجهادية هنا وهناك، تأخذ زمام المبادرة في ضرب مصالح العدو الإستراتيجية المنتشرة في بلداننا – وما أكثرها –، ودخلت بذلك في الصراع مباشرة بتوسيع دائرة الحرب، وإشغال العدو أكثر ودفعه إلى بذل المزيد من الجهد وحشد المزيد من الإمكانيات المادية والبشرية لمواصلة هذه الحرب.

فكان من نتيجة هذه الثمرة المباركة، أن صارت أراضينا وأراضيه ساحات لهذه الحرب، مما دفع بالعدو إلى تشتيت قوته وعدم الاستطاعة على التركيز في هذه الحرب، وهذه بداية هزيمته بحول الله.

سادساً: أبرزت هذه الحرب الصليبية أن لا فرق بين الكفار الأصليين (الصليبيين واليهود) وبين الطواغيت المرتدين (الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين)، وبأن هؤلاء كالجسد الواحد، إذا ضربتَ واحداً منهم انتفض الآخر ليدافع عنه ويحميه. فالأنظمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرتدة تحمي مصالح الأعداء في الداخل مقابل أن يحميهم الصليبيون واليهود من شعوبهم ويحافظوا على عروشهم وقروشهم، فالقاسم المشترك فيما بينهم هو المصالح ومحاولة الحفاظ عليها بالقوة، وعدوهما المشترك هو هذه الجماعات المجاهدة التي تعكِّر عليهم صفو أجوائهم وتدعو الشعوب المسلمة للانتفاضة وأخذ زمام أمورها بأيديها، وفق ما يمليه عليها دينها الحنيف.

فتحتم على هذه الجماعات إعداد برامج عملية جهادية لمواجهة أعداء الداخل والخارج، بحيث يكون هناك تكامل بين المشروع العالمي العامل على مواجهة العدو الخارجي والمشاريع القطرية القائمة لمواجهة أعداء الداخل، على أن يكون التركيز في المرحلة الراهنة على السند الرئيس لهذه الأنظمة المرتدة، وهو العدو الخارجي، وذلك بضرب مفاصله واستهداف مراكز الثقل في قوته، بقصد إرباكه ثم زعزعته لكي ينهار في نهاية المطاف أو على الأقل لينشغل بنفسه، وهو ما يجعل مهمة محاربة الأنظمة الطاغوتية أيسر وأسهل.

سابعاً: من أهم سمات هذه الحرب – كما سبق الإشارة إليه – هو أنها جمعت الأحزاب الكافرة والمنافقة لإنشاء تحالفات عديدة وموحدة، بقيادة أمريكا، لضرب الإسلام ومحاولة القضاء على قوته. وهو ما دفع بالمسلمين الصادقين، وخاصة فصائل المجاهدين إلى التفكير في التحالف والتعاون لمجابهة هذه الهجمة الصليبية، وتحقيق أمره تعالى ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّة** ﴾.[1] وقد تم ذلك أولاً على أرض أفغانستان، حيث اجتمع المجاهدون – من شتى بقاع الأرض – وشكلوا ما يُعرف بتنظيم القاعدة بقيادة الشيخ أسامة بن لادن، ثم توسع فيما بعد بانضمام العديد من المجاهدين الآخرين وفي مقدمتهم تنظيم الجهاد المصري بقيادة الشيخ أيمن ظواهري، فتشكل ما عُرف بتنظيم "قاعدة الجهاد"، وهو تنظيم أوسع وأكبر وأقوى.

[1] انظر بتفصيل مقال أخينا سيف الدين الأنصاري "وقاتلوا المشركين كافة " – مجلة الأنصار– العدد الرابع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثانياً على مستوى الأمة ككل، بدأت الكثير من التنظيمات المجاهدة في توسيع دائرة التحالف والتنسيق فيما بينها، لمواجهة هذه الحملة الصليبية التي تتهدد وجودهم، فتحقق بالفعل هذا الأمر ورأينا – بحمد الله – تعاوناً وتنسيقاً كبيراً بين شتى جماعات الجهاد، بالرغم من شدة الحصار وضيق السبل وقلة النصير، والدليل على نجاح هذا الأمر هو هذه العمليات الجهادية المباركة المتواصلة، التي تُحدث أكبر الضرر في جسد العدو، ولا يستطيع أن يوقفها أو حتى تفاديها. ونحن نعلم أن سر قوة المسلمين تتجلى في توحيد جهودهم وجمع صفوفهم، فإن تعذَّر عليهم ذلك لظروف قاهرة، فلا أقل من تحقيق هذا التنسيق والتعاون، وتفادي الفرقة والاختلاف.

ثامناً: إحياء فريضة الاستشهاد والتسابق إلى الموت قصد الفوز بالشهادة، الذي أصبح منتشراً ويكتسح الساحة، هذا في الوقت الذي نرى فيه هجراناً لمتاع الدنيا وشهواتها.

وهذا سلاح ذو حدين، حيث يمكِّن المسلمين من أخذ زمام المبادرة أكثر، فهو السلاح الذي لا يمكن للعدو أن يمتلكه أبداً ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ (البقرة: ٩٦)

تاسعاً: علمتنا هذه الحرب القائمة أن مسألة استنزاف العدو وتقويض أركانه أصبح أمراً ممكنا بل وفي المتناول، وبأنه هدف استراتيجي ينبغي التركيز عليه.

هذا ما ابتكره إخواننا في تنظيم قاعدة الجهاد كوسيلة جديدة وانتهجوها في هذه الحرب الصليبية بكل نجاح، ما دام أن الطرفين غير متكافئين على مستوى العدة والعتاد، فلابد من ابتكار أسلوب جديد، لا يقوى العدو على تفاديه أو مواجهته، ذلك هو أسلوب الاستنزاف المتواصل، ومحاولة تقويضه من الداخل، والتركيز على ضرب مفاصل قوته الاقتصادية والعسكرية، واستهداف قياداته ورؤوسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وها نحن نرى نتائج هذه الاستراتيجية الجديدة من الآن، حيث يتواجد العدو في مآزق سياسية واقتصادية خانقة، لم يكن ينتظرها ولا أعدَّ لها حلولاً. أما في السنوات وربما الشهور المقبلة فستكون الحالة أعقد وأدهى وأمر، مما سيسمح للمجاهدين بأخذ مواقع متقدمة في حلبة الصراع، وزمام المبادرة أكثر في إعادة قيادة هذه البشرية التائهة من جديد. هذا وعد من الله سيتحقق لا محالة، وليس مجرد حلم سياسي لتسلية النفوس.

الخاتمة

مما تقدم، يظهر لنا جلياً أن هذه الحرب الصليبية الجديدة تميزت بكثير من الإصرار والتركيز على إبادتنا، وكأنها فرصتهم الأخيرة لفعل ذلك، ذلك أنهم أحسوا- أكثر من أي وقت مضى – بأن هذه الجماعات المجاهدة (وعلى رأسها تنظيم قاعدة الجهاد)، قد تمكنت من فهم طبيعة كيان العدو، والاطلاع على حقيقته وبالتالي كشف مواطن ضعفه، بالرغم من ادعائه عكس ذلك. مما سيسهل على المجاهدين قيادة هذه الحرب في ظروف أسهل وربما بأقل الخسائر الممكنة، بينما يحس العدو أنه سيضطر إلى دفع المزيد من الجهد والأجر للدفاع عن كيانه والمحافظة عليه، بدلاً من التفكير في شن حرب هجومية – كما كان من قبل-. فأقصى ما يصبو إليه العدو هو تفادي ضربات المجاهدين، ومحاولة الإبقاء على الحالة السابقة بدلاً من تضييع كل شيء.

ولكن المجاهدين لهم كلمتهم ورأيهم المخالف، فقد قرروا هم كذلك الانتقال إلى موقع الهجوم، ولكنه هجوم من نوع آخر، لا يمكن للعدو أن يتفاداه باستمرار، مما سيؤدي إلى انقلاب الصورة التي كنا نعرف، والاقتراب أكثر وبخطى واثقة وأكيدة نحو وعد الله تعالى بالنصر والتمكين، على أنقاض هذا الكيان الغاصب، أما بخصوص أذياله وروافده التي تمثلها هذه الأنظمة المرتدة العفنة، فستذوب بأسرع مما نتصور وتنهار ثم تزول، بسبب انقطاع عناصر الحياة عنها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتيجة حتمية، لا ريب فيها، بنصوص قرآنية مجيدة ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾(المجادلة: ٢١).﴿ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ (غافر: ٥١) ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (النور: ٥٥).

والحمد لله وهو ولي التوفيق.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه – إيماناً واحتساباً ونصرة للجهاد والمجاهدين–: أبو سعد العاملي.

ذو القعدة ١٤٢٣ – يناير ٢٠٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحرب الصليبية على العراق

١ – تمهيد

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، يبتلينا بالشر والخير فتنة، لنتقرب إليه أكثر بالطاعات وبالتزام أوامره، والابتعاد عن المعاصي وترك نواهيه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي حذر أمته بتكالب الأعداء عليها كتداعي الأكلة على قصعتها، بسبب انتشار الوهن وتمكنه من نفوس أغلب العباد، فأنزل الله علينا الذل والصغار بتركنا للجهاد، وتمكن أعداؤنا من رقابنا وأرضنا، فصرنا أسهل فريسة وأقرب لقمة لأفواه الكفار الأصليين والمرتدين.

لقد استطاع أعداؤنا ترويض هذه الأمة- التي كانت أسداً مخيفاً- حتى صارت كالضبي الجفول، وأن احتلال قلب الأمة الإسلامية — فلسطين المغتصبة — كان بمثابة مختبر لعملية الترويض هاته، ذلك أن صور التقتيل والتشريد والتهجير التي يعيشها إخواننا في فلسطين على مدى السنين الماضية والأيام الجارية، أصبحت مشاهد عادية، ألفناها ولا نعير لها كبير اهتمام، فلم تندفع الأمة للدفاع عن قبلتها الأولى ومسرى نبيها الكريم، بل اكتفت بالتنديد تارة وبالبكاء والنحيب تارة أخرى، أو باللامبالاة في اغلب الأحيان. فتبع هذا الاحتلال، احتلالات أخرى للكثير من بلدان الإسلام، عسكرية واقتصادية وسياسية وثقافية، كلها هدفت وتهدف إلى طمس معالم هذه الأمة، والإبقاء عليها ضبياً جفولاً وبقرة حلوباً ومختبراً لتجربة كل اختراعات الأعداء، وقبل هذا وذاك، إلى إبعادها وإخراجها من دينها ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ** ﴾.

بالرغم من كل هذه الصور القاتمة والحصار الشديد، نهضت فصائل وجماعات الحق، فكانت بمثابة شموع في ظلام دامس، أنارت بعض الطريق، وأزالت بعض العقبات، ورفعت بعض الضيم والغم عن الأمة، لا زالت تعمل في صمت، لا يعلمها كثير من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس، ابتعثها الله عز وجل لإحياء فريضة الجهاد، والعودة بالأمة إلى دينها، ليرفع عنـــها الذل والصغار إن شاء الله.

كانت الحرب على أرض العراق، آخر حلقة من سلسلة الحرب الصليبية الجديدة، التي أعلنتها قوى الكفر على هذه الأمة، وقد سبقتها تلك الحرب الـــصليبية علـــى أرض أفغانستان المسلمة وعلى حكومتها الراشدة وأنصارها الأطهار. وسوف نتطرق إلى العلاقة الجدلية الكبيرة بين هاتين الحلقتين في الصفحات القادمة من هذا المقال.[١]

٢- لماذا العراق بالذات وفي هذا الوقت بالتحديد؟

لعله سؤال يتبادر إلى ذهن كل واحد منا، مع العلم أن هناك أنظمة لا تقل ظلماً وفساداً عن النظام البعثي في العراق، فلماذا يا ترى تم التركيز على بلاد الرافدين بالذات؟ وهل كان النظام الحاكم فعلاً هو الهدف الرئيس وراء هذه الحرب المعلنة؟

لا شك أن الجواب هو النفي، والدليل أن الحصار الطويل الذي ضـــرب علـــى العراق كان ضحيته الشعب العراقي المسلم، بكل فعالياته وبنياته التحتية، و لم يتضرر النظام قليلاً ولا كثيراً، بل تقوى وترسخت أقدامه أكثر بسبب ضعف الشعب والقهر الخارجي والداخلي المضروب عليه منذ سنين عدداً. هذا بالإضافة إلى غياب عصابة من المـــسلمين قادرة على حمل راية الجهاد السلفي في وجه النظام البعثي المرتد، كل هذا دفـــع بالعـــدو الصليبي إلى الإبقاء على هذا النظام العفن كأداة فاعلة لترويض هذا الشعب وكتم أنفاسه.

أما لماذا العراق بالذات، فلأن للعراق تاريخاً مجيداً في تاريخ أمتنا الإســـلامية، ولا يمكن أن ننسى الدور الذي لعبته الدولة العباسية في بسط النفوذ الإسلامي على العـــالم، عسكرياً وثقافياً وعلمياً وحتى سياسياً، لقد كان بمثابة غصة في حلوق الصليبيين وجداراً

[1] أُنظر كتاب الأنصار الثاني، المعنون "الحرب الصليبية المعاصرة: الحقيقة المفضوحة والدور المطلوب".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سميكاً وسداً عالياً استعصى عليهم تجاوزه لبلوغ مراميهم الخبيثة داخل بلاد الإسلام. ولقد بقيت بغداد رمزاً لعزة الإسلام والمسلمين قروناً طويلة، ومصدر لإشعاع للعلم والمعرفة والأدب والدين شهدت به الأعداء قبل الأصدقاء.

كان السقوط الأول لبغداد على يد هولاكو قائد التتار، وما تبع ذلك من تقتيل للمسلمين وهدم للمعالم والمآثر وحرق للكتب والآثار، لم يشهد التاريخ لـه مثـيلاً في فظاعته ووحشيته، ولقد بلغ المسلمون يومها أسفل مراتب الذل والصغار، حينما تمكـن الوهن من قلوبهم وابتعدوا عن دينهم.

ثم كان سقوط بغداد الثاني في يد حفنة من المرتدين بعد الاحتلال الصليبي الثاني في بداية القرن العشرين، لكنه لم يشف غليل الصليبيين بالرغم من دورهم البارز في محاربة الإسلام وطمس هويته والقضاء على كل حركة إسلامية راشدة تتطلع إلى تحرير الأمة من براثن الكفر والردة. فجاء هذا الاحتلال ليحاول تحقيق ما عجز عن تحقيقه عن بعد.

وقد جاء الاحتلال هذه المرة رافعاً شعار تحرير الشعب العراقي من دكتاتوريـة النظام البعثي، وكأن هذا النظام كان عادلاً ورحيماً بالشعب طوال السنين الماضية. وتحت شعار القضاء على أسلحة الدمار الشامل ، ونحن نعلم أن هؤلاء الصليبيين كانوا يمـدون النظام العراقي المرتد بأشد أنواع هذه الأسلحة فتكاً بالبشر، سواء في حربه ضـد إيـران الفرس أو في حربه للفصائل المعارضة له داخل العراق نفسه.[1]

فأين كان هذا الضمير الإنساني خلال السنوات التي خلت ؟؟ ولماذا استيقظ الآن، والآن فقط ليخلص الشعب العراقي من هذا العذاب؟

وهل تخليص هذا الشعب يكون بصب الأطنان من القنابل المحرمـة – وضـعياً وشرعياً – على رؤوس أبناء هذا الشعب المسكين، ولهدم معالمه ومساكنه وبنياته التحتية ؟ أي تحرير هذا، وأي منطق يتعامل به هؤلاء الصليبيون تجاه المسلمين؟

[1] لا يمكن أن ننسى استعمال الأسلحة الكيميائية ضد الشعب الكردي المسلم في حلبجة وغيرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاءت الحرب في وقت بدأت تدب في أوساط المسلمين عامة وفي هذه المنطقة خاصة، بذور الجهاد والاستشهاد، وبداية انطلاق جماعات الحق لتحرير الشعوب المسلمة من براثن الاحتلال الصليبي بمساعدة الأنظمة المرتدة. ولقد خشي العدو الصليبي على مصالحه وخاف أن تنفلت زمام الأمور من أيدي هذه الأنظمة المهترئة، فسارع إلى إعلان هذه الحرب، بعدما تيقن أن هناك طوابير من الخونة وأصحاب المصالح الشخصية، الذين لن يستطيعوا الصمود طويلاً أمام الآلة الحربية للعدو، وبعدما أدركوا أن الشعب المسكين منهك بآثار الحصار الطويل وحرمان النظام المرتد له من كل أنواع الإعداد المادي والروحي للدخول في مثل هذه المواجهات.

أما السبب الآخر الذي عجل بالعدو للدخول في العراق فهو انتكاسته الكبيرة والمخزية في حربه على أفغانستان المجاهدة، حيث تكسرت آلته العسكرية والإستراتيجية على أرض أفغانستان، تحت ضربات المجاهدين (بقيادة طالبان وتنظيم قاعدة الجهاد)، فكان لابد من البحث عن منفذ آخر يحافظ فيه الأمريكان وحلفاءهم على ماء الوجه، ويعيدوا الاعتبار لمؤسساتهم العسكرية والسياسية على حد سواء.

٣- احتلال أفغانستان واحتلال العراق: قياس مع الفارق

هناك فوارق عديدة بين البلدين، ولكن القاسم المشترك بينهما هو القيمة التاريخية لكل واحد منهما في جسد الأمة الإسلامية، فأفغانستان تعتبر قلعة صامدة للجهاد على مر التاريخ، وقبلة للمجاهدين في العصر الحاضر، أذاقت الأعداء الأمرين وتحولت إلى مصدر أشعاع للجهاد والمقاومة، احتضنت الكثير من الجماعات الجهادية المعاصرة وجعلت من أرضها ميادين للإعداد والتربية، قذفت في قلوب الأعداء الرعب، وخافوا على عروشهم وعروش أوليائهم من الزوال، فبادروا إلى إعلان حرب لا هوادة فيها على الإمارة الإسلامية، أدت إلى تنحي طالبان عن الحكم وإخلاء المباني الرسمية إلى حين، إبقاء على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أرواح المسلمين واستدراجاً للعدو إلى المدن، لفتح حرب عصابات لن تتوقف إلا باندحاره بحول الله تعالى.

وقد أظهرت الأيام الماضية صدق هذه الفرضية، حيث رأينا إثخاناً وتقتيلاً في صفوف العدو من قبل مجاهدينا الأشاوس، والحرب لا زالت في بدايتها، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

لقد تم تعيين حكومة عميلة ضعيفة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة، لا تملك حتى الدفاع عن نفسها وقصرها الرئاسي في كابل فضلاً عن توفير الأمن وفرض السيطرة على سائر أرجاء البلاد.

هذا بالإضافة إلى التركيبات العرقية المتعددة التي يتكون منها الشعب الأفغاني، والتي استطاعت حكومة طالبان الراشدة أن تلم شملها وتجمع صفوفها وتخمد تلك النعرات الجاهلية الطائفية كلها بفضل استقامتها على دين الله وحكمتها في تسيير شؤون البلاد.

ولقد رأينا عودة التطاحن والاقتتال فيما بين هذه الطوائف، ورجعت الجاهلية تضرب أطنابها من جديد لتعود معها فلول الحق تمارس دورها في الدعوة والجهاد، والتدافع مع قوى الباطل، والمؤمن يعتبر نفسه في عبادة متواصلة سواء كان في مرحلة الدعوة والإعداد، أو في مرحلة الدعوة والجهاد، أو في مرحلة الدولة، فهو في كل حال يبتغي أجر الله، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

أما في احتلال العراق، فقد استطاع العدو الصليبي أن يزيح النظام البعثي المرتد – حليف وولي الأمس – بسبب تمرده على سيده، ودخل بجيشه وقواته لترتيب الأوراق السياسية وإعداد نظام موال له كنظيره الأفغاني.

٤– هل هي حرب على البترول فقط؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا شك أن من بين أهداف هذا الاحتلال الجديد، هو الحصول على حصة الأسد من احتياط النفط العراقي الذي يعتبر ثاني أكبر خزان في العالم بعد بلاد الحجاز، ولا شك أيضاً أن لعاب الكثير من كبرى شركات الإعمار العالمية (وكلها صهيونية أو صليبية) يسيل بغزارة طمعاً في تقاسم عقود ما يسمى بعملية إعمار العراق، ولكن الهدف الخفي غير المعلن هو ما أعلن عنه العزيز الحكيم ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ** ﴾، وفي سبيل تحقيق هذا ينفقون الأموال الطائلة بدليل قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾[الأنفال ٣٥].

إن موقع العراق الاستراتيجي - تاريخياً واقتصادياً وسياسياً — في جسد الأمة الإسلامية، كاف لدفع الأعداء إلى الإسراع لاحتلال هذا البلد، من أجل لإيقاف تصاعد المد الجهادي في المنطقة، وتنصيب قواعد عسكرية جديدة لمراقبة الشعوب الإسلامية ومنعها من الانطلاق في اتجاه تحرير العباد من عبادة العباد، خاصة وأنهم يدركون أن الوقت ليس لصالحهم، وأن التغيرات الحاصلة داخل المجتمعات الإسلامية تتجه صوب ترسيخ المزيد من العداء لكل ما هو دخيل على الأمة، وهناك عودة جادة وواضحة إلى الأصول الدينية، فلم تعد تنفعهم الإغراءات والوعود الكاذبة كوسيلة للتأثير على أبناء الأمة الإسلامية، كما لم يعد ينفعهم التهديد والوعيد لإيقاف هذا التوجه الأصيل.

هذا بالإضافة إلى أن العدو الصليبي يسعى إلى حماية ظهر الكيان الصهيوني ومده بكل عناصر القوة والبقاء، ليتحقق قوله تعالى ﴿ **وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ** ﴾، تحالف صلبي صهيوني في مواجهة " الإرهاب الإسلامي" المتصاعد.

٥- معالم وأبعاد هذه الحرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال ما سبق ذكره يتضح جلياً للجميع بأن الحرب القائمة في العراق، ما هي إلا امتداد للحرب الصليبية المعلنة على الأمة، ولقد بدأت فعلياً باجتياح أفغانستان واستهداف حكومتها الراشدة بقيادة أمير المؤمنين الملا محمد عمر وأنصارها المخلصين بقيادة الإمام أسامة بن لادن — حفظهم الله –.

ولقد سبق الحديث عن معالم هذه الحرب الصليبية في كتاب الأنصار الثاني من هذه السلسلة، وهي نفس المعالم لم تتغير ما دام العراق وشعبه جزءاً من هذه الأمة بل من أهم المناطق في البلاد الإسلامية، نذكر بأهم هذه المعالم والسمات لأهميتها:

– إنها حرب شاملة تهتم بكل الجوانب ، يسعى من خلالها الأعداء إلى امتلاك زمام الأمور في كل الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية، كما أن شموليتها تتجلى أيضاً في استهداف كل الشرائح البشرية في أمتنا، ومحاولة طمس هوياتنا وتراثنا، فنصبح تائهين نركض وراء فتاته ونطمع في رضاه.

– إنها حرب شرسة، بحيث أن الأعداء لا يتورعون عن استعمال كل أنواع الأسلحة الفتاكة، التي يحرمها الشرع والعقل والمنطق، وهذا دليل على حقده الدفين وفساد سريرته.

– إنها حرب متواصلة ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾، لا يملون ولا يتوقفون عن حربنا، وهذا دليل على قوة الدفع التي تكمن وراء هذه الإرادة القوية والهمة العالية، ولن يكون سوى الجانب الاعتقادي المحض .

– إنها حرب دينية صليبية ﴿ **حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ** ﴾، ولكن الكثير من أبناء الأمة لم يفطنوا بعد لهذا الجانب الخطير، ويعتقدون بأنها حرب اقتصادية أو سياسية في أقصى تقدير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- دور الأمة اتجاه هذا الاحتلال

تجسيد قوله تعالى في صفات المؤمنين **﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاق﴾**[الأنفال ٧٢].، وهو نداء عام للنفير في كل اتجاه، لتخليص المسلمين من الأعداء والدفاع عن بيضة الإسلام في كل مكان. ولا يحتاج هذا الأمر إلى تفكير عميق أو إلى فتاوى خاصة أو شروط معجزة، سوى القدرة، وما منا من أحد إلا ويقدر أن يقوم بهذا الواجب في حدود استطاعته، ومن خلال موقعه، فكل ميسر لما خلق له. وهناك أبواب عديدة وطرق مختلفة للمساهمة في هذه النصرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

تحسيس الأمة بخطورة هذا الاحتلال على مستقبلها القريب والبعيد

كل واحد منا قادر على لعب هذا الدور الكبير الذي نستهين به ونستصغره، وهو في حقيقة الأمر هين وفي متناول الجميع، ولا يمكن أن نسمح بتكرار ما حصل في فلسطين، حيث تناسى المسلمون حقيقة هذا الاحتلال و لم يعيروا له الاهتمام اللازم حتى ألفوه، وألفوا صور البطش والتقتيل اليومية، وصارت لا تحرك فينا ساكناً إلا من رحم الله.

فصغرت ساحة الصراع بيننا وبين اليهود، حيث انتقلت من حرب بين المسلمين عامة وبين اليهود إلى حرب بين العرب واليهود ثم بين الفلسطينيين واليهود ثم أخيراً وليس آخراً بين التنظيمات " الإرهابية" الفلسطينية[1]وبين الكيان الصهيوني.

كما أن هذا الاحتلال يعتبر نقطة بداية بمشروع احتلالي كبير، سينتهي حتماً بإعادة رسم خريطة جيوسياسية جديدة في بلداننا، قائمة أساساً على إبعاد الدين من مواقع

[1] والمقصود هو الحركات الإسلامية داخل فلسطين وعلى رأسها حماس والجهاد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرار ومحاربة كل الفعاليات الإسلامية المخلصة وعلى رأسها التنظيمات الجهادية السنية التي تعتبر رأس الرمح لنهضتنا الإسلامية، ولمشروع الجهاد المبارك.

المطلوب منا – أفراداً وجماعات– أن نلعب دوراً مضاداً للمؤسسات الإعلامية والثقافية الصليبي–صهيونية في بلداننا، التي تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية وإبعاد الإنسان المسلم عن منابع دينه والقذف به في مهاوي الجاهلية، وأهم من هذا وأخطر، تهدف إلى تدمير عقيدة الولاء والبراء حتى يتساوى الجميع في نظرنا، فنقبل بالتغيير السياسي حتى وإن كان على أيدي الذين كفروا من اليهود والنصارى، بعدما نجحوا في إقناعنا بقبول هذه الأنظمة المرتدة عقوداً من الزمن.

يريدون منا أن نقبلهم أسياداً علينا في عقر ديارنا بعدما كانوا يكتفون بتسيير أمورنا من عقر ديارهم، فنصبح عبيداً وخدماً لهم مقابل توفير لقمة خبز ملوثة وبيع ما تبقى من ديننا وأعراضنا.

إن سكوت الأمة عن هذا الاحتلال الصليبي لعاصمة الخلافة، من شأنه أن يفتح شهية الأعداء لمواصلة رحلة الاحتلال المباشر لبقية أراضي المسلمين، تحت عدة مسميات كالتي سماها أخيراً بعملية تحرير الشعب العراقي من النظام البعثي. وكلنا يعلم أن كل نظام من أنظمتنا شر من الآخر، وأظلم من الآخر، فهل يكون ذلك مبرراً مقبولاً لقبول احتلال الصليبيين مقابل رفع احتلال المرتدين؟؟

ليس هناك عاقل واحد من أبناء الأمة، يمكن أن يقبل بهذا، ناهيك عن الذين يدعون أنهم ينتمون إلى خير أمة أخرجت للناس.

الذي نريده من أبناء الأمة هو إذكاء شعور العزة والأنفة وإحيائه في النفوس من جديد، ورفض العدو وبغضه واعتباره مصدراً للذل والمهانة مهما حاول أن يظهر بمظهر الصديق أو الناصح الأمين. فليس هناك ثقة في الأعداء، ولن يتغير شعورهم بالعداء والبغض لنا ما دمنا متمسكين بديننا ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[البقرة]، وهل هناك غيرهم في الصفوف الأولى للعدو الصائل لبلداننا اليوم؟؟

إحياء روحية العمل الجماعي وروح الجهاد

لم يتمكن العدو بشقيه – الكفار الأصليون والمرتدون – من السيطرة على أراضينا وخيراتنا إلا بعدما نجحوا في تشتيت شملنا وإبعادنا عن كل أشكال العمل الجماعي المنظم، الذي يدفعنا إلى الوعي والبصيرة وإلى السعي الجاد والمسئول اتجاه تغيير أمورنا نحو الأفضل وتحرير أنفسنا وذرارينا وأراضينا من كل اعتداء خارجي.

لقد تمكن العدو الخارجي – عن طريق العدو الداخلي المتمثل في هذه الأنظمة المرتدة– من إحكام السيطرة على الشعوب عبر ما يسمى بوزارات الداخلية وأجهزة الأمن الداخلية والمخابرات، فساروا يعدون أنفاس العباد ويرقبون تحركاتهم ويمنعونهم من التجمعات العامة والخاصة، وأدخلوا ذلك في قائمة الممنوعات القانونية، حتى أصبح الناس يعيشون فرادى، فانعدمت الثقة بينهم، وأصبح الدعاة المخلصون وأصحاب الهمم العالية منبوذين من قبل العام والخاص، ولا يسمع لقولهم أحد فضلاً عن اتباعهم وبيعتهم على نصرة دين الله تعالى وتغيير المنكرات المستشرية في المجتمعات.

وفي الطرف المناقض، ساهمت هذه الأنظمة المرتدة – بوحي من العداء الخارجيين– في نشر البدع وتكوين الفرق الضالة المضلة، وتمويل الأحزاب والتجمعات العلمانية الفاسدة، ومهدت لها الطرق وأمدتها بكل الوسائل للانتشار في المجتمعات من أجل هدمها وتخريبها من الداخل.

إن الوقت يحتم علينا العمل في الاتجاه المعاكس لهذا المشروع الخطير، ومحاولة النهوض من أجل ترسيخ مبدأ العمل الجماعي المنظم، وفق الموازين الشرعية الداعية إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدفاع عن الحق ونشره بين الناس، ومحاربة الباطل وغزالته من المجتمعات، ولن يتحقق هذا بغير نشر روحية الجهاد في الأمة، وعدم الاكتفاء بالعمل الدعوي السلمي الوديع.

فالأعداء لا يخشون شيئاً غير الجهاد، ولقد بلغ بهم الرعب والهيبة والهلع من هذه الفريضة مبلغاً وصل إلى عدم استطاعة تسميته باسمه، ففضلوا اختيار " الإرهاب" بدل الجهاد، وهو دليل على شدة خوفهم وهلعهم.

لقد جربنا كل الوسائل وسلكنا كل الطرق لمحاولة تغيير ما بنا من نقص ومن ضعف، وما بأمتنا من فساد عريض وفتن كبرى، فلم نفلح في تحقيق المبتغى، بل إن أمورنا تأزمت أكثر، وتمكن الأعداء من مواصلة عملية الفساد، وهاهي النتيجة أمام أعيننا، تتمثل في عودة الاحتلال المباشر إلى بلداننا، بل إلى عاصمة خلافة الأمس القريب ورمز أمتنا. فماذا نفعتنا كثرة التجمعات والجماعات السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية ؟ ماذا فعلت تلك الشعارات البراقة والجموع الغفيرة في قاعات المحاضرات أو المؤتمرات ؟ ما نفعت تلك الجموع بدون تنظيم محكم مبني على بيعة الموت ؟

إن التنظيم أو التجمع القائم على أسس غير أساس الجهاد، وبيعة غير بيعة الموت، لهو تجمع فاشل منذ البداية، ولن يخيف الأعداء قليلاً ولا كثيراً، بل إن هؤلاء الأعداء يتخذونه وسيلة ودرعاً لتلقي ضربات التجمعات الجهادية.

لقد حانت ساعة الحقيقة، و لم يبق لدينا ما نخفيه، ولا أظن أن من مصلحة أحد إخفاء هذه الحقائق. لقد بلغنا مبلغاً لا يمكن أن نسكت ونغض الطرف عن أسباب ضعفنا، وعن كشف المثبطات والمكبلات في مسيرة تغييرنا. إننا محاسبون على كل هذا وغيره، ومن الخير لنا جميعاً أن نكشف هذه الأوراق، وفي هذا الوقت بالذات، لتتبدى الحقائق ناصعة للجميع.

لم يعد ينفعنا سوى سبيل الجهاد والاستشهاد، وقد حان الوقت لتعديل الوسائل والمناهج داخل التجمعات الإسلامية، وتبني خط الدعوة والجهاد في مناهج الحرمة والعمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامي، لتتحول هذه الجماعات إلى تجمعات ترهب الأعداء عسى الله أن يكف بأسهم عن المسلمين، قال تعالى ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ [النساء ٨٤].

يجدر بنا أن نقف وقفات مطولة اعتبارية لما حصل في العراق، حيث غياب تلك النوعية من التجمعات الجهادية وغياب روحية الجهاد والاستشهاد لدى أغلب الشعب، هذا في بداية الاحتلال وقبل دخول المحتل إلى البلاد، بالإضافة إلى عوامل أخرى إستراتيجية [1] ، مما سهل على العدو طريق الاحتلال. وهذه الصورة يمكن أن تعود وتتكرر في كل بلد من بلداننا بسبب غياب سياج الأمة المتين ألا وهو الجهاد.

إن ما حدث في العراق، ينبغي أن يمدنا بالكثير من الدروس والعبر، فرب ضارة نافعة، ومن أصدق من الله حديثاً ﴿ **وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾، لعل هذه الضربة – بالرغم من وحشيتها وأضرارها المادية الجسيمة على أبناء الشعب العراقي – سوف تنمي في الأمة سمات المقاومة وتحثها على استجماع أسباب القوة لتفادي الضربات القادمة في المواقع الأخرى، فالحرب مفتوحة على كل الجبهات، فلئن خسرت الأمة معركة في جبهة، فإن هذا لا يعني أنها خسرت الحرب، بل قد تكون مقدمة لعملية نهوض حقيقية، شعارها الجهاد والاستشهاد.

السعي إلى التعاون وتنسيق الجهود الجهادية

إن أخوف ما يخاف منه الأعداء هو وحدة كلمة المسلمين بعامة، وجهود المجاهدين بخاصة، ومن أجل هذا تراهم يعقدون المؤتمرات تلو المؤتمرات ويجندون أنظمة وجنوداً مجندة غيرها لزرع الفرقة والشقاق بين المسلمين، بالإضافة إلى رسم الحدود وبناء السدود لمنع كل تنسيق بين شتى الفصائل العاملة في بلداننا.

[1] أنظر مقال أخينا "أبو عبيد القرشي". لماذا سقطت بغداد؟ - مجلة الأنصار – العدد ٢٩، وكذلك مقاله في كتاب الأنصار عدد ٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أن أعداءنا يسعون إلى حصر الصراع بيننا وبينهم وتقزيمه، واعتباره صراعاً بين الدولة المعنية وبينهم، لكي لا تتدخل الشعوب المسلمة الأخرى فتكون طرفاً في هذا الصراع، وهذا يؤدي في النهاية إلى القضاء على مبدأ النصرة والأممية التي يحث عليها ديننا الحنيف، ليتم في مقابله ترسيخ مبدأ القومية والوطنية التي تحث عليها القوانين الوضعية الكفرية.

يبرز الصراع في فلسطين كأكبر مثال على هذا، حيث تحول إلى صراع بين من أطلقوا عليهم " المتطرفين الفلسطينيين" (ويقصدون المجاهدون) وبين الكيان الصهيوني، بدلاً من أن يكون ويبقى صراعاً بين المسلمين كافة وبين اليهود كافة.

ثم يأتي مثال أفغانستان المسلمة، حيث يحاول الأعداء تسمية الأنصار بالأجانب، إسقاط مبدأ النصرة والأخوة الدينية، ومحاولة حصر هذا الصراع بين الصليبيين والمجاهدين الأفغان. وتأتي الأمثلة الأخرى تترا في بلاد القوقاز وقبلها في بلاد البلقان وكشمير وغيرها من البلدان التي انطلقت فيها شرارة الجهاد.

إن الاجتماع والوحدة هو الأصل في ديننا، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة ومستفيضة – ليس هذا مقام ذكرها– ويصبح هذا اوجب في الظروف التي تعيشها أمتنا اليوم.

من منا يقرأ قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ فيرضى بما نحن عليه من تشتت وتشرذم بل وتطاحن ؟

إن التنازع والتفرق يؤدي في حالات الرخاء والقوة والمنعة إلى الهزيمة وذهاب الريح، فكيف ونحن ضعفاء نخاف أن يتخطفنا الأعداء من كل جانب ؟؟

أليست الوحدة أوجب ؟ أم أننا نريد أن نستمر في معصية الخالق في هذا الأمر حتى يستبدل بنا غيرنا ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألا نرى إصرار الأعداء على حصار كل جماعة جهادية، والانفراد بها على حدة، لكي يسهل عليهم احتواءها أو القضاء عليها ؟ ألم يحدث هذا في أفغانستان، حيث أغلقوا الحدود وطردوا الأنصار أو اعتقلوهم لكي يبقى المجاهدون الأفغان وحدهم في مواجهة الجيوش الصليبية ؟

ألم يحدث هذا في فلسطين، حيث منعوا كل تسرب للمجاهدين عبر لبنان أو الأردن أو مصر لكي يبقى المجاهدون في الداخل يواجهون وحدهم الآلة العسكرية اليهودية المدعومة بقوى الصليب ؟

ألا نرى ما يحصل في الجزائر من تعتيم إعلامي رهيب، ومحاولة عزل المجاهدين هناك حتى على المستوى الإعلامي، ليخمدوا جذوة الجهاد المتوقدة؟

كل هذا يحصل على مرأى ومسمع من كل الحركات الإسلامية في بلداننا، ثم لا نجد فيهم من يدرك خطورة هذا الوضع، وكأنه في معزل من هذا، وتبقى أمورنا على ما هي عليه من التشتت والتشرذم والعمل الأحادي الجانب.

إن الأعداء يقاتلوننا كافة، ولا يفرقون بين جماعة وأخرى، وعلينا أن نقاتلهم كافة ﴿ **وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً** ﴾ ، ولا يمكن أن يتم هذا إلا بالتنسيق والتعاون فيما بين مختلف الجماعات العاملة.

إن ما حدث في العراق – وقبله في أفغانستان – ينبغي أن يدفعنا إلى مراجعة أوراقنا وحساباتنا الضيقة، فنوسع على أنفسنا مجال العمل والحركة، ونعتبر أن هذا الدين ملك للجميع، يغترف منه كل واحد حسب طاقته وطلبه.

وأن نتذكر حديث السفينة المشهور، فنحافظ على كل ثغرة من ثغورها حتى لا نؤتى من قبلها، فنغرق ونغرق من معنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الأعداء يدركون جيداً أن نقطة القوة لدينا تكمن في تجمعنا ووحدة كلمتنا، فتراه يلصق تهمة الإرهاب والعلاقة بتنظيم قاعدة الجهاد بكل جماعة مجاهدة، خشية حصول تنسيق بين مختلف الجماعات، فترى بعض الجماعات تتملص وتحاول دفع هذه التهمة عن نفسها، فتنعزل وتقطع كل علاقة لها ببقية الجماعات الجهادية الأخرى وعلى رأسها تنظيم قاعدة الجهاد.

لقد أدركت جل الجماعات المخلصة هذا المخطط الشيطاني واستوعبت الدرس من احتلال العراق، ففهمت أن التشتت وعدم التنسيق بين الفصائل العاملة في الساحة يعتبر من أهم أسباب الهزيمة حاضراً ومستقبلاً.

الاستفادة من التجربة الأفغانية

لقد ذكرت العلاقة الجدلية بين ما حصل في أفغانستان والعراق، وذكرت النقاط المشتركة بين الاحتلالين، كما ذكرت بأن احتلال العراق جاء نتيجة مباشرة لما حصل من قلب للموازين الصليبية وخلط لأوراقه العسكرية والسياسية في أفغانستان، وبالتالي فقد نجح المجاهدون هناك بضبط النفس وادخار جهودهم للدخول في حرب طويلة الأمد، ثابتة الخطى، مستنزفة لقوى الأعداء ومقيمة لأسس إسلامية راشدة متينة.

إن الحرب في أفغانستان تدور كما سطرها المجاهدون بتوفيق من الله تعالى، حيث رأينا انسحابهم من المدن وتركهم لمؤسسات السلطة الظاهرة – حفاظاً على أرواح المسلمين من القصف الصليبي الغبي – واستدراجاً لهذا العدو للدخول في المدن، لتبدأ الحرب البرية التي ستشيب هؤلاء الصليبيين وتذهب عقولهم.

و لا ينبغي أن ينتابنا أدنى شك في أن الحرب القائمة في أفغانستان – طالت أم قصرت – ستكون مناسبة ومجالاً خصباً لممارسة عبادة الجهاد، وتأصيله وترسيخه في نفوس أبناء الأمة، وسوف تُفتح جبهات ومعسكرات تدريب عديدة وجديدة في هذا البلد وغيره

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من بلدان المسلمين، وعندها سيندم العدو وسيعض على يديه ورجليه بسبب هذه الورطة التي لا يعرف كيف سيتخلص منها، كيف لا وقد جمع على نفسه هذه العصابات المجاهدة، المتعطشة إلى تخليص الأمة من براثن الاحتلال عبر جهاد متواصل لا يتوقف إلا بالنصر أو الاستشهاد.

هناك نقاط قوة وبرامج عمل كثيرة يمكننا استخلاصها من تجربة المجاهدين في أفغانستان، أهمها:

اعتماد اللامركزية

في الظروف الحالية التي تعيشها أمتنا، وتحت الحصار المحكم المضروب عليها من قبل الأعداء سواء في الداخل أو الخارج، تكون التعددية – المنطلقة من وحدة المسار والمنضبطة بوحدة الإستراتيجية – نقطة قوة بدل أن تكون نقطة ضعف، خاصة عندما يصاحبها التنسيق الجيد والتعاون الجاد، ذلك أن العدو لا يمكنه تتبع الكثير من الجماعات على امتداد العالم في وقت واحد. وحتى إن حاول فإن هذا سوف يشتت جهوده وقوته ويفقدها الفعالية وربما الفاعلية أصلاً. كما أن اللامركزية في العمل الجهادي من شأنها أن تحافظ على استمرارية العمل الجهادي، حيث بها يمكن الاحتفاظ بجيوب الجهاد في بلد في حال تعرضت بعض الجماعات في بلد آخر للتدمير أو التفكيك، حفظ الله الجميع.

إطالة أمد الحرب

لابد أن نتذكر أن أعداءنا بشر، وبالتالي فإن قواهم الجسدية وعتادهم المادي محدود، ومن طبيعة البشر أنه كلما طال عليه الأمد في وضع ثابت، فإنه سرعان ما يعتريه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملل والتعب والضعف في آخر المطاف. من هنا ينبغي التعامل مع أعدائنا من هذه الزاوية، فنطيل أمد المواجهة معهم، ونحاول قدر المستطاع الاحتفاظ بالزاد الروحي والمادي الكافي لحرب طويلة الأمد، خاصة و أننا نحارب في عقر ديارنا، وهي نقطة قوة نتفوق بها على الأعداء.

إن طول أمد الحرب يُفقد العدو أعصابه، ويدفعه إلى الارتباك وفقدان السيطرة على زمام الأمور في ساحات القتال، لأنه جاء إلى أراضينا لتنفيذ مهمة محدودة في المكان والزمان، ولكن حينما يفاجئ بمقاومة شرسة من قبل المجاهدين، فإنه سرعان ما يعتريه الخوف والجزع، ومن ثم يبدأ في التفكير بإنهاء مهمته في أسرع الآجال وبأقل المكاسب الممكنة.

أما المجاهدون، فإنهم يجاهدون لأهداف وغايات عليا وأسمى، كلما طال عليهم أمد الحرب، كلما كان أجرهم أعظم عند الله وكلما كسبوا تجربة أكبر وأوسع في ساحات الجهاد.

اعتماد حرب العصابات كاستراتيجية للمقاومة

وهي من نقاط القوة لدى المجاهدين، فحرب الجيوش المتقابلة متجاوزة، وحل محلها حرب العصابات الخاطفة، التي تُحدث أضراراً كبيرة في العدو، وخسائر أقل في صفوف المجاهدين، هذا فضلاً عن ملاءمتها لساحة المعركة، خاصة إذا علمنا أنها ستدور داخل المدن والقرى.[1]

والمجاهدون في العراق مطالبون باقتفاء أثر إخوانهم في أفغانستان أو الشيشان أو الجزائر أو غيرها من مواقع الجهاد، لكي يذيقوا العدو الصليبي ما ذاقوه في أفغانستان، ولن

[1] هذا ما يحصل في كل البلدان التي انطلقت فيها شرارة الجهاد ضد المحتلين الصليبيين أو اليهود أو المرتدين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يطول – حينئذ– مقامهم في العراق، كما رأيناهم يعدّون العدة للرحيل عن أفغانستان إن شاء الله.

الاجتهاد في تأمين العمل

وهي نقطة قوة أخرى يمتلكها المجاهدون، فبفضل إجراءات التأمين يمكنهم الحفاظ على أسرار الحرب ومباغتة العدو في أي وقت يشاءون، كما أنها تمكنهم من الحفاظ على بنياتهم التحتية وجنودهم الأخفياء.

فالعدو لا يمكن أن يخفي كل قواته، لأنه يتواجد في موقع المدافع عن مؤسساته ومصالحه المادية الكثيرة، وكذلك بسبب كثرة جنوده وعملائه، فالكثير من أسراره دوماً معرضة للكشف، وظهره دوماً معرض للضرب، الشيء الذي لا يتواجد في صفوف الحركات الجهادية إن هي أصبغت أعمالها بالتأمين المطلوب.

توسيع دائرة الحرب وتنويع الضربات

وقد برع تنظيم قاعدة الجهاد في تنفيذ هذه السياسة، حيث رأينا كيف استطاع مجاهدو القاعدة أن يصلوا إلى عقر ديار العدو، وان يسجلوا هناك غزوتين عظيمتين لن تنمحي من تاريخ أمتنا أبداً، واللتان ستظلان مصدر خوف وهلع للعدو الصليبي على مدى الأيام والسنين المتبقية من عمره. ولن ننسى تلك الضربات الأخرى التي تلقاها العدو في بقاع مختلفة من المعمورة، كلها توحي بعبقرية فذة في التخطيط والمنهجية العسكرية، وتضع العدو في مأزق حقيقي لا يمكن أن يواجه هذه الضربات ولا أن يتقيها أبداً، فهو مطالب بتشتيت قواته وعملائه، والتواجد في كل شبر من هذه الأرض، وهو أمر مستحيل الحدوث، وبالتالي سيؤدي إلى توزيع قواته والذي سيؤدي بالضرورة إلى ضعفه وهزيمته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا هو الدور المطلوب من كل الجماعات الجهادية، المتواجدة في كل مكان، أن توسع دائرة الصراع بينها وبين الأعداء، وأن تدرك جيداً بان العدو مهما امتلك من أيباب القوة فغنه سيبقى محدوداً وضعيفاً.

هذه بعض رؤوس الأقلام حول الدور المطلوب من الأمة بعامة ومن الجماعات الجهادية بخاصة، في مواجهة هذه الحلقة الجديدة من الحرب الصليبية المعلنة على الأمة.

حرب لا نملك اتجاهها سوى الإعداد الجيد الذي يتناسب مع معطيات المرحلة، والصمود الذي يرقى إلى مستوى التحديات الموجودة، ولا ينبغي أن تفلت هذه الفرصة التاريخية من أيدينا لنعيد لأمتنا مجدها وتاريخا المشرق، ولدينا عزته ونصاعته وقوته، ونضمن لأنفسنا ذلك المقام الكريم في أعلى عليين عند مليك مقتدر، والحمد لله رب العالمين.

أبو سعد العاملي

ربيع الثاني ١٤٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com